RIYAD, SAUDI ARABIA
Date
No. .... : الرقم

مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات

الرقم: ٤١٤٥ ف ٨٦٦/١

العنوان: المنح المكية في شرح الهمزية المسماة أم القرى للبوصيري

المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي

تاريخ النسخ: ١٠٠٤ هـ

اسم الناسخ: سليمان الحاج سالم

عدد الأوراق: ٢٠٤ ق ٢١×١٥

ملاحظات: ٨١١,٥
٢٠٢ ح

King Saud University 1957 جامعة الملك سعود

Copyright © King Saud University

٨١١ر٥
٢٠م ح

(المنح المكية في شرح الهمزيه المساه أم القرى للبوصيرى ،
تأليف أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدى
الأنصارى شهاب الدين شيخ الاسلام ، ابي العباس
(٩٠٩-٩٧٤هـ) . كتبه سليمان بن الحاج سالم ١٠٠٤هـ . ٤١٤٥
٢٠٦ ق ٢٣ س ١٥×٢١سم
نسخة جيده ، ناقصة الاول ، خطها نسخ حسن .
الأعلام ١: ٢٢٣ ، الظاهرية الشعر : ٣٨٩
١- الشعر ، العصر التركي والمملوكي ، أدب اللغة
العربية أ- ابن حجر الهيتمي ، أحمد بن محمد ٩٧٤هـ
Copyright © King Saud University
بدا اسم الناسخ ... - تاريخ النسخ د - شرح أم القرى
في مدح خير الورى .

١-٣٦
٤١٤٠٥
جامعة الرياض
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

أي الإشاعة وافقة لذلك السر وبين الغض والإغضاء التجنيس المطلق
ومترقبة في تقصير وقصور زيادة ويجري ذلك في قوله يعني الآمين
وأصل قوله وإنشاء جره إلى آخره قول حليمة رضي الله عنها بعد ما قدمته
كما في السير عنها لم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه
وفصلته فكان لا يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى
كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه عندنا
لما نرى من بركته فقلنا لأمه لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فإنا نخشى عليه
وباء مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله لبعد مقدمنا به
بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاع لفي بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه
يشتد فقال ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه
وشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه
فاعتنقه أبوه وقال أي بني ما شأنك قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض
فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به
معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلقي
فرديه إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوفه قالت فاحتملناه إلى أمه فقالت
ما ردكما به فقد كنتما حريصين عليه قلنا نخشى الإتلاف والأحداث
فقالت ما ذاك بكما فاصدقاني شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره
فقالت أخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإنه
لكائن لابني هذا شأن فدعاه عنكما وفي حديث عن أبي يعلى وأبي نعيم
وابن عساكر كنت مسترضعا في بني ليث بن بكر فبينا أنا ذات يوم في بطن
واد مع أتراب لي من الصبيان فإذا أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب
ملئ ثلجا فأخذوني من بين أصحابي وانطلق الصبيان هربا مسرعين
إلى الحي فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض إضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق

خامس

صدري الى منتهى عانتي وانا انظر اليه فلم اجد لذلك مسا ثم اخرج احشاء
بطني ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قام الثاني
فقال لصاحبه تنح ثم ادخل يده في جوفي واخرج قلبي وانا انظر اليه فصدعه
ثم اخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال اي اشار بيده يمنة ويسرة
كانه يتناول شيئا فاذا خاتم من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ نورا
وذلك نور النبوة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا
ثم قال الثالث لصاحبه تنح فامر يده بين مفرق صدري الى منتهى عانتي
فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم اخذ بيدي فانهضني من مكاني انهاضا
لطيفا الحديث وفي رواية عن البيهقي ان احد الثلاثة في يده ابريق من فضة
وفي الثاني طست من زمرد اخضر وورد في خبر التابوت المذكور في الاية
كان فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام
وحكمة ختم قلبه المقدس الاشارة الى ختم الرسالة به قيل وانما يسلم هذا ان
اختص الختم به اما اذا لم يختص به كما هو فالحكمة انه من جملة علامات النبوة
وانما شاركه فيها غيره على ان هذه الكيفية المذكورة في شق قلبه صلى الله
عليه وسلم الظاهر انه من خواصه سيما مع تكرر الشق ان الوارد فيهم مجرد
غسل قلوبهم وهو لا يستلزم هذه الكيفية البديعة البالغة من خرق العادة
والتعظيم مبلغا لا يدركه العقل وروي الشق الثاني وهو ابن عشر سنين
ونحوها مع قصة له مع عبد المطلب ابو نعيم في الدلائل ورواها عبد الله
ابن الامام احمد في زوائد مسند ابيه بلفظ قال ابو هريرة يا رسول الله
ما اول ما ابتدئت به من امر النبوة قال اني لفي صحراء واسعة ابن عشر
حجج اذا انا برجلين فوق راسي يقول احدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فاخذاني
فاضجعاني لحلاوة القفا ثم شقا بطني وكان احدهما يختلف بالماء في طست
من ذهب والاخر يغسل جوفي فقال احدهما لصاحبه افلق صدره فاذا

[illegible]

صدره

صدري فيما ارى مفلوقا لا اجد له وجعا ثم قال اشقق قلبه فشق قلبي فقال
اخرج الغل والحسد منه فاخرج شبه العلقة فنبذ به ثم قال ادخل الرحمة
والرأفة قلبه فادخل شيئا كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا كان معه فذر عليه
ثم نقر ابهامي ثم قال اغد فرجعت بما لم اغد به من رحمتي للصغير ورأفتي
للكبير وروي خامسة ولا تثبت وحكمة شق صدره الشريف في حال
صباه واستخراج ما مر منه تطهيره عن نقائص الصبا ليكون حينئذ
على اكمل صفات الرجولية ولذلك نشأ على اكمل احوال العصمة قاله
بعض الائمة ولعل هذا الشق كان سبب اسلام قرينه المروي عند البزار
او اشارة الى حفظه من الشيطان المباين له كالعفريت الذي اراد ان يقطع عليه
صلاته وامكنه الله واما قول الرازي وقوعه في حال طفوليته مشكل لانه معجزة
وهي لا يجوز تقدمها على النبوة لان الذي عليه اكثر اهل الاصول اشتراط اقتران المعجزة
بالتحدي فمردود بان هذا من باب الارهاص لا المعجزة ونظير ذلك كثيرة قيل وهذا
الشق بقوله تعالى الم نشرح لك صدرك تنبيه اول ثبت شق صدره
الشريف اخرى عند مجيء جبريل له بالوحي وهو بغار حراء كما ياتي ومن رواها الطيا لسي
والحارث في مسنديهما وكذا ابو نعيم ولفظه ان جبريل وميكائيل شقا صدره
وغسلاه ثم قال اقرأ باسم ربك الايات والحكمة فيه كمال التهيؤ والتقوي على ما
يلقى اليه من القول الثقيل بقلب قوي في اكمل احوال التطهير وثبت مرة
اخرى تواردت بها الروايات خلافا لمن انكرها ليلة الاسراء ففي البخاري
وغيره انه شق قلبه فيها وهو بالمسجد قبل ان يخرج به الى ركوبه البراق فشق من
ثغرة نحره الى نحو عانته فاستخرج قلبه ثم غسل في طست ذهب اي لان
تحريم الذهب انما كان بعد وعلى ان الغالب في احوال تلك الليلة انه من
احوال الغيب فيلحق باحكام الاخرة ملء حكمة وايمانا ثم حشي اي
وتجسيم المعاني جائز ومنه الرواية الصحيحة بذبح الموت ثم اعيد وحكمة

هذا الشق النبوى الى الرقى الى الملأ الاعلى والتقوى على استجلاء ما شاهد
تلك الليلة ولم يتفق هذا لموسى عليه السلام فلم يطق الروية وجميع ما
ورد من الشق واخراج القلب وغيرهما يجب الايمان به وان كان خارقا
للعادة ولا يجوز تاويله لصلاحية القدرة له ومن زعم ذلك وقع فى هوة
المعتزلة فى تاويلهم نصوص سوال الملايكة وعذاب القبر ووزن الاعمال
والحوض وغير ذلك بالقطعى قبح الله هولاء ومن تبعهم وقد رمى ابرهيم عليه السلام
فى النار فكانت عليه بردا وسلاما وهذا الشق ابلغ فى الصبر والكرامة مما
وقع لاسمعيل عليه السلام فانه مقدمات ذبح لا حقيقته كما هو راى اهل السنة
وتقديره الذى ذهب اليه المعتزلة انه اضجعه وامر السكين على حلقه فلم تقطع
شيا وتقديره فذاك مقتل واحد وهذه مقاتل عديدة شق الصدر ثم اخراج
القلب ثم شقه ووقع له صلى الله عليه وسلم من ذكر الشق الاول نوع مشقة
لرواية فاقبل وهو منتقع اللون اى صار كلون النقع اى الغبار وهو شبيه
بالوان الموتى ومعنى قول ابن الجوزى نشفقه وما شق عليه انه صبر صبر من لم
يشق قلبه وما يدل على المشقة انه بعد ما فطم مع انفراده عن امه ونحيه
من ابيه واختطافه من بين الاطفال يكون ذلك تسهيلا لما يلقاه فى المآل
ومن ثم لما شج وجرح وكسرت رباعيته يوم احد قال اللهم اغفر لقومى فانهم
لا يعلمون وفى رواية انه غسل ليلة الاسراء بماء زمزم اى لانه يقوى القلب
ويسكن الروع واخذ البلقينى من ايثار الملك له على ماء الكوثر انه افضل منه
وهو ظاهر خلافا لمن نازع فيه بما لا يجدى كما بينته فى شرح العباب وفى
وضع الايمان والحكمة بالقلب دليل لما عليه اكثر اهل السنة ان العقل فى القلب
كما دلت عليه الايات تنبيه ثان قال عياض رحمه الله خاتم النبوة
اثر شق الملكين بين كتفيه وابطله النووى رحمه الله بان شقهما كان فى
بطنه وصدره كما جاء فى الروايات ومن ثم صح عن انس رضى الله عنه كنت

ارى اثر المخيط فى صدره فالصحيح او الصواب انه كان عند نغض
كتفه الايسر وهو بنون معجمة مضمومة وبفتح فسكون اعلاه ثم رواية الامن
ضعيف نيل ولد به وروى ابو نعيم انه جعل عقب ولادته والذى فى حديث
البزار وغيره عن ابى ذر يا رسول الله متى علمت انك نبى وبما علمت حتى
استيقنت قال اتانى اثنان وفى رواية ملكان وانا ببطحاء مكة الحديث
وفيه قال احدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطنى فاخرج قلبى فاخرج
منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال احدهما لصاحبه اغسل
بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء اى الثوب الذى يتغطى به ثم قال
احدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطنى وجعل الخاتم بين كتفى كما هو الآن
وولياعنى فكانى ارى الامر معاينة وعند احمد وصححه الحاكم ثم استخرجا
قلبى فشقاه فاخرجا منه علقتين سوداوين فقال احدهما لصاحبه ايتنى بماء
وثلج فغسلا به جوفى ثم قال ايتنى بالسكينة فذراها فى قلبى ثم قال احدهما
لصاحبه خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة تنبيه ثالث اختلفت
الروايات فى كيفية تشبيه ذلك الخاتم على انواع كثيرة ببيضة الحمام شعر مجتمع بضعة
ناشزة بيده فى سلعة شى يختم به تفاحة شامة خضراء محتفرة فى اللحم شامة
سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات زر الحجلة اى البشخانة وزعم انها
هنا الطاير المعروف وزرها بيضها مردود وقال المحققون ولا اختلاف
فى الحقيقة بل كل شبهه بما سنح له وكلها الفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم بارزة
عليها شعرات اذ اقلل شبه كبيضة الحمام واذا كثر شبه كجمع الكف اى على هيئته لكن
اصغر منه وفى المستدرك عن وهب ان شامات النبوة فى ايمانهم فعليه وضعه
عند الكتف الايسر من خصوصيات نبينا صلى الله عليه وسلم فايدة
اخرج البيهقى والخطيب وابن عساكر وغيرهم عن العباس رضى الله عنه قلت
يا رسول الله دعانى الى الدخول فى دينك امارة لنبوتك رايتك فى المهد تناغى

الفم ونشير اليه باصبعك فحيث اشرت اليه مال قال ان كنت احدثه ويحدثني
ويلهيني عن البكا وحينئذ اي سقطته حين سجد تحت العرش قال البيهقي تفرد
به مجهول وقال الصابوني هذا حديث غريب الاسناد والمتن في المعجزات حسن
ولما فرغ من ذكر رضاعه وما وقع عقبه من شق صدره ذكر حكم نشاته في حال
طفوليته وما بعدها مبينا ان الفه الان نتيجة ما اودعه في قلبه بعد شقه من الاسرار
والكمالات فقال **الف النسك والعباده** عطف تفسير اي اعتادهما واستمر عليهما
والخلوة عن الناس في حال كونه **طفلا** فما بعده كما فهم بالاولى واختلفوا هل كان
يتعبد بشرع من قبله والجمهور لا والا لنقل ولانه لو تعبد بشرع احد لظن
انه من اتباعه ولاحتج اهله به عليه ولم يوجد وعلى الاول فقيل بشرع لم يعرف
وقيل بشرع نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى ومعنى ان اتبع ملة ابرهيم
اي في التوحيد وخص لانه الاب الاقرب المبشر به على ان المراد في كيفية الدعوة
من الرفق والحلم الذي لم يوجد كماله الا لابرهيم وغايته الا لنبينا صلى الله
وسلم عليهما وعلى ساير الانبيا والمرسلين وسلم وقد امرنا باتباع الكل في فبهداهم
اقتده مع اختلاف شرايعهم ومع انه فيهم من لم يبعث برسوله كيوسف على قول فتعين
ان المراد اصول التوحيد والاخلاق فان قلت لا يحتاج الجواب عن ذلك لان
الكلام فيما قبل النبوه والذي في الايه بعدها قلت بل يحتاج اليه كما صنعوه
لان القايلين بانه كان متعبدا بشرع غيره يستدلون به ناظرين الى انه
امر باتباعه فيما لم ينزل عليه شي فامره بذلك بعد النبوه فدل على انه كان
بالقه ويعمل به قبلها والا فكيف يومر باتباع ما لم يعرفه قال السراج البلقيني
ولم يجي في الاحاديث التي وقفنا عليها كيف تعبده عليه الصلاة والسلام لكن
روى ابن اسحق وغيره انه كان يخرج الى حرا شهرا في كل عام من السنه يتنسك فيه
وكان من تنسك فيه قريش في الجاهليه ان يطعم الرجل من جاءه من المساكين
حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل في بيته حتى يطوف بالكعبة انتهى والظاهر

[illegible]

ذا لظاهر كما قاله غير واحد ان عبادته كانت الذكر والفكر مع اكثاره للخلوه
والانعزال عن الناس تحرا وغيره **وهكذا النجبا** اي ومثل هذا الشان الحلي
شان الكرام فما بالك باحلمهم وسيدهم على الاطلاق ويليه في ذلك ابوه ابرهيم
صلى الله عليه وسلم فانه اعتزل قومه وانقطع الى الله تع ينتظر الفتح من مولاه
فكان انتظاره عبادة كما في الحديث وفي البيت من انواع البديع ثاني اقسام
التناسب وهو تشابه الاطراف بان تناسب معانيهما اذ النجابة اخره
يناسبها الف ما ذكر لانها السبب في ذلك وثالث اقسامه ايضا وهو مناسبة
اللفظ للمعنى في الرقه والسهوله او الشده والصعوبه ومنه حديث الا اخبركم
باهل الجنة كل ضعيف متضعف اغبر ذي طمرين لو اقسم على الله لابره الا اخبركم
باهل النار كل جعظري جواظ مستكبر لما ذكر من اوصاف اهل الجنة بما يناسب حالهم
في الرقه والانكسار ومن اوصاف اهل النار بما يناسب حالهم من الشده والعتو
والغلظ والابا والنزاع عن قول الحق والفاظ البيت تناسب معناه في
السهوله وحسن السبك والانقطاع عن النظير وقوله وهكذا النجباء تذييل
وهو تعقيب الجمل باخرى تشتمل عليها للتاكيد وهو ضربان احدهما
وهو ما هنا ما خرج مخرج المثل نحو وهل يجازى الا الكفور كما مر **و** انما
كان هذا شان النجباء من الانبياء ثم صالحي اممهم لما هو المستقر المعلوم
انه **اذا حلت الهدايه** وهي هنا بمعنى الوصول الى الحق لا الدلاله عليه فقط
ومن الاول انك لا تهدي من احببت اي لا توصله ومن الثاني واما ثمود
فهديناهم اي دللناهم ولم نوصلهم فاستحبوا العمى على الهدى اذ لو وصلوا
لم يستحبوا ذلك **قلبا نشطت للعبادة الاعضاء** لان القلب هو
رييس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده ومن ثم صح عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد
الجسد كله الا وهي القلب وهذا من الكلام الجامع الذي مرت نظايره واعلم

ان بين انتهاء رضاعه صلى الله عليه وسلم وما وقع له بعده وبين مبعثه
وقايع وقعت له لا باس بالاشارة اليها باختصار وذكر ان حليمة لما ردته
الى امه وجده كان في كلاءة الله وحفظه نبته نباتا حسنا ويوفقه لافضل
الاعمال والاحوال كما اشار الى ذلك الناظم بقوله الف التنسك الى اخره
ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اربع سنين وقيل اثنى عشر وشيا وبين ذلك اقوال
اخر ماتت امه وكانت قد قدمت به طيبة تزور اخوال ابيه فاقامت به
عندهم شهرا ومعها مملوكته ام ايمن واخرج ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم
لما راى دار النابغة قال ههنا نزلت بي امي واحسنت العوم في بير بني النجار
وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الي قالت ام ايمن فسمعت احدهم
يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك من كلامهم ولما
رجعت امه به ماتت بالابوا وفي رواية انها دفنت بالحجون وفي اخرى في
بعض دور مكة كما في القاموس وحضنته بعدها امته ام ايمن بركة ثم مات
جده كافله وله ثمان سنين وقيل اكثر وقيل اقل فقيل سنة وقيل ثلاث
فتكفله بعده عمه ابو طالب شقيق والده واخرج ابن عساكر عن عرفطة
قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادي
واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس
دجن تجلت عنه سحابة قتما وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب والصق ظهره
بالكعبة ولاذ الغلام باصبعه وما في السما قزعة فاقبل السحاب من ههنا
وههنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي واخصب النادي
والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ** ثمال اليتامى عصمة للارامل
وهذا البيت من جملة قصيدة له فيها مدح عجيب له صلى الله عليه وسلم
حتى اخذ الشيعة منها القول باسلامه ويوافقه رواية ضعيفة عن العباس

انه اسر

انه اسر اليه الاسلام عند موته ويؤيد ذلك ايضا ما في رواية البيهقي
الا لله در ابي طالب الخ لكن صرائح الاحاديث المتفق على صحتها
ترد ذلك وهي اكثر من ثمانين بيتا استوفاها ابن اسحق لكنه ذكر
ان انشاءه لها كان بعد المبعث وقد يجمع بانه ذكر هذا البيت ثم
هذه الواقعة ثم كلها بعد المبعث ثم رايت في شرح المنهاج للكمال الدميري
في باب الاستسقا عن الطبراني وابن سعد ان عبد المطلب استسقى
بالنبي صلى الله عليه وسلم فسقوا ولذلك يقول فيه عبد المطلب يمدحه
صلى الله عليه وسلم وابيض يستسقى الغمام بوجهه البيت انتهى وفيه
مخالفة لما مر ان المستسقي به ابو طالب وانه القائل للبيت فاما الاول
فيمكن الجمع بين الروايات المخالفة فيه بتكرر الواقعة اذ واقعة ابي
طالب كان الاستسقا به فيها عند الكعبة وواقعة عبد المطلب كان اولها
انهم امروا باستلام الركن ثم برقي ابي قبيس ليدعو عبد المطلب ومعه النبي
صلى الله عليه وسلم ويؤمن القوم ففعلوا فسقوا لكن قال الحافظ بدر الدين العيني
شيخ الحافظ ابن حجر وتلميذ الولي العراقي عن رواية الطبراني في سندها
رجال لا اعرفهم اي لكن لا يؤثر ذلك فيها لان الحديث الضعيف يعمل به
في الفضايل مطلقا قاله بعض الحفاظ وكذا المناقب على ان صاحب الروض
ذكر روايتين عن ابن الاعرابي وغيره توافقانها وحينئذ تعين الجمع بما
ذكرته واما الثاني فكون ابي طالب هو الذي انشا ذلك البيت هو ما درج
عليه ايمة السير وغيرهم ومن ثم جعل السهيلي في روضه امرا مقررا ثم بنى عليه
اشكالا وجوابه الاتي ردها واما قول الدميري انه من انشا عبد المطلب فهو
وهم منه وسبب الوهم انه في اخر قصة عبد المطلب ان رقيقة بنت ابي صيفي
ابن هاشم وهي التي سمعت الهاتف في النوم او اليقظة لما تتابعت على قريش
سنون اهلكتهم يصرخ يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث قد اظلكم ايامه

وهذا ابان بخوصه فجيها بالحيا والخصب ثم امرهم بان يستسقوا به وذكر كيفيه
بطول ذكرها حاصلها ما مر فلما ذكرت الروايه وهى الرابعه المذكوره القصه
انشات نمدح النبى صلى الله عليه وسلم بابيات اخرها

مبارك الامر يستسقى الغمام به ... ما فى الانام له عدل ولا خطر

فكان الدميرى لما راى هذا البيت فى روايه قصه عبد المطلب التى رواها
الطبرانى وهو يشبه لبيت ابى طالب لعبد المطلب فهم من وجهين نسبه
هذا البيت لعبد المطلب وانما هو لرقيقه والحكم عليه بانه عين البيت المنسوب
لابى طالب وليس كذلك بل شتان ما بينهما فتامل هذا المحل فانه مهم وقد اغتر
بكلام الدميرى هذا من لا خبره بالسير الماخوذه من الكتب المعتمده ثم
رايت ما يقطع بغلط الدميرى وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم نسب وابيض
البيت لابى طالب كما اخرجه البيهقى عن انس قال جاء اعرابى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتيناك وما لنا صبى يغط ولا بعير
يئط اى ما لنا بعير اصلا لانه اذا وجد لا بد ان يئط وانشد ابياتا فقام
صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فما
رد يديه الى نحوه حتى التقت السماء بابراقها وجاؤا يضجون فضحك صلى
الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در ابى طالب لو كان حيا لقرت
عيناه من ينشدنا قوله فقال على يا رسول الله كانك تريد قوله

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل

وذكر ابياتا اخر فقال صلى الله عليه وسلم اجل فهذا نص صريح من الصادق
بان منشى البيت ابو طالب فنسبته لعبد المطلب غلط صريح ثم نبه
برواية ابن عساكر هذه يسقط قول السهيلى فى روضه فان قيل كيف قال
ابو طالب وابيض البيت ولم يره قط استسقى انما كان استسقاه
صلى الله عليه وسلم بالمدينه فى سفر وحضر وفيهما شواهد ما كان من سرعه

اجابة

اجابة الله له فالجواب ان ابا طالب قد شاهد من ذلك ايضا
فى حياة عبد المطلب ما دل على ما قاله انتهى ووجه سقوط ما تقرر
ان ابا طالب استسقى به صلى الله عليه وسلم فسقى فانشا ذلك البيت
وانشده حينئذ والعجب من شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر انه غفل
ايضا عن رواية ابن عساكر هذه فاجاب عن اشكال السهيلى بقوله
ويحتمل ان يكون ابو طالب مدحه بذلك لما راى من مخايل ذلك فيه
وان لم يشاهد ذلك انتهى اذ لو استحضر رواية ابن عساكر هذه لم يبد
هذا الاحتمال والثمال بكسر المثلثه الملجا والعصمه الحافظ من الضياع
والارامل المساكين رجال او نساء لكنه فى النساء اكثر استعمالا ولما بلغ صلى
الله عليه وسلم ثنتى عشره سنه خرج به ابو طالب الى الشام حتى بلغ بصرى
فراى بحيرا الراهب فعرفه بصفته فقال هذا سيد العالمين انكم حين اشرفتم
به من العقبه لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبى وانى اعرفه
بخاتم النبوه عند غضروف كتفه كالتفاحه ثم سال عمه ان يرده خوفا عليه
من اليهود رواه ابن ابى شيبه وفيه انه صلى الله عليه وسلم اقبل وعليه غمامه تظله
وبحيرا بفتح فكسر مقصورا ذكره جمع من الصحابه بناء على ان الشرط رؤيته
والايمان به ولو قبل البعث وصح ان سبعه من الروم اقبلوا يريدون قتله
صلى الله عليه وسلم فمنعهم بحيرا ورده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا وقوله
وبعث معهم الخ وهم من احد رواته لان ابا بكر اذ ذاك لم يكن متاهلا لذلك
ولا اشترى بلالا وفى حديث عند البيهقى وابى نعيم انهم لما اقبلوا راى
بحيرا غمامه بيضاء تظله من بينهم ثم نزل تحت شجره فاخضلت عليه اغصانها
حتى اظلته وروى ابو نعيم وابن عساكر ان اخته الشيماء بنت حليمه رات فى
الظهيره غمامه تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت ولما بلغ ثمان
عشره سنه سافر الى الشام مره اخرى لتجاره على ما مر ولكن بسند ضعيف

الارامل المساكين رجال او نساء

وفيه ان ابابكر كان معه وان بحيرا قال هذا والله نبي وان ذلك سبب
ايمان ابي بكر به لما بعث قبل غيره ثم خرج وله خمس وعشرون سنة مرة
ثالثة في تجارة لخديجة ومعه غلامها ميسرة فرأى في الهاجرة ملكين يظلانه
من الشمس وكذا رأت خديجة ذلك لما اقبلوا وهي في علية لها وفي هذه السنة
تزوجها وكانت تسمى بالطاهرة وكان سنها اربعين سنة ولما بلغ خمسا
وثلاثين سنة خافت قريش ان تهدم السيول الكعبة فنقضتها فامروا باقوم
النجار القبطي مولى احدهم بان يبنيها وحضر صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم
الحجارة ثم لما تقارب بعثته صلى الله عليه وسلم تحدث بذلك احبار اليهود ورهبان
النصارى لما في كتبهم من صفته وصفة زمانه وكهان العرب لان شياطين الجن
كانت لا تحجب عن خبر السما فتسترق السمع وتخبر الكهنة فيعلمون بعض خبر
السما لكن كانت العرب لا تلتفت لذلك بالالتفات ثم بعثته حجبت الشياطين
عن السمع كما قال **بعث** اي ارسل **الله** علم على الذات الواجب الوجود المستحق
لجميع المحامد من الخلق **عند** بتثليث العين اي قرب **مبعثه** اي زمن بعثته صلى الله
عليه وسلم اي ارساله الى الخلق كلهم كما قال في خبر مسلم وارسلت الى الخلق كافة
وبين بعث ومبعث جناس الاشتقاق **الشهب** على الشياطين الذين
يسترقون السمع فيخطف احدهم الكلمة ثم يضم اليها مائة كذبة كما في الحديث ثم يلقيها
الكاهن وهي جمع شهاب وهو شعلة نار تحرق الشيطان المسترق للسمع او
تخبله **حراسا** اما جمع حارس على غير قياس كقائم وقيام فهو حال او مصدر
لاجل الحراسة لشريعته التي سياتي بها من الشياطين ان يخلطوا بها ما يلبس منها
وهي للمبالغة والتاكيد لانه معلوم من قوله تطرد الخ ففيه التتميم كحلى جيده من
ويطعمون الطعام على حبه ولكثرة تلك الشهب وعمومها للمسترقين في نواحي
السما **ضاق عنها الفضاء** اي المفازات الواسعة فلم يبق محل تجدونه حتى
يسترقون السمع منه وبين ضاق والفضا الطباق **تطرد** حال من الشهب

اسم رجل

اوصفه كما في ولقد امر على اللبيب يسبني لكن ظاهر المقام يرجح الحالية
اذ رعاية التنكير بعيدة **الجن** وهم اجسام نارية تقدر على التشكل في
الصورة المختلفة **من مقاعد** اي امكنة قريبة من السما يقعدون فيها **للسمع**
اي ليسمعوا اشيا من الملايكة المتكلمين بما سيقع في الارض من الاقضية والمغيبات
اما لكون رئيسهم يلقيه عليهم ليكتبوه فيتلقفونه منه او ان بعضهم ينسخه من
الكتب البعض الاخر زيادة في الاعتنا والظهور للملايكة واصل هذا قوله تعالى
قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن الى قوله فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا
فلما سمع الجن ذلك عرفوا الحق فامنوا ثم ولوا الى قومهم منذرين قايلين ما حكاه
الله عنهم اواخر سورة الاحقاف ويوافق هذا ما رواه اهل السير انه لما حيل
بينهم وبين خبر السما قالوا ان ذلك لامر حدث فضربوا مشارق الارض
ومغاربها وانظروا ما حال بينكم وبين خبر السما فخرجت طايفة منهم من جن
نصيبين باليمن قبل تهامة فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم بنخل قرية على ليلة
من مكة مع اصحابه يصلي الصبح وهو يقرا فاستمعوا له ثم قالوا هذا الذي حال
بينكم وبين خبر السما فاسلموا وولوا الى قومهم منذرين وقد ذكر نزل قل اوحي
الى الايات واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية قال ابن كثير ذكر ابن اسحق
انه صلى الله عليه وسلم خرج الى اهل الطايف يدعوهم الى الاسلام وانه انصرف
عنهم فبات بنخلة يقرا تلك الليلة فاستمع جن نصيبين اي مدينة بالشام انتهى
وما ذكره صحيح الا قوله ان استماع الجن كان تلك الليلة ففيه نظر فان استماعهم
انما كان في ابتداء الوحي كما يدل له حديث ابن عباس عند احمد كان الجن يستمعون
الوحي فيه فيستمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما يسمعونه حقا وما زادوه
باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث صلى الله عليه وسلم كان احدهم
لا ياتي مقعده الا رمي بشهاب يحرق ما اصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس فقال
ما هذا الا لامر اي عظيم قد حدث فبث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم

بنخلة بين جبلي نخلة فاخبروه فقالوا هذا الحدث الذي حدث في الارض رواه
النسائي وصححه الترمذي قال اعني ابن كثير واما خروجه صلى الله عليه وسلم الى
الطايف فانما كان بعد موت عمه ابي طالب وروى ابن ابي شيبة عن ابن مسعود
انهم هبطوا عليه صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخلة يقرا القران فلما سمعوه قال
انصتوا فانزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية فهذا مع رواية
ابن عباس يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وانما استمعوا
قراءته ثم رجعوا الى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا اليه ارسالا قوما بعد قوم انتهى
وصح ان الذي اذنه صلى الله عليه وسلم بهم لما وفدوا اليه شجرة وانهم سالوه الزاد
فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد احدكم اوفر ما يكون لحما وكل بعر علف
لدوابكم وفيه رد على من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب والحاصل ان ذهابه
الى الطايف انما كان بعد موت ابي طالب سنة عشر من البعثة ثم موت
خديجة بعده بثلاثة ايام او خمسة ثم تزوج سودة بعد ايام فكان خروجه
الى الطايف بعد موت خديجة بثلاثة اشهر في شوال لما ناله من قريش
وكان معه مولاه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعو اشراف ثقيف فلم
يجيبوه واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورموا عقبيه
بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدم زاد غيره وكان اذا ادلقته الحجارة قعد الى الارض
فياخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه
بنفسه حتى لقد شج في راسه شجاجا وفي الصحيحين انه لقي منهم اشد ما لقيه يوم
احد وان جبريل نزل عليه حينئذ ومعه ملك الجبال ليامره في قومه ما شا فقال
صلى الله عليه وسلم بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به
شيا وجاء عن ابن عباس ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا
يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث
سموات فلما ولد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من احد يريد

استراق

استراق السمع الا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطي ابدا فمنهم
من تقتله ومنهم من تحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل
الناس في البراري قال الابيه وهذا لم يكن ظاهرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم
ولم يذكره احد قبل زمانه وانما ظهر في بدء امره فكان سببا للنبوة ثم جاء عن
معمر انه قال للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرايت
قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية قال غلظت وشدد
امرها حين بعث صلى الله عليه وسلم وجرى على هذا ابن قتيبة فقال كان
الرجم قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثله بعد مبعثه وعلم
من قول ابن عباس شعلة نار ان الكوكب لا ينفصل عن محله وانما الذي
ينفصل عنه نار وقيل ينفض ثم يرجع الى مكانه وطرد تلك الشهب اولئك
الشياطين طرد بالغ جدا كما موصولة او مصدرية يطرد الذباب جمع ذباب
بالمعز وقد تخفف وتشبيهه شياطين الجن بالذباب صرح به الحديث الصحيح
الرعاء بضم اوله وكسره للغنم عنها اذا اردف العدو عليها فبسبب ذلك
الطرد البالغ للجن عن خبر السماء محقت اية الكهانة مفعول مقدم وهي
بالفتح مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا اي مخبرا بالامور الخفية والمغيبات
البعيدة اي علامتها وهي ما كانت تاتي به الكهان وتذكره من المغيبات التي
تلقيها اليهم الشياطين بواسطة استراقهم لبعض كلام الملايكة ثم الغاية
اليهم مع ما يضمونه اليه من الكذب كما مر ايات من جملة الوحي وهو
الكناية والاشارة والرسالة والالهام والكلام الخفي ولذلك كان الوحي الاتي
النبي صلى الله عليه وسلم على اقسام الرويا الصادقة فكان لا يرى رويا الا جات مثل
فلق الصبح ما يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير ان يراه كحديث
الصحيح ان روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل
رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب تمثيل الملك له رجلا فيخاطبه

وصح انه كان يأتي في صورة دحية اي لانه كان جميلا جدا اذا قدم
لتجارة خرجت الظعن لمرآه وتشكل جبريل مع عظم صورته وان
له ستمائة جناح تسد الافق في صورة رجل غير بعيد لان الاجسام
النورانية تقبل الانضمام حتى تصغر الصورة جدا كما ان القطن يقبل
الانكباس فتصير الصورة الكبيرة منه صغيرة وهذا اولى من قول
بعضهم ان صورته الاصلية باقية على حالها وصورة الرجل صورة اخرى
له وروحه متعلقة بهما اي كما في الابدال الذين تتعدد صورهم في الوجود
وروحهم واحدة والتكليف حينئذ مناط باي صورة ارادها الانسان
يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو اشده عليه ولذا كانت ناقته صلى الله عليه وسلم
تبرك به وكان رأسه على فخذ زيد بن ثابت فكادت ترض من شدة
الثقل حتى انه يقول لا امشي بعد اليوم على رجلي ابدا يأتيه على صورته التي
وقع ذلك له مرتين كما في سورة النجم كلام الله له بلا واسطة كموسى واختص بالكليم
لان ذلك وقع له بالارض ونبينا انما وقع له ذلك وهو كقاب قوسين او ادنى وصح
عن الشعبي انه صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له في ثلاث سنين
ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن ثم وصف آيات
الوحي بانهن ما لهن انمحاء من محي يمحو ويمحي اي ما لهن ذهاب ولا تغيير كيف
وقد تكفل الله لهذه الشريعة الغراء بانها باقية على ممر الدهر الى ان ينزل عيسى
عليه السلام فيحكم بها ثم تضمحل عند قيام الساعة بموت الطائفة الذين اخبر
الصادق بانهم لا يزالون قائمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي امر الله
اي ريح لينة تقبض ارواحهم فحينئذ لا يبقى على وجه الارض من يقول الله
الله فتقوم الساعة وبين محي وانمحاء جناس الاشتقاق ثم ذكر قصة
زواجه صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله عنها ولو قدمها كما فعلت
لتوافق الواقع لانه قبل قوله بعث الله الخ لكان اولى فقال ورآته

اي علمته وابصرته لما سبق لها من الفضل الذي فاقت به سائر امهات المؤمنين
رضي الله عنهن خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن
كلاب وكانت ذا شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر والواو هي للحال
التقاء هو البراءة من كل شيء سوى الله وهذا غايته ومبداه اتقاء الشرك
واوسطه اتقاء المحارم وكذا يقال في التقوى وصح خبر ان اتقاكم واعلمكم
بالله انا وخبر اني لاعلمكم بالله واشدكم له خشية والزهد هو اخذ اقل
الكفاية مما يتيقن حله وترك الزائد على ذلك لله وقد صح خبر ما شبع آل
محمد من طعام ثلاثة ايام تباعا حتى قبض وخبر كان صلى الله عليه وسلم يبيت
الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير
وخبر النعمان بن بشير لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي
ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه وخبر انه كان يمضي الشهران ولا يوقد في ابياته
صلى الله عليه وسلم نار وانما طعامهم التمر والماء وخبر انه صلى الله عليه وسلم مات
ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعا من شعير اخذها قوتا لاهله فيه
كل منهما سجية بالسين المهملة اي خلق غريزي طبيعي والاختلاف في كون حسن
الخلق غريزة او مكتسب يتعين ان يكون محله في غيره صلى الله عليه وسلم وتمسك
من قال انه غريزة بالحديث الصحيح ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم
والتحقيق ان اصول الاخلاق غرائز وملكات في نوع الانسان وانما
التفاوت في ثمراتها وهذا هو الذي به التكليف لان الغريزي لا تكليف به
لانه ليس في الطاقة نعم من فيه غريزة منه اعانته على المكتسب حتى يكاد
يكون غريزيا فيؤمر بالمجاهدة في الضعيف حتى يقوى وفي غير المحمود حتى
يصير محمودا وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين
يحبهما الله الحلم والاناة قال يا رسول الله قديما كان او حديثا قال قديما
قال الحمد لله الذي جبلني على خصلتين يحبهما بتزيد السؤال وتقريره

عليه يشعر بان في الخلق الجبلي والمكتسب وصح انه صلى الله عليه وسلم كان
يقول اللهم كما احسنت خَلقي اي بفتح اوله فحسن خُلقي وكان يقول
في دعاء الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت
ولما اجتمع في نبينا صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال وخصال
والجمال ما لا يحيط به احد اثنى الله عليه في كتابه العزيز فقال مؤكدا
لذلك بذكر علي الاستعلائية وانك لعلى خلق عظيم والخُلُق ملكة نفسانية
تحمل صاحبها على كل جميل ووصفه بالعظيم مع ان الغالب وصفه بالكريم
لان خلقه لم يقتصر على الكرم المقتضي للسماحة والدماثة بل ابيح صفتي
الانعام والانتقام اذ كان رحيما بالمومنين شديدا غليظا على غيرهم
والحياء فيه سجية ايضا على الكمال غاية ففي البخاري من حديث ابي
سعيد كان صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء اي البكر في خدرها
وقيد به لان حياها فيه اشد لانه مظنة ان يظفر منها طامع يدخل
عليها فيه بشيء بخلافه بحضرة الناس والحياء بالمد لغة تغير وانكسار
يعتري الانسان من خوف ما يعاب منه من الحياة ولذلك سمي
المطر حيا لكنه مقصور وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ومنع
التقصير في حق ذي الحق ومن ثم صح انه لا ياتي الا بخير وانه من الايمان
وجعل منه وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى
قصد واكتساب وعلم **واتاها** الخبر بكرامتين عظيمتين اوقعتا له صلى الله
عليه وسلم قبل النبوة وهما **اظلال الغمامة** وهي السحابة **والسرح** وهو كما في القاموس
شجر عظام او كل شجر لا شوك فيه او كل شجر طال انتهى وقضيته سياق
القصة الاتية ان المراد الاول او الثالث واما الثاني فلم ار ما يدل له **اظلته**
منهما حال من قوله افياء جمع فيء وهو ما بعد الزوال من الظل من فاء رجع
لرجوعه من جانب الى جانب وفرق بعضهم بين الظل والفيء بان الظل ما نسخته
الظلام

انبهما

الشمس والفيء ما نسخها ومن ذكره هاتين الاتيتين قبيل قوله بعثه الله عند
مبعثه الشهب وحاصلهما مع بعض زيادة انها ارسلته في تجارة لها مع
عبدها ميسرة الى بصرى ونزل تحت ظل شجرة فاظلته فقال راهب ثم ما
نزل تحتها الا نبي وسال ميسرة افي عينيه حمرة قال نعم لا تفارقه فقال الراهب
هو اخر الانبياء ليتني اني ادركه اذ يومر بالخروج وقال له من خالفه في بيع وهو
بسوق بصرى احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال
خصمه لميسرة هذا نبي والذي نفسي بيده انه هو الذي تجده احبارنا منعوتا
في كتبهم فوعى ذلك ميسرة وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه في الهاجرة ورات
خديجة ذلك لما اقبل النبي صلى الله عليه وسلم وهي في علية لها فارته نساء
عندها فعجبن من ذلك فلما جاء ميسرة اخبرته بما رات فاخبرها بجميع ما راه
منه وبقول الراهب السابق وبقوله ما حلفت بهما قط تنبيه ورد
في تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم احاديث اصحها ما رواه جماعة وهو على
شرط الصحيح الا ان في روايته غرابة ان ابا طالب خرج به الى الشام في اشياخ
من قريش فرآه بحيرا فخرج اليهم على خلاف عادته فجعل يتخللهم حتى اخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين زاد البيهقي
ورسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقالوا له وما علمك فقال
انكم حين اشرفتم من الثنية لم تبق شجرة ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجدون
الا لنبي واني اعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه ثم رجع فصنع
لهم طعاما فلما اتاهم به كان صلى الله عليه وسلم في رعية الابل فقال ارسلوا
اليه فاقبل وعليه غمامة تظله فلما دنى الى القوم وجدهم قد سبقوا الى الشجرة
فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فيء الشجرة عليه فقال انظروا الى فيء الشجرة مال
اليه الحديث رواه ابو موسى الاشعري وهو اما ان يكون تلقاه عنه صلى الله
عليه وسلم فيكون ابلغ او بعض كبار الصحابة او كان مشهورا اخذه بطريق

لاستظلاله وروى ابن اسحق معضلا والبيهقي في الدلايل موصولا انهم لما نزلوا
قريبا من صومعة بحيرا صنع لهم طعاما كثيرا لانه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم اقبلوا انتزلوا في ظل شجرة قريبا منه
فنظر الى الغمام حين اظلت الشجرة وتهصرت اغصانها اي مالت وانعطفت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها القصه وروى ان حليمه رات غمامة
تظله وهو عندها وورد ذلك عن اخيه من الرضاعة واشار غير واحد الى ان تظليل
الغمام له صلى الله عليه وسلم انما كان قبل النبوه ارهاصا وتاسيسا للنبوة كما ياتي ومما يدل
على انقطاع ذلك ان الصديق رضي الله عنه اظله صلى الله عليه وسلم حين قدما المدينة
في الهجرة لما اصابته الشمس فظلل عليه بردايه وصح انه صلى الله عليه وسلم ظلل عليه
بثوب وهو يرمي الجمرة وظلل به مرة اخرى وهو بالجعرانة وانهم كانوا في
اسفارهم اذا اتوا على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم وسياتي في شرح
قوله واذا ما مشى يحي تورد الظل الى اخره ما له تعلق بذلك واتاها ايضا
احاديث الاحبار والرهبان والكهان ان اي بان وعد رسول الله
مصدر مضاف للمفعول اي وعد الله وهو عند الاطلاق لا يستعمل الا في الخير
بالبعث اي الارسال الى الخلق كافة حان اي قرب منه اي من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بقوله الوفاء اي قرب وفاء الله سبحانه بذلك
الوعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ف بسبب ما راته وما بلغها عنه مما يحمل
من له ذرة من عقل على ان يغسل قدميه ويشرب ماء غسلهما دعته اي
خطبته الى الزواج اي الى ان يتزوج لها وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم
اني قد رغبت في نكاحك لما رايته وعرفته منك وقد كان سنها حينيذ كان
اربعين سنه وسنه صلى الله عليه وسلم كان خمسا وعشرين سنة على الاشهر
فيهما وكانت تزوجت قبله برجلين وما احسن هذه احدى صيغتي التعجب
ما مصدريه تتوول مع يبلغ بعد منصوب المحل على التعجب المنى اي

الاماني

الاماني جمع امنيه وهي ما يتمناها الانسان الاذكيا جمع ذكي كغني والاذكيا
بالموصده القلب ومزيد الفطنة اي شي عظيم حسن بلوغ الاذكيا كلها يتمنونه
ومنهم بل من اكملهم خديجه رضي الله عنها فانها ادركت بفتونه ذكايها وتفرسها
فيه صلى الله عليه وسلم منه وبه كلما تمنته واملته مما لم تبلغه امراة من هذه الامة
اذ هي على الاصح افضل امهات المومنين رضي الله عنهن وهذا من انواع البديع
المسمى بارسال المثل وهو ان يذكر الشاعر في بعض بيت ما يجري مجرى المثل
السابر من حكم او نحوها كقول ابي الطيب

لان حلمك حلم لا تكلفه .. ليس التكحل في العينين كالكحل

وهو كثير في كلام الناظم ولما عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ذكر
ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على ابيها خويلد فخطبها اليه
فاجاب فتزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها عشرين بكره وحضر
ابو بكر ورؤسا مضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من
ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضيضي معد او معدنين اصل معد
وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته اي الكافلين له وسواس حرمه اي
المتولين لامره وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على
الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به فان كان
في المال قل فان المال ظل زايل وامر حايل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد
خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما اجله وعاجله من مالي
كذا وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطر جليل تزوجها ابوها منه وذكر
الدولابي وغيره انه صلى الله عليه وسلم اصدقها ثنتي عشرة اوقيه ذهبا ونصف
اوقيه وقالوا وكانت كل اوقيه اذ ذاك اربعين درهما ومما يدل على عظيم
ذكايها وفرط معرفتها انه اتاه بعد النبوة والرساله في بيتها جبريل
كعندليب لغة في جبريل ليبلغ اليه ما امر به من الوحي وكان عندها من

الايمان علم اليقين فاحببت ان تنتقل عنه الى عين اليقين كما وقع لابرهيم
صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبيا والمرسلين وسلم في قوله بلى ولكن
ليطمين قلبي وكيف لا نزيد هذه المرتبة العليه **ولذي** اى صاحب **اللب**
اى العقل الكامل وضربه رضي الله عنهما من الحمل ولى الالباب واذكاهم **في الامور**
اى الاحوال التي قد تشتبه **اربيا** اى استبصار من ارتاب به اى نظر فيه
بالعين والقلب كما في القاموس وفراسة يقضي بها على تلك الامور بتمييز حسنها
من قبيحها فعلم ان هذه الجملة اعتراضيه وان فيها غاية المناسبة لما قبلها وما بعدها
اذ الاعتراضية لابد لها من نكتة وهي هنا الاشارة الى كمال عقلها واستبصارها
مع افادة ان هذا امر كلي جار مجرى المثل والحكمة فهو من ارسال المثل **ف**بسبب
تمكن المجموع فاعندها من كمال العقل **اماطت** اى ازالت **عنها** اى عن راسها
الخمار وهو ما يخمر اى يغطي به الراس **لتدرى** اى لكي تعلم عين اليقين **اهو**
اى هذا الذي عرض له صلى الله عليه وسلم حين اخرجته عن حالته المالوفة منه
الوحي اى حامله وامينه الذي كان ياتي به الانبيا قبله ومرتبة اقسامه **ام**
هي معادلة الهمزة المطلوب بها وبام التعيين ولها قسم ثان وهو ان يقع بعد
همزة التسوية وسميت فيهما معادلة لمعادلتها الهمزة في افادتها الاستفهام
في الاولى والتسوية في الثاني وتسمى فيهما متصلة لان ما قبلها وما بعدها
لا يستغني باحدهما عن الاخر ويقابلها المنقطعة وهي ثلاثة اقسام مبسوطة
في محلها **هو الاغماء** الذي هو من بعض الامراض العاديه ومن ثم جاز على
الانبيا دون الجنون **ف**بسبب ازالتها الخمار عن راسها **اختفى عنه**
كشفها الراس مفعول لكشف المضاف لفاعله **جبريل فما عاد**
واعيد الغطاء يعني الى ان عادت غطا راسها فاعيد ماض مبني للمفعول
والغطا نايب الفاعل ووقع للشارح هنا انه قال واعيد منصوب بان
مضمرة بعد اما التي يصلح موضعها حتى والغطا فاعل اعيد انتهى وهو سهو

بحيث

بحيث لما تقرر ان اعيد ماض الخ وكان هذا الوهم سرى اليه مما يصرح
به كلام النحاة ان او غير العاطفة التي بمعنى الى ان لا تدخل الا على مضارع
كما في حتى الغائية المرادفة لاو المذكورة كما صرحوا به وحينئذ فاضطره ذلك
الى ما ذكره غفلة عن ان اعيد ماض لكن كان عليه ان يقول وقول الناظم اعيد
صوابه يعاد ويذكر ما اشرت اليه واما كون بيتي اعيد على حاله ويجعله منصوبا
باو فهو جلي الفساد لا يقال هو ماض لفظا مستقبل معنى فليجز دخول او
الناصبه عليه لما صرحوا به في حتى المرادفة لها ان شرط النصب بعدها
ان يكون الفعل مستقبلا او ماضيا في حكم المستقبل نحو سرت حتى ادخل
المدينة فهذا يوول بالمستقبل نظرا الى انه غاية لما قبل حتى فهو مستقبل
بالاضافة اليه لانا نقول معنى قولهم او ماضيا في حكم المستقبل ان لفظه لفظ
المضارع ومعناه ماض فكان قضية القياس انه لا تدخل عليه الغائية فاجابوا
بان ما فيه من المضي يزول بالاستقبال نظرا الى انه غاية كما تقول واما ما لفظه
ماض فلا يدخل عليه حتى الغائية اصلا فان قلت كيف هذا مع قوله
تعالى حتى اذا هم نصرنا حتى عفوا حتى جاءهم العلم وفي البخاري حتى فجئه
الحق وهو في غار حرا قلت حتى هنا ابتدائية لا غائية والناصبة انما
تكون بمعنى حتى الغائية لا غير وقد صرح بذلك الائمة ومنهم الجلال السيوطي
في شرح جمع الجوامع له حيث قال ما ملخصه ان حتى الابتدائية تليها الجملتان
الاسميه والمضارعيه والماضويه والمصدرة بشرط واما زعم ابن مالك انها جارة
غائية قبل الفعل الماضي باضمار ان بعدها على تاويل المصدر فغلطه ابو حيان
وتبعه ابن هشام فقال لا اعرف له في ذلك سلفا وفيه تكلف اضمار من غير
ضرورة وردوا زعمه هو والاخفش انها جارة قبل اذا وان اذا في موضع جر بها
بانه خلاف ما عليه الجمهور انها ابتدائية واذا في موضع نصب بشرطها
او جوابها ثم قال الجلال قال بعض شيوخنا ضابط حتى انها اذا وقع

منها بخلاف الاسم مفرد مجرورا او منظما الى منصوب بحرف جرا اسم مرفوع او منصوب بحرف عطف لم يحتاج الى ضابط لم يحرف ابتدا ولا محل لهذه الجملة

التي وهذا كله صريح كما ترى ان في كل جملة ما صوبه دخل عليها حتى في الفعان وغيره بكون حتى حينيذ ابتدائية ولا تكون جارة بمعنى الى ان ذلك يحتاج لتقدير ما لا حاجة اليه واذا تقرر ان حتى الغاية لا تدخل على الماضي فاو التي بمعناها اولى فان قلت لم قست او على حتى الغاية في منع دخولها على الماضي ولم تقسها على الى ان او الا ان الذين بمعناها قلت اما كونها بمعنى الا ان فهو ما ذكره ابن مالك وغيره رد عليه حتى ولده ومن ثم قال ابو حيان قد اغنانا ولده عن الرد عليه وعلى التنزيل فالا ان تدخل على الماضي الا عند قوم بشرط ان يتقدمه فعل او قد كما هو مقرر في محله واما كونها بمعنى الى ان فوجهه ان حتى انما امتنع دخولها على الماضي لكونها غائية كما مر مبسوطا وهذا المعنى موجود في الى بطريق الاولى فليمتنع دخولها على الماضي بنص كلامهم لا بطريق القياس فان قلت تقدير ان او بمعنى الى وهذه تدخل على الماضي كما في الحديث فقام الى ان نور منه قدماه فلتكن او كذلك قلت هذا اشتباه لان ان المتضمنة في او هي الناصبة وهي خاصة بالمضارع فلم يتصور دخول او المتضمنة لها على الماضي واما ان الملفوظ بها بعد الى فهي التي لا يتصور لها عمل وهي تدخل على الماضي فلا جامع بين هذه وتلك فان قلت بعضهم يقدرها او بالى ان وبعضهم يقدرها بالى فقط وهذا يدل على ان لا نظر اليها قلت لا يدل لذلك بوجه وانما سبب ذلك انهم اختلفوا في ناصب المضارع الداخل عليه او فالاصح انه ان مقدرة بعدها وقال قوم هي الناصبة نفسها فعلى الاول تقدر بالى ان وعلى الثاني بالى فقط فان قلت قد ادخل الناظم او على الماضي في موضع من البردة وسكت عليه شراحها قلت الاعتراض عليه في ذلك ايضا واما الشراح فيحتمل انهم انما سكتوا عن ذلك نظرا للمعنى وانهم غفلوا عما ذكرته من صريح كلامهم الدال على ان او الغائية

وان صح المعنى لما مر

لا تدخل

لا تدخل على الماضي ثم رايت شيخنا العلامة ابن مرزوق نبه لما ذكرته فقال في • اَوْ خِلْتَ البِطَاحُ بِهَا • ان او هنا عاطفة ثم جعلها بمعنى الواو او بل او انها على حالها للشك او التخيير وتكلف ببيان ذلك ولم يعرج على الغاية بوجه وليس سر ذلك الا امتناع دخولها على الماضي والا كان معنى الغاية في البيت اقرب مما تكلفه ولا ينافي نظير ما تكلفه هنا بوجه والا بادرت اليه ومما يصرح بذلك ايضا ان النحاة لم يذكروا لاو الا قسمين عاطفة وناصبة وهي الغائية فالعاطفة امرها واضح ولا كلام فيها والناصبة تختص بالمضارع فمن اثبت لها قسما ثالثا وهو دخولها على الماضي ولا تكون للعطف فعليه البيان ولا يجد ذلك كما دل عليه كثرة البحث والتتبع فتامل ذلك كله فانه نفيس مهم غفل عنه الناظم وغيره **فاستبانت خديجة** قيل صرفها للضرورة ويرد بانها باقية على عدم صرفها والوزن صحيح اي ظهر لها تمام الظهور لانها علمت من ابن عمها ورقة الاتي او من غيره ان جبريل لا ياتي محلا فيه امراة مكشوفة الراس **انه** اي ما يحرص ما يحرص النبي صلى الله عليه وسلم الذي طلبنا الوقوف على عين اليقين فيه **الكنز** اي الشي النفيس بل الذي لها انفس منه **الذي حاولته** اي ارادت حيازته والظفر به **وانه الكيمياء** اي العلم البديع الذي يقلب الاعيان الردية الى الاعيان النفيسة واستعار الكنز وهو المال المدفون والكيمياء وهو العلم المعروف للوحي لانه بهما تحصل الذخائر النفيسة المنتفع بها حالا ومالا كما ان الوحي كذلك وايضا هما لا يظفر بهما الا الفذ النادر كما ان الوحي لا يظفر الا اكمل البشر وهم في غاية الندرة والقلة بالنسبة لبقية الناس واشار بذلك هنا وفي تخريجه الى سبب ذلك وهو قصة ابتدا بعثه صلى الله عليه وسلم وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ اربعين سنة وقيل وكسرا بعثه الله يوم الاثنين كما في خبر مسلم لسبع عشرة من رمضان وقيل من ثمان من ربيع الاول وقيل كان في رجب رحمة للعالمين ورسولا

مطلب في بيان ابتدا الوحي

الى كافة خلقه اجمعين كما قال صلى الله عليه وسلم وارسلت الى الخلق كافة وروى
البخارى عن عايشة اول ما بدئ به صلى الله عليه وسلم من الوحى الرويا الصادقة
فكان لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح وابتدى بها لان الملك لو فجاه
بغتة لم تحتمله قواه البشرية وكان ياتى حرا فيتعبد فيه الليالى الكثيرة ثم
يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجاه الحق اى جاءه جبريل وهو بغار
حرا فقال له اقرا قال ما انا بقارئ قال له امتناعا لانه كان اميا لا يقرا ولا يكتب
لست بقارئ صح
فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم ارسله وقال له اقرا قال ما انا بقارئ قاله اخبارا
بالواقع فغطه ثم ارسله كذلك وقال له اقرا فقال ما انا بقارئ اى ما الذى
اقراوه فغطه وارسله كذلك وحكمة الغط ثم تكريره مزيد التاهل الى لقاء
الملك لما بين البشرية والملايكة من التباين ثم الى التلقى منه ثم قال اقرا باسم
ربك حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها يرجف فواده حتى دخل على خديجة فقال زملونى
زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لى واخبرها الخبر
ثم قال قد خشيت على اى قبل ان يحصل لى العلم الضرورى بان الجائى جبريل
او خشيت ان لا اقدر على حمل اعباء الرسالة او يقتلنى قومى ولا بدع فانه بشر
فقالت له كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث
وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوايب الحق ثم انطلقت به الى
ابن عمها ورقة وكان شيخا كبيرا قد عمى وهو ممن تنصر من العرب وعرف
الانجيل فقالت له اسمع من ابن اخيك فاخبره صلى الله عليه وسلم ما راى فقال
هذا الناموس الذى انزله الله على موسى يا ليتنى فيها اى مدتك جذعا اى شابا
لا بالغ فى نصرتك اذ يخرجك قومك قال او مخرجى هم قال نعم لم يات رجل قط بما
جيت به الا عودى وان يدركنى يومك انصرك نصرا موزرا ثم لم ينشب ورقة
ان توفى وفتر الوحى فترة حتى حزن صلى الله عليه وسلم وتكرر ذهابه الى
روس شواهق الجبال ليرمى نفسه فيبرز له جبريل ويقول يا محمد انك رسول الله

حقا

حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر [illegible] الشيطان ولعل وجهها انه صلى الله عليه وسلم
قال جاورت بحرا شهرا اى لا تطلبت النبوة فانها موهبة لا تنال بكسب الله اعلم
حيث يجعل رسالاته فلما قضيت جوارى هبطت فنودى فنظرت فلم ار شيا
فرفعت راسى فرايت شيا لم اثبته له فاتيت خديجة فقلت دثرونى
دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر الاية وهذا بعد نزول
اقرا بل وبعد فترة الوحى اذ اول ما نزل اقرا على الاصح بل الصواب وصح
عن الشعبى انه قال نزلت عليه صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين
سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشى ولم ينزل
عليه القران على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل
فنزل عليه القران على لسانه عشرين سنة وحكمة الفترة ذهاب الروع
الذى وجده صلى الله عليه وسلم ومزيد تفجيعه الى الاشتياق للعود وروى
عن اصحاب السير انه صلى الله عليه وسلم لما اخبر خديجة الخبر قالت اتستطيع
ان تخبرنى بهذا الذى ياتيك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل اخبرها
به فقالت له اجلس على فخذى الايسر ففعل فقالت اتراه قال نعم فقالت
فعلى الايمن ففعل فقالت اتراه قال نعم قالت فاجلس فى حجرى ففعل
فقالت اتراه قال نعم فالقت خمارها ثم قالت اتراه قال لا قالت اثبت
وابشر فوالله انه لملك ما هذا الشيطان ثم بعد تلك الفترة ونزول قوله
تعالى يا ايها المدثر قم فانذر بادر صلى الله عليه وسلم الى امتثال ذلك فقيل
قام النبى اى جد واجتهد فى حال كونه يدعو الى عبادة الله والايمان
به وبرسوله وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان وذكر ان اول
ما وجب عليه صلى الله عليه وسلم الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض الله
من قيام الليل ما ذكره فى اول سورة المزمل ثم نسخه بما فى اخرها ثم نسخه
بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسرى بمكة قاله النووى وقال فى فتح

...انه روي كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسرا يصلي قطعا وكذلك اصحابه ولكن
اختلف هل افترض قبل الخمس صلاة ام لا فقيل ان الفرض صلاة قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها لقوله تع وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
وروي ان جبريل اتاه صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رايحة
فقال يا محمد ان الله يقريك السلام ويقول لك انت رسولي الى الجن والانس
فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضا
منها جبريل ثم امره ان يتوضا وقام جبريل يصلي وامره ان يصلي معه
فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج الى السما ورجع صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر
ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فاخبرها
فغشي عليها من الفرح ثم امرها فتوضأت فصلى بها كما صلى به جبريل
فكان ذلك اول فرضها ركعتين الحديث وهي الحال في اهل الكفر نحوه اي
فوقه ناصبه ويحرب عليه وا باء اي امتناع عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والايمان به امما مفعول بدعوا اي جماعات هم امة الدعوة اشربت بالبنا للمفعول
قلوبهم الكفرا اي اختلطت به بتقدير تجسمه ويمكن فيها حبه حتى صار لا تقبل
على غيره ولا تلتفت اليه لامتزاجها امتزاج المشروب بها فاستعار لفظ الشرب
للمخالطة وشدة الممازجة وحينئذ فداء الضلال الذي استقر فيهم اي مرضه
والاضافة بيانية اي فالداء الذي استقر فيهم وهو الكفر داء لا يرجى برؤه عياء
مهملة مفتوحة فتحتية اي واعضالا عيي الاطباء مداواته وحصول شفائه ولما قام
صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله دخل في الاسلام رجال ونساء حتى كمل السابقون
الاولون واولاهم على الاطلاق خديجة ثم من الرجال ابو بكر ومن الصبيان علي
وصح اسلامه صبيا لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتمييز ومن الموالي
زيد ومن الارقا بلال وروي ان ورقة اسلم فان صح كان اول من اسلم من
الرجال وبهذا تجمع الاقوال المتباينة في اول من اسلم ثم دخل الناس في الاسلام

ارسالا

ارسالا وكان صلى الله عليه وسلم مخفيا امره الى ان امره الله باظهاره بقوله فاصدع
فاصدع بما تؤمر قالوا وكان ذلك بعد النبوة بثلاث سنين ولم يبعد منه قومه ولا
ردوا عليه حتى عاب الهتهم سنة اربع من النبوة فاجمعوا على عداوته الا من عصمه
الله بالاسلام او صرفه الحمية كابي طالب فانه حدب عليه ومنعه وقام دونه فاشتد
الامر وتضارب القوم وتوامرت قريش على من اسلم منهم يعذبونهم ومنع الله رسوله
منهم بعمه ابي طالب وبني هاشم غير ابي لهب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يطوف على الناس في منازلهم يقول لهم اعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وابو لهب وراءه
يكذبه ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون وكان بعضهم يحثو بالتراب
ويجعل الدم على بابه ووطي عقبة بن ابي معيط على عاتقه وهو ساجد عند باب
الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا راسه
ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر ومنعه منهم ثم اسلم عمه حمزة رضي الله عنه
سنة ست من النبوة فعز به وكفت عنه قريش قليلا وسالوه ان يملكوه عليهم
ويبذلوا له من الاموال ما شاء ويترك ما هو فيه فابى وقال اصبروا امر الله حتى يحكم
الله بيني وبينكم وفي سنة خمس اذن الله لاصحابه في الهجرة الى الحبشة فكان اولهم
عثمان مع زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم عمر بعد حمزة رضي الله
عنهما بثلاثة ايام فعز صلى الله عليه وسلم كثيرا فاجتمعت قريش على قتله صلى الله
عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فجمع بني هاشم والمطلب فادخلوه صلى الله عليه وسلم
شعبهم ومنعوه ورأينا معشر امة الاجابة اي بصر الصحابة وعلم من بعدهم
بطريق التواتر والشهرة ويصح انها بمعنى علم في الكل وهو اوضح وابصر في
الكل وهو فيمن بعد الصحابة بالنسبة لمشاهدة حروف القران الدال على
ما لا تحصى اياته اي معجزاته وخلقه وخلقه من بديع صفاته فاهتدينا اي
وصلنا الى المطلوب منا من كمال الايمان والاتباع وانما بادرنا الى ذلك لانا اصغينا
عقول كاملة وقد رأينا الحق عيانا لا مرية فيه ولا شبهة فعلمنا انه اذا الحق جاء

زهق الباطل وبين مجىء الحق فاعل مثله المحذوف لان اذا لا تدخل الا
على الجمل الفعلية على الراجح وزال المراء اى الضلال والجدال فيه وفى هذا
بلغ التعرض لكفار قريش حيث لم يومنوا به صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه
من كماله الاعظم خلقا وخلقا وعلما وسيرة ومن معجزاته الدالة على صدقه
يا رب ان الهوى اى اتباع الحق ليس الا هداك اى ليس الا بتوفيقك وهذا انتكل
كما قلت فى كتابه فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد
ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السما من يهد الله فلا
مضل له ومن يضلل فلا هادى له وان اياتك التى اقمتها ادلة على صدق نبيك ابكر
ويصح رفعه فعل الاول لكل من الجملتين موكد لما قبلها وعلى الثانى فهى موكدة
ايضا لكن فيها شبه اعتراض بناء على جواز وقوعه بعد تمام الكلام
نور كما قلت قد جاكم من الله نور تهدى بها من تشا هدايته وتضل عنها
من تشا غوايته ففى كلامه اقتباس من الايتين المذكورتين كما اشرت اليه
وايماء الى ان الايات لا تنفع مع سبق الشقاوة ولما قرر ان الهدى هدى الله
وانه يهدى به من يشا ويضل من يشا وان الايات وحدها لا تجدى شيئا ذكر ما
يستغرب من ذكره بقوله وهو ان غير العاقل قد يلهم كثيرا مما يحرمه العاقل
فقال كم مرة اى مرارا كثيرة فهى خبرية ويجوز حذف مميزها كما فعله الناظم
فان ذكر جر باضافتها اليه عند البصريين وجوز بنو تميم نصبه وافراده اكثر
وافصح من جمعه فاذا فصل نصب حملا على كم الاستفهامية رابنا اى علمنا
وابصرنا نظيرها مر واستعمال المشترك فى معنييه واللفظ فى حقيقته ومجازه
جايز وعلى منعه الذى ذهب اليه الاكثرون وهو من عموم المجاز ما اى شخصا
ليس يعقل اصلا كالحيوان والجماد قد الهم من المصالح وهذه فى موضع ثانى
مفعولى راى ما اى كثيرا ليس يلهم العقلا ظرف او علة لراى فاتى
اى امتنع الفيل المذكور فى الابيات ان يفعل ما اتى اى عزم عليه صاحب
الفيل

الفيل وهو ابرهة ملك صنعا وهو دخول الحرم لهدم الكعبة وبين اتى وفاتى
الجناس المصحف ومنه قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولم ينفع
الحجا اى العقل الوافر والذكاء اللذين اتصف بهما فلم يوفقا لما وفق له
الفيل مع وضوح فرقان ما بينهما فى الذكاء والعقل فعلم ان الهداية والضلال
ليسا الا بتوفيق الله تعالى وهدايته او خذلانه وعدم رعايته وبسط هذه
القصة ان ابرهة ملك اليمن من اصحاب النجاشى بنى كنيسة بصنعا وكتب
الى النجاشى قد بنيت لك كنيسة واريد ان اصرف حج العرب اليها فجا رجل
من بنى كنانة فاحدث فيها فسمع بذلك فغضب فحلف ليسيرن الى الكعبة العرب
ويهدمها فامر الحبشة فتهياءت ثم سار وخرج معه بالفيل قيل واحد اسمه محمود
وقيل اكثر فخرج عليه ملوك فقهرهم واسرهم الى ان قرب من المغمس عند عرفة فبلغ ذلك
عبد المطلب فقال يا معشر قريش لا يصل لهدم البيت ان له ربا يحميه ثم ارسل
ابرهة خيلا فاستاقت ابل قريش وغيرهم لعبد المطلب فيها اربعماية ناقة فركب
فى قريش حتى بلغ جبل ثبير فاستدارت دايرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على
جبينه كالهلال واشتد شعاعها على الكعبة مثل السراج فقال ارجعوا
فقد كفيتم فوالله ما استدار هذا النور منى الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا
ثم ارسل ابرهة رجلا لسيدهم وهو عبد المطلب ليخبره انه لا حاجة له بدمايهم
وانما غرضه تخريب الكعبة فان مكنتموني تخوتم فقال له عبد المطلب لا طاقة
لنا بحربه والبيت بيت الله فان منعه فهو بيته ثم حمله اليه فاكرمه واجله
ونزل عن سريره وجلس معه على بساط ثم قال له ما حاجتك قال ان ترد على
ابلى فقال له كنت اعجبتنى ثم زهدت فيك تكلمنى فى ابلك دون بيت هو
دينك ودين ابايك فقال له اما الابل فانا ربها واما البيت فله رب يحميه فرد
اليه ابله فرجع فاخبرهم فتحرزوا فى شعب الجبال والشعاب ثم اخذ عبد المطلب
وسبعة نفر من قريش بحلقة باب الكعبة ودعوا واستنصروا وفى رواية ان رسول

مطلب فى قصة ابرهة لما اراد هدم الكعبة

وحلف صح

ابرهه لما دخل مكه وراى نور جبهة عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا
عليه وخار كما يخور الثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب فقال
اشهد انك سيد قريش حقا وروى ان عبد المطلب لما ذهب لابرهه احضر فيله
الابيض العظيم فلما راى عبد المطلب خر ساجدا وقال السلام على النور الذى
فى ظهرك يا عبد المطلب ولما اصبح ابرهه بالمغمس هيأ فيله وجنوده لدخول
مكه برك الفيل فى محله بناء على الاصح انهم لم يدخلوا الحرم وقيل دخلوه وانما برك
لما وصلوا الى وادى محسر ولذا سمى بذلك لان فيلهم حسر اى اعيى فيه فضربوه
فى راسه ومراق بدنه حتى بالحديد فابى فوجهوه نحو اليمن فقام ثم نحو الشام
فمشى ثم نحو المشرق فمشى ثم نحو الكعبة فابى ثم ارسل الله عليهم طيرا ابابيل كامثال
الخطاطيف من البحر مع كل طاير منها ثلاثة احجار حجر فى منقاره وحجران فى رجليه
كامثال العدس لا يصيب احدا منهم الا قتله فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق
واصيب ابرهه فى جسده بقنا فتساقطت انامله انملة انملة حتى وصل صنعا وهو مثل
فرخ الطاير وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى تصدع قلبه وقد ذكر الله
هذه القصة فى سورة الفيل وافتتحها بالم تر مع انها قبل مبعثه بل قبل ولادته
اشارة الى ان المراد من الروية العلم والتذكير وان الخبر بذلك متواتر فكان العلم بذلك
ضروريا مساويا للعلم الحاصل بالروية البصرية وقد دلت هذه القصة على
غاية شرف نبينا فانها كانت ارهاصا وتاسيسا للنبوة ويجوز تقديم المعجزة على
زمن النبوة تاسيسا كما مر فى تظليل الغمام والشجر والملكين بل جاء ان الشجرة والحجارة
قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم كان لا يمر منها بشى الا سلم عليه سلاما يسمعه باذنيه
وعلى شرف قومه وحماية الله لهم ولذا دانت العرب لشرفهم لعلمهم بان ابرهه
لا قدرة للعرب باسرهم على قتاله فاذا انزل الله النصر تم عليه دل ذلك على عظيم
اعتناء الله بهم ولتقدمه معنى للارهاص بمجى النبوه وثبوتها بالدلايل القطعيه
املى الحجاج فحمد الله حتى خرب الكعبه ولم يعاقب بشى ولما ذكر ما يتعلق بالعجما

الحيوان

الحيوان بذكر قصة الفيل ذكر ما يتعلق بالجماد فقال **والجمادات** وهى ما لا روح فيه
افصحت اى اظهرت ونطقت بكلام مبين فصيح لا تلعثم فيه قيل يخلقه
الله فيها حينيذ من غير حيوة وان من شى الا يسبح بحمده وقيل بل يخلق الله
فيها حيوة ولسانا وادراكا فتنطق مختارة عارفة بما تنطق به ويدل لهذا
ما ياتى فى حنين الجذع وانينه فان ذلك يدل على ان الله تع خلق فيه الحياة
والعقل والشوق حتى حن وانّ ولا يعارضه ان مذهب الاشعرى ان خلق الصوت
فى محل لا يستلزم خلق الحيوة والعقل فيه لانا لم ناخذ الحيوة من نصوصيته بل من
اطلاق الصحابة عليه انه حن وانّ ومذهب الاشعرى ان الذكر المعنوى والكلام
النفسى يستلزمان الحيوة استلزام العلم لها ولهذا عامله صلى الله عليه وسلم معاملة الحى
فالتزمه كما يلتزم الغايب اهله **با**لشهادة بالانبا والارسالة **الذى اخرس عنه لاجل**
متعلق بافصحت **الفصحا** نايب فاعل اخرس وفيها الطباق اى ان العرب قريشا
وغيرهم مع كونهم ارباب الفصاحة وفرسان البلاغة امتنعت السنتهم من النطق له
صلى الله عليه وسلم بالايمان به والشهادة له بالرسالة اليهم وشهدت له بذلك الجمادات
الصم بافصح لسان وابلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصى فى يده ثم فى يد ابى بكر ثم فى يد
عمر رضى الله عنهما يسمع تسبيحهن من فى الحلقة رواه جماعة وهو مشهور لكن
فى سنده ضعف وصح عن ابن مسعود رضى الله عنه كنا ناكل مع النبى صلى الله عليه وسلم
الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفى سماعهم لذلك غاية الكرامة لهم وصح ايضا
انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان ابعث انى لاعرفه الان قيل هو الحجر
الاسود وقيل البارز بزقاق المرفق لانه كان يمره صلى الله عليه وسلم من دار
خديجه الى المسجد وعليه اهل مكه سلفا وخلفا وصح عن على كرم الله وجهه
كنت امشى مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكه فخرجنا لبعض نواحى مكه فما استقبلنا
شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وروى البزار وابو نعيم لما
استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك

بيرسول الله والبيهقي عن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم غطى العباس وبنيه بملاءة
فقال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم
بملائي هذه فقالت اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين امين وصح
انه صلى الله عليه وسلم كان هو وابو بكر وعمر وعثمان على أُحد وصح ايضا على حرا
فتحركة فقال اثبت وضربه برجله فما عليك الا نبي وصديق او شهيد وصح انه
صلى الله عليه وسلم طلب من رجل الايمان فقال له من شاهد فقال هذه الشجرة
فدعاها صلى الله عليه وسلم وهي على شاطئ الوادي فاقبلت تخد الارض خدا اي تشقها
شقا فقامت بين يديه فاستشهدت ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها وفي
رواية قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فمالت عن يمينها
وشمالها ومن بين يديها ومن خلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض
خدا تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يديه فقالت السلام عليك يا رسول الله
قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع
فاستقرت فقال الاعرابي ايذن لي ان اسجد لك فقال لو كنت آمرا احدا ان
يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها وصح ان اعرابيا قال له بم اعرفك
انك رسول الله قال بان ادعو هذا العذق من هذه النخلة يشهد باني رسول الله
فدعاه فسقط اليه ثم قال ارجع فعاد فاسلم الاعرابي تنبيه علم من كلام الناظم
على مولده صلى الله عليه وسلم وما بعده من دلايل نبوته ما وجد في كتب الله من نعته
وخروجه بارض العرب وما ظهر بين يدي مولده وبعثته من العجايب المبطلة
لسلطان الكفر والمنوهة بشرف العرب كقصة الفيل وما حل باصحابه وخمود نار
فارس وما ذكر معها وما سمع من الهواتف الصارخة باوصافه صلى الله عليه وسلم
وانتكاس الاصنام المعبودة على وجوهها من محالها فيه من غير دافع مع شدة
ثباتها واحكامها وما سبق بعضه من العجايب التي ظهرت ايام رضاعه
وبعده الى مبعثه واتباع الخلق له مع انه لم يكن له مال يطمع فيه ولا قوة يقهر

لها

لها الرجال مع ما كانوا عليه من محبة الاصنام والمبالغة في الحمية لها بالمقاتلة
وشن الغارات لا تجمعهم الفة دين ولا تمنعهم عن سوء افعالهم النظر في عاقبة ولا
خوف لائمة فالف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الآراء
واجتمعت القلوب فصاروا يدا واحدا على من سواهم وهجروا اوطانهم واهاليهم
في محبته وبذلوا مهجتهم لنصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في اعزاز
كلمته بلا دنيا افاضها عليهم في العاجل ولا عز في الآجل اطمعهم في نيله يتخيرونه
بل كان من شانه صلى الله عليه وسلم ان يجعل الغني فقيرا والشريف اسوة الوضيع
فهل يلتئم مثل هذه الامور من قبل اختيار عقلي او تدبير فكري لا والذي بعثه
بالحق انما ذلك امر الهي وتدبير سماوي يعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر
عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وبهذا الذي ذكرته
يتضح تعقيب الناظم لما مر بقوله ويح منصوب بفعل محذوف او بحرف النداء
اي يا ويح على حد يا حسرة على العباد اي احضري هذا وقتك كذا قيل والذي
صرح به الائمة انه حيث كان المصدر بدلا من اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف
عامله ثم بعض تلك المصادر يجوز رفعه كويح فقد قالوا ومما استعمل مفردا ومضافا
قولهم ويح فلان وويحاله قال ابن طاهر متى اضيف ويح وجب النصب وامتنع
الرفع لانه مبتدا لا خبر له ومتى افرد فانه جاز كل منهما وكذا ويل النصب فيه غير قوي
لانه مصدر لا فعل له بخلاف نحو حمدا وشكرا ومن ثم غلب على ويح الرفع بل
قال ابن الربيع يجب رفعه دون ويل نعم ان عطف ويح على تب تعين
ومنع المازني عطف ويح على تب وعكسه لتنافي معناهما ورد بان ويح
اخرج مخرج الدعا وتبا يستعمل كقاتله الله ما اشعره فعلم ان ويح وويل
ونحوهما متى نصب فانما هو بعامله المحذوف وجوبا وانه لا دخل للندا هنا
واعلم انهم اتفقوا على ان ويح كلمة ترحم يقال لمن وقع في مهلكة لا يستحقها
وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى وعلى الاول فقد يستشكل اتيان الناظم

وليس معناه الدعا مر

مما في هذا المحفل الا ان الجاحدين له صلى الله عليه وسلم يستحقون الهلاك الدايم
وقد يجاب بان كثيرا منهم اسلم بعد ذلك فالترحم له باعتبار ما آل اليه حالهم
ويرد بانهم بعض الاعتبار لا ايقاف فيهم ويح لانهم لم يتحقوا في هلاك اصلا
فالاحسن الجواب بان الترحم من حيث النظر الى القرابة التي بينهم وبين رسوله
الله صلى الله عليه وسلم وانهم من عموم نسبه وجلدته والترحم لهم بعده الجليه
لا محظور فيه قوم جفوا انبيا بلغ من مراتب الجلالة والتعظيم ما لم يبلغه نبي
اي بغضوه واذوه الاذية البالغ بل قصدوا كما مر انفا مبسوطا بارض
الفنة ضبا بما جمع ضب وحديثه مشهور على الالسنة ورواه البيهقي في احاديث
كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزني لا يصح اسنادا ولا متنا وهو ان اعرابيا
اصطاد ضبا فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم طرحه بين يديه وقال لا اومن بك حتى
يومن هذا فقال له يا ضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذي في السماء
عرشه وكلمات اخر قال من انا قال رسول رب العالمين فاسلم الاعرابي الحديث
بطوله قيل وهو موضوع ورد بان غايته الضعف لا الوضع وفي معجزاته صلى الله
عليه وسلم ما هو ابلغ من هذا والظباء جمع ظبي وروى حديثها من طرق البيهقي وابو
نعيم والطبراني وساق الحافظ المنذري حديثه في الترغيب والترهيب لكنه ضعفه
الائمة بل قال الحافظ ابن كثير لا اصل له ومن نسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد
كذب ورد بانه ورد في الجملة في عدة احاديث يتقوى بعضها ببعض بل بالغ
بعض المحققين فزعم انه حديث صحيح قال التاج السبكي وهو وان لم يتواتر اليوم
فلعله استغنى عنه بغيره او اعلم تواتر اذ ذاك وهو بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
في صحرا اذ هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة
في وثاق واعرابي نائم عندها فقال لها ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي
ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال
وتفعلين قالت عذبني الله عذاب العشار ان لم اعد فاطلقها فذهبت

اي المكاس م

ارجعت

ورجعت فارتقتها صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابي فقال يا رسول الله
الك حاجة فقال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء
فرحا وهي تضرب برجليها الارض وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك
رسول الله ولم يرد الحصر في هذين فقد صح ان الذيب الفه واخبر
بنبوته صلى الله عليه وسلم كما جاء من طرق منها طريقان صحيحان حاصلهما انه
اخذ شاة فانتزعها الراعي منه فقال الا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله
الي فتعجب الراعي من كلامه فقال الا اخبرك باعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر
الناس بانباء ما سبق وفي رواية صحيحة بما مضى وما هو كائن فاتى الراعي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فامر ان ينادى الصلاة جامعة
ثم امر الراعي فاخبرهم وفي رواية عن سعيد بن منصور في سننه ان الذيب
جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا وافد الذياب جاء يسالكم ان تجعلوا
له شيا من اموالكم قالوا والله لا نفعل واخذ رجل من القوم حجرا ورماه به فادبر
الذيب وله عوى فقال صلى الله عليه وسلم الذيب وما الذيب وكلمه صلى الله عليه وسلم
الحمار ايضا على ما ورد في حديث طويل لكن قال ابن الجوزي انه موضوع وكلمه ايضا
الجمل كما جاء في عدة طرق بعضها سنده جيد وبعضها سنده صحيح وحاصلها — ضعيف
ان جماعة من الانصار شكوا اليه صلى الله عليه وسلم جملهم وانه امتنع من العمل حتى عطش
النخل والزرع فقال لاصحابه قوموا فقاموا ودخل الحائط ومشى اليه فقالوا يا رسول
الله انه صار كالكلب الكلب فقال ليس علي منه باس فلما نظر الجمل اليه اقبل
نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فاخذ بناصيته اذل ما كان قط حتى ادخله في
العمل الحديث وفي رواية صحيحة دخل حائطا فراه جمل فحن اليه وذرفت عيناه — انه صلى الله عليه وسلم
فمسح فريب راسه من قفاه ثم قال لربه الا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله
اياها فانه شكى الي انك تجيعه وتدئبه اي تتعبه وجاء بسند ضعيف ان غنما سجدت
له صلى الله عليه وسلم وسلوه اي تغرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشاته فيهم وعلمهم

بغاية نزاهته ونهاية كماله **وللحال انه قد حن جذع اليه** كما جاء من طرق كثيرة
صحيحة وغيرها يفيد مجموعها التواتر المعنوى الموجب لتيقن وقوع ذلك
والقطع به وعلى التواتر المعنوى يحمل قول التاج السبكى الصحيح عندى ان حنينه
متواتر وسبقه له عياض وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم قبل ان يعمل له المنبر كان
يخطب مستندا الى جذع نخل من الجذوع المسقوف عليها المسجد فلما صنع له المنبر
ذا ثلث درجات وضعه موضعه الآن بمسجده ثم تخطى الجذع يوم جمعة ليخطب
على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من فى المسجد وفى رواية انه خار كخوار الثور
حتى ارتج المسجد وفى رواية اخرى خار حتى تصدع وانشق وفى اخرى فجعل
يئن انين الصبى وفى اخرى حن حنين الناقة التى انتزع ولدها فنزل اليه
صلى الله عليه وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن وفى رواية فمسحه بيده ولعله
فعل به الامرين وفى اخرى ان هذا بكى لما فقد من الذكر عنده وفى اخرى
والذى نفسى بيده لو لم التزمه لم يزل بصوت هكذا الى يوم القيمة تحزنا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من اكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم بل اشار
الشافعى رضى الله عنه الى انه ابدع من احياء عيسى عليه السلام للموتى لانهم عهدت
لهم حياة رجعت اليهم بخلاف هذا وفى رواية عند الدارمى انه صلى الله عليه وسلم خيره
بين ان يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان وان يغرسه فى الجنة يأكل اولياء الله
من ثمره ثم اصغى اليه وقال اختار دار البقاء على دار الفناء وامر به فدفن ومر
فى شرح قوله وللجمادات افصحت الخ ماله تعلق بذلك **وقلوه** اى ابغضوه وللحال
انه قد **ودّه** اى احبه وبين السلو والجفو والقلى والود الطباق كما هو بين الاخراج
والايواء الاتيين **الغرباء** الذين هم ليسوا من عشيرته ولا من قومه ولا عرفوا ما
عرفته قريش من كماله الاعظم كانصار الاوس والخزرج وذلك انه صلى الله عليه وسلم
خرج فى الموسم الذى يعتمر فيه يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع
فى كل موسم فلقى بعض الخزرج عند العقبة فقال من انتم قالوا من الخزرج قال

افلا

افلا تجلسون اكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الاسلام وتلى عليهم القران
وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته لان يهود المدينة كانوا يقولون لهم ان نبيا
يبعث الان نتبعه ونقتلكم معه فاجابوه لئلا تسبقهم اليهود اليه واسلم
منهم ستة نفر فقال لهم تمنعون ظهرى حتى ابلغ رسالة ربى فقالوا ندعو قومنا
الى ما دعوتنا اليه فان اجابوا فلا احد اعز منك وموعدك الموسم العام القابل
فلما وصلوا المدينة لم يبق دار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه
فى العام القابل اثنى عشر خمسة من الستة والبقية من الخزرج ايضا الا رجلين
فمن الاوس وهذه هى العقبة الثانية فاسلموا وقبلوا ما اشترط عليهم ثم رجعوا
فاظهر الله الاسلام فيهم فكان اسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن اسلم ثم ارسلوا
يطلبون من يعلمهم القران فارسل اليهم مصعب بن عمير فاسلم على يديه جمع كثير
منهم سيد الاوس سعد بن معاذ واسيد بن حضير واسلم باسلامهم جميع بنى
عبد الاشهل فى يوم واحد رجالهم ونساؤهم الا واحدا تأخر الى يوم احد ولم يكن فيهم
اعنى بنى عبد الاشهل منافق ولا منافقة ثم قدم فى العام القابل فى الموسم
نحو سبعين رجلا وهى العقبة الثالثة فبايعهم على انهم يمنعونه مما يمنعون
منه نساءهم وابناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وصح عن جابر مكث
صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم فى المواسم بمنى وغيرها
يقول من ينصرنى حتى ابلغ رسالة ربى وله الجنة حتى بعث الله من
يثرب وذكر الحديث وفيه وعلى ان تنصرونى اذا قدمت عليكم يثرب
فتمنعونى مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة وحضر
العباس رضى الله عنه هذه المبايعة فاكدها عليهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك ثم امر صلى الله عليه وسلم من بقى معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا ارسالا
واقام ينتظر الاذن له فى الهجرة واستاذنه ابو بكر فقال لا تعجل لعل الله ان يجعل
لك صاحبا فتطمع ابو بكر فى ان يهاجر معه صلى الله عليه وسلم ولما علموا انه سيخرج

وامر من معه ان يلحق بالمدينة وانه ظهر امره اشتوروا بدار الندوة ثم
اجمعوا ان يحبسوه او يقتلوه او يخرجوه فاعترضهم ابليس في صورة رجل
جميل واظهر لهم انه يريد نصحهم وامرهم ان يعرضوا عليه آراءهم ليختار انفعها
لهم فقيل نحبسه فقال غدا ينتزع منكم فقيل نخرجه فقال ياتيكم بما لا طاقة لكم به
فقال ابو جهل ارى ان ناخذ من كل قبيلة غلاما قويا ثم نعطيهم سيفا ثم يضربه
كل ضربة فيتفرق دمه في القبائل فلم يقدر اهله على حرب قومهم فياخذوا
ديته فقال ابليس لله دره هذا هو الراى فاجمعوا عليه فاتاه جبريل فقال
لا تبت الليلة في فراشك فاجتمعوا في الليل بباب يرصدونه لينام فيثبوا عليه
فامر عليا ان ينام مكانه ثم خرج عليهم فلم يبق احد منهم الا اخذ الله على بصره
فلم يره ونثر على راس كل واحد منهم ترابا كان في يده وهو يتلو يس الى لا يبصرون
وصح انه ما اصاب احدا منهم تراب الا قتل كافرا ثم اعلموا بخبثهم فوضع كل يده
على راسه فوجد التراب وفي هذا انزل قوله تعالى وان يمكر بك الذين كفروا الايه
ثم اذن الله لنبيه بالهجرة كما قال **اخرجوه** بدل من جنوه **منها** اي كانوا السبب
في خروجه من تلك الارض التي هي مولده ومرباه ووطنه ووطن ابائه احب ارض الله الى
الله ورسوله كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ثم قال ولولا اني اخرجت منك كرها ما
خرجت ويقولون كانوا السبب الى الهجرة انه في ما يقال هو لم يخرج منها الا باذن
فهو السبب فقط ووجه اندفاعه ان تسببهم في خروجه بما الغنهم في ايذايه
وايذاء اصحابه لاسيما ضعفاؤهم هو الحامل على انتظاره الاذن له في الخروج
مرة حتى وجد فتسببهم سبب للاستيذان ووقوع الاذن فاسناد
الاخراج اليهم لذلك اظهر منه للاذن تعويلا على اسبق السببين مع كون
الاول سببا للثاني ايضا كما تقرر وكان ذلك بعد العقبة الثالثة بنحو
ثلاثة اشهر يوم الاثنين هلال ربيع الاول او الخميس الذي يليه ووصل
المدينة يوم الاثنين ثاني عشر الشهر وجمع بان خروجه من مكة يوم الخميس

ومن الغار ليلة الاثنين وخلف عليا ليودي ما عنده من الودايع وكان
مجيئه بيت ابي بكر وقت الظهيرة فقال انه قد اذن لي في الخروج قال الصحبة
يا رسول الله قال نعم قال فخذ احدى راحلتي قال بالثمن اي ليتمحض هجرته
لله ولا يكون لاحد فيها منه فخرجا ليلا الى غار جبل ثور فاستخفيا فيه كما
قال **وآواه غار** ولما فقدته قريش طلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة
اثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور اثره هناك فلم يزل يتبعه حتى
انقطع لما انتهى الى ثور وشق عليهم خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن رده مائة
ناقة ولما دخل الغار قيل انبت الله على بابه شجرة ام غيلان فحجبت عن الغار
اعين الناس وارسل الله حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار كما قال
وحمته منهم **حمامة** فيه جناس سبق نظيره **ورقاء** وهي ما لونها بياض
يخالطه سواد قيل وحمام الحرم من نسلها ومعنى حمايتها له ان فتيان قريش
من كل بطن لما اقبلوا بسلاحهم جعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين
وحشيتين فعرف انه ليس فيه احد وقال اخرون ادخلوا الغار فقال اللعين
امية بن خلف وما اربكم اليه ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وفي مسند البزار
ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ولذا قال الناظم
وكفته بنسجها عنكبوت يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى **ما** اي الاعداء
الذين **كفته** اياهم **الحمامة الحصداء** اخذه من قولهم شجرة حصداء اي كثيرة
الورق فاستعاره للحمامة لكثرة ريشها ووصف الحمامة بورقا وحصدا
لاجتماعهما فيها والممتنع انما هو الوصف بمتضادين او متماثلين وروي
ان الحمامتين باضتا في اسفل النقب ونسج العنكبوت على اعلاه فقالوا
لو دخلا لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت قال الايمة وهذا ابلغ في
الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم
ابصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار

نعم الغار فرجع الى اصحابه
فقالوا له ما لك قال رايت
حمامتين وحشيتين صح

لظنهم ان الحمام لا يحوم حوله وان العنكبوت لا تنسج عليه وفيه اخذ
لما جرت به العادة انهما متوحشان معها احتا بالانسان فرامنه وما
علموا ان الله سبحانه ما شاء من خلقه لمن يشاء من عباده وان وقاية الله عبده
بما اراد يغنيه عن التحصن بالامكنة والاسلحة وصح ان ابا بكر قال يا رسول الله
لو ان احدهم نظر الى قدميه لرانا فقال ما ظنك باثنين الله ثالثهما ولذا قال الناظم
واختفى صلى الله عليه وسلم اى استتر والاحسن عطفه على واو لغار منهم
على اى مع قرب مراه اى محل رؤيته وفى ذكر الناظم لهذا تعجيب للسامع
وبيان لهذه المعجزة العظيمة وحكمة استتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر
احدهم الى ما تحت قدميه كما تقرر ان من جملة شدة الظهور عليهم
بالغلبة والمعونة الالهية له للخفاء عنهم الذى حصل له خرقا للعادة ظفرا
عليهم وخيبة لهم واستحالة الظهور فيما ذكر مع ان مقابلته بالخفا توهم انه
اراد به ضده من الفن المسمى بالتورية والايهام وهى ان يذكر لفظ له معنيان
بالاشتراك او التواطى او الحقيقة والمجاز احدهما بعيد فيقصد ويورى عنه
بالقريب ليتوهمه السامع من اول وهلة وهو هنا ضد الخفا الموهم له قوله
واختفى قال الزمخشرى لا ترى بابا ادق ولا الطف من التورية ولا انفع ولا
اعون على تعاطى تاويل المتشابهات فى كلام الله ورسوله نحو الرحمن على
العرش استوى اريد من الاستوا معناه البعيد الذى هو الاستيلا دون القريب
الذى هو الاستقرار فى المكان لاستحالته على الله تعالى انتهى ملخصا وهذه تسمى
مجردة لانه لم يذكر فيها شى من لوازم المورى به ولا المورى عنه والحق بها ما ذكر
فيه لازم كل منهما لانهما تكافيا فتجردا ومنه ما فى البيت فانه ذكر فيه لازم كل
منهما بذكر اختفى وبالخفا اذ المتبادر منه انه ليس المراد بالظهور الخفا فان
ذكر لازم احدهما سميت مرشحة نحو والسما بنيناها بايد فانه يحتمل الجارحة
وهو المورى به ورشح له بذكر البنا ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود

يستوعد

وزاد

وزاد بعضهم فى حد التورية مع صحة كل من المعنيين والمعنى لهذه
الزيادة كما علم مما تقرر فى اية الاستوا والبنا ولعله اراد فى الجملة لا بالنظر
الى الكلام فيه وعليه فوجه صحة الظهور الذى هو ضد الخفا هنا ان من المعلوم
ان شدة قرب المراى من العين توجب عدم ادراكه له فكذلك هنا لما اشتد
قربهم منه لم يدركوه ولا يمنع منه ان الاول عادى والثانى خارق للعادة وكالتورية
فى كونه اشرف انواع البديع الاستخدام بل فضله بعضهم عليها ولهم فى حده
عبارتان اشهرهما ان يوتى بلفظ له معنيان فاكثر يراد به احد معانيه ثم يوتى
بضميره ويراد به المعنى الاخر وروى ان ابا بكر نظر الى قدميه صلى الله عليه وسلم فى الغار
يتقطران دما لانه لم يتعود الحفا فبكى وانه دخل قبله ليقيه بنفسه وانه راى
جحرا فيه فالقمه عقبه فجعلت الحيات والافاعى تضربه وتلسعه فجعلت دموعه
تنحدر وفى رواية عند الرزين فدخل صلى الله عليه وسلم وجعل راسه فى حجره
ونام فلدغ ابو بكر فى رجله فلم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما لك قال لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده وروى ان ابا
بكر لما راى القافة اشتد حزنه وقال ان قتلت فانما انا رجل واحد وان
قتلت انت هلكت الامة فقال صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا اى بالمعونة
والنصر فانزل الله سكينته عليه اى ابى بكر لانه الذى انزعج وهى امنة يسكن
عندها القلوب وايده اى رسول الله بجنود لم تروها اى ملائكة يصرفون
ابصار الكفار عنه وبين قول نبينا ان الله معنا وقول موسى على نبينا
وعليه الصلاة والسلام كلا ان معى ربى ما بين مقاميهما اذ كمال الامداد
للاتباع ليس الا لنبينا فاعد ابا بكر بشهوده المعية ايضا وقصرها موسى
على نفسه وايضا فشتان بين معية الالوهية ومعية الربوبية والمشهور
انه صلى الله عليه وسلم مكث فى الغار ثلث ليال وكان عبد الله بن ابى بكر مع صغر
سنه يأتيهما ليلا بالخبر فيبيت ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح كبائت بمكة

وكان عامر بن فهيرة مولى ابى بكر ياتيهما كل ليلة بما يغذيهما من لبن واستأجرا
عبد الله بن الاريقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه
راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما وسار معهما عامر بن فهيرة
فاخذ بهما طريق البحر وجى اى قصد المصطفى على الخلق كلهم محمد صلى الله عليه وسلم
المدينة المسماة بطيبة لان الله طيبها بهجرته اليها ووقعت فى طريق الهجرة
غرائب منها انهم مروا بقديد على ام معبد الخزاعية وكانت تسقى وتطعم
من يمر بها وكانت فى سنة فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوه فنظر
الى شاة خلفها الجهد عن الغنم فسالها هل بها من لبن فقالت هى اجهد من ذلك
فقال اتاذنين لى ان احلبها قالت نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى ثم
الله فدرت وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة اخرى
عللا بعد نهل وتركوه وذهبوا فجاء زوجها فعجب منه فذكرت له القصة
واوصافه صلى الله عليه وسلم فقال والله هذا صاحب قريش ولو رايته
لاتبعته واخرج ابن سعد وابو نعيم ان تلك الشاة بقيت عندهم يحلبونها
ليلا ونهارا الى زمن عمر اخر تعرض لهم بقديد سراقة كما ياتى وروى
البيهقى انه اجتاز بعبد يرعى غنما فاستسقياه لبنا فاتاهما بشاة لا لبن فيها
فحلبها صلى الله عليه وسلم بعد ان دعى وسقى ابا بكر ثم الراعى ثم شرب وهذا محمول
على علمه سيد العبد مع ظن رضاه والجواب بان هذا مال حربى غير صحيح لان
هذا قبل مشروعية الجهاد ومع عدم مشروعيته لا يحل مال اهل الحرب كما لا
يحل قتالهم لان الواجب حينئذ مسالمتهم ولا يلزم الا بترك التعرض لاموالهم
كنفوسهم ولما سمع المسلمون بالمدينة بمقدمه صاروا يخرجون كل يوم
الى الحرة ينتظرونه الى قرب الظهر فانتظروه يوما وعادوا الى بيوتهم
واذا بيهودى على موضع عال يراه فصاح هذا جدكم اى حظكم يا بنى قيلة
اى الاوس والخزرج فخرجوا اليه سراعا بسلاحهم فنزل بقبا فقام ابو بكر

للناس

للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكتا فكانوا يحسبون
ان ابا بكر رسول الله لانه اسرع اليه الشيب مع انه اصغر سنا منه صلى الله عليه وسلم للشيب صح
حتى اذا اصابته الشمس ظلل عليه فعرفوه وكان ذلك يوم الاثنين قيل ولربيع
وقيل ثانى عشره وقيل غير ذلك وادركه على بقبا ولم يقم بعده بمكة الا ثلاثة
ايام ثم امر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة واقام بقبا اربع عشر
ليلة كما فى مسلم واسس مسجدها وهو اول مسجد بنى فى الاسلام ولذا كان
الاصح انه الذى اسس بنيانه على التقوى ثم ركب من قبا يوم الجمعة وصلاها
بمسجد الجمعة المشهور ثم ركب فكان كلما مر بدار من دور الانصار سالوه
النزول عندهم فيقول خلوا سبيلها اى ناقته فانها مامورة وارخى زمامها
فاستمرت الى ان بركت موضع باب المسجد ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها
حتى بركت بباب ابى ايوب رئيس بنى النجار اخوال عبد المطلب ثم ثارت منه
فى مبركها الاول ثم صوتت فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله
واشتاقت من الشوق وهو تحرك النفس وهو هنا مجاز نحو واسأل القرية
بل حقيقة اذ لا بدع فى قبل الجمادات حقيقة بان يخلق الله فيها ادراكا
حقيقيا ومنه وان من شىء الا يسبح بحمده ولو انزلنا هذا القرآن على جبل الاية
وتسبيح الحصى وتامين اسكفة الباب وحنين الجذع ونحو ذلك مما مر ان الاصح
فى مثل ذلك مما لا يحيله العقل ولا الشرع حمله على حقيقته كما فى حديث ما بين
منبرى وقبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى ولذا قال جماعة واختاره
بعض المحققين انه صلى الله عليه وسلم ارسل حتى الى الجمادات لتصريح خبر مسلم
بذلك معولا فى قوله صلى الله عليه وسلم وارسلت الى الخلق كافة اليه من مكة التى
هى مولده وام القرى وافضلها عند اكثر العلماء الانحاء اى الجهات والنواحى
لانها كانت معمورة بانفاسه صلى الله عليه وسلم فاستوحشت لفقده وبين نحن
والانحاء جناس الاشتقاق ان قلنا ان الانحاء جمع ناحية بمعنى نحوه اى

مقصوده ورد العجز على الصدر وكذا يبين تغنت والغنا وندا
والندا الابيات وتغنت بمدحه الجن المومنون ومرت قصة اجابتهم
وارساله صلى الله عليه وسلم الى جميع الجن امر معلوم من الدين بالضروره فيكفر
منكره كما اجمع عليه الامة اى ظهرت اوصافه الجميله فى صورة الغنا الذى
تولع به النفس ولا يصبر عنها فتنسع لغيره حتى اطرب الانس المومنين بل وغيرهم
منه اى الجن ذلك الغناء الذى سمعوه والطرب خفة تعترى الانسان
عند شدة حزن او سرور ذكر اهل السير عن اسما بنت ابى بكر رضى الله عنهما انها
قالت لما خفى علينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش فيهم
ابو جهل فقال اين ابوك قلت والله ما ادرى فلطم خدى لطمة خرج منها
قرطى ولما لم يدر اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى رجل من الجن يسمعون
صوته ولا يرونه وانشد هذه الابيات

جزى الله رب العالمين خير جزائه ❊ رفيقين حلا خيمتى ام معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا ❊ فافلح من امسى رفيق محمد
فيا آل قصى ما زوى الله عنكم ❊ به من فعال لا تجازى وسودد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم ❊ ومقعدها للمومنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها ❊ فانكم ان تسالوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حايل فتحلبت ❊ له بصريح ضرة الشاة مزبد

اي بلبن خالص

والضرة لحمة الضرع والصريح بمهملتين اوله وآخره الخالص بلبن خالص مزبد
نازل من ضرة الشاة ❊ فغادرها رهنا لديها لحالب ❊ يردها فى مصدر ثم مورد
اى خلف الشاة عندها مرتهنة بان تدر قالت اسما فلما سمعنا قول الجنى هذا
علمنا اين توجه النبى صلى الله عليه وسلم ولما وصل صلى الله عليه وسلم فى سفر هجرته الى
قديد محل قريب رابغ اقتفى اى تبع اثره سراقة بن مالك بن جعشم
المدلجى قال جانا رسل كفار قريش يجعلون فيهما ان قتلا او اسرا ثم بينما انا اذ ركبت

مستخفيا

مستخفيا فلما دنوت منهما عثرت بى فرسى فخررت ثم قمت وركبتها حتى اذا
سمعت قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت فبكا
ابو بكر وقال يا رسول الله اتينا قال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بدعوات فاستهوته فى الارض صافن اى طلبت ان تهوى به فيها
هذا مقتضى الصيغه وليس مرادا بل السين لمجرد التاكيد لان الذى فى
القصه انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بتلك الدعوات غاصت قوايم فرسه
فى الارض حتى بلغت الركبتين فخر عنها ثم زجرها فنهضت ولم تكد تخرج
يديها فلما استوت قايمه اذا لاثر يديها غبار ساطع فى السما كالدخان
والصافن من الخيل الذى يقوم على ثلاثة قوايم ويقيم الرابع على طرف الحافر
جرداء اى رقيقة الشعر قصيرته وهذه صفة مدح للخيل واصله
للشجرة التى قلم ورقها فاستعيرت للفرس ثم ناداه اى سراقة النبى
صلى الله عليه وسلم بعدما وصل اليه وقال الامان يا محمد بعدما قصد ربه
بسمت الفرس الخسف بفتح اوله وضمه قال الشارح فى موضع اى
اولينه ذلا وقال فى اخرى بعد اسامة الخسف للفرس اى بعد حصول الذل
للفرس المذكور وكان الحامل له على هذا ان ظاهر النظم انه لم يخسف بالفرس
حقيقة وليس كذلك لما علمت ان قوايمها غاصت فى الارض فحصل لها الخسف
الحقيقى لكن لبعضها فعبر الناظم بسمت الخسف بالنظر الى كلها اى سيمت
ان يخسف بها كلها وحينيذ لا تحتاج لما قاله الشارح فتامله ثم رايت
بعضهم صرح بنحو ما ذكرته فقال يقال سمته خسفا اوليته ذلا او كلفته
مشقه ويحتمل ان يريد بعدما قاربت ان يخسف بها ومن الحكم المناسبة هنا
لانها كالسبب لما قبلها فهو تذييل انه قد ينجد الغريق النداء اى الدعا
لله بانكسار وذلك كما وقع ليونس عليه السلام صلى الله على نبينا وعليه
وعلى ساير الانبيا والمرسلين وسلم قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا

وظن ان لن نقدر عليه اى نضيق عليه بسبب مغاضبته وفراقه
لقومه لاباتيهم عليه فنادى فى الظلمات الاية او النداء رفع الصوت لطلب
تخليصه لانه قد لا يعلم او لا يعبا به احد فاذا نادى وصاح تنبه الناس له
وانقذوه ولما طلب الامان قال اعلم انكما قد دعوتما على فادعوا الى لكما
ان ارد الناس عنكما ولا اضركما قالوا فدعوا لى فركبت فرسى حتى جئتهما قال
ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبرتهما باخبار ما يريد بهما الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم
يرزانى اى لم ياخذا منى شيئا وقال اخف عنا فسالته كتابا امن به فامر
عامر بن فهيرة فكتب لى فى رقعة من ادم اخرجها له يوم حنين فغفرها
وآمنه ومن يلوذ به تنبيه ذكر الناظم الهجرة وبعض ما وقع فيها من
المعجزات مع انه سيذكر وقايع وقعت له بمكة قبل الهجرة كالاسرا وكان
مقتضى الوقايع ان يذكر هذه كلها قبل ذكر الهجرة ليوافق الترتيب فى الواقع
ولعله اهتم بشان الهجرة فقدمها لتتنبه النفس الى الحكمة ذلك وهى انه انقطع
بها عنه صلى الله عليه وسلم كل ايذا كان يصل اليه من قريش وترتب عليها الظفر
بهم حتى استاصل شافتهم وقطع دابرهم فطوى الارض فى حال كونه سايرا
عليها وهذا كما طويت له قبل ذلك السموات العلى لما كان خوفها له اسراء
ليلة الاسرا الى ان جاوزها جميعها فى اسرع وقت فقطع مسيرة ثمانية الاف
سنة فى اسرع وقت اذ بين الارض والسما خمسمائة سنة وكذا سمك كل سما
وما بين كل سمائين هذا بالنسبة الى السما السابعة ولما بينها وبين ما وصل
اليه مما كان ثمة قاب قوسين او ادنى فلا يعلمه الا الله تعالى فيا لها من مسيرين
مسير فى الارض ومسير فى السما اظهر الله عليه فيهما عظيم قدره فى مسيره
واسرايه وافضلية تقدمه على جميع خلقه فى ارضه وسمايه قال بعض الايمة
والمعارج ليلة الاسرا عشرة سبع فى السموات والثامن الى سدرة المنتهى

والتاسع الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام فى تصاريف الاقدار
والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف
الحقيقى وقد وقع له صلى الله عليه وسلم فى سنى الهجرة العشر ما كان منها مناسبا
لطبقة لهذه المعارج العشرة ولهذا اختتمت بوفاته التى فيها اللقاء لربه والعروج
بروحه الكريمة الى الوسيلة وهى المنزلة التى لا ارفع منها كما ختمت معارج الاسرا
باللقا والحضور بحضرة القدس فصف ايها الناظر فى شمايله صلى الله عليه وسلم
وخصوصياته وما اكرمه الله به تلك الليلة وهى ليلة الاثنين او الجمعة او السبت
من رمضان او شوال او رجب وبه جزم النووى فى الروضة او الحجة او ثالث عشر
فى ربيع الاخر وجرى عليه النووى فى فتاويه او من ربيع الاول وجرى عليه فى شرح
مسلم بعد المبعث بخمس سنين ورجحه النووى او بعشر او باحدى عشرة او اثنتى
عشرة اقوال رجح كلا قوم التى وقع ذلك الاسرا فيها من مكة الى بيت المقدس
ثم منه الى السما ثم الى حيث شا الله وما راى من ايات ربه الكبرى اى اذكر صفاتها
الجليلة بما يمكنك والاجمال ان تستوعبها او ان تاتى بتفصيل ما يحيط بها كيف
وقصة الاسرا والمعراج من اشهر المعجزات واظهر البراهين والبينات واقوى
الحجج واصدق الانبا واعظم الايات ومن ثم قال بعض المفسرين انها افضل
من ليلة القدر لكن بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لانه اوتى فيها ما لا يحيط به
الحد ولذا كان الاسرا بالجسم فى اليقظة من خصايص نبينا صلى الله عليه وسلم
وخالف فى كونه بالجسم وكونه فى اليقظة من لا يعتد بخلافه وزعم تعدد الاسرا
لتباين الروايات فيه تباينا منتشرا ولا يمكن الجمع بينهما الا بدعوى التعدد
بالجسم تارة والروح اخرى مردود والاصح انه اسرا واحد بالجسم والروح
فى اليقظة وان ما خالف الجادة من الروايات ان امكن تاويله تعين والا
حكم عليه بانه وهم كرواية ان الاسرا كان قبل البعثة فان الاجماع على انه
بعدها على نفا اولت وكان للمختار صلى الله عليه وسلم فيها عجايب منها

انه جاء جبريل وفي رواية ميكائيل وفي اخرى ذكر ثالث ولا مانع ان جبريل
نزل اولا ثم ميكائيل ثم الثالث بالحطيم او شعب ابي طالب وبيته او بيت
ام هاني بعد ان انفرج سقفه روايات جمع بينها بانه بات في بيت ام هاني
وبيتها عند شعب ابي طالب واضيف اليه لانه كان يسكنه فاخرجه الملك
منه الى المسجد فاضطجع لاثر نعاس كان به ثم اخذه فاخرجه من المسجد فاركبه
البراق فاستمرت يقظته وفي رواية انه كان بين النايم واليقظان محمول على
ابتداء الامر وفي رواية فلما استيقظت اي من شغل البال بمشاهدة الملكوت
وحكمة كونه لم يأته من باب البيت انه انصب من السما انصبابة واحده بازاء
محله الذي هو فيه فلم يعرج على غيره مبالغة في المفاجاة وتنبيها على ان الطلب وقع
على غير ميعاد لاظهار انه مراد ووقع في موسى ميعاد تنبيها على انه مريد وشتان ما
بينهما وايضا ففي فرج سقف البيت والتامه عقبه تنبيه على شق صدره الشريف
تلك الليلة وانه لا باس عليه فيه ومرت قصة شقه هنا عند ذكر الناظم الشق عقب
رضاعه عند حليمة ومنها ان الملك لما اخرجه من المسجد اركبه على البراق فكان له
عليه استواء اي استقرار وتمكن مع انه لم يركبه قبل ذلك ولا هو من جنس ما يركبه
الادميون وهو كما صح به الخبر دابة اي تشبهها اذ هو ليس بذكر ولا انثى دون
البغل فوق الحمار ابيض يضع خطوه عند اقصى طرفه وذكره باعتبار كونه مركوبا
وسمي بذلك من البرق لسرعة سيره او من البريق او من قولهم شاة برقاء اذا
كان في خلال بياضها سواد وقوله يضع خطوه الخ معناه انه يضع رجله
عند منتهى ما يرى بصره وقال ابن المنير اي يقطع ما انتهى اليه بصره في خطوه
واحده قال فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السما في خطوة واحده
لان بصر الذي في الارض يقع على السما فبلغ اعلى السموات في سبع خطوات
انتهى وهذا انما ياتي على رواية فحملت عليه اي البراق حتى انطلق حتى
انطلق بي جبريل الى السما الدنيا اذ ظاهرها انه استمر عليه حتى وصل الى

السما

السما والمشهور انه استمر عليه الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج كما ياتي
وفي رواية لابي يعلى والبزار اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط
ارتفعت يداه وفي رواية شاذة له جناحان واخرى ضعيفة له خد كخد
الانسان وعرف كعرف الفرس وقوايم كالابل واظلاف وذنب كالبقر وكان
صدره ياقوتة حمرا وفي رواية صحيحة اتي به مسرجا ملجما فاستصعب عليه
فقال له جبريل ما حملك على هذا اما ركبك قط اكرم على الله منه فارفض عرقا
وظاهرها كصريح رواية النسائي وابن مردويه وكانت تسخر للانبيا قبله
اذ الانبيا كانوا يركبونها ولم يطلع عليها بعضهم فنفى ركوب غيره صلى الله عليه وسلم
فاستصعابه ليس لعدم الفه الركوب بل لبعد عهده به او ليظهر جبريل له مزية
صلى الله عليه وسلم واتفاقا على ساير المراتب وانما لم يكن البراق على شكل
الفرس اشارة الى ان ركوبه في سلم وامن لا حرب وخوف والى ظهور المعجزه
بوقوع هذا الاسراع الباهر من دابة على هذا الشكل وصح ان جبريل حمله
على البراق رديفا له ورواه احمد بلفظ على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا
الى بيت المقدس واول بعضهم ذلك بما لا حاجة اليه اذ ركوب جبريل معه
لا ينافي كونه في خدمته وصح انهما مرا بيثرب فامره ان ينزل فيصلي وبمدين
فامره بذلك وببيت لحم الذي ولد فيه عيسى فامره بذلك واراه عجايب اخرى
الى ان وصلا الى بيت المقدس فنزلا وربطه اي جبريل كما مر في رواية لكن
في اخرى النبي صلى الله عليه وسلم ويجمع باحتمال انهما ربطاه معا بالحلقة
التي كانت الانبيا تربط بها ثم دخل وبعث له جماعة من الانبيا فصلى بهم
وصح في رواية اي بارواح الملايكة اي مع اجسادهم لرواية ثم دخلت المسجد
فعرفت النبيين ما بين قايم وراكع وساجد ثم اذن مؤذن فاقيمت الصلوة
فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم
وفي رواية لاحمد فاذا النبيون اجمعون يصلون معه وفيها زيادة على

رواية جماعة منهم فيؤخذ بتلك الزيادة وفي حديث ما يدل على
انه صلى بهم في بيت المقدس من بعد العروج ايضا وتلك الصلاة قبله
الصبح اى بناء على انه صلى فيه بعد العروج وقبل العشا اى بناء على انه
صلى فيه قبله ولما فرغ من امامتهم نصب له المعراج كما في رواية ابن هشام
والبيهقي وغيرهما وضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وعن
يمينه ملايكة وبيساره ملايكة ثم صعد فيه هو وجبريل حتى انتهيا الى باب
السما الدنيا فاستفتحاه ففتح لهما وهكذا الى السما السابعة ورأى
في السما الاولى ادم وعن يمينه ارواح المومنين فاذا نظر اليهم ضحك وعن
يساره ارواح بنيه الكفار فاذا نظر اليهم بكى اى انه يكشف له عنهم وهم
في النار التي هي مستقر ارواحهم والنيل والفرات ابن انتهيا وهما فابتداهما
من سدرة المنتهى وفي الثانية يحيى وعيسى وفي الثالثة يوسف وفي حديث
البيهقي وغيره فاذا انا برجل اى بيوسف احسن ما خلق الله قد فضل الناس
بالحسن كالقمر ليلة البدر على ساير الكواكب والمراد غير نبينا صلى الله عليه وسلم
لخبر الترمذي ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم
احسنهم وجها واحسنهم صوتا على ان للاصوليين قولا اشتهر واعتمده
النووي وغيره في موضع واعتمده اخرون ايضا ان المتكلم لا يدخل في عموم
كلامه ومن ثم قال بعض المحققين المراد اعطى شطر الحسن الذي اوتيه نبينا
صلى الله عليه وسلم وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة هرون وفي السادسة
موسى وفي السابعة ابرهيم وهذه مقدمة على رواية لم تضبط منازلهم وعلى
رواية ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وابرهيم في السادسة وموسى
في السابعة لان سياقها يدل على انه لم يضبط منازلهم كما صرح به الزهري
فالاولى التي فيها انه ضبطها اولى على انه يجمع بين الروايات المختلفة في ذلك
بانه راهم في الصعود على كيفيات وفي الهبوط على كيفيات اخر فلما جاوز

موسى

موسى بكى فقيل ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته
الجنة اكثر مما يدخل من امتي وبكاوه ليس بحسد حاشاه الله من ذلك بل
غبط وحزنا على ما فاته من مضاعفة اجوره بنبينا بكثرة اتباعه وصالحيهم
الى ما لا نهاية له او رحمة لامته لما وقع منهم بعده مما لم يقع نظيره لهذه
الامة وذكره بغلام لانه اصغر منه سنا ولان قوة الشباب معه الى سن
الشيخوخة وحكمة تخصيص هولاء بالتلقي الاشارة بكل الى ما سيقع له
كالاخراج من الجنة ثم العود اليها والهجرة من مكة ثم العود اليها وكمعادات
اليهود له اوايل الهجرة كما عادوا عيسى وارادوا قتله وتحيى وقتلوه وكمعادات
اهله له وكرجوع قومه الى محبته وكدعا الجنة لقومه كما عالج موسى قومه وكتمكنه
من مكة والكعبة وتمتعه بهما كما وقع لابرهيم ومن ثم راه مسند ظهره الى البيت
المعمور الذي بحيال الكعبة ويدخله من حين خلق الله الخلق الى الابد كل يوم
سبعون الف ملك فلا يعودون اليه واخذ منه ان الملايكة اكثر المخلوقات
واختلفوا في روية هولاء الانبيا صلى الله على نبينا وعليهم وعلى ساير
المسلمين وسلم فقيل الارواحهم الا عيسى فانه رفع بجسده وكذا ادريس على
قول واختلف قايلوا هذا في الذين صلوا معه في بيت المقدس فقيل
الارواح ايضا وقيل الاجساد وقيل خرق الله الحجب له حتى راى كلا في
قبره من المحل الذي اخبر به وقيل رفعوا من قبورهم تلك الليلة لتلك
المواضع اكراما له صلى الله عليه وسلم وبعد ان جاوز السما السابعة رفعت له سدرة
المنتهى فراها وقد غشيها من امر الله ما غشي حتى تغيرت فما احد من خلق الله
يستطيع ان ينعتها من حسنها وراى النيل والفرات وسيحان وجيحان يخرج
من اصلها ورواية انها من الجنة لا يعارض ذلك لان ذلك الذي ينبع منه تلك
الانهار في الجنة فلا ينافي ما قيل اصلها في السما السادسة وعليه حمل رواية انه
راها فيها واعلاها في السابعة وعليه يحمل ما مر انها فيها وسميت بذلك لانه

فهذه سنة ...

يمنعها

ينتهي اليها علم الخلايق ولم يتجاوزها احد الا نبينا صلى الله عليه وسلم قاله النووي
رحمه الله ويتعين حمله على انه لا يتجاوزها من الملايكة الذين ينزلون الى الارض
ويصعدون بالاعمال لما ياتي انه صلى الله عليه وسلم جاوزها الى مستوى يسمع فيه
صريف اقلام الملايكة ثم ادخل الجنة واحاط بها صلى الله عليه وسلم كما في رواية
البخاري حتى ظهر بمستوى اي محل عال يسمع فيه صريف الاقلام اي تصويت
اقلام الملايكة بما يكتبونه من اقضية الله الخ وفي رواية لم تثبت كسا يرد روايات
الحجب ثم زج بي في النور زجا فخرقت سبعين الف حجاب كل حجاب مسيرة
خمسماية عام ثم دلي لي رفرف اخضر ثم احتملني حتى وصلت الى العرش وهذه
الحجب بفرض صحتها انما هو بالنسبة الى المخلوقين واما هو تعالى فلا يحجبه شي وصح
عن انس عنه صلى الله عليه وسلم قال عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنى
الجبار اي تقربه المعنوي كما ارشد اليه قول رب العزة جل جلاله فتدلى فكان
قاب قوسين او ادنى كما قال الناظم وترقى اي صعد البراق به الى قاب قوسين
وقاب القوس ما بين مقبضه واخره وتره فلكل قوس قابان ومن ثم قيل في
الاية قاب اي قابي قوس ويرد بانه لا ينبغي ذلك بل المراد تشبيه قربه صلى الله
عليه وسلم المعنوي من ربه بقرب قاب القوس اذا الصق بقاب قوس اخر ثم رايت
بعضهم قال قاب قوسين اي مقدار قوسين وقاب قوس اي قدر طولها وقيل
قدر الوتر منها قال الجوهري يقول بينهما قاب قوس اي قدر قوس تنبيه
ما افهمه كلام الناظم ان البراق ترقى به صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين هو ما
دلت عليه رواية البخاري ولفظها فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى السما
الدنيا فاستفتح ثم قال ثم صعد بي حتى اتى السما الثانية وهكذا لكن صح في الاحاديث
بانه استمر على البراق الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج فارتقى عليه كما مر
وظاهرها انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس لا غير ولهذا
التنافي ذهب بعضهم الى ان الاسرا على البراق وقع مرتين مرة الى

بيت

بيت المقدس ومرة من مكة الى السما لكن رد هذا بان الاصح انه لم يتعدد
وانه لا ينافي وانما الذي ذكر ذهابه عليه من مكة الى السما الدنيا ثم التي بعدها
وهكذا وجرى عليه الناظم كما علمت فالاولى الجواب جمعا بين الروايتين
اختصر ذكر بيت المقدس وفيه نظر لان رواية البخاري السابقة صريحة في
انه لا معراج وانه استمر راكب البراق الى السما بان من ذكر بيت المقدس والمعراج
معه زيادة علم فقدم وعليه فيكون لما وصل في المعراج الى سما الدنيا ركب
البراق واخترق به السموات وما فوقها فهذا اعني رواية البخاري الظاهرة
فيما في النظم والجمع بينهما وبين الرواية الاخرى المشهورة التي عليها العمل
يظهر عذر الناظم في ذكره انه ركبه الى منتهى وصوله لكن في جزمه به نظر ظاهر
والحاصل انه بعد وصوله الى سما الدنيا يحتمل انه استمر راكبا البراق على
ظاهر الرواية الاولى وانه حتى له ثانيا على الرواية الثانية ويحتمل انه ذهب
من غير ركوب شي تعظيما للسموات اذ هن افضل من الارضين عند الاكثرين
وعلى مقابلة المنصور لان الانبيا خلقوا من الارض وهي مدفنهم ومستقرهم
وهم افضل من الملايكة فتعظيما لمن فيهن ممن اجتمع به من الانبيا والملايكة ولا
يقال السما لم يعص الله فيها بخلاف الارض لانا نقول هذه مزية وقد
يكون في المفضول مزايا على ان ذلك منتقض بما وقع لادم وحوا وابليس
وادعا انهم لم يكونوا في السما يحتاج لدليل وعلى التنزل فكون المعصية
تقع في محل دون محل يقتضي افضلية الثاني غير مسلم فعلى مدعيه اثباته
بدليل يدل له وانما قلنا فالاولى الجواب الى اخره ولم نقل بالتعدد لان
مجرد اختلاف الروايات في هذا الامر الجزئي لا يقتضيه على ان ما وقع في تلك
الليلة من فرض الصلاة وغيره ذكر في كل من رواية الى السما ورواية الى
بيت المقدس وهذا صريح في اتحاد الاسرا وعدم تعدده فتامل ذلك
كله فانه مهم واعلم ان هذا التدلي والدنو المذكور في احاديث انس وغيره

مطلب الافضلية بين السموات والارض

من احاديث المعراج عين التدلي والدنو في اول سورة النجم فان
هذا في حق جبريل كما صح عنه صلى الله عليه وسلم وصح ايضا انه لم يره
في صورته التي خلق عليها الا في هذه المرة المذكورة في الاية ومرة
اخرى عند اوايل البعثة كما مر وتلك المرتبة التي وصل اليها صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج هي السعادة القعساء اي الثابتة الدايمة
التي لا يطرقها تغير ولا زوال ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى ذلك القرب
الذي لم يصل اليه مخلوق فرض الله عليه وعلى امته في كل يوم وليلة خمسين
صلاة فرجع فمر على موسى فساله عما فرض عليه وعلى امته فاخبره فامره
ان يرجع الى ربه ويساله التخفيف لامته فانهم لا يطيقون ذلك فرجع وسال
فحط عنه خمسا ثم رجع فامره بالرجوع ايضا فرجع فحط عنه خمسا وهكذا
الى ان بقيت خمسا فامره بالرجوع وقال له ان بني اسرايل فرض عليهم
صلاتان فما قاموا بهما فقال استحييت من ربي وفي رواية علمت انها
عزمة من ربي فلا اراجعه فقال هن خمس اي في الفريضة وهن خمسون
اي في الثواب لا يبدل القول لدي وحكمة فرضها في هذه الليلة انه
صلى الله عليه وسلم لما شاهد تعبد الملايكة بها وان منهم مديم القيام ومديم
الركوع ومديم السجود واعطاه الله ذلك لامته في ركعة يصليها الواحد
منهم بشروطها وادابها واختص موسى عليه السلام بامره بتلك المراجعة لانه
اطلع من صفات هذه الامة على ما حمله على قوله اللهم اجعلهم امتي فقال له الله
تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني منهم وهو حديث مشهور فكان اعتناوه
بهم كما يعتني بالقوم من هو منهم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فمررت ونعم
الصاحب كان لكم وفي رواية كان اشدهم علي حين مررت به وخيرهم لي
حين رجعت فايدة اختلف العلماء قديما وحديثا في ان نبينا صلى
الله عليه وسلم راى ربه في هذا المقام الذي وصل اليه دون غيره من الخلق

بعين

بعين راسه او بعين قلبه فقط والذي صح عن ابن عباس في رواية انه
راه بعين بصره وفي اخرى انه راه بقلبه ولا تخالف لانه صح عنه كما رواه
الطبراني باسناد رجاله رجال الصحيح الا واحد فوثق ابن حبان انه
راه مرتين واحدة بالعين وواحدة بالقلب بمعنى انه خلق فيه ادراكا
كادراك البصر وليس المراد مجرد العلم لانه حاصل له بل ولغيره فلا خصوصية
ورواية ابن مردويه عنه لم يره بعينه لم تصح وبتسليمها فالاثبات مقدم
على النفي وجاء عن انس باسناد قوي راى محمد ربه واطلاق الرؤية انما تنصرف
لرؤية العين وكان الحسن البصري رحمه الله يحلف انه راى ربه وبذلك قال
عروة وساير اصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهري ومعمر واخرون
وهو قول الاشعري وغالب اتباعه وانكرت عايشة رضي الله عنها وابن مسعود
الرؤية قال النووي لكن خالفها غيرها من الصحابة والصحابي اذا خولف لا يكون
قوله حجة اتفاقا ولا حجة لها فيما في مسلم عنها ان مسروقا قال لها لما انكرت
الرؤية الم يقل الله ولقد راه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يا رسول الله هل رايت ربك فقال لا انما رايت
جبريل وذلك لانها سالت عما في الاية فاجابها بانه لم يره اي في قصة الاية وقد
مر انها غير قصة المعراج وان التدلي والدنو الذي في قصة المعراج غيرهما
في الاية ولا حجة لها في لا تدركه الابصار لان المراد لا تحيط بحقيقة ذاته العلي
بدليل الى ربها ناظرة واذا جازت في الاخرة جازت في الدنيا لتساويهما
بالنسبة للمرئي وسوال موسى اياها في الدنيا اظهر دليل على ذلك اذ لا يجوز
على نبي ان يسال محالا وانكار المعتزلة قبحهم الله لها حتى في الاخرة من
بدعهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة وعلى جوازها في الدنيا لم تقع
الا لنبينا صلى الله عليه وسلم وصح في مسلم واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى
تموتوا ومعنى خبر مسلم عن ابي ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن ذلك فقال نور انى اراه ان النور حال بينه وبين رؤيته ببصره
فكيف يراه مع ذلك وقد مر انه راه مرة ببصره ومرة بقلبه تسبب عن
حصول ذلك النور فلا ينافى وقوع الاولى وسئل احمد رضى الله عنه عن قول
عايشة من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية بم يدفع قولها قال
بقول النبى صلى الله عليه وسلم رايت ربى قول النبى صلى الله عليه وسلم اكبر واذا تاملت
ما وقع له صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا من الكرامات التى تميز بها على ساير الخلق
علمت انها رتب جليلة تسقط الامانى جمع امنية حسرى جمع حسير
من حسر اعيى دونها ظرف لتسقط اى لجلالة هذه الرتب وعزتها على الخلق
سقطت امنياتهم وتخلفت طلباتهم وآمالهم عن نيل هذه الرتب فلم
يستطيعوا التوجه اليها حال كونها عاجزة عن التاهل لها ولم لا وهى ما
وراهن وراء اى ما قدامهن قدام بمعنى انه ليس بعدهن مرتبة ينالها
مخلوق غيره صلى الله عليه وسلم ثم لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سفر الاسرا مر بعير لقريش تحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان سودا
وبيضا فلما حاذى العير نفرت منه واستدارت وتصرع ذلك البعير فسلم
عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد وراى بعيرا ضل وجمعه واحد منهم
ثم وافا بمكة قبل الصبح فاصبح يحدث الناس بما راى من تلك العجايب
والكرامات لقوله تع واما بنعمة ربك فحدث شكرا اى من جهة الشكر او لاجل
قيامه بشكر ربه او حال كونه شاكرا لانعم اذ لاجل او وقت اتته من
ربه النعماء فى تلك الليلة وحينئذ ارتد ناس كانوا اسلموا فذهب مشركون لابى
بكر وذكروا له انه يخبر انه ذهب الى بيت المقدس وجاء فى ليلة فقال
صدق فانكروا عليه فقال انى لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك فى خبر السماء
فى غدوة وروحة فلذلك سمى الصديق رضى الله عنه وكرم وجهه رواه الحاكم
فى مستدركه وابن اسحق وزاد ان ابا بكر جاءه فقال يقولون انك الليلة اتيت

كانوا مع

بيت المقدس

بيت المقدس قال نعم قال صفه لى فانى جئته فوصفه له كما هو لانه
رفع اليه فجعل ينظره ويصفه وابو بكر يصدقه ويقول له صفه انما هو ليرد به
على من يشكل فى ذلك ورفعه له حتى ينظره رواه البخارى وكذا مسلم وزاد انهم
سالوه عن اشيا فيه لم يثبتها فكرب كربا ما كرب مثله قط ووضعه قريبا منه
وعليه يحمل رواية فجئ بالمسجد اى بمثاله واما بحمل المسجد نفسه اليه
وهذا الاظهر لما مر وانشا قت اليه من مكة الانحا ونظيره مجئ عرش
بلقيس الى سليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلم فى طرفة العين واما بازالة
الحجب بينه وبينه ولهذا ظهرت الحكمة فى الاسرا الى بيت المقدس ثم
العروج منه الى السما لما تقرر ان فيهم من راى بيت المقدس فوصفه لهم
كما هو مع علمهم بانه لم يذهب اليه قط اوضح اية على صدقه فى جميع ما
اخبر به من امر السما وبما اخبرهم به انه قال لهم من اية ما قول لكم انى مررت
بعير لكم فى مكان كذا وقد اضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان وان مسيرهم ينزلون
بمكان كذا وياتونكم يوم كذا يقدمهم جمل ادم عليه مسح اسود وغرارتان
فلما كان ذلك اليوم اشرف الناس ينظرون حتى اذا كان قريب من
نصف النهار اقبلت العير كما وصف وفى رواية اخبرهم بقدوم العير
يوم الاربعا فلما كان يومه كادت الشمس ان تغرب ولم يقدموا فدعا الله تع
فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وعطف على وافا قوله وتحدى صلى
الله عليه وسلم كفار مكة وعيرهم بما وقع له ليلة الاسرا وما تقدم من المعجزات
كانشقاق القمر اى طلب منهم ان يعارضوا ما جاء به شاهدا على نبوته
بان ياتوا بنظيره والا كانوا كاذبين مدحوضين فارتاب اى شك وخرس
كل مريب فانقطع عن المعارضة ولم يسعه الا التسليم فمنهم من اسلم
ومنهم من مات كافرا وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
ويلزم من انقطاع معارضتهم ايضاح امره وانه لم يبق فيه شك ولا ريب

ورفعه له اما بحمل مثاله مر

ومن ثم قال سنكوا على من بقي عنده من ذلك شكا بيتضح ذلك الامر
يبقى معه ريب لا بل اتضح وما بقي منه شك اصلا وكيف يبقى مع السيول
حاله من قوله الغثاء وهو بضم المعجمة وبالمثلثة ما يحمله السيل مما يجف من
النبات فكان هذا الغثاء لا يبقى مع السيل بل يذهب به ويمحلك في اسرع
وقت فكذلك ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الايات البينات والبراهين
الواضحات لا يبقى معه لولا الخذلان الالهي شك بل يذهب ويضمحل في
اسرع وقت فعلم انه استعار السيول لما اتى به صلى الله عليه وسلم لان
بها الحياة الحسية وجعلنا من الماء كل شيء حي كما ان مما جاء به الحياة المعنوية
والغثا لما يخلوه لانه امر حقير لا بقاء له كما ان الغثا كذلك وفي ارتياب
ومريب جناس الاشتقاق وفي الختم بالجملة الاستفهامية التذييل
نحو وهل يجازي الا الكفور تنبيه ما قدرته بعد همزة الاستفهام
هو راى الزمخشري ومن تبعه وهو التحقيق وان كان خلاف ما عليه سيبويه
والجمهور فتقدر في نحو اولم يسيروا في الارض امكثوا اولم يسيروا وفي
افلا تعقلون اتجهلون فلا تعقلون وفي اثم اذا ما وقع اتكفرون ثم
اذا ما وقع امنتم به فالهمزة في الكل في محلها الاصلي والعطف على جملة
مقدرة بينها وبين العاطف محافظ على اقرار حرف العطف على حاله
من غير تقديم ولا تاخير ورد ابي حيان لذلك بانه تقدير ما لا دليل عليه
وابن هشام بان فيه تكلفا وانه غير مطرد فيه نظر بل اليه حاجة وهي
ان المعنى معه اقوم واوضح مع رعاية قاعدة الهمزة وحرف العطف
ودعوى عدم اطراده ممنوعة لان السياق حيث وجد فيه ذلك يكون
قاضيا بذلك المحذوف واعلم ان الهمزة اصل ادوات الاستفهام ومن
ثم اختصت بجواز حذفها نحو هذا ربي في المواضع الثلاثة اي اهذا
ربي وفي وتلك نعمة تمنها علي اي اوتلك نعمة وبانها ترد لطلب التصور

نكان

تارة

تارة والتصديق اخرى وهل تختص بالثاني والتنبيه بالاول وبانها تتقدم
على العاطف كما هنا تنبيها على اصالتها والتنبيه تتاخر عنها وبانها تدخل
على الشرط نحو افان مات او قتل وعلى الاثبات والنفي وهو يدعو
حال من فاعل تحدى اي تحدى الناس والحال انه مع انكارهم وارتيابهم
لا يفتر عما امر به من التبليغ والدعا الى الاله اي المعبود بالحق الذي لا يعبد
غيره وهو الله تع وفي الى واله تجانس الناقص ولم ينظر الناظم الى كون
الاله اسم جنس في الاصل لكل معبود لان الائمة اعرضوا عن هذا الاصل
واستعملوه في المعبود بحق فقط فصار علما بالغلبة ولم يزل صلى الله عليه وسلم
يجدد دعاءه الى الله وان شق عليه كفره اي الاله او النبي وازدراء اي
احتقار وانتقاص له فهو صريح لذلك الدعا متحمل المشقة انكارهم وقبيح
كفرهم وازدرائهم له ومما جاء به اخرج اهل السير انه صلى الله عليه وسلم كان
يطوف على الناس في منازلهم يقول لهم يا ايها الناس ان الله يامركم ان
تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وابو لهب عمه وراءه يقول يا ايها الناس
ان هذا يامركم ان تتركوا دين ابائكم ورماه الوليد بن المغيرة لعنه الله
بالسحر وتبعه قومه على ذلك واذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون
ومنهم من كان يحثو التراب على راسه ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة
ابن ابي معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه
تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا راسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره
فقام ابو بكر دونه قايلا اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وصح ان عقبة بن
ابي معيط لف بعنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا وهو بفنا الكعبة
فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر ودفعه عنه وروى احمد في مسنده اول
من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار
وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمنعه الله اى عن القتل بعمه ابى طالب واما ابو بكر فمنعه الله بقومه واما
سايرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم فى الشمس
وان بلالا هانت عليه نفسه فى الله عز وجل وهان على قومه فاخذوه واعطوه
الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكه وهو يقول احد احد اى تمزج
مرارة العذاب بحلاوة الايمان ومر اللعين ابو جهل بسمية ام عمار
ابن ياسر وهى تعذب فطعنها بحربة فى فرجها فقتلها واخرج البيهقى
عن عروة ان ابا بكر رضى الله عنه اعتق ممن كان يعذب فى الله سبعة منهم
الزنيرة اى بكسر الزاى وتشديد النون المكسورة فعميت فقالوا ما اعماها
الا اللات فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها وهو مع ذلك
ايضا يدل الورى اى الخلق وكان الناظم اخذ هذا من الحديث الصحيح
وارسلت الى الخلق كافة فاما الانس والجن فبالاجماع المعلوم من الدين
بالضرورة فيكفر منكره كما مر واما الملايكة فعلى الاصح عند جمع محققين
كما يصرح به هذا الحديث وقوله تع ليكون للعالمين نذيرا اذ هم داخلون في العالم اذ
العالم ما سوى الله واستحالة هذا فى العقل انما هو لتغليبهم لفضلهم
وقول الرازى اجمعنا على ان المراد الانس والجن مردود واما بقية الجمادات
فعلى ما ذهب اليه بعض محققى المتاخرين ومعنى ارساله للملايكة وهم معصومون
انهم كلفوا بتعظيمه والايمان به واشادة ذكره وللجمادات ان يركب فيها
ادراكات لتؤمن به وتخضع له وان من شى الا يسبح بحمده اى حقيقة
لا بلسان الحال فقط خلافا لمن زعمه على الله اى على العلم بذاته واسمايه
وصفاته وافعاله وبما يجب له من اثبات كل صفة كمال وسلب كل صفة
نقص بل وكل ما لم يصل الى علم غايات الكمال وما يجوز له من ايجاد الخلق
واعدامهم وبما يمتنع عليه من المحالات التى لا يتعلق بها القدرة كما هو مقرر
فى محله وبالتوحيد اى نطلب منهم توحيده تعالى بان يعرفوا انه تعالى واحد فى

ذاته

ذاته فلا تعدد له بوجه وصفاته فلا نظير له بوجه وافعاله فلا معين ولا
شريك له فيها بوجه وظاهر المتن ان الباقى بالتوحيد بآء الالة ككتبت بالقلم
وبوجه بان العلم بالتوحيد كما ذكرناه شاعه العلم بما يليق بذات الله تعالى
واسمايه وصفاته وافعاله كما تقرر وهو اى العلم بكل ذلك والدال عليه
المحجة اى الطريقة الى رضا الله تعالى التى امرتها وبينت عليها البيضاء
اى النيرة المضيئة الواضحة التى لا يضل سالكها ولا ينقطع ولا يخشى فيها
من افة وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم تركتكم على الواضحة البيضا
ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يزيغ فيها الا هالك ولما صبر صلى الله عليه وسلم
على تبليغهم مع ما حصل له منهم مما اشار اليه الناظم بقوله وان شق عليه الخ
اطلع الله اكثرهم حتى صاروا من اكابر اتباعه كما قال فبما هى زايده رحمة
واصله اليه من الله وهى فى الاصل ميل وعطف نفسانى غايته التفضيل
والانعام او ارادتهما والمراد هنا هذه الغاية لاستحالة العطف والميل على الله تع
وكذا كل صفة وردت فى القران او السنة لله تع واستحال عليه معناها
يراد بها غايتها اى فبسبب رحمة الله لهم وعطفه عليهم ببركة لين رسوله
وصبره عليهم كما يشير لذلك قوله تع فبما رحمة من الله لنت لهم اى الذى
اقتبس الناظم منه هذا ليفظ قلوبهم وازال ما فيها من كبر وغى لحينيذ
لانت صخرة هى الحجر العظيم من بيانيه وجعل الشارح ذلك صفة لصخرة
مع كون من بيانيه بعيد اباتهم اى امتناعهم صماء اى صلبة لا يوثر فيها
معول على خلاف العاده وبه يظهر حسن التقابل بين لانت وصماء
وهو من الطباق ويسمى المطابقة والتضاد ايضا وهو ان يجمع بين معنيين
متقابلين فى الجمله بتضاد او نفى واثبات او عدم وملكة او نحو ذلك اى زال
امتناعهم عن طاعته فيما يامرهم به فاطاعوه واتبعوه فعلم انه استعار الصخرة
التى فى غاية الصلابه لاباتهم منه اولا اذ كانوا على غاية النفرة منه والبغض

مطلب في خضرة السما

والابذاله وللبوتها وزوال صلابتها لانتباعهم له وانقيادهم
لجميع اوامره ونواهيه اخرا وبين ان ذلك كله انما هو بواسطة رحمة
الله وهدايته لهم لا بحوله صلى الله عليه وسلم ولا بقوته انك لا تهدى من
احببت ولكن الله يهدى من يشاء، وبعد ان لا نواله ببركة لينه لهم لم
يزل لينهم يتزايد حتى استجابت له اى اجابت دعوته وامتثلت
اشارته بنصر وفتح اى مع او بسبب ما اعطاه الله من النصر على الاعدا
بكثرة الاتباع والقا الرعب فى القلوب والفتح لبلادهم باخماد شوكتهم
واستيصال شافتهم بعد ذاك اى الضعف الذى كان به صلى
الله عليه وسلم وباتباعه لقلتهم وتحريم قتال الاعدا ونصهم على
مناواته ومعاداته لقوة شوكتهم وكثرة عددهم وعددهم الخضراء اى
السما سميت بذلك لانها نرى كذلك فقد قال ابو القسم بن ابى
برة ليست السما مرئية لكنها مقبوة براها الناس خضراء وبين
الثورى سبب ذلك فقال بلغنا ان صخرة تحت الارض اى خضرا
كما فى حديث البزار وغيره منها خضرة السما اى وليست فى الحقيقة
كذلك للحديث انهم قالوا يا رسول الله ما هذه السما قال هذا مكفوف موج
عنكم ومن ثم سيل ابن عباس رضى الله عنهما السما من اى شى فقال انما من
موج مكفوف ويوافقه قول على كرم الله وجهه فى حلفه والذى خلق السما
من ما ودخان وقال كعب السما اشد بياضا من اللبن وقال الربيع بن انس
السما الدنيا موج مكفوف والثانية من مر بيضا والثالثة حديد والرابعة
نحاس والخامسة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمرا وجاء عن
سلمان الفارسى رحمه الله لكن بسند واه السما الدنيا من زمرد اخضر
والثانية من فضة والثالثة من ياقوتة حمرا والرابعة من درة بيضا
والخامسة من ذهب حمرا والسادسة من ياقوتة خضرا والسابعة

مطلب في كيفية الارضين

من نور والغبراء اى الارض سميت بذلك لان جميع طبقاتها
من طين كما جاء عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما اراد الله ان يخلق الاشيا
اذ كان عرشه على الما واذ لا ارض ولا سما خلق الريح فسلطها على
الما حتى اضطربت امواجه واثار ركامه فاخرج من الما دخانا وطينا
وزبدا فامر الدخان فعلى وسما فخلق منه السموات وخلق من الطين
الارضين وخلق من الزبد الجبال وبين الخضرا والغبرا ما برفى لا تنت
وصالكن يسمى هذا التدبيج لذكر الالوان فيه ومعنى استجابة السماء
والارض له صلى الله عليه وسلم استجابة اهلهما ويحتمل انه استعار بالسما للرفيع
من الناس وبالارض للوضيع اى اجابة الرفيع والوضيع حتى لم يتخلف من اهل
مكة وغيرهم احد عنه اذ لم يبق الا مسلم او مسالم وعلى الاول فتنبيه الناظر
استجابة اهل الارض بالنصر والفتح بتلك النعمة ظاهر واما تفسير استجابة
اهل السما بها فهو بمعنى انه لم تنصرته الملايكة الابيدر وما بعدها وذلك
انما هو بعد قوته والقاء رعبه فى القلوب والاذن له فى الجهاد والفتح عليه ينزل هو
ومن جملة استجابة اهل الارض له بعد ذلك انه اطاعت لامره وهو القول
الدال على الطلب بلفظ افعل ونحوه ولنهيه وحذفه لفهمه مما ذكر العرب
بضم فسكون او بفتحتين كما هنا وهم ولد اسمعيل عليه السلام العرباء ويقال
العاربة وهم الخلص من العرب ويقال لغير الخلص العرب المستعربة وفى
القاموس والعرب بالضم وبالتحريك خلاف العجم اى بالضم والتحريك ايضا
كما ذكره فى مادته وهم سكان الامصار او عام والاعراب منهم سكان البادية
لا واحد له والجمع اعاريب وعرب عاربة وعربة وعربات وعربا صرحا
ومتعربة ومستعربة دخلا فيهم قال ويعرب بن قحطان ابو اليمن وقيل
اول من تكلم بالعربية وفى النهاية الاعراب من العرب ساكنوا البادية
الذين لا يقيمون فى الامصار ولا يدخلونها الا فى حاجة والعرب اسم لهذا

الجيل من الناس اقام بالبادية او المدن وفى الصحاح ليس الاعراب جمع
عرب اى لان الجمع لا يكون اخص من واحده وانما العرب اسم جنس وذكر
ابن قتيبه ان الاعرابى هو البدوى والعربى المنسوب الى العرب وان لم يكن
بدويا والعجمى المنسوب للعجم انتهى وبين المبرد فى كتاب نسب عدنان
وقحطان ان جميع العرب ترجع اليهما وعدنان هو الجد الاعلى للنبى صلى الله
عليه وسلم وساير العرب العربا وبينه وبين اسمعيل ثمانية اباء وقحطان قال
الكلبى هو الجيشع بن نبت ابن اسمعيل عليه السلام **والجاهلية الجهلاء**
هو كالعربا فيه تجنيس الاشتقاق وشبه التاكيد اللفظى كليل لايل وحصن
حصين لان تصميمها على الكفر بلغ من القوة والشدة ما لم يبلغه تصميم غيرها
وتوالت اى تتابعت **للمصطفى** صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله **الاية** مفرد
محلى بال فيكون فى معنى الايات وايضا فالتوالى انما يكون فى متعدد اى العلامات
الدالة على نبوته والمرحضة لما يقولوه وافتروه عليه وعلقه الشارح بتوالت
وهو وان كان هو الظاهر صناعة الا ان التالى فيه افادة ان ما توالى له
انما هو ابانة لخاصة به لا ابة من تقدمه **الكبرى عليهم** كالقران وانشقاق القمر
وتوالت له عليهم ايضا **الغارة** على بلادهم واموالهم ونفوسهم وذراريهم
وهى اسم مصدر لاغار **الشعواء** اى الفاشية المتفرقة المحيطة بهم من
ساير الجوانب التى لم تظفر بنفس او مال الا اهلكته **و**بعد ان استجاب له اهل
السما والارض ودخل الناس فى دين الله افواجا وكثرت اتباعه جدا حتى
صار **اذا ما زاره تلا** اى قرا **كتابا** انزل عليه **من الله** وهو القران **تلته**
اى تبعته لاجل القراءة معه واستماع قراءته الكتايب مزدحمين عليه لا سيما
كتيبة بالفوقية اى جيش **خضراء** اى يعلوها سواد السلاح والحديد ومن
ومن عكسه سواد العراق لان لكثرة شجره وهو من بعيد يرى اسود
وهى كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وهو فيها على ناقته القصوا
التى دخلها

طهر مر

ببين

للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال مر

بيت ابى بكر واسيد بن حضير ولما راها ابو سفيان راى ما لا قبل له به فقال للعباس
له العباس ويحك انه ليس ملك ولكنها نبوة وروى البخارى عن عبد الله بن معقل
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرا سورة الفتح يرجع
وقال لولا ان يجتمع الناس حولى لرجعت كما رجع وبين تلى وتلته وكتاب وكتيبه
تجنيس الاشتقاق او شبهه **وكفاه** صلى الله عليه وسلم ربه فضلا منه وكرما النفر
الاشقيا الذين زادوا فى ايذايه والخنو عليه **المستهزئين** به كما قال انا كفيناك
المستهزئين وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون منه ويبالغون فى ايذايه والسخرية
به اى تولى اهلاكهم من كفيت فلانا المونة اذا توليتها له فلم تحوجه اليها ومع
توليته تعالى اهلاك المستهزئين به صلاة فاعلم بان هذا ليس خاصا به بل الانبيا
قبله كذلك بقوله عز من قايل فاصبر كما صبر اولوا العزم ومن ثم اقتبس المص
من هذا كقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية قوله **وكم** مرات
كثيرة **ساء** اى احزن **نبيا** بينهما الجناس المصحف **من قومه** متعلق بقوله
استهزا اى سخرية وايذا ففيه اقتباس وتلميح وهو الاشارة الى قصة او شعر
او مثل ساير وذكرنا التلميح هنا مع كثرته فى كلامه لانه هنا اظهر باعتبار
ظهور قصة المستهزئين وشهرة الاعتناء بها وفيه ايضا التذييل السابق
فى الجملة الاستفهامية **ورماهم** اى اصابهم **بدعوة** منه عليهم وصلت اليهم
فاهلكتهم كما يصل السهم القاتل الى من رمى به فيهلكه **من** اى بدعوة كاينة
فى **فناء البيت** اى حوالى الكعبة وقيل انه شكاهم لجبريل فقال امرت
ان اكفيهم ثم اشار الى كل بما اصابه وذكر لا ينافى دعاه عليهم لان دعاه
كان سببا لاشارة جبريل عليه السلام اليهم بالهلاك وتجويز تعلق
من يرمى وانفصال ابتدا الغاية بعيد لكن فيه دقة تشبيه وبلاغة
ولعل الناظم قصد ذلك لاستقامة الوزن مع كل فايتا رهامع كونهما خلاف
المتبادر وانما هو عن قصد ثم وصف الدعوة ايضا بقوله **فيها** اى تلك

والمثل مر

الدعوة للظالمين متعلق بما بعده والاصل لهم وعدل عنه ليبين ان
سبب اهلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه صلى الله عليه وسلم والظلم وضع الشئ
في غير محله فناء اي استيصال لهم حتى لم يبق منهم احد وبين فنا وفنا
جناس محرف لاختلاف حركة الفا خمسة بدل من المستهزئين او
الظالمين ويصح رفعه اي هم وخصهم مع ان المستهزئين ابا لهب
وزوجته وعقبة بن ابي معيط والحكم بن العاص لانهم اشدهم
ولذا اعجلت عقوبتهم كلهم اصيبوا بداء عظيم والردى اي الهلاك
من جملة جنوده المعينة عليه الادواء جمع داء وهو المرض وهذا
ساقه مساق الحكم لمناسبته لما قبله فانه كالتعليل له اي انما اصيبوا
بذلك الداء لانهم سعوا في تحصيل اسباب الردى لهم حتى وقعوا فيه
ولم يجدوا منه مخلصا وبين داء وادوا جناس ناقص كما مر ثم فصل
ذلك الداء الذي اهلكهم الله به فقال فدهى من الداهية وهي الامر
العظيم المهلك الاسود بن مطلب بن اسد بن عبد العزى فهو اسدي
اي عمى اي عمى عظيم لانه كما طمس بصره طمس بصيرته حتى لم يبق له تمييز
بين الحسن والقبيح وليس العمى عمى البصيرة ميت به اي بسبب ذلك
العمى الاحياء في حكم الاموات الذي لا ينظر اليهم ولا يعول عليهم ويحتمل
ان المراد عماه كان سبب الموت على خلاف العادة مبالغة في هلاك ذلك
اللعين وانه قتل بما لا يقتل عادة لانه حقت عليه الكلمة فمات موتا من
غير سبب ظاهر لذلك وبما تقرر علم ان ميت مبتدا وما بعده سد مسد
الخبر اي ان من شان هذا العمى انه لو وقع للاحياء صاروا به في حكم الموتى
لا بصر لهم ولا بصيرة فالجملة موكدة لما افاده تنوين عمى اي عمى بصر وبصيرة
ولم ينظر الناظم الى عدم اعتماد هذا المبتدا اجريا على مذهب الكوفيين
فانه قوي ومن ثم تبعهم الاخفش مع تقدمه وتحقيقه وقال ابن مالك

الاعتماد

الاعتماد حسن لا واجب وكانه يريد ان يجمع به بين راي البصريين
والكوفيين لكنه خلاف ما صرحوا به فيكون رايا ثالثا لا يقال ميت
خبر مقدم لانا نقول لو كان خبرا لقال ميتون لوجوب المطابقة
ولا حجة في قولهم خبير بنو لهب ان خبير خبر مقدم لان فعيلا يلزم
فيه المطابقة وبين ميت والاحيا الطباق ودعى ايضا الاسود
ابن عبد يغوث بن وهب بن مناف بن زهرة فهو زهري ويغوث
في الاصل اسم صنم ان سقاه كاس الردى الموت استسقا حصل له
في جوفه واستمر به حتى اهلكه وهو داء خبيث على انواع المراد منها
هنا الزقي وهو امتلاء الامعاء بالماء الفاسد المبطل للحرارة الغريزية
المفضي الى الهلاك عن قرب وبين سقا واستسقا جناس الاشتقاق
وتشبيه الردى بالمشروب حتى اثبت له ما هو من لوازم المشبه به من
الكاس والسقي استعارة بالكناية تتبعها الاستعارة التخييلية واخا
الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فهو مخزومي خدشة
سهم اي جرحة باسفل رجله من شخص في يده نبل وقيل اصابته ذيله
شوكة فمنعه الكبر ان يهوى لقلعها فضربها بالسوط فاصاب رجله
فتاكلت ومات منها قيل وقعت بيد رفكان سم ذلك الجرح اسرع الى هلاكه
وانشع من سم الافاعي فلذلك قصرت عنها اي عن تلك الخدشة الحية
الرقطاء التي تخالط سوادها نقط بيض وهي اعظم الحيات اذى
ووجه قصورها عنها في الافضا الى القتل ان الحية قد يتقي البرء من
لسعتها بخلاف تلك الخدشة فانها كانت ما تلة له ضما لا نفا اثر تلك
الدعوة عليه المقبولة ثم رايت بعضهم قال وانما كان ما اصاب الوليد
اعظم لان الحية انما تهلك بواسطة السم وهذا بلا واسطة انتهى وما ذكرته
اوضح واحسن كما لا يخفى وقضت شوكة دخلت في اخمص رجل العاص

على مهجة العاص بن وايل بن هشام بن سعد بن سهم فهو سهمى
اى قتلته قتلا عجيبا ومن ثم عقبه بما يفيد التعجب فقال فلله هذه
النقيعة من قولهم الناس نقايع الموت اى انه يجزرهم كما يجزر الجزار
النقيعة الشوكاء من قولهم بردة شوكاء اى خشنة اللمس اى ما اعجب
هذه القتلة الشديدة التى حصلت له من تلك الشوكة القليلة التاثير
عادة فلله درها من شوكة غريبة فى اسرع وقت وقضت على الحارث
مولى الطلاطلة بالموت القطيع الغبوح جمع قبح وهو المدة البيضا
التى لا يخالطها دم والحال انه قد سالت بها راسه وساء اى قبح
ذلك الراس الذى هو الوعاء لتلك الغبوح القاتلة لصاحبه وبين
سالت وساء الجناس الناقص وفى الختم بمبناء الوعاء التذييل هولاء
الملاعين خمسة طرت بقطعهم اى هلاكهم الارض اى مكة ونواحيها
او مطلقا لان ضررهم يسرى الى جميع البلاد فكف الاذى الذى كان
يصل للناس لا سيما نبينا صلى الله عليه وسلم منهم بهم اى بسبب فقدهم
او مع فقدهم شلاء اى فاقدة الحركة فجعل الشبه الاذى بالانسان
من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لافادة ان الاذى لو تجسم لكان
انسانا يقدر على ايصال ما يريده باى وجه كان ثم اثبت له ما هو
من لوازم المشبه به وهو الكف الذى يتناول بها سائر المضار التى
يريدها ووصفها بالشلل ليبان ان الاذى بفقدهم صار معطلا لا حركة
فيه ولا تاثير ففيه استعارة مكنية يتبعها استعارة تخييلية وذكر
الشكل الملايم للمشبه به ترشيح فديت للبنا للمفعول يقال فداك
بفتح اوله فيقصر وبكسره فيقصر ويمد وهو دعا متضمن للتعظيم فهو من
خبر الانشا اى لو امكن ان احدا فدا احدا من الموت لسالت ان يكون هولاء
فداهم او المراد اللهم اجعلهم فداهم من المؤذيات وقوله ان كان للكرام

فدا الدال على انه لا فدا لهم بعد لعل المعنى الاول خمسة للصحيفة
الانى بيانهم بالخمسة الملاعين السابق ذكرهم اى جعلت هلاك
جميعهم فدا الكل واحد من اولئك من كل مكروه والمقابلة هنا ليست
من باب ركب القوم دوابهم ان جزاوها محذوف لدلالة ما قبله
عليه كان الكرام فداء واوليك الخمسة الذين سعوا فى نقض
الصحيفة من جملة الكرام الذين ينبغى فداوهم عند الحاجات والشدايد
ان يقع الفدا لانهم بذلوا انفوسهم فى امر عظيم جدا كما يعلم من ذكر
قصتها وهى ان قريشا لما رات عزة النبى صلى الله عليه وسلم بامره فى سنة
خمس من النبوه بضعة عشر من اصحابه منهم عثمن وزوجته رقية
بنت النبى صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة واستقرارهم بها وباسلام
حمزة ثم عمر بعده بثلاثة ايام وتفشوا الاسلام فى القبايل اجمعوا على
ان يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فاتوا اليه بعمارة
ابن الوليد اعز فتى فيهم لياخذه بدلا من ابن اخيه فابى وجمع بنى هاشم
وبنى المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه
ممن ارادوا قتله واجابوا الى ذلك حتى كفارهم حمية على عادة الجاهلية
فلما رات قريش ذلك اجتمعوا وايتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون
فيه على بنى هاشم وبنى المطلب ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم
شيا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا ابدا حتى يسلموا اليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك فى صحيفة بخط بعضهم فشلت يده
وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة تاكيدا فى حفظها وبقايها وكان ذلك
هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى ابى طالب
فدخلوا معه فى شعبه الا ابا لهب فكان مع قريش لعنه الله واقاموا على ذلك
سنتين او ثلاثا حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شى الا سرا حتى ان حكيم

مطلب [illegible]

ابن حزام حمل غلامه جرابا يريد به عمته خديجة رضي الله عنها فلقيه ابو
جهل اللعين فتعلق به واراد ان يفضحه فانتصر له ابو البختري بن هشام
ابن الحارث بن اسد وقال خل سبيله فابى فاخذ لحي جمل فضربه فشجه
ووطئه وطئا شديدا فلما مضت تلك المدة قام اولئك الخمسة في نقض تلك
الصحيفة وكان رأسهم هشام ابن الحارث لقربه بجعله الامر الذي هو اخو عبد
المطلب ومن ثم كان واصلا لبني هاشم فكان يأتيهم ليلا بالبعير وعليه الطعام
الطعام الى فم الشعب فيخلع خطامه ويضربه حتى يدخل ولغيره هشام بجمعه
هذا مشى الى زهير بن عاتكة بنت عبد المطلب فقال ارضيت ان ناكل
الطعام ونلبس الثياب وننكح النساء واخوالك حيث علمت وشدد عليه
حتى قال لو وجدت رجلا معي لنقضتها فقال انا معك فقال ابغنا ثالثا
فذهب الى المطعم واستنجاه حتى قال لو وجدت رجلا قال انا قال ابغنا
ثالثا قال قد وجدت زهير بن ابي امية قال ابغنا رابعا فذهب الى ابي
البختري واستنجاه ايضا فقال وهل من معين فذكر له اولئك قال ابغنا
خامسا فذهب الى ابي زمعة واستنجاه فقال هل من احد فذكر له القوم
فاجتمعوا بالحجون واجمعوا على نقضها فقال لهم زهير وانا اول من يتكلم
فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير عليه حلة فطاف سبعا ثم اقبل
على الناس فقال يا اهل مكة انا ناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم
فيما ترون والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال
ابو جهل كذبت والله لا تشق فقال زمعة انت والله اكذب ما رضينا
كتابتها حين كتبت فقال ابو البختري صدق زمعة ما نرضى ما كتبت فيها
ولا نقربه وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما
كتبت فيها فقال ابو جهل هذا امر قضي بليل تشوور فيه بغير هذا المكان
وابو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد

اكلتها الا باسمك اللهم ولابجارض ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل ذلك قال لابي طالب يا عم ان ربي سلط الارضة على صحيفة قريش
فلم تدع فيها اسما هو لله الا اثبتته ومحت منها الظلم والقطيعة والبهتان
فقال اربك اخبرك بهذا قال نعم فاخبرهم ابو طالب بذلك وقال انزلوها
فان صدق فانتهوا عن قطيعتنا والا دفعته اليكم فنظروها فاذا هي كما
قال صلى الله عليه وسلم فازدادوا شرا وذكر الامام انهم لما نظروا ذلك لانه مر
وازدادوا شرا قام اولئك الخمسة في اذهابها من اصلها فسعوا وبذلوا
جهدهم فيه قال الشارح ويحتمل ان ابا طالب انما اخبر بعد سعيهم في نقضها
انتهى ويبعده ان الاخبار بذلك حينئذ ليس له كبير جدوى فالاولى
بل المتعين ما قدمته اذا تقرر ذلك علم انهم فتية اي كرام جمع فتى وهو
السخي الكريم وفيه تصريح بما اومى اليه من وصفهم بمكارم الاخلاق بيتوا
اي دبروا واشتوروا بالحجون ليلا على فعل خير هو نقضها والمخاطرة
دونه بالنفوس لشدة قريش في بقائها مع كثرتهم وعتوهم حمد الصبح اي
الفجر او الصباح وهو من الفجر الى الزوال ويدل على هذا مقابلته بالمساء
الذي هو الزوال الى الغروب امره اي شانه وعاقبته والمساء واسناد الحمد
لهذين الزمانين مجاز دال على شدة المبالغة في وقوع الحمد وطلبه على فعل
ذلك الخير لان الزمان اذا حمد على ذلك فسائر العقلاء اولى واحق بذلك
وبين الصبح والمساء الطباق كالشدة والرخا والنقض والابرام فيما ياتي
وجعل الشارح غير الاخيرين من المقابلة وهما من الطباق لا ينافي على تفسيرهم
الطباق بانه جمع بين معنيين متقابلين في الجملة كما مر مبسوطا بالامر
بفتح اللام وهو نقضها وناداه على طريق الاستغاثة تنزيلا له منزلة
العاقل مبالغة في تعظيمه ولذلك كان ذلك مفيد التعجب من وقوعه كقولهم
بالدواهي اذ نجوا من كثرتها اتاه بعد هشام بن الحارث بن حبيب بن

خزيمة بن مالك بن حنبل بن عامر بن لوى فهو عامرى وقدمه لما مر
انه اول الخمسة والسبب فى اجتماعهم زمعة بن الاسود بن المطلب
ابن اسد انه بالكسر استيناف فيه معنى التعليل لكونه اول من كذب ابا
جهل ورد عن هشام كما مر الغنى اى الكريمة فى قومه الاتاء صيغة
مبالغة من اتى فقفيه مع انا ه جناس الاشتقاق كما فى قد بيت و قدا
وزهير بن ابى امية بن المغيرة وامه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمطعم بن عدى وابو البخترى وانى هولاء الخمسة
للنقض لا عن غير اتفاق ومواطاة بل انما اتوه اتيانا كائنا من حيث
ظرف مكان حقيقة او مجازا وجوز الاخفش كونها ظرف زمان ويجوز
فتحه وجره وحاث وحوث واعرابها لغة قليلة وتلزم الاضافة
لجملة وندرت لمفرد خلافا للكسائى وعدم اضافتها بالكلية اندر فتعوض
ما وتصرفها نادر بل انكره ابو حيان والغالب كونها فى محل نصب
على الظرفية او خفض بمن ولا تقع اسم ان ولا مفعولا به على خلاف فيهما
وزعم الفارسى انها فى الله اعلم حيث يجعل رسالاته مفعولا به اذ المعنى
انه سبحانه يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة فيه لا شيئا فى
المكان وناصبها يعلم المدلول عليه باعلم لا هو لان افعل التفضيل لا
ينصب المفعول به الا ان اول بعالم شاؤا اى من المكان الذى
قصدوه لتدبير امرهم [illegible] ورد عليه فلذلك وقع فعلم الموقع الذى
قصدوه ونبح الاتباع الذى دبروه نقضوا بدل من فعل خبر من نقض
الحمد اى ابطلوه مبرم اى محكم واصله كالبريم الحبل الذى جمع من
مفتولين فتلا حبلا واحدا الصحيفة التى تواقعت قريش على ابقائها
على الدوام الى ان يسلم بنو هاشم والمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهم اذ اى وقت او لاجل ان شرت اى صممت عليه اى ذلك الامر

المبرم

المبرم وهو عدم نقض تلك الصحيفة من العدا بيان لقوله الاندية
جمع ناد وهو العشيرة ومنه فليدع ناديه واصله المكان الذى يجلس
فيه للتحدث والسمر سمى من فيه باسمه اى نقضوا هذا الامر المبرم الذى
تواطؤا عشايرهم وصمموا عليه اذكرتنا بعد نسيانا جملة استينافية لبيان
ان اكل الارضة للصحيفة نظير اهو اكلها العصاة سليمن باطنا لتلك الصحيفة
والضمير للارضة الاتية التى هى الفاعل فهو عايد على متقدم رتبة وهو شايع
اكل مفعول اذكرتنا الثانى منساة عصاة سليمان بن داود عليهما السلام
لما مات وهو متكى عليها فصار كذلك سنة والجن يعتقدون حياته
فيدابون فيما سخرهم فيه من الاعمال الشاقة وما علموا موته الا باكل الارضة
لمنساته فخر ساقطا وعلموا حينئذ ان لهم سنة مسخرين فى العمل وانهم
كاذبون فى ادعائهم علم الغيب ولذا قال تع عز قايلا فلما قضينا عليه
الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن
ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين الارضة بفتح الراء
وقد تسكن كما هنا وهى دويبة تاكل حتى الخشب اكلا اذ ربعا الخرساء فيه
تعجب من شانها اذ ليس من شان الاخرس التذكير واثبات الخرس لها
مجاز اذ حقيقته فقد النطق عما من شانه النطق وبها اى وباكلها
للصحيفة اخبر النبى صلى الله عليه وسلم عمه ابا طالب وهو اخبر قريش
كما مر مبسوطا وكم مرات كثيرة اخرج صلى الله عليه وسلم اى اظهر
خبا اى شيا مخبا له الغيوب خباه اى سايره وبين خبا وخباه الجناس
المحرف وكم لاح التذييل تنبيهان احدهما يجب على كل احد ان يعتقد
ان الله تعالى هو المختص بعلم الغيب وانما حصل لرسله واوليايه منه
فهو اما بوحى من الله او الهام والاستثنا فى قوله تع فلا يظهر على غيبه
احدا الا الخ منفصل كما هو الاصل وذكر الرسول لا للاختصاص به

انأم

بل لان كرامة اوليا اتباعه من جملة كراماته ومعجزاته وفي الحديث اني لا
اعلم الا ما علمني ربي تا نيهما في بيان ما اشار اليه الناظم من كثرة ما اخبره
صلى الله عليه وسلم من المغيبات وحاصل شي من ذلك ان مما يدل على كثرة
ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من الغيوب ما في القران منها ما لا يحيط به حد
وخبر الطبراني ان الله قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كاين فيها
الى يوم القيمة كانما انظر الى كفي هذه وخبر ابي داود قام فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيا الى قيام الساعة الا حدثنا به وفي الحديث
الصحيح فعلمت علم الاولين والاخرين وصح انه صلى الله عليه وسلم اخبر بموت
النجاشي يوم موته بالحبشة وصلى عليه باصحابه وانه وابا بكر وعمر وعثمان
صعدوا احدا فتحرك فضربه برجله فقال اثبت فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان فاستشهدا وان ملك كسرى وقيصر ينقطع بعده من العراق
والشام فكان كذلك في زمن عمر وانه قال لسراقة كيف بك اذا لبست
سواري كسرى فالبسهما عمر لما زال ملك كسرى في زمنه تحقيقا لذلك
واخبر عمه العباس بعد ما تركه بمكة من المال عند زوجته ولم يطلع عليه
احد غيرهما واخبر بكتاب حاطب الى اهل مكة وبموضع ناقته حين ضلت
وتعلقت بخطامها في الشجرة وبان قريشا بعد الاحزاب لا يغزونه
وباستشهاد امير الجيش الذي ارسله لموته بلد بارض الشام يوم قتلهم
زيد بن حارثه فجعفر بن ابي طالب فعبد الله بن ابي رواحة رضي الله
عنهم وبان بنته فاطمة رضي الله عنها اول اهله لحوقا به فعاشت بعده
ثمانية اشهر او ستة وبان اشقى الاولين والاخرين قاتل علي كرم الله وجهه
بضربه في يافوخه فيبتل من دمها لحيته فضربه الشقي ابن ملجم ضربة كذلك
فمات منها وبان معوية رضي الله عنه يلي امر امته وبانه لم يغلب رواها ابن
عساكر ومن ثم قال علي كرم الله وجهه يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث ما

قاتلته وبان عثمان مظلوما وروايه تقتل وانت تقرا البقرة فتقع قطرة
من دمك على فسيكفيكهم الله موضوعه وبوقعة الحيرة من عسكر يزيد عامله
الله بعدله بالمدينة فاستبيحت نفوس اهلها وابضاعهم واموالهم وقتل
سبعماية يحفظون القران منهم ثلاثمائة صحابي وافتض فيها الف عذرا وبوقعة
الجمل وصفين وقتال عايشة والزبير لعلي رضي الله عنهم ولذلك قال علي للزبير
لما برزا يوميذ انشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
تقاتله وانت له ظالم فانصرف الزبير وقال بلى ولكن نسيت وبقوله في
الحسن كرم الله وجهه ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فيتين عظيمتين
من المسلمين فكان كذلك فانه بويع بعد ابيه فمكث خليفة ستة اشهر
ثم سار لمعوية باربعين الفا فلما تراى الجمعان علم كثرة الفريقين وانه لا يغلب
احدهما حتى يقتل الفريق الاخر فرق على المسلمين ورحمهم ورفض الملك
في جنب ذلك ابتغا لوجه الله كما جاء عنه كرم الله وجهه ثم ارسل لمعوية
يشترط عليه شروطا وينزل له عن الخلافة فارسل له قرطاسا ابيضا
وقال اشترط ما شيت فاشترط ونزل له عن الملك فصار معوية من يوميذ
خليفة حقيقة وبقتل الحسين كرم الله وجهه بالطف واخرج بيده صلى الله عليه وسلم
تربة وقال فيها مضجعه وصح خبر استاذن ملك القطر ربه ان يزور النبي
صلى الله عليه وسلم فاذن له وكان في يوم ام سلمة فامرها صلى الله عليه وسلم
ان تحفظ فجاء الحسين فاقتحم فقبله صلى الله عليه وسلم فقال الملك اتحبه
قال نعم قال ان امتك ستقتله وان شيت اريتك المكان الذي يقتل به
فاراه فجاء بسهلة بالكسر رمل خشن او تراب احمر فاخذته ام سلمة فجعلته
في ثوبها قال الراوي نقول انها كربلا وفي رواية انه قال اذا صار دما
فاعلمي انه قد قتل واخبر ابن عمر بانه سيعمى لما راى جبريل في صورة
رجل واخبر ام عبد الله بن عباس رضي الله عنهم بانها ستلده وبانه ابو

للخلفا وبان منهم السفاح والمهدي واخبر بان الترك ستغلب على العرب
حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم ويقول يوشك الناس ان يضربوا اكباد
الابل فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة قال ابن عيينة وغيره هو
مالك بن انس ومن ثم كان يزدحمون على بابه لاخذ العلم حتى يقتتلون
وممن روى عنه من الاكابر الزهري والسفيانان والشافعي والاوزاعي
امام اهل الشام والليث امام اهل مصر وابو حنيفة وصاحباه ابو يوسف
ومحمد وذا النون المصري والفضيل وابن المبارك وابن ادهم وبعالم
من قريش رحمهم الله وانه يملا طباق الارض علما قال احمد وغيره نراه الشافعي
لانه لم ينتشر في طباق الارض لقرشي صحابي او غيره ما انتشر للشافعي والذي
انتشر لعلي وابن عباس ونحوهما اشيا قليلة جدا كما يعلم ذلك من سبر كلامهم
واطلع عليه وزعم الصنعاني ان الحديث موضوع تهور منه وانما فيه نوع ضعف
ذكروا له شواهد تجبره وقد جمع الحافظ العسقلاني طرقه في كتاب مستقل
واخبر بالخوارج الذين خرجوا على علي كرم الله وجهه وان فيهم رجل
اسود احدى عضديه مثل ثدي المراة فقاتلهم علي واخرج ذلك الرجل
حتى راه الناس بالوصف الذي وصفه صلى الله عليه وسلم واخبر بالرافضة
وانهم يرفضون الاسلام وبالقدرية والمرجية وبان امته ستفترق على
ثلاثة وسبعين فرقة وبانها كلها في النار الا الفرقة التي على ما كان عليه
هو واصحابه وهم الطايفة الذين اخبر عنهم بانهم لا يزالون على الحق لا يضرهم
من خالفهم الى قيام الساعة اي قربه بقليل وبامارات الساعة الكثيرة جدا
فوقع كثير منها وينتظر وقوع الباقي ومما وقع منها النار التي قال عنها
صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز
تضيء لها اعناق الابل ببصرى فخرجت نار عظيمة على نحو مرحلة من المدينة
المشرفة وتقدمها زلزلة عظيمة بعد عشاء الاربعا بعد اربع وخمسين وستمائة

ثالث جمادى الآخرة

جامعة الرياض
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

ولم تزل تشتد وتغلي كغليان البحر الى ان ارتجت منها الارض ومن
عليها حتى ايقن اهل المدينة بالهلاك وكثرت الزلازل حتى وقع منها
في يوم واحد ثمانية عشر زلزلة لكن ببركته صلى الله عليه وسلم كان يغشى المدينة
نسيم بارد وروئيت من مكة وجبال بصرى وانطفت ليلة الاسرا
سابع عشر رجب وقد اوسع المورخون في اخبارها بما يطول استقصاوه
واذا تاملت ما اطلعه الله عليه من الغيوب لاسيما ما يتعلق بامر الصحيفة
علمت ان ذلك من تمام عناية ربه تعالى وانه لا يضيعه قط ومن ثم عقب
الناظم ذلك بقوله **لا تخل** بفتح الفوقية والمعجمة من خلت الشي حسبا وخيلا
ظننته **جانب** هو في الاصل شق الانسان واريد به هنا كله تعبيرا
بالبعض عن الكل فالاضافة بيانية **النبي مضاما** اي مضيما **حين** وفي
نسخة حيث والاول اظهر وهو ظرف لمضاما **مسته** صلى الله عليه وسلم
منهم متعلق بقوله **الاسواء** اي الاذيات الكثيرة حال كونها صادرة منهم
كضربه وخنقه واغراء سفهايهم به فرموه حتى سال الدم على قدميه وكسر
وجهه وكسر رباعيته وغير ذلك مما لو حمله جبل لم يتحمله بل جانبه مع ذلك
لم يزل يترقى في مراتب النصر والفتح الى ان بلغ غاية العزة والجلالة
وجانبهم لم يزل يتقهقر ويضمحل حتى وصل الى حضيض الذل والهوان
قال تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الايات ليظهره على الدين كله والله
يعصمك من الناس ثم ما اصابه صلى الله عليه وسلم من الاذايا نهم له فيه اسوة
بالانبيا قبله اذ اصابهم من اذايات اممهم مثل ذلك او اكثر منه لكن **كل**
امر من الامور العظيمة **ناب** اي اصاب **النبيين فالشدة فيه**
التي تحصل لهم منه **محمودة** لانها ترفع درجاتهم العلية **والرخاء** اي
السعة فيه محمودة ايضا لانه ليكثر اتباعهم ويفني اعداوهم ومما يتين لك

ذلك ويوضحه ان من المقرر في المعقول انه لو يمس النضار اي الذهب
هون بالضم اي هوان من ادخاله الى النار لاختبار خلوصه من الغش
والنقص لما اختير للنضار الصلاء اي العرض على النار لعزته على
النفوس وشحها به من ادنى نقص يصيبه فالانبيا كالذهب والشدايد
التي تنوبهم كاصابة النار للذهب لا تزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدايد
لا تزيد الانبيا الا رفعة وفي لا تخل الى هذا الكلام الجامع البالغ من الحكم
والبلاغة ما لا يخفى عظيم وقعه ولما ذكر ما يناسب قوله لا تخل جانب النبي
مضاما برهن عليه بقوله كم يد اي جارحة عن نبيه كفها الله اي منعها
وخذلها فلم تصل اليه بسوء فقصد به صلى الله عليه وسلم والحال انه قد وجد
في الخلق اي المخلوقين الذين هم اعداوه المريدون اهلاكه كثرة واجتراء
اي شجاعة وتقول واقدام على فعل ما خطر بالنفس من غير نظر في عاقبته
اذ ظرف لكف اي وقت ان دعا اي طلب حال كونه وحده العباد
كلهم الى عبادة الله وترك ما هم عليه من الجهالات والاباطيل والضلالات
وان امست اي حصلت اذ امسى يستعمل كثيرا في ذلك منه في كل الازمنة
في كل مقلة منهم وهي شحمة العين التي تجمع السواد والبياض اقذاء جمع قذى
وهو ما يسقط في العين مما يولمها ويكدرها وذلك لانه صلى الله عليه وسلم في
ابتدا امره مع وحدته وقلة عضده وناصره كان يدعوهم الى الايمان
بالله وحده ويبادي عليهم في انديتهم بتسفيه احلامهم وسب الهتهم
ورميها بكل عيب وسوء غيبا لعقول حتى قرب اقاربه كعمه ابي لهب
في اذيته والتجري عليه لكثرتهم ووحدته وهو مع ذلك محروس بحراسة
الله مكلوء بكلاته محفوظ بحفظه متماد على ما هو فيه غير ملتفت لاذاهم
بل صابروا عليه الصبر وامره لا يزداد الا ظهورا وعلوا واصحابه واعوانه
يكثرون ويتفوقون على اعدايهم شيا فشيا الى ان مكنه الله من نواصي

فكان النار صح

الجبير صح

اعدايه

اعدايه فاذاق من بغى منهم على كثرة الهوان واصل من خضع منهم لعزته
ثامن البقا والامان ومما يتبينك بعظيم اذايتهم له ونصره عليهم ما ذكر
اهل السير ان عمرو بن العاص قال للزبير ما اكثر ما رايت قريشا اصابوا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ان اشرافهم اجتمعوا في الحجر فذكروا ما يفعله
لهم من سبهم وسب الهتهم فاستلم الركن فطاف فلما مر بهم انتقصوه فعاد
ذلك ثم مر بهم ثانيا فساوه ثم مر بهم فساوه فوقف ثم قال اتسمعون يا معشر
قريش اما والذي نفسي بيده لقد جيتكم بالذبح فاخذتهم كلمته ما رعدت
منها فرايصهم فقالوا انه لم يقل القول وقالوا انصرف يا ابا القسم فوالله ما
كنت جهولا فاجتمعوا له في الغد في الحجر وفعلوا معه مثل ما ذكر ثم وثبوا
اليه وثبة رجل واحد يقولون انت الذي تسب الهتهم فاخذ بعضهم بمجمع ردايه
فقام اليه ابو بكر وحال بينهم وبينه كما من تنبيه فقرينة سياق
النظم مصرحة بان القذى في العين مستعار لما حصل لهم في عيون بصايرهم
من اذلاله صلى الله عليه وسلم لهم بما مر انفا واما قول محشيه ان يريد بالقذى
ما على اعينهم من الغشاوة المانعة من النظر في امره الحاجبة لهم عن اتباعه
او يريدون ما على قلوبهم من الران والصد الحاجب عن الايمان
فيكون عبر بالمقلة عن عين البصيرة عما يعلوها من الران والصدا
انتهى فهو غفلة عن سياق المتن وعدم تامل له بالكلية لانه انما حكم
بانه صلى الله عليه وسلم اسكن القذى لكل مقلة منهم وحينئذ فلا يصح
تفسير القذى بشي مما ذكره وانما يصح تفسيره بما ذكرته فتامله والدليل
على تلك الحراسة الباهرة انه هم قوم يدخل فيهم النسا نهبا بقتله
بالسيف فابى السيف اي امتنع من الوصول اليه والتاثير فيه وفا
اي الاجل وغاب بما اخذ عليه كيفية الخلق من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
واجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك الامتناع وقع غير مرة فقد جاء انه

فطلع عليهم صلى الله عليه وسلم صح

بعضهم صح

صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة تظله فبينما
هو تحتها اذ جاءه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال له من يمنعك مني قال الله عز وجل
فرعدت يده وسقط السيف وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه
كما روى وصح ان غورث بن الحارث اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم
وهو نائم فاستيقظ فوجده في يده صلتا فقال من يمنعك مني قال الله
فسقط من يده فاخذه صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني قال كن خير
آخذ فعفى عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وروى
انه صلى الله عليه وسلم وقع له نظير ذلك في غزوة بدر مع منافق تبعه
لما خرج لقضاء حاجته ووقع نظير ذلك مع رجل يسمى لقومه شجاعة وغيرها
اغروه على قتله فجاءه ثم رجع اليهم مسلما فانكروا عليه فقال نظرت
الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف من
يدي فعلمت انه ملك فاسلمت وقفاءت اي رجعت على راسها وبينه
وبين وقفا الجناس اللاحق الصفواء اي رجعت الحجارة عن اصابته
بل خرت في يد راميها الذي هم ايضا بقتله وهو ابو جهل بن
هشام بن المغيرة المخزومي وكان من اشد الاعداء على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذكر انه اجتمع هو وقريش يوما فجاءهم صلى الله عليه وسلم
وبالغ في انذارهم وتسفيه احلامهم وسب آلهتهم فاظهروا له شدة
الاباء والتعنت فانصرف عنهم حزينا عليهم فقال لهم ابو جهل اللعين
يا معشر قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون واني لا اعاهد الله لاجلس
له غدا بحجر ما يطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به راسه فاسلموني
عند ذلك او امنعوني فليصنع بي بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله
ما نسلمك لشيء ابدا فلما اصبح اخذ حجرا كما وصف فلما سجد
صلى الله عليه وسلم كعادته وقريش ينظرون احتمل اللعين الحجر ثم اقبل

نحوه

نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست
يداه على حجره حتى قذفه فقاموا اليه فقالوا ما لك يا ابا الحكم قال
قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه
فحل من الابل لا والله ما رايت مثل هامته ولا مثل قصرته ولا انيابه لفحل
قط فهم بي ان ياكلني ذكر انه صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنى مني
لاخذه اذ ظرف لهم المقدر قبل ابو جهل لانه معطوف على قوم بقتله
اي وهم ايضا ابو جهل بقتله بالحجر الذي حمله وقت ان راى عنق بسكون
النون وضمها الفحل وقد برز اليه كانه العنقاء اي الداهية العظيمة او
الطائر العظيم المعروف وبين عنق وعنقا جناس الاشتقاق او شبهه وما
ذكر من ان ابا جهل معطوف على قوم وان اذ ظرف لهم هو ما جزم به الشارح
وهو بعيد لانه يلزم عليه انه وقت رؤيته الفحل هم بقتله وذلك غير واقع بل
حصل له حينئذ من الهيبة والخوف والذلة ما اذهله والحق انه معطوف على
الصفواء اي رجعت الصفواء عن الوصول اليه ورجع ابو جهل عن الرمي
بها وقت فاذ حينئذ ظرف لقفاءت مع فاعلها وما عطف عليه واقتضاه
معطوف على هم قال الشارح وكانه على نزع الخافض اي اقتضى منه
وظاهر قول القاموس واستقضى فلانا طلب اليه ان يقضيه وتقاضاه
الدين قبضه انه متعد بنفسه اي طالب النبي صلى الله عليه وسلم من ابي
جهل اذ يودي دين كهلة بن عصام بن كهلة بن اراش بن غوث بن عمرو
ابن الغوث الاراشي بكسر الهمزة لكونه لما قدم مكة بابل له ليبيعها اشتراها
منه ابو جهل ثم مطله باثمانها فوقف الاراشي على نادٍ من قريش فقال
من رجل يخلصني من ابي الحكم فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي
فقالوا لا يخلصك منه الا ذاك الرجل اي محمد صلى الله عليه وسلم قالوا له ذلك
استهزاء به فجاء اليه صلى الله عليه وسلم فقال له يا عبد الله ان ابا الحكم قد غلبني

على حنق وقد سالت اوليك القوم فاشاروا اليك فخلصني منه يرحمك
الله فقام معه ليخلصه منه كيف **وقد ساء بيعه** ذكر مع ان الكلام ليس
الا في الشرا لانه لا نظير له فهو من مراعات النظير **والشراء** اى وشراؤه
مع هذا الرجل وغيره ولما ذهب اليه امروا واحدا منهم ان يتبعه لينظر
ماذا يصنع فضرب صلى الله عليه وسلم بابه عليه فقال من ذا قال محمد
فاخرج الى فخرج اليه وقد انتقع لونه فقال اعط هذا الرجل حقه
قال نعم لا تبرح حتى ياخذه فدخل فاخرج اليه فجاء الى اوليك
واخبرهم بما وقع فجاء ابو جهل فقالوا ويلك والله ما راينا مثل هذا الذى
صنعت قط قال ويحكم والله ما هو الا ان ضرب على بابى فسمعت
صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق راسى لفحلا من الابل ما رايت
مثل هامته ولا قصرته ولا انيابه لفحل قط لو ابيت لاكلنى **ومن ثم راى**
ابو جهل **المصطفى** صلى الله عليه وسلم وقد **اتاه بما** اى بفحل ابل **لم ينج**
بفتح ثم ضم وبضم ثم كسر مع تخفيف الجيم ويجوز هنا لاجل الوزن
تشديدها من نجى ينجو او نجى ينجى فهو ناج ومنج **منه دون الوفا**
لذلك الذئب الذى للاراشى **النجاء** بوزن الضراب مبالغة في ناج
فالوفا مقصور ويجوز تخفيف الجيم مصدرا فالوفاء ممدود وفي
القاموس نجا نجوا ونجا ونجاء ونجاية خلص كنجى واستنجى وانجاه الله
ونجاه وعلى هذا الوفا مقصور وعلى كل هو فاعل ينج ونظيره في المصدر
قول الحاجرى ملا الوجد فؤادى وبرح التبريح اى ذلك الفحل لا ينجى
او لا ينجو منه انه النجا بالمبالغة اى من تكررت نجاته من الامور الصعبة
الا ان وفي ذلك الذئب او لا ينجو منه النجا بالتخفيف اى النجاة الا بعد
ذلك الوفا **هو** اى الفحل المرئى في هذه الواقعة **ما** اى الفحل الذى
قد راه من قبل اى في الواقعة السابقة في قوله وفات الصفوا

الى

الى آخره **لكن** لا استغراب في ذكر ان هذا اللعين **ما على مثله** في العنق
والنهول السالبين لادراكه والموجبين لهلاكه وهو ابلغ من عليه لانه اثبات
الحكم عليه بتنبيه على صورة كلا ينجل **بعد الخطاء** لان خطاه لا ينحصر
فلا يعد ومن خطاياه شهيرة **تنبيه** عن بيان الحكمة في كون
ابى جهل منع في هاتين الواقعتين من ان ينال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسوء مطلقا اشد المنع ولم يمنع من وطء التى في سلا الجزور على ظهره
صلى الله عليه وسلم وهو يصلى **قلت** كان سر ذلك امهاله حتى تنفذ دعوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وفي امثاله ممن كانوا اشد الناس عليه
صلى الله عليه وسلم فيظهر عزه صلى الله عليه وسلم ونصره عليهم للناس
باهلاكهم بدعوته والقائهم في القليب على اخس حالة وافحشها ولو منع
اللعين من ذلك لم تحصل هذه الكرامات فكان تمكينه من ذلك الفعل
هو عين اهلاكه واهلاك نظرائه ومختصر تلك القصة انه صلى الله عليه وسلم
كما في البخاري كان يصلى عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم اذ قال
قايل منهم الا تنظرون الى هذا المرائى ايكم يقوم الى جزور آل فلان فيعمد
الى دمها وفرثها وسلاها فيجئ به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه
فانبعث اشقاهم فلما سجد وضعه بين كتفيه وثبت صلى الله عليه وسلم
ساجدا اى لانه لم يعلم بخصوص ما وضع عليه وانما لم ينقل انه اعاد
لاحتمال انه كان في نافلة بل هو الواقع لان هذه الواقعة قبل فرض الخمسة
ولم يكن فرض من الصلاة يومئذ الا ما في سورة المزمل وهو صلاة
الليل فلما راوا ذلك ضحكوا حتى مال بعضهم على بعض فانطلق منطلق
الى فاطمة وهي جويرية رضي الله عنها فاقبلت تسعى وثبت النبي
صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه واقبلت عليهم تسبهم فلما قضى
صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن

هشام وهو ابو جهل وقدمه لانه اشقاهم واشدهم اذاية له صلى الله عليه وسلم
وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وابى بن خلف
وعقبة بن ابى معيط وعمارة بن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رايتهم
صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال صلى الله عليه وسلم
واتبع اصحاب القليب لعنة وظاهر السياق انه صلى الله عليه وسلم قال
ذلك عقب هذا الدعا فيكون من تمامه وفيه علم من اعلام نبوته ويحتمل
على بعد انه انما قال ذلك عند القايهم فى القليب وقول عبد الله بن مسعود
رايتهم صرعى بالقليب مراده اكثرهم فان عمارة انما مات بارض الحبشة لكن على
اسوء قتله فانه تعرض لزوجة النجاشى فامر ساحرا فنفخ فى احليله من سحره
عقوبة له فتوحش وصار مع البهايم الى ان مات فى خلافة عمر وايضا عقبة
ابن ابى معيط انما قتل صبرا بالصفرا بعد بدر وامية بن خلف وان قتل
ببدر لم يطرح فى القليب **واعدت** عطف على هم اى هيات ام جميل
بنت حرب بن امية **حمالة الحطب** لقبت به لانها كانت تحمل الشوك
وتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضاء لزوجها لعنهما الله
الفهر اى الحجر الذى يملا الكف لما انزل الله فيها وفى زوجها تبت يدا ابى
لهب السورة **و** الحال انها قد **جاءت** اليه وهو فى المسجد وابو بكر
عنده بذلك الحجر لترميه به وهى فى غاية السرعة والعجلة **كانها** الحمامة
الورقاء اى شديدة الاسراع اى حال كونها شبيهة بها فى ذلك
فهى حال متداخلة **يوم** ظرف لاعدت **جاءت** فى حال كونها **غضبى**
من شدة ما سمعت من ذمها فى تلك السورة وفى نسخة غيظا فهو تمييز
والغضب نار كامنة فى طى الفؤاد يؤججها طرو السبب المحرك لها
فان لم تقدر على انفاذ شى فى المغضوب عليه سمى غيظا كذا قيل وفى
القاموس الغيظ الغضب او اشده او سورته او اوله وحالة كونها

تقولا

تقولا فى مثلى وانا بنت سيد بنى مخزوم متعلق بيقال **من احمد** حال
من الهجا **يقال الهجاء** اى السب والذم ونسبة القول اليه اما حقيقة
وهو الظاهر لانهم لا يعتقدون الهاء غير الهتهم فمن ابتدائية ثم فيهم فرقة
يعتقدون الا لله وان اصنامهم تقربهم اليه فان كانت من هولا فمن
تعليلية اى يقول لهذا ذلك لاجله **وتولت** عطف على عدت **و** الحال
انها **ما رأته** وكيف تراه وهو فى ظهوره للقلوب السليمة والعقول
المستقيمة كالشمس وهى اعنى تلك المراة فى غاية من عمى البصيرة وفساد
السريرة **ومن اين ترى الشمس مقلة** اى عين **عمياء** ولما راها ابو بكر
قال يا رسول الله انها مراة بذية فلو قمت قال انها لن ترانى فجاءت
فلم تره فقالت يا ابا بكر ان صاحبك يهجونى فوالله لو وجدته
لضربته بهذا الفهر فاه والله انى لشاعرة وذكرت هجوا فيه فقلت
لا وهو لا يقول الشعر فقالت انت عندى مصدق وانصرفت فقلت
يا رسول الله لم تركت قال لم يزل ملك يسترنى منها بجناحه وفى رواية
فرد الله بصرها عنى فكان صلى الله عليه وسلم يقول اما تعجبون
لما يصرف الله عنى من اذى قريش يسبون مذمما ويهجون مذمما وانا محمد
صلى الله عليه وسلم تتمة قرا صلى الله عليه وسلم سورة النجم حتى
بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فحينئذ القى
الشيطان فى امنيته اى تلاوته تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى وفى رواية القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الخ فعند
سجوده اخر السورة سجد المشركون معه لتوهمهم انه مدح الهتهم
وفى رواية ما ذكر الهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت
هذه الاية وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى
الشيطان فى امنيته الاية ففشى ذلك فى الناس واظهره

الشيطان حتى بلغ المسلمين بالحبشة فاقبلوا سراعا ثم لما تبين للمهاجرين
خلاف ذلك رجعوا الى اشد ما كانوا عليه والغرانيق جمع غرنوق
او غرنيق وهو طير الماء شبهت الاصنام لاعتقادهم انها تقربهم من الله
تعالى بطيور الماء لكونها تعلو في السماء وترتفع تنبيه كثر كلام
العلماء في هذه القصة فمن منكر لوقوعها ومبالغ في بطلانها وانه لا
يجوز لاحد القول بها كعياض والفخر الرازي وسبقهما لنحو ذلك البيهقي
وايدوا بان البخاري وغيره رووا انه صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم
سجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن ولم يذكروا فيها قصة
الغرانيق وبان من جوز على نبي تعظيم وثن فقد كفر وبانها من وضع
الزنادقة والحق خلاف ذلك كله بل لها اصل اصيل فقد خرجها من طرق
كثيرة جدا ابن ابي حاتم والطبري وابن المنذر وابن مردويه والبزار
وابن اسحق في السيرة وموسى بن عقبة في المغازي وابو معشر كما نبه
على ذلك الحافظ ابن كثير وغيره لكن قال ان طرقها كلها مرسلة وانه لم
يرها مسندة من وجه صحيح انتهى ورد عليه وعلى عياض وغيره الحافظ
شيخ الاسلام ابن حجر بان طرقها كثيرة جدا ثلاثة منها رجالها
رجال الصحيح وباقيها اما ضعيف واما منقطع وبعضها منفرد
بوصله امية بن خالد وهو ثقة مشهور فزعم ابن العربي وعياض
ان رواياتها لا اصل لها ليس في محله اذ لا ينبني على القواعد قال
اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان لها اصلا انتهى وقد
ذكرنا بان لها ثلاثة اسانيد منها على شرط الصحيح هي مراسيل يحتج
بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض
وحينئذ يتعين تاويل ما وقع فيها مما يستنكر كقوله القى الشيطان
على لسانه تلك الغرانيق الخ فلا يجوز حمله على ظاهره لانه صلى الله

عليه وسلم يستحيل عليه ان يزيد في القرآن عمدا او سهوا واختلفوا في
تاويله فاخرج الطبري عن قتادة انه اصابته سنة فجرى على لسانه
ولم يشعر به فلما علم اظهر بطلانه واحكم ربه اياته واعترض بانه لا ولاية
للشيطان عليه في النوم واجاب بان هذا لا يثبت للشيطان ولاية عليه
وانما غاية الامر ان الشيطان لما راه اصابته تلك السنة حاكى قراءته بصوت
يشبه صوته ثم بين الله للناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بطلان ما
ما وقع من الشيطان حتى لا يغتر به احد ثم رايت من اجاب بما يؤيد ما
ذكرته وهو انه صلى الله عليه وسلم كان يرتل قراءته فارتصد الشيطان سكتة
ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من
دنا اليه فظنها من قوله واشاعها واستحسن هذا الجواب غير واحد
من المحققين كعياض وابن العربي وايد بما جاء عن ابن عباس من تفسير
تمنى بتلى فعنى في امنيته اي في تلاوته وفي ذلك اخبار منه تعالى بان رسله
اذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه محاكيا لهم ثم يبين الله تع سبحانه
بطلانه فعلم ان هذا نص في ان الشيطان زاد في قول نبينا صلى الله
عليه وسلم لا ان نبينا قاله وقد سبق الى هذا المعنى الامام المجتهد ابن جرير
الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في العلوم فصوبه
وارتضاه واما الجواب بان الشيطان الجاه الى التلفظ بذلك من غير
اختياره فمردود بان الشيطان لو قدر على ذلك لم يكن احد من طاعة
او بانه على تحفظ ما كان يسمعه منهم من مدح الهتهم فجرى على لسانه
سهوا فهو انسب مما قبله او بانه قاله توبيخا للكفار فهو بعيد وان ارتضاه
عياض كالباقلاني فقال هذا جائز مع قرينة تدل على المراد لا سيما والكلام
في الصلاة اذ ذاك كان جائزا او بانه لما وصل الى قوله الثالثة الاخرى
خشي ان يأتي بذم الهتهم فبادروا بذلك الكلام فخلطوه بتلاوته صلى الله

عليهم كلهم على عادتهم فى قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ونسب
للشيطان لانه الحامل لهم عليه وفيه نوع بعد او بان المراد من الغرانيق الملائكة
وكان منهم من يعبدهم زاعمين انهم بنات الله تع فيسرد ذكر الكل ليرد عليهم
بقوله الكم الذكر وله الانثى فلما سمعوه حملوه على الجميع وقالوا قد عظم الهتنا
فنسخ تلك الكلمة واحكم اياته فمضوا بعد ما قبله ثم بعد ما وقع له من هذه
الكرامات وقع له كرامة اخرى فى غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة هى انه
سمته زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم اليهودية الشاة
اى جعلت فيها سما قاتلا لوقته لانها شاورت اليهود فى سموم واجتمعوا
لها على هذا السم فسمت به الشاة جميعها لكنها اكثرت منه فى الذراع
والكتف لما قيل لها انه صلى الله عليه وسلم يحب الذراع وكم مرات كثيرة بعينه صح
سام من السموم الذى هو مفرد مع الشرا او الذى هو الريح وبين سام
وسمت تجنيس يشبه الاشتقاق الشقوة اى تابر عليها وتخلى لها
الاشقياء الذين صاروا كالانعام بل اضل سبيلا ومنهم تلك المراة وبينهما
تجنيس الاشتقاق وقول الشارح ان سام وسمت من هذا انما هو
وفى البخارى انه صلى الله عليه وسلم لما علم ان فيها سما قال اجمعوا الى من هنا
من اليهود فجمعوا له فسالهم عن اشيا منها من ابوكم قالوا فلان قال كذبتم
ابوكم فلان قالوا صدقت وبررت ثم سالهم من اهل النار قالوا نكون
فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال اخسئوا فيها والله لا نخلفكم ابدا
ثم قال لهم هل جعلتم فى هذه الشاة سما قالوا نعم قال من حملكم عليه
قالوا ان كنت كذابا استرحنا منك او نبيا لم يضرك وروى ابو داود
انها سمت شاة مصلية ثم اهدتها اليه صلى الله عليه وسلم فاكل منها واكل
رهط من اصحابه فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فارسل الى
اليهودية فقال سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال اخبرتنى

هذه

هذه الذراع ومن ثم قال فاذاع اى اظهر له صلى الله عليه وسلم الذراع
ما فيه من شر اى سم بنطق معجزة له صلى الله عليه وسلم كما يصرح بذلك اعنى
انه اخبره بالنطق قوله صلى الله عليه وسلم اخبرتنى هذه الذراع اخفاوه
عن الحاضرين ابداء له صلى الله عليه وسلم اى هو ان خفى عليهم ظهر له صلى الله
عليه وسلم اى هو ان خفى عليهم وفيه طباق ولما قال لها ما ذكر صدقته ثم قالت
قلت ان كان نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها ولم
يعاقبها وتوفى اصحابه الذين اكلوا من الشاة واحتجم صلى الله عليه وسلم على
كاهله من اجل الذى اكل منها وفى رواية عبد الله داود انها جعلت تسال
اى الشاة احب اليه فقيل لها الذراع فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها
ثم عمدت الى سم موح اى يقتل لوقته فسمتها به واكثرت منه فى الذراع والكتف
ثم وضعتها بين يديه ومن حضر من اصحابه وفيهم بشر بن البراء فتناول
صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها وتناول بشر عظما اخر فازدرد لقمته
لقمتيهما واكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذه
الذراع تخبرنى بانها مسمومة وفيه ان بشرا مات وانه صلى الله عليه وسلم
دفعها الى اوليائه فقتلوها رواه الحافظ الدمياطى وروايه انه قتلها
يعارضها رواية البيهقى عن ابى هريرة رضى الله عنه وجابر انه لم يعاقبها
ومن ثم قال ويخاف من النبى كريم بل الاكرم منه قال تع له وانك لعلى خلق
عظيم اى بسبب ما تخلق به من كمال الحلم والعفو والصفح لم يزل صح
بجرحها بواطنها بذلك السم اذ هو يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر
العجماء اى المراة ويقال ايضا للبهيمة وقال الزهرى اسلمت فتركها
وفى مغازى سليمان التيمى نحوه وانها قالت استبان لى الان انك صادق
وانى اشهدك ومن حضر انى على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وجمع البيهقى بانه يحتمل ان يكون تركها اولا فلما مات بشر قتلها به وبذلك

بموته

اجاب السهيلي وزاد انه تركها لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر
قصاصا ويحتمل انه تركها لاسلامها فلما مات بشر تحقق وجوب القصاص
عليها فقتلت وقوله انه قتلها قصاصا وانما الوارد انه قتلها وهو محتمل
لكونها قتلها بنقضها العهد بما فعلته ويدل عليه ماجاء في رواية انه صلبها
اذ لو قتلت قصاصا لم تصلب بل لو فرض انه لم يصلبها لم يكن قتلها
بالسيف دليلا للقصاص لان المماثلة فيه معتبره فقياسها ان يقتلها بمسموم
كما ان اليهودي الذي رض راس الجاريه بحجر امر به صلى الله عليه وسلم
فرض راسه بمثل ذلك الحجر ايثارا للمماثله المقصوده من مشروعيه
القصاص لا يقال الصلب لا يدل لانتفاء القصاص لان للامام ان
يصلب من يريد قتله اذا راى ذلك زجرا وتنكيلا لانا نقول ليس للامام
الصلب في قتل القصاص كما يصرح به كلام ايمتنا لما تقرر ان المدار
فيه على المماثله ما امكن فلا يجوز للامام الزيادة عليهما ولا النقص عنها
ولم نر احدا من ايمتنا ولا من غيرهم جوز الصلب في غير قاطع الطريق
فمن ادعاه فعليه البيان بغير محل النزاع الذي نحن فيه فان قلت هو يرد
على هذا الحصر لان هذه غير قاطع طريق وصلبت قلت الذمي اذا
نقض العهد ملحق بقاطع الطريق في احكام لا يبعد ان هذا منها على ان ذاك
صار حربيا واحكام الحربيين لا يقاس بها احكام المعصومين فان قلت
ان قولكم لان المماثله الخ انما تاتي على القول بتعينها في القود اما
والتخيير بينها وبين السيف في القتل بمسموم فلا ينافي عليه ذلك البحث
قلت بل ينافي على التخيير ايضا لان القتل بالسيف لا يعين القود
لانه يحتمله ويحتمل انه لنقض العهد والمدعي انما هو ان قتلها بالسيف لا يدل
على خصوص كونه قودا او تاخير قتلها الى موت بشر لا يدل على القود ايضا
لاحتمال انه ليتحقق عظيم جنايتها وبهذا كله يعلم ان ما في هذه

القصه

القصه من قتلها بتقدير صحته لا يرد على قول ايمتنا من اضاف
انسانا فقدم له طعاما مسموما فاكل منه فمات لا قود عليه لانه تناوله
باختياره والمضيف لم يلجيه الى الاكل وذلك لانه لم يثبت انه قتلها بقيد
كونه قودا وبهذا الذي قررته يعلم تحقيق الناظم حيث نفى القصاص مع
اطلاعه على الروايات المتخالفه في ذلك فان قلت لا نسلم ان نفيه
لذلك لان ثبوته لم يصح والاصل عدمه قلت هذا يحصل منه مدعانا
ايضا لان ثبوته اذا لم يصح من اصله او بذلك القيد فلا دلاله فيه
للخصم بوجه وتخلق من النبي كريم مَنّ فهو معطوف على لم يقاصص
خلافا لما يوهمه كلام الشارح انه استيناف اى انعم نعمة عظيمه فضلا
مفعول مطلق كفرحت جذلا او مفعول لاجله وهو الاولى لان المراد
بالمن هنا ما ذكره الله تع بقوله عز قايلا فاما منا بعد واما فداء عن تخليه
سبيلهم بعد ان ملكهم المسلمون اى رفع الرق عنهم لاجل فضله اى احسانه
العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض وعلى هذا فمعنى هذه العله والعله
التي تليها المستفاده من اذ وان منه معلل بشيئين عموم احسانه
عليهم وعلى غيرهم وخصوص كونه قولا فيهم وعليه فحرف العطف
مقدر الثبوت ويصح ان يكون الثانية عله للاول وابهامه فضل
فضلا عليهم غير موهم لانه لم يرد مطلق الفضل بل فضلا يتعلق بهم
سواء علق على هوازن بمن او بفضلا اكتفه بقرينه السياق
على هوازن قبيلة حليمة السعديه رضي الله عنها وهم اهل حنين
المذكور في القران وهو واد قريب من ذي المجاز السوق المشهور
من اسواق الجاهليه بناحية عرفه بين ذلك الوادي وبين مكه نحو
ثلاث ليال غزاهم صلى الله عليه وسلم عقب فتح مكه لما اتفقت اشراف
هوازن على حربه صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم سادس شوال سنه ثمان

وثقيف هم

فى اثنى عشر الفا عشرة جاء بهم واثنان من طلقاء مكة ولما هزمهم
صلى الله عليه وسلم قصد الطايف وامر ان يحمل سبى هوازن وغنايمهم
بالجعرانة حتى ياتى اليهم وكان السبى وهو النسا والذرارى ستة
الاف راس والابل اربعة وعشرون الفا والغنم فوق اربعين الف
واربعة الاف اوقية فضة ولما رجع صلى الله عليه وسلم من الطايف انتظر
هوازن بضع عشر يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم اخذ فى قسمة الغنايم
فجاوا مسلمين فقالوا يا رسول الله انا اهل وعشيرة وقد اصابنا من البلا ما
لا يخفى عليك فامنن علينا من الله عليك وقام رجل من بنى سعد حليمة فقال
يا رسول الله انما فى الحظاير عماتك وخالاتك اى من الرضاع لانهن قرابات
حليمة ثم نزل بنا مثل الذى نزلت فيه رجونا عطفه وانت خير المكفولين
فقال لهم صلى الله عليه وسلم ان احسن الحديث اصدقه ابناؤكم ونساؤكم
احب اليكم ام اموالكم فقالوا ابناونا ونساونا فقال اما ما كان لى
ولبنى عبد المطلب فهو لكم واذا صليت الظهر بالمسلمين فقوموا وقولوا
انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابنائنا ونسائنا فسا عطيكم عند
ذلك واسال لكم ففعلوا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لى ولبنى
عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار مثل ذلك وامتنع بنو تميم وبنو فزاره
وعباس بن مرداس من بنى سليم فوعدهم صلى الله عليه وسلم من اول سبى
يصيبه بما طابت به نفوسهم فردوا من بقى عندهم ومن صلى الله عليه وسلم
عليهم كذلك اذ اى لاجل انه صلى الله عليه وسلم كان له قبل ذلك اى
وهو طفل فيهم رباء بفتح الرا والمد اى تربيته من ربوت فى بنى فلان
وربيت فيهم اذ انشات بينهم او طول باعنا رها وصل اليه من لبن حليمة

وحاضناتك اللتى كن
يكفلنك ولو انا ارضعنا
الحارث بن ابى سمرة او
النعمان بن المنذر صح

وتربيتها تنبيه جعل الناظم اذ تعليلية خلاف ما عليه الجمهور
قالوا ولا دليل فى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم الاية لان التقدير بعد اذ
ظلمتم وعلى الاول هل هى حرف بمنزلة لام العلة او ظرف بمعنى وقت والتعليل
مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ قولان المنسوب الى سيبويه الاول
وعلى الثانى فى الاية اشكالات ليس هذا المحل بسطها وترد اسما للزمن الماضى
وهو الغالب ثم قال الجمهور لا يكون الا ظرفا او مضافا اليها الظرف نحو
يومئذ تحدث اخبارها وقال الاكثرون يكون مفعولا بها نحو واذكروا اذ
انتم قليل وكذا المذكورة اوايل القصص كلها بتقدير اذكروا بدلا منه بدل
اشتمال او كل من كل ورده الجمهور بان المفعول او المضاف اليه محذوف وزعم
الزمخشرى انها تكون فى محل المبتدا وانما تنفرد به وجوز كثيرون ورودها للمستقبل
نحو فسوف يعلمون اذ الاغلال فى اعناقهم لاستقبال يعلمون لفظا ومعنى
واجيب بانه من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة الواقع وانى ذكر السبى
اصله الاسر والمراد هنا المسبى اى المأسورون الى الجعرانة بامره صلى الله
عليه وسلم كما مر ليقسمه بينها على المسلمين وكان ذكر السبى فيه اخت النبى
صلى الله عليه وسلم من رضاع واسمها الشيما كما مر ولما شقوا عليها عند
سبيها قالت والله انى اخت صاحبكم فاتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله انى اختك قال لها وما علامة ذلك قالت عضة منك
فى ظهرى فعرفها لكن وضع اى خفض الكفر الغاشم لها قدرها وكذلك وضع
قدرها السباء اى الاسر الغاشم لها ايضا فاضمحل فى جنب ذلك هذين فيهما
من اخوته صلى الله عليه وسلم كما اضمحل فى جنب الكفر ما فى نحو ابى طالب من العموم
والتربية ومنع الاعداء بكل طريق امكنه ثم من الله عليها بالاسلام وبمعرفته
صلى الله عليه وسلم لها فحباها اى اعطاها ما لديه فى حبائها وجاد على قومها لاجلها
البر اى لاجل بره لها اذ رحم الرضاع كرحم النسب ويجوز ان يكون هو المفعول

الثانى وبوبيده انه ابدل منه قوله بسط الخ كما يأتى ولانه بسط لها رداءه
واجلسها عليه ثم خيرها وقال ان احببت فعندى محببة مكرمة وان احببت ان
امتعك وترجعى الى قومك فعلت فاختارت قومها فمتعها وزاد فى الاحسان
اليها كما هو شانه وردها الى قومها واعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية
فزوجته بها فلم يزل فيهم من نسلها بقيه توهمت الناس الذين راوا ذلك
البر اى وقع فى وهمهم اى ذهنهم واسناد ذلك اليهم باعتبار ما من شانه به اى
بسبب ذلك البر الذى وصل اليها منه انما بفتح الهمزة اداة حصر كمكسورتها
النساء اللواتى معها وبينه وبين الناس الجناس المغلوب هداء بالكسر
مصدر هديت المراة الى زوجها اى حمديات كرجل عدل والجملة فى محل
مفعول توهمت الثانى اى توهموا ان النسوة اللواتى معها فى السبى لم يسبين
لعظيم ما قابلهن من الاكرام وانما جئن لاهداء عروس وجلائها عليه صلى الله عليه وسلم
لا لكونهن مسبيات لان ذلك الاكرام انما يفعل مثله للنسا بعد عرس لا للنساء
مسبيات تنبيه استعمال الناظم لانما هذه فى الحصر تبع فيه الزمخشرى
والبيضاوى وغيرهما وجعل الاولان من فوائد انما يوحى الى انما الهكم
اله واحد فقالا انما لقصر الحكم على شئ او لقصر الشئ على حكم نحو انما زيد قائم
وانما يقوم زيد وقد اجتمعا فى هذه الاية لان انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة
انما يقوم زيد وانما الهكم بمنزلة انما زيد قائم وفايدة اجتماعهما الدلالة على
ان الوحى اليه صلى الله عليه وسلم مقصور على استيثار الله بالوحدانية وقول
ابى حيان يلزم الزمخشرى انحصار الوحى فى الوحدانية مردود بانه حصر
مجازى باعتبار المقام ومن جملة ذلك البر انه بسط فهو بدل من برا كما مر
ويصح كونه بدلا من جى المصطفى صلى الله عليه وسلم لها من الظاهر انها زايدة
على مذهب الاخفش وجماعة رداء كان عليه اى نشره وجعله لها فراشا لتجلس
عليه ويصح جعل من للتبعيض فيكون صلى الله عليه وسلم بسط لها بعضه

لتجلس

لتجلس عليه والاول اقرب وعلى كل فعنبيها لها ذكر الاكرام كيف وهو رداء
اى فضل اى شرف عظيم لا غاية له حواه اى جمعه ذاك الرداء بمماسته
لجسده الشريف صلى الله عليه وسلم وما اقتضاه هذا التقرير ان اى فضل الخ
جملة نعت لرداء ومن زايدة او تبعيضية هو المتبادر كما لا يخفى ويصح ان اى
مفعول بسط وان فضل بمعنى فضلة فمن تبعيضية وانه على حاله فمن
تعليلية داخلة على مضاف اى نشرها من اجل فرش رداءه لها فضلا
عظيما حواه ذلك الرداء اى تمييزا ظاهرا على بقية نساء هوازن وفى الرداء
رد العجز على الصدر فغدت اى صارت مندرجة فيه اى ذلك الفضل الحالة
انها وهى سيدة او لكل النسوة اللواتى معها من بنى هوازن لما حصل لها
من التمييز الباهر عليهن وان او لكل النسوة اللواتى هن السبيات قبل
اسرهن فيه اى ذلك الفضل اماء اى صارت كانها سيدتهن وكانهن مع
كونهن سيدات اماء لها وبين السيدات والاماء طباق وهذه مؤكدة للجملة
الاولى التى هى حال من فاعل غدت كما علم مما مر ولما ذكر ما اختص به صلى
الله عليه وسلم من الرفعة والترقى الى ما لم يصل اليه مخلوق وما يتعلق بذلك
من صفات تنقطع اعناق الطامع عن ان تمتد اليها وخصال لم يبق لامال
الكمل الا عليها طلب من كل سامع فانه مشاهده رؤيته ان ينزه سمعه
بالاصغاء الى صفات ذاته ومعانيه فقال فنتنزه قال الشارح هو من قولهم
خرجنا نتنزه فى الرياض انتهى وكانه جرى فى ذلك على العرف اذ التنزه
كما فى القاموس التباعد ثم قال وارض نزهة بعيدة عن الريف اى الخصب
والزرع وعين المياه وذباب القرى ومد البحار وفساد الهوى ثم
قال واستعمال التنزه فى الخروج الى البساتين والخضر والرياض غلط
قبيح فى اوصاف ذاته من الكلام عليها فى ذكر ذات العلوم وصفاته
اى صفاته الخارجة عن اوصاف ذاته استماعا اى من حيث اصغايك

الى استماع اوصاف ذاته وجميل صفاته الانيه في هذا النظم الجامع البديع
وبين ذاته ومعانيه جناس المقابله كالاستماع والاجتلا الاان عن
اى تفقد منها متعلق بقوله اجتلاء من جلوت العروس جلا وجلوة واجليتها
واجتليتها اذا نظرت اليها مجليه اى مكشوفه مزينه اى الا ان فاتتك
روية ذاته الكريمه ومشاهدة صفاته العليه فلا يفتنك تفريغ سمعك
لكل ما يتلى عليك من اوصاف ذاته وعلى صفاته وبه يظهر ان من
زايده في الايجاب وهو ما اجازه جماعة وخرجوا عليه قوله تعالى
ولقد جاءك من نبا المرسلين يحلون فيها من اساور من ذهب من
جبال فيها من برد يغضوا من ابصارهم وفيه نظر لامكان نحو التبعيض
فلا زايده فتامله ولا تقتصر على سماعك ذلك بل املا السمع بان — تقليل من صح
تكثر من سماع ذلك حتى لو فرض ان ما تسمع شي محسوس وان سمعك
اناء واسع لملاه ذلك المسموع من محاسن اشتمل عليها صلى الله عليه وسلم
لا يلحق احد اثارها ولا يسبق كامل عبارها وهو جمع على غير قياس لان
مفرده حسن لا محسن الا تقديرا نظيرها من اجليه الكتاب ويجوز املا منه
عليك من هذه القصيده وغيرها الانشاد لها من تحسين الصوت قايم الاعزا
فقد قالوا من اقوى الاسباب الباعثه على محبته صلى الله عليه وسلم سماع
الاصوات المطربه بالانشادات الصفات النبويه المعربه اذا صادفت
محلا قابلا لانها تحدث للسامع سكرا وارتجيه وطربا وذلك يحدث عنها
لسببين احدهما انها في نفسها توجب لذة قويه ينغمر فيها العقل
الثاني انها تحرك النفس الى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركه والشوق تخيل
المحبوب واحضاره في الذهن وقرب صورته من القلب واستيلاوها على
على الفكر وفي هذا من اللذه ما يغمر العقل لاجتماع لذة الالحان وكثرة — واقوى في اللذة من عناق الشواب صح
الاشجان فيحصل للروح ما هو اعجب من سكر الشراب وقد ذكر الامام احمد رضي الله

وغيره ان الله تعالى يقول لداود في الجنة مجدني بذلك الصوت الذي كنت
تمجدني به في الدنيا فيقول كيف وقد اذهبته فيقول انا ارده عليك فيقوم
عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته استفرغ نعيم اهل
الجنه واعظم من ذلك كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم لا سيما ان انضم
الى ذلك روية وجهه الكريم فان لذة ذلك يغني عن الجنه ونعيمها
بما لا تدركه العباره ولا تحيط به الاشاره والانشاء من ناظمها ..
واسناد الاملا اليها مجاز ومما يحملك على استفراغ وسعك في ذلك
التنزه واملاء السمع من تلك المحاسن انه يجب عليك ان تعتقد ان
محاسن ذاته وكمال صفاته لا يمكنك ان تحيط بها كيف وكل
وصف له من صفاته الذاتيه والمعنويه ابتدات انت وانا
به في الذكر وابتدات بذكره لتحيط بغايته استوعب اخبار
الفضل مفعول مقدم اى جميع اخبار الفضايل والكمالات منه
متعلق بقوله ابتداء اى كلما ابتدات بوصف له صلى الله عليه وسلم
وتاملت ما اشتمل عليه صريحا وايماء جميع ذلك الوصف المبتدا به
جميع انواع الفضل وغايات الكمال ولا يستبعد ذلك فان كل
وصف من اوصافه صلى الله عليه وسلم اخذ بحجر بقيه تلك الاوصاف
اذ لا يتحقق كمال وصف من صفات الانسان كالحلم مثلا الا ان
كمل في بقيه اوصافه كالعلم والكرم والشجاعه والخلق الحسن وغيرها
وحينيذ فكل من صفاته صلى الله عليه وسلم تدل على ما وضع له مطابقه
وعلى ما عداه منها ايماء واستلزاما كما لا يخفى على من سبر ذلك وتامله
وبهذا التحقيق الذي نبه له الناظم يعلم انه سقى الله عهده ثاقب
النظر كامل المعرفه متضلع من العلوم والمعارف ولبس ذلك بكبير على من
حل عليه نظر القطب الكبير والعالم الشهير سيدي ابي العباس المرسي

وارث ابی الحسن الشاذلی قدس الله سرهما ونور ضریحهما وبما قررته
فی شرح هذا البیت تعلم انه من غرر ابیات هذه القصیدة وانه لا
تعقیب فیه خلافا للشارح وانه یجب علیک ان تعتقد ایضا ان من تمام
الایمان بان الله اوجد خلق بدنه الشریف علی وجه لم یظهر قبله
ولا بعده فی ادمی مثله وسر ذلک ان محاسن الذوات دلیل علی ما
بطن فیها من بدایع الاخلاق وجلایل الصفات ونبینا صلی الله
علیه وسلم قد بلغ الغایة التی لم یصل الیها غیره فی کل من ذینک ومن
ثم قال الناظم فی بردة المدیح • فهو الذی تم معناه وصورته • البیتین
فتبین ان حقیقة الحسن الکامل کانت فیه وحده ولم ینقسم بینه
وبین غیره لان الذی تم معناه دون غیره ولو شورک لم یتم معناه وما
احسن قول بعضهم • لم یظهر لنا تمام حسنه • والا لما اطاقت اعیننا
النظر الیه • وبین ابتدات وابتدا جناس الاشتقاق تنبیه
شرح الناظم بیان تمام معناه بما مر ویاتی ولم یشرح تمام حسن ذاته
کذلک وانما اشار الیه لک بقوله بروبته وجب الخ ضحکه التبسم الخ او
بتقبیل راحة الخ فتعین علینا ان نشیر الی شیء من ذلک فنقول اما
اما وجهه الشریف فصح عن البراء کان احسن الناس وجها واحسنهم
خلقا وعن ابی هریرة ما رایت شیئا احسن کان الشمس تجری فی وجهه
وعن البراء انه قیل له اکان وجه رسول الله صلی الله علیه وسلم کالسیف قال
لا بل کالقمر ای لم یکن کالسیف فی الطول ولا فی اللمعان بل کالقمر فی التدویر
وفوق لمعان السیف وصح عن جابر بن سمرة لم یکن کالسیف بل کالشمس
والقمر وکان مستدیرا فنبه بهذا انه جمع بین الحسن والاشراق والملاحة
والاستدارة وجاء عن علی رضی الله عنه لم یکن بالمکلثم ای شدید استدارة
الوجه بل فیه تدویر قلیل وهو احلا عند العرب وهو معنی قول ابی هریرة کان

منه [illegible]

اسیل

اسیل الخدین ای بیتهما طول وسلامة من ارتفاع الوجنة وتشبیه غیر
واحد لوجهه بشقة القمر ای عند التفاتة وقیل احترازا عما فی القمر
من السواد وبرده تشبیه ابی بکر رضی الله عنه وغیره له بدارة القمر
وفی النهایة انه کان اذا سر صار وجهه کالمراة فتری خیال الجدر فیه
وفی روایة یتلالا وجهه تلالا القمر لیلة البدر وانما کان الاکثر تشبیهه
بالقمر دون الشمس لان من شاهده بنظره کمال النظر ویتانس به ولا
یتاذی منه بخلاف الشمس فی الکل ولذا کان من اسمایه صلی الله علیه وسلم
البدر ومن ثم قال الخارجون لملاقاته مرجعه من تبوک
طلع البدر علینا • من ثنیات الوداع • اوله
ثم هذه التشبیهات جرت علی عادة العرب والا فلا محدث یعادل
صفاته الخلقیة کالخلقیة واما بصره فیکفیه ما زاغ البصر وما طغی
وصح عن ابن عباس رضی الله عنهما کان یری باللیل فی الظلمة کما یری بالنهار
فی الضوء وصح انه کان فی الصلاة یری من خلفه کما یری من امامه ای رویة
ادراک یختص بالبصر اذ الرویة الواقعة علی جهة الکرامة لا تتوقف علیه ولا
علی شعاع ولا علی مقابلة عند اهل السنة وما قیل کان له عینان بین
کتفیه کسم الخیاط یری بهما ولا تحجبهما الثیاب لم یثبت ما یدل علیه والاصل
عدمه کزعم ان صورهم کانت تنطبع فی قبلته وانها رویة قلب او ان
المراد بها العلم بوحی او الهام وحدیث انی لا اعلم ما وراء جداری لم یعرف
له سند وانما ذکره ابن الجوزی فی بعض کتبه بلا اسناد وبفرض وروده
فهذا غیر ما نحن فیه لان المنفی علم الغیب بما وراء الجدار حیث لم یعلم به بوحی
او الهام ومن ثم لما ضلت ناقته وقال بعض المنافقین هو یزعم علم
الغیب والله لا اعلم الا ما علمنی ربی وقد دلنی ربی علیها وهی فی موضع کذا
احتبستها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها کما اخبر صلی الله علیه وسلم

اقبلت انوار محمد شرفت جمیع البقاع
وجب الشکر علینا ما دعی لله داعی
رحبا اهلا وسهلا فیک یا زین البقاع
وجب الشکر علینا ما دعی لله داعی
حرره بقسطنطینیة ١١١٢ اللهم صل علی
ابرهیم [illegible] المشتاق [illegible]
ولوالدیه وللمسلمین اجمعین

وبعرض التعارض فما مر فى حالة الصلاة وهذا خارجها وجاء انه
كان اذا التفت التفت جميعا اى لا يسارق النظر ولا يلوى عنقه
يمنة ولا يسرة كالطائش الخفيف وان جل نظره النظر بلحاظه وهو جانب
العين الذى يلى الصدغ وانه عظيم العينين والشكلة الحمرة فى بياض العين
وهو محموده والشهلة حمرة فى سوادها ادعج العينين اى شديد سوادهما
اهدب الاشفار اى طويلهما واما سمعه فحسبك فيه خبر الترمذى انى ارى ما لا
ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع
اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى وفى رواية لابى نعيم
او صائم واما شعره فصح انه كان بين شعرين لا رجل اى ينثنى فيكسر
وهو ما ينكسر قليلا ولا سبط ولا جعد قطط كان بين اذنيه وعاتقه
وانه رجل ليس بالسبط ولا الجعد ولا تخالف لان فيه رجولة قليلة فالاولى
لنفى كثيرها وانه الى شحمة اذنيه وانه الى انصافها وانه الى كتفيه ولا تخالف
ايضا لانه ربما تركه تقصيره فيطول وربما تداركه فيقصر وكان ان
انفرق بنفسه والا تركه معقوصا ولعل هذا كان اولا والا فالذى صح
انه كان يسدله اى يرسله ثم فرق ثم رايت ان العلماء قالوا ان الفرق
سنة لانه الذى رجع اليه صلى الله عليه وسلم وكان فى عنفقته وصدغيه
شعرات بيض دون العشرين وانما لم يكثر فيه مع انه نور فى رواية ما
شانه الله بالشيب اى لان النساء يكرهنه غالبا ومن كره منه صلى الله عليه وسلم
شيا كفر واختلفت الروايات فى تغييره صلى الله عليه وسلم لشيبه بالحناء
ولا تخالف لانه فعله كثيرا وتركه اكثر ومن ثم كان سنة عندنا وصح انه
كثير شعر اللحية وجاء انه كان يكثر دهن راسه وتسريح لحيته وكان
اشعر الذراعين والمنكبين واعالى الصدر ولم يرد انه حلق راسه
فى غير حج وعمرة ورواية انه كان ياخذ من عرض لحيته وطولها غريبة

بخلاف رواية اعفوا اللحا فن ثم اخذ بها ائمتنا وزاد انه كان ينظر
فى المراة اذا سرح لحيته وانه كانت له مكحلة يكتحل منها بالاثمد فى كل عين
ثلاثة قبل النوم واما جبينه وحاجباه وانفه وراسه فقد جاء انه واضح
الجبين ومقرون الحاجبين اى شعرهما متصل وانه غير متصلهما ورجح
ابن الاثير وقد يجمع بانهما كانا كثيرى الشعر كما فى رواية سابغين كما فى
رواية دقيقين كما فى اخرى فمع كثرة شعرهما فيهما سبوغ الى اخر العين
ودقة قطرفيهما فلكثرة شعرهما يريان من بعيد كانهما متصلان
وليسا فى الحقيقة كذلك وصح انه ضخم الراس ضخم الكراديس اى رؤس
العظام وجاء انه اقنى الانف اى طويله مع دقة ارنبته وحدب فى
وسطه وعبر بعضهم بانه سائل يرتفع وسطه وانه دقيق العرنين اى اعلا
الانف وان من لم يتامله يحسبه اشم اى طويل قصبة الانف واما فمه فقد
صح انه واسعه يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اى لسعة فيه والعرب
تمدحه وتذم ضده وانه اشنب اى لاسنانه غاية البريق واللمعان وانه
اذا تكلم روى كالنور يخرج من ثناياه وانه مفلج الاسنان اى متفرقها
وفى رواية مفلج الثنيتين اى اكثر من البقية واما ريقه فقد صح انه
يوم خيبر تفل فى عينى على رضى الله عنه وكرم وجهه وكان به رمد فبرئ
منه لوقته واعطاه الراية ففتح الله على يديه وجاء انه مج فى بئر ففاح
منها رائحة المسك وانه بزق فى اخرى فلم يكن بالمدينة اطيب ماء منها
وانه كان يوم عاشوراء يبصق فى فم رضعائه ورضعاء فاطمة ويتمى
عن رضاعهم فيجزيهم ريقه الى الليل وانه مضغ قطعة لحم واعطاها لخمسة
نسوة فمضغنها كل منهن ولم يوجد لافواههن ريح خلوف واما فصاحة
لسانه وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فامره اظهر من ان يذكر واشهر
من ان ينشر كيف وقد ارتقى فى ذلك الغاية التى لم يدركها مخلوق

حتى قال بعض العلماء ان كلامه معجزة كالقران واما صوته فروى ابن عساكر
خبر ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله
نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت والبيهقي خطبنا
صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق في خدورهن وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم
قال للناس يوم الجمعة على المنبر اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة وهو في بني
غنم فجلس مكانه وابن سعد انه خطب بمنى ففتح الله اسماعهم فسمعوه وهم
بمنازلهم واما ضحكه صلى الله عليه وسلم فهو انه **سيد** للعالمين الاولين والاخرين
كما مر مبسوطا اول الكتاب **ضحكه** اي الذي يظهر سروره هو **التبسم**
كما رواه البخاري عن عايشة رضي الله عنها ما رايته مستجمعا قط ضاحكا
اي مقبلا على الضحك بكليته انما كان يتبسم ولا ينافيه خبر البخاري ايضا
في المواقع اهله في رمضان فضحك حتى بدت نواجذه وهي بالجيم والذال المعجمة
الاضراس وهي لا تكاد تظهر الا عند المبالغة في الضحك لان عايشة انما نفت
روءيتها وذلك لا ينافي وقوع غير التبسم منه نعم الذي دل عليه مجموع الاحاديث
ان اكثر اوقاته هو التبسم وربما ضحك والمكروه انما هو الاكثار او الافراط
من الضحك سوا كان معه قهقهة ام لا ومن ثم روى البخاري في ادبه وابن ماجة
النهي عن كثرته وانه يميت القلب والفرق التبسم مبادي الضحك من غير صوت
والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور مع صوت خفي فان
فان كان فيه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة واما بكاوه فكان
من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن تدمع عيناه حتى تهملان
ويسمع لصدره ازيز اي غليان يبكي رحمة لميت وخوفا على امته وشفقة
من خشية الله وعند سماع القران واحيانا في صلاة الليل وجاء انه صلى
الله عليه وسلم حفظ من التثاوب بل جاء ان كل نبي كذلك واما يده فقد وصفه
غير واحد كما في عدة طرق بانه شثن الكفين اي غليظ اصابعهما وبانه عبل

الذراعين

الذراعين رحب الكفين ووصف ايضا بانه الين من الحرير والديباج
واطيب ريحا من المسك ولا ينافي هذا اللين ما مر انفا لانه جمع لين الجلد غلظ
العظام ونحوها وتفسير الاصمعي الشثن بغلظ في خشونة مردود بل نقل ابن
خالويه عنه انه قيل له ورد في صفته صلى الله عليه وسلم انه لين الكفين فاقسم انه لا يفسر
شيا في الحديث وبتسليمه فهو صلى الله عليه وسلم كان ربما حصلت له خشونة في كفيه
من جهاد او عمل في مهنة اهله وتفسير ابي عبيد له بغلظ الاصابع مع قصرها
يرده ما جاء انه كان سايل الاطراف فالتحقيق ان الشثن الغليظ من غير خشونة
ولا قصر وروى الحاكم وغيره انه صلى الله عليه وسلم مسح بيده الدم عن وجه وصدر
من جرح في وجهه فكان اثر يده غرة سايلة كغرة الفرس وصح انه مسح راس ولحية
ابي زيد الانصاري ثم قال اللهم جمله فبلغ بضعا ومائة سنة وما في لحيته بياض
ولا في وجهه انقباض وروى احمد وغيره انه مسح راس حنظلة بيده وقال بورك
فيك فكان يمسح بمحل يده صلى الله عليه وسلم الورم فيذهب واما ابطاه فكانا ابيضين
كما جاء عن عدة من الصحابة رضوان الله عليهم لكن يعارضه الرواية الصحيحة
كنت الى عفرة ابطيه والعفرة بياض ليس بالناصع وقد يجمع بحمل البياض في
الاول على البياض غير الناصع وذكر بعضهم انه لا شعر بابطيه ورد بانه لم يثبت
بوجه وكان يسيل منهما مثل ريح المسك وكانت له مسربة وهي خيط الشعر الذي
بين الصدر والسرة بل في رواية له شعرات من لبته الى سرته يجري كالقضيب
ليس على صدره ولا بطنه غيره واما بطنه وظهره فجاء انه مفاض البطن اي واسع
وقيل مستوى الظهر مع الصدر وان بطنه كالقراطيس المثني بعضه على بعض
وانه بعيد ما بين المنكبين اي عريض الصدر واما قلبه فهو اول قلب او دع
الاسرار الالهية والمعارف الربانية لانه اول الخلق كما مر وصورته اخر صور
الانبيا صلى الله عليه وسلم خصوا وهم واخرهم في حيازة اعلى الكمالات الخلقية والخلقية
ومما يتبع ذلك بان قلبه اودع ما لم يودع غيره نكر شقه وملئه ايمانا وحكمة

واخراج حظ الشيطان منه كما مر ذلك مبسوطا في بحث رضاعه صلى الله عليه وسلم
ومحاسنه الظاهرة التي هي اعلام على الاخلاق الباطنة فكما ان تلك لم يساوه
فيها مخلوق فكذلك هذه واما جماعه فقد صح عن انس كنا نتحدث انه اعطي قوة
ثلاثين رجلا في الجماع وروى الاسماعيلي قوة اربعين زاد ابو نعيم عن مجاهد كل رجل
من رجال اهل الجنة والرجل في الجنة يعطى قوة مائة كما صححه الترمذي وقال غريب
واربعون في مائة باربعة الاف ومع ذلك كان على غاية من تقليل الغذا لتخرق
الله له العادة في الامرين ولم يحتلم قط وكذا الانبيا لانه من الشيطان لكن ظاهر
قول عايشة يصبح صايما جنبا من جماع غير احتلام انه يحتلم وبتسليمه فالاول
محمول على ما اذا كان عن رؤية وجماع لان هذا هو الذي من الشيطان بخلاف
مجرد نزول المني في النوم واما قدماه فجا عن غير واحد انه شثن القدمين اي
غليظ اصابعهما وكانت سبابته قدميه اطول من بقية اصابعهما ومن روى ذلك
في اليد فقد غلط كما بينه غير واحد وكانت خنصرهما متظاهرة وكانا لاخمص
لهما اي ليس في باطنهما كبير انخفاض بحيث يطاء به كله فهو معتدل الخمص
ومعنى رواية مسيح القدمين ان فيهما مع ذلك لينا وملاسة دون تكسر وتشقق
واما طوله فكان ربعة لكنه الى الطول اقرب كما جاءت به الاحاديث الكثيرة وفي
حديث ما يفيد ان هذا ان مشى وحده اوضح تصغيرا والا طال على من ماشاه
وهو ينسب الى الطول بل لو اكتنفه طويلا اطالهما فاذا فارقاه نسب الى الربعة
واما مشيه فقد صح عن علي كرم الله وجهه انه كان اذا مشى تكفا تكفيا كانما
ينحط من صبب وفي رواية عنه كان اذا مشى تقلع والتقلع والانحدار من
الصبب قريب اراد انه كان يستعمل التثبت ولا يتبين منه في هذه الحالة استعجال
ومبادرة بالمشي وهذا هو مراد الناظم بقوله والمشي الكاين منه الهوينا مصدر
تصغير الهون وهو السكينة والوقار المعظم نحو
كل اناس سوف تدخل بينهم ۞ دويهة تصغر منها الانامل

وقد مدح تعالى من يمشون كذلك فقال عز قايلا وعباد الرحمن الذين يمشون على
الارض هونا ولا ينافي ذلك رواية الترمذي عن ابي هريرة ما رايت اسرع من
مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو
غير مكترث لان تجوزهم عن لحوقه ليس لانه كان يجهد نفسه في المشي كما يدل
عليه قوله غير مكترث بل لانه كان يبارك له في مشيه كما يدل عليه قوله كان
الارض تطوى له فهو مع هون مشيه لا يلحق ومعنى رواية ذريع المشي اي واسع
الخطوة وقال ابن القيم في رواية كان اذا مشى تقلع التقلع الارتفاع من الارض
بجملته كحال المنحط في صبب وهي مشية اولي العزم والهمة وهي اعدل المشيات
وارواحها للاعضا فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة كانه خشبة محمولة
فهي مذمومة كالمشي بالانزعاج كالجمل الاهوج وهذه تدل على قلة عقل صاحبها
لا سيما ان اكثر فيها الالتفات وكان صلى الله عليه وسلم اذا مشى مع اصحابه قدمهم
امامه وقال خلوا ظهري للملايكة وكان اذا مشى في قمر او شمس لا يظهر له نور
وسره قوله صلى الله عليه وسلم في دعايه واجعلني نورا واما لونه فقد وصفه
جمهور اصحابه بالبياض كما صح عنهم من طرق متعددة ولا ينافيه رواية مشرب
بحمرة لانه مع ذلك يسمى ابيض نعم قد ينافيها رواية ابيض شديد البياض الا ان
يحمل المشرب بالحمرة على الوجه فقط وما عداه شديد البياض كما دل عليه رواية
فنظرت الى ظهره كانه سبيكة فضة وعلى الوجه يحمل رواية امهق اي احمر
ليس بابيض وقول عياض رحمه الله انها وهم غير صحيح وكذا رواية ليس بالابيض
ولا بالادم اي وقول عياض ان هذه ليست بصواب مردود بان المراد
ليس شديد البياض ولا شديد الادمة وانما يخالط بياضه حمرة والعرب
تطلق على من هو كذلك انه اسمر الوارد في رواية وتوافقها رواية ابيض بياضه
الى السمرة ورواية احمر الى البياض والمراد انه كان تحصل له السمرة اذا ساير
لتاثره من الشمس وتظليل الغمام وغيره له انما كان ارهاصا وقد انقضى

وفيه وذهب بعض المالكية الى ان من زعم انه كان اسود يقتل اى لان
السواد يشعر بالنقص واما طيب ريحه وعرقه وفضلاته فكان فى ذلك
الغاية العليا وان لم يمس طيبا كما صح عن انس وغيره وروى ابو يعلى والطبرانى
ان رجلا استعان به فى تجهيزه بنته فاستدعى بقارورة وسلت فيها من
عرقه وقال مرها فلتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم اهل المدينة ذلك
الطيب فسموا بيت المطيبين ومر انه كان اذا مر بطريق تبع الناس
منه وجدوا ريحه وعرفوا بذلك انه مر منه وحديث خلق الورد من
عرقه او من عرق جبريل او من عرق البراق موضوع وجاء من وجه غريب
ان ما كان يخرج منه صلى الله عليه وسلم تبتلعه الارض وايده الحافظ عبد
الغنى بان احدا من الصحابة لم يذكر انه راه بخلاف البول فانهم كانوا
يستشفون به كما مر ثم اختار جماعة من ائمتنا طهارة جميع فضلاته واما
نومه فهو الاغفاء اى اخف النوم بحيث لا يستغرق لان الاستغراق
انما يتولد عن نوم القلب وغفلة المتولدين عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم
كساير الانبيا كان ينام عينه ولا ينام قلبه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ومن
ثم لم ينتقض وضوءه بالنوم وسر ذلك كمال حياة قلبه وتيقظه ودوام شهوده
لربه ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ لانه لا يدرى ما هو فيه
ولا ينافيه نومه صلى الله عليه وسلم بالوادى عن صلاة الصبح حتى حميت الشمس لان
رويتها من وظيفة العين والقلب انما يدرك نحو الحدث والالم مما يتعلق به
دون العين فهى نايمة والقلب يقظان وكانه انما لم يدرك مرور الوقت
الطويل فانه نام قبل الفجر الى ان حميت الشمس لانه كان مستغرقا فى شهود
ربه وما يفيضه عليه من معارفه وانما لم ينبه على ذلك ليقع التشريع
بتلك الاحكام الكثيرة جدا التى استفيدت من تلك الواقعة كسهوه فى
الصلاة وقيل كان له نوم ينام فيه قلبه ايضا وهو الذى كان حينئذ

كدنه نسخه

نومه نسخه

ورردوه بانه لم يثبت فهو مردود على قايله كثنا وبل بعضهم قوله لا ينام قلبى
عما يخرجه عن ظاهره من غير دليل واذ قد انتهى الكلام على بعض محاسن
ذاته التى لم يخلق الله تع ذاتا اشرف منها فلنذكر شيئا مما يتعلق بمحاسن اخلاقه
وصفاته التى لم يخلق الله تع اشرف منها ايضا فنقول ماسوى اى ليس
غير خلقه النسيم اى الريح التى فى غاية اللطافة واللين والطيب يعنى لا يشبهها
خلق احد الا خلقه الكريم وهذا مقتبس من قول ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير ثم قال فلرسول الله اجود بالخير من الريح
المرسلة فان قلت صريح هذا ان خلقه افضل من النسيم بل لا نسبة بينهما فكيف
هذا التشبيه المؤذن بشرفها عليه قلت هذا الاعتبار انما هو باعتبار الغالب
والا فقد يشبه الافضل بالمفضول لنكتة كما فى صليت على ابرهيم الخ فكذا هنا تشبيهه
بها البليغ انما هو باعتبار ما فيها مما يحيى الروح ويحيى القلب ويجلوا صدا النفس
وغير ذلك مما لا قيام لحقيقة الحيوان الا به وانما قلت يعنى لا يشبهها الخ لا بين
ان هذا المراد من العبارة لا التى هى به وذلك لان نفى مشابهة غير خلقه لها لا يفيد
انه لا يشبهها الا خلقه لان هذا الحصر لا دليل عليه فى الكلام بل صريح كلام الراغب
انه لا مفهوم للنفى بغير وعبارته غير تقال على وجه الاول ان تكون للنفى المجرد من
غير اثبات معنى به نحو مررت برجل غير قايم وقال تع ومن اضل ممن اتبع هواه بغير
هدى من الله وقال وهو فى الخصام غير مبين انتهى المقصود منه وسياتى فى شرح قوله
وما سواى هو العاصى ما له تعلق بما هنا فاستحضره والخلق بضم فضم او سكون
قال الراغب وهو والمفتوح فى الاصل بمعنى واحد لكن خص المفتوح بالهيات والصور
المبصرة والمضموم بالسجايا والقوى المدركة بالبصيرة ثم قيل المضموم غريزة لخبر
البخارى ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما خلق ارزاقكم والحق ان اصله غريزى وتمامه
مكتسب لما صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم
والاناة قال يا رسول الله قديما كان فى او حديثا قال قديما قال الحمد لله الذى

جبلني على خلقين يحبهما فتردده السوال وتقرير النبي صلى الله عليه وسلم له على
ان بعضه غريزي وبعضه مكتسب ويدل له ايضا الحديث الصحيح اللهم كما
حسنت خلقي فحسن خلقي وما صح انه كان يقول في دعاء الافتتاح واهدني
لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت فهو جبلة في نوع الانسان
وهم متفاوتون فيه فمن عدم حسنه او كماله امر بالمجاهدة والرياضة حتى يقوى
ويصير محمودا وقد عرف الخلق الحسن بانه ملكة يسهل على ربها فعل الجميل
وتجنب القبيح ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال وصفات الجلال
والجمال ما لا يحصره حد ولا يحيط به عد اثنى الله عليه في كتابه الكريم فقال
عز وجل وانك لعلى خلق عظيم فوصف بالعظم وزاد في المدحة باتيانه بعلى
المشعرة بانه صلى الله عليه وسلم استعلى على معالي الاخلاق واستولى عليها فلم يصل
اليها مخلوق غيره ووصف بالعظم دون الكرم الغالب وصفه به لان كرمه يراد به
السماحة والدماثة وخلقه صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ذلك بل كما كان عنده
غاية الرحمة للمؤمنين عنده غاية الغلظة والشدة على غيرهم فاعتدل فيه الانعام
والانتقام ولم تكن له همة سوى الله تعالى فعاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه ومن ثم
ورد بسند فيه ضعف ان الله بعثني بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الاعمال
وفي رواية الموطا بلاغا بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فانكل خلق حميد اندرج تحت
خلقه ومن ثم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران قال السهروردي
رحمه الله ونفع به في عوارفه في قولها ذلك رمز غامض وايماء خفي الى الاخلاق
الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى
فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القران استحياء من سبحات الجلال
وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال ادبها انتهى وقال
بعض العارفين لما كان خلقه اعظم خلق بعثه الله الى جميع العالمين
وعلم من كلام عائشة رضي الله عنها ان كمالات خلقه لا تتناهى كما ان معاني

القران

مطلب في تعريف العقل

القران لا تتناهى وان التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر ثم ما انطوى
صلى الله عليه وسلم من كريم الاخلاق لم يكن باكتساب ورياضة وانما كان في اصل
خلقته بالجود الالهي والامداد الرحماني الذي لم يزل يشرق انواره في قلبه الى ان
وصل لاعظم غاية واتم نهاية واعلم ان كمال الخلق انما ينشا عن كمال العقل لانه الذي
به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل والعقل لسان الروح وترجمان البصيرة
فهو جوهر الانسان ولكن جوهره الصبر وفي القاموس بعد الاشارة الى
الخلاف في تعاريفه والحق انه نور روحاني به تدرك النفوس العلوم الضرورية
والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ
انتهى والحديث المشهور اول ما خلق الله العقل قال له اقبل الخ موضوع وعقل
نبينا صلى الله عليه وسلم وصل في الكمال الى غاية لم يصل اليها ذو عقل ومن ثم روى
ابو نعيم وابن عساكر عن وهب انه وجد في احد وسبعين كتابا ان الله لم يعط
جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم
الا كحبة رمل من بين جميع رمال الدنيا ومما يقطع بصحة ذلك سياسته صلى الله عليه وسلم للعرب
الذين هم كالوحوش الشاردة وصبره على طباعهم المتنافرة المتباعدة حتى قاتلوا دونه
اهاليهم وهجروا في رضاه اوطانهم واحبابهم مع انه لم يطلع على سير الماضين ولا
تعلم من العقلاء المجربين وفي هذا ما في الذي قبله مما مر آنفا **ولا غير محياه** اي
وجهه **الروضة الغناء** اي الكثيرة النبات والازهار والثمار اي ليست الروضة
الغناء الا وجهه لانه احسن الخلق وجها كما مر مبسوطا **رحمة** وهي عطف وميل
نفساني غايته التفضل والانعام اي عينها مبالغة او ذوها وهو خبر مقدم واخبر
عنه وبما بعده بلفظ المصدر اشارة الى انها قد امتزجت بذاته واستحال
انفصالها عنه حتى كانها هو وكانه هي اي ركب منها وطبع عليها وخلق منها **كله** كما
قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يجوز نصب رحمة على الحال على انها اسم
فاعل ومفعولا لاجله وعلى حذف مضاف اي ذا رحمة والعالمون قيل الجن والانس

وعليه الجمهور وقيل والملايكة وعليه غير واحد من المحققين ويدل عليه ايضا
ليكون للعالمين نذيرا ونقل الرازي وغيره الاجماع على انه لم يرسل للملايكة
مردود بل افتى بعض متاخري ايمتنا المحققين بظاهر خبر مسلم وارسلت الى
الخلق كافة وعلى كل فهو رحمة للمومنين بالهداية بالامان من القتل وللكافرين
بتاخير العذاب ولساير الحيوانات لان بوجهه يستسقى الغمام وبدعايه
ينزل قطر السما وينبت النبات ويكون لها سقيا ورعيا وللمنافق وقال
ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد
صلى الله عليه وسلم اخر من كذبه الى الموت او الى القيمة واما من صدقه فله الرحمة في
الدنيا والاخرة فعلم ان ذاته رحمة للمومن والكافر كما قال تع وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وروى الدارمي والبيهقي حديث انما انا رحمة مهداة وقال بعضهم
زينه ربه بزينة الرحمة فكان وجوده وجميع شمايله رحمة على الخلق وقال اخر
الانبيا خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة لا يقال كيف هو
رحمة وقد جا بالسيف واستباحة الاموال لانا نقول انما ذلك لمن ادبر
واستكبر ولم ينتفع به وعظ ولا ارشاد ومن اوصافه تعالى الرحمن الرحيم والجبار
المنتقم وفي الشفا وحكى انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة
شي فقال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت ولما شج وجهه وكسر رباعيته يوم احد
قالوا له لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اي اغفر لهم هذا الشي المخصوص لا مطلقا والا لاسلموا
كلهم ذكره ابن حيان وانما دعا عليهم يوم الخندق بان الله يملا بطونهم نارا لانهم
شغلوه عن الصلاة الوسطى فكان الدعا لله لا لحظ نفسه **وحزم** كله اي
جميع احواله التي تصدر منه انما تصدر على غاية الضبط والقوة والشوكة الباطنة
والظاهرة لان منشا ذلك العقل الكامل وقد مر انه لا اكمل من عقله بل لا مساوي له
من نبي ولا ملك **وعزم** كله من عزم على الشي قطع به اي جميع ما يفعله بوحي او

كما مر

اجتهاد انما يفعله مع امضايه والقطع به من غير اعراض عنه ومن ثم كان من خصايصه
صلى الله عليه وسلم انه اذا فعل خيرا لزمه ادامته كما وقع له ان ناسا شغلوه عن سنة
الظهر البعدية حتى دخل وقت العصر فصلاها حينيذ واستمر يصلي ركعتين
بعد العصر الى وفاته **ووقار** كله لان الله تعالى القى عليه المهابة ما لا غاية له
ومن ثم قال خارجة بن زيد كما رواه ابو داود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوقر الناس في مجلسه وعن ابي سعيد الخدري كان اذا جلس في المجلس احتبى
بيديه وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه
فصلا لا فضولا ولا تقصيرا وكان ضحك اصحابه عنده التبسم مجلسه مجلس علم
وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم اطرق
جلساوه كانما على رؤوسهم الطير جاء اليه رجل فقام بين يديه فاخذته رعدة
شديدة ومهابة فقال له هون عليك فاني لست بملك ولا جبار انما انا ابن
امراة من قريش تاكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم
فقال يا ايها الناس اني اوحي الي ان تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغي احد
على احد ولا يفخر احد على احد وكونوا عباد الله اخوانا ورات قيلة بنت مخرمة
في المسجد قاعد القرفصى فارعدت من الفرق رواه ابو داود وروى مسلم
عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما
ملات عيني منه قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لي صفه لما قدرت واذا كان هذا
وهو من اجلا الصحابة كذلك فما بالك بغيره فعلم انه صلى الله عليه وسلم لولا انه
كان يباسطهم ويمزح معهم ومع ذلك لا يقول الا حقا ويتواضع لهم ويواسيهم
لما قدر احد منهم ان يجالسه ولا يحادثه لما القى الله عليه من المهابة والجلال وقد
خير صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاشار لجبريل يستشيره
فاشار اليه ان تواضع فاختار العبودية **وعصمة** كله اي حفظ يستحيل شرعا
وقوع خلافه من ساير الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة

وبعدها فی سایر حرکاته وسکناته فی باطنه وظاهره سره وعلانیته جده
ومزحه رضاه وغضبه والخلاف فی بعض ذلک لا یعول علیه کیف وقد
اجمع الصحابة رضوان الله علیهم وعلی اتباعه والتاسی به فی کلما یفعله من قلیل
وکثیر وصغیر وکبیر لم یکن عندهم فی ذلک توقف حتی اعماله فی السر والخلوة یحرصون
علی العلم بها وعلی اتباعها علم بهم او لم یعلم اومن تامل احوالهم معه استحیا
من الله کما قاله الامام المجتهد التقی السبکی ان یخطر له تشکک فی انه معصوم
فی کل ما ذکرناه وکذلک الانبیا کلهم معصومون کما ذکر وحکی فی عصمتهم قبل
النبوة خلاف ومحله فی غیر الجهل بالله وصفاته اما هو فهم معصومون منه
اجماعا بل لم ینشاوا الا علی اکمل الاحوال من الایمان بالله ومعرفته کما ینبغی وحکی
فی عصمتهم من الصغایر بعد النبوة خلاف ایضا وهو فی غایة الضعف بل
لزم قایلوه بخرق الاجماع وما لا یقول به مسلم ومحله فی غیر صغایر الخسة کسرقة
لقمة وفی غیر ما یتعلق بطرق التبلیغ اما هذان فهم معصومون منهما اجماعا
واما قوله تعالی ووجدک ضالا فهدی فللمفسرین فیه اقوال کثیرة احسنها
ما جاء عن ترجمان القران ابن عباس رضی الله عنهما واخرین من اصحابه وتابعیه
ان معناه وجدک ضالا عما اتاک من معالم النبوة فهداک الیها وبوبیره قوله تعالی
ما کنت تدری ای قبل الوحی ما الکتاب ای القران ولا الایمان ای الدعا الیه
ولا الفرایض والاحکام اذ الایمان یطلق علیها حقیقة نحو وما کان الله لیضیع
ایمانکم ای صلاتکم الی بیت المقدس کما یصرح به سبب النزول وما جاء مرفوعا
ای وجدک ضالا عن جدک عبد المطلب حتی کاد الجوع یقتلک فردک الله او
هو من ضل الماء فی اللبن اذا انغمر فیه ای وجدک مغمورا بین کفار مکة فنصرک
علیهم واما قوله ووضعنا عنک وزرک الذی انقض ظهرک فاختلف المفسرون فیه
علی اقوال کثیرة بها یبطل الاحتجاج به للقول الساقط السابق انفا ومن
احسنها ان المعنی خففنا عنک اعباء النبوة التی اثقلت حقوقها والقیام بموجباتها

ظهرک

ظهرک حتی کاد ان یکون له نقیض ای صوت او المراد عصمناک من الوزر
الذی لو تحملته صوت ظهرک من ثقله فسمی العصمة وضعا مجازا او رفعنا عنک
اوزار امتک الذی اثقل ظهرک خوف غایلتها حتی امنک الله ذلک فی العاجل بقوله
عز قایلا وما کان الله لیعذبهم وانت فیهم واعطاک الشفاعة فیهم فی الآجل
واما قوله لیغفر لک الله ما تقدم من ذنبک وما تاخر فاختلفوا فیه کذلک
واحسن ما فیه ایضا قول ابن عباس رضی الله عنهما انک مغفور لک غیر مواخذ
بذنب ان لو کان او المراد بالذنب ذنوب امته علی وزان ما مر او ترک الاولی
والاخری کما قیل حسنات الابرار سیات المقربین وعلیه قوله تعالی عفا الله
عنک لم اذنت لهم ای محی عنک ما ارتکبته من خلاف الاولی ووقع لبعض
مشاهیر المفسرین فی بعض هذه الایات ما لا ینبغی من التساهل وسوء الادب
فاحذره وحفظ صلی الله علیه وسلم ایضا من اعدایه الحریصین علی قتله فکان
اصحابه یحرسونه حتی نزل والله یعصمک من الناس فاخرج صلی الله علیه وسلم
راسه من القبة وقال یا ایها الناس انصرفوا فقد عصمنی ربی وتواعد جماعة
علی قتله فلما هموا به سمعوا صوتا مهولا فغشی علیهم ثم تواعدوا مرة اخری فلما راوه
جاءت الصفا والمروة فحالتا بینه وبینهم وواعد ابو سفیان قریشا ان راه لیطان
علی عنقه فاعلموه به فذهب الیه فتولی هاربا فسیل فقال لما دنوت منه اشرفت
علی خندق مملوا نارا فکدت ان اهوی فیه وابصرت هولا عظیما وخفق اجنحة
قال صلی الله علیه وسلم تلک الملایکة لو دنی لاختطفته عضوا عضوا ووفد علیه عامر
ابن الطفیل وزید بن قیس لیقتلاه فشغله عامر فاراد زید قتله فلم یر الا عامرا
وحیاء کله کما یصرح به خبر البخاری عن ابی سعید رضی الله عنه کان رسول
الله صلی الله علیه وسلم اشد الناس حیاء من العذراء ای البکر فی خدرها قیل ذکره
من باب التتمیم لان العذراء فی خدرها یشتد حیاؤها اکثر مما یکون فیه خارجه
عنه لان الخلوة مظنة وقوع الفعل بها وقیل الظاهر ان المراد تقییده بما اذا

من الحياة

دخل عليها في خدرها لا حيث تكون وحدها فيه والحيا بالمد لغة تغير يعتري
الانسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع
من التقصير في حق ذي الحق وكذا الحيا المقصور وهو المطر وقوته وضعفه
بقوة حياة القلب وضعفه وهو اقسام ثمانية يطول استقصاها وها منها
حياء الكرم كحيائه صلى الله عليه وسلم من دعاهم الى وليمة زينب فطولوا عنده المقام
ان يقول لهم انصرفوا ومن ثم كان لا يواجه احدا بما يكره بل اذا بلغه عن احد شي
قال ما بال اقوام ولم يقل ما بال فلان قالت عايشة رضي الله عنها ما رايت منه ولا
راى مني ومنها حياء المحب وهو ما يخطر بقلب المحب في غيبة محبوبه فيهجم اليه
ومنها حياء العبودية وهو ممتزج بين محبة وخوف وغايته شهود عدم صلاح
عبوديته لمعبوده فيستحيي منه لا محالة ومنها حياء المرء من نفسه ان رضيت
بالنقص او قنعت بالدون حتى كان له نفسين يستحيي باحديهما من الاخرى وهذا
اكمل ما يكون من الحيا وهو حيا النفوس الشريفة الرفيعة وهو الذي قال فيه
صلى الله عليه وسلم الحيا لا ياتي الا بخير والحياء من الايمان رواهما البخاري وجعل
من الايمان مع انه غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتسا
وعلم فالحيا المكتسب هو الذي جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به دون
الغريزي غير ان من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى يكاد يكون
غريزيا وهو صلى الله عليه وسلم جمع الله له النوعين فكان في الغريزي اشد حياء
من العذراء في خدرها ومر ان عقله صلى الله عليه وسلم اوسع العقول ولذلك
اتسعت اخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يحجر فمن ذكر اتساع خلقه العظيم
في الحلم والعفو مع القدرة وصبره على ما يكره لا سيما في الشدايد حتى انه لا غل
الباساء اي الشدة وان افرطت لا سيما في الحروب وقد اسعرت نيرانها
واصطلمت عقول شجعانها ما منه متعلق بما بعده من المضاف او المضاف
اليه او يحمل عرى الصبر وهو حبس النفس على ما يكره اي اصابه من الحلم

والعفو

والعفو والصفح المشبهة في اشتمالها على من قامت به حتى منعته من وقوع
نادرة منه عند ثوران نار الغضب بحبال ربطت على شي واحكمت في عرى
فاستمسكت عليه ولم يكن حلها ولا نقضها فذكر العرى استعارة تخييلية
وتشبيه الصبر بالثوب السابغ ذي الازرار والعرى المحكمة استعارة بالكناية
وذكر الحل ترشيح وحسبك صبره على من حاربوه يوم احد في اشد ما نالوه به
من كسر رباعيته وشج وجهه فسال الدم على وجهه الشريف وشق ذلك
على اصحابه فقالوا يا رسول الله لو دعوت عليهم فقال اللهم اغفر لقومي او اهد
قومي فانهم لا يعلمون اي لا تعاجلهم بالعقوبة من اجلي فانهم لا يعلمون تفاصيل ما
يترتب عليهم في ذلك من انواع العذاب واصناف العقاب وروي عن عمر رضي
الله عنه انه قال بابي وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على
الارض الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطي ظهرك وادمي
وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم
لا يعلمون وانما قال صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حين شغلوه عن صلاة العصر اللهم
املا قلوبهم نارا لان الحق لله وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يغضب لنفسه وانما
يغضب ان انتهكت حرمات الله امتثالا لقول الله سبحانه جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم ومن ثم غضب صلى الله عليه وسلم في اماكن متعددة لاسباب
مختلفة لكن مرجعها الى انه لم يغضب لنفسه بل لربه وقد صح عن زيد بن سعنة
بمهملة ونون مفتوحتين وهو اجل احبار اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق
من علامات النبوة شي الا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين
نظرت اليه الا اثنتين لم اخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة
الجهل عليه الا حلما فكنت اتلطف له لان اخالطه فاعرف حلمه فابتعت منه
تمرا الى اجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين او ثلاثة اتيته
فاخذت بمجامع قميصه وردايه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت له الا تقضيني

يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر اي عدو الله انقول لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما احاذر فوته لضربت بسيفي راسك
ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر في سكون وتؤده وتبسم ثم قال انا
وهو كنا احوج الى غير هذا منك يا عمر فامرني بحسن الاداء وامره بحسن التقاضي
اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل فقلت
يا عمر كل علامات النبوه قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنتين
وذكر له ما مر وقد عرفتهما فاشهدك اني قد اسلمت وروى ابو داود ان اعرابيا
جاء اليه صلى الله عليه وسلم فجذبه بردايه وكان خشنا حتى اثر في عنقه الشريف
وقال له احملني على بعيري هذين فانك لا تحملني من مالك ولا من مال ابيك
فقال صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله وكررها ثلاثا حتى تقيدني من جذبتك التي
جذبتني كل ذلك والاعرابي يقول لا اقيدك ابدا ثم امر له بحمل بعير تمرا وبعير
شعيرا وروى البخاري ان اعرابيا جذبه حتى اثرت حاشية البرد في صفحة
عنقه الشريف من شدة جذبته وقال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك
فضحك ثم امر له بعطا وروى الترمذي عن عايشه رضي الله عنها لم يكن
صلى الله عليه وسلم فحاشا ولا متفحشا ولا يجزي بالسيئة السيئه ولكن يعفو ويصفح
اي لم يكن له الفحش خلقا ولا تكسبا وروى البخاري ان رجلا استاذن عليه
فلما راه قال بيس اخو العشيرة وبيس ابن العشيرة فلما جلس اليه الان له
القول وانبسط اليه فلما مضى سالته عايشة عما قال وعما فعل فقال
متى عهدتني فحاشا والعشرة القبيله وانبساطه اليه بالغ له لانه رئيس
قومه وتعليم للامه وفيه جواز المداراة اتقاء الشر وهي بذل الدنيا لصلاح
الدين او الدنيا او هما بخلاف المداهنة فانها بذل الدين لصلاح الدنيا
وهو صلى الله عليه وسلم انما بذل له من دنياه حسن عشرته ولم يمدحه فكان
قوله فيه حقا وفعله معه حسن عشرة وهذا الرجل بين بعضهم انه عيينة

ابن

ابن حصن الفزاري وقد كانت منه امور في حياة النبي صلى الله عليه وسلم
وبعد موته تدل على ضعف ايمانه بل ارتد في زمن الصديق وحارب ثم اسلم
في زمن عمر فما قاله صلى الله عليه وسلم فيه من علامات النبوه ولا ينافي ما مر انه لم
ينتقم لنفسه امره بقتل عقبة بن ابي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن
كان يوذيه صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى
فايس من ايمانهم ومن ثم لم يطمع في ايمان المنافقين امهلهم مع شدة ايذايهم
له بما لا يصبر عليه بشر وصبره على من اعلم بعدم ايمانه للمصلحة العامة كما اشار
لذلك صلى الله عليه وسلم بقوله لمن قال له اقتلهم لا يتحدث ان محمدا يقتل
اصحابه وصح عن انس كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس
واشجع الناس وان اهل المدينه فزعوا ليلة فخرجوا فراوه راجعا من
جهة الصوت متقلدا سيفه على فرس لابي طلحه فقال لهم لن تراعوا
ما راينا من باس وصارع صلى الله عليه وسلم ابطالا معروفين بانهم لا
يصرعون فصرعهم وفي البخاري عن البراء انه قيل له افررتم عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يفر كان هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنايم
فاستقبلونا بالسهام ولقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته
البيضا وان ابا سفيان بن الحارث اخذ بزمامها وهو يقول

انا النبي لا كذب ۞ انا ابن عبد المطلب

وثباته حينيذ نهاية الشجاعة كيف وقد فر جيشه عنه ولم يبق معه
الا بضعة عشر رجلا فوقف في نحو الوقت مولقة على بغلة لا تصلح لكر ولا
فر وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من جهله
ومن ثم قال الصحابة كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول الله صلى الله
عليه وسلم اي جعلناه بيننا وبين العدو ووقفنا خلفه محتمين به ولما قال

اللعين ابن خلف يوم احد اين محمد لا نجوت ان نجا فتناوله صلى الله
عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة وقال لاصحابه بعد ان ارادوا التعرض
له خلوا سبيله فطعنه في عنقه طعنة كان فيها اتلاف نفسه الخبيثة
اللعينة **ولا تستخفه** اي تخرجه عن ثباته وتواضعه ووقاره **السراء**
اي الرخاء والسعة في الجيوش والفتوح التي منحها في اواخر حياته بل هو
معها كهو قبلها لم يزدد الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا ومن ثم لما دخل
صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح في تلك الجيوش الهائلة التي لما راها ابو سفيان
قال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال له ويحك انه ليس
بملك ولكنها نبوة قال نعم وهو على ناقته القصوا في كتيبته الخضرا
بين ابي بكر واسيد بن حضير جاء انه وضع راسه تواضعا لله لما راى ما
اكرمه الله تعالى به من الفتح حتى ان راسه ليكاد تمس رحله شكرا وخضوعا
لعظمته ان احل له بلده ولم يحله لاحد قبله وانما اتصف صلى الله عليه وسلم
بهذه الكمالات التي لم توجد في غيره لانه **كرمت نفسه** لانه تعالى لما اراد
ايجاد خلقه ابرز الحقيقة المحمدية من انواره الصمدية في حضرة الاحدية
ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على ما اقتضاه كمال حكمه وسبق
في ارادته وعلمه ثم اعلمه تعالى بكماله ونبوته وبشره بعموم دعوته ورسالته
وانه نبي الانبيا وواسطة جميع الاصفيا وابوه ادم بين الروح والجسد بل
ولا روح ولا جسد ثم انبجست منه عيون الارواح فظهر مدد الهاني (?) عالمها
المتقدم على عالم الاشباح وكان هو الجنس العالي على جميع الاجناس والاب
الاكبر لجميع الموجودات والناس فهو وان تاخر وجود جسمه متميز على
العوالم كلها برفعته وتقدمه اذ هو خزانة السر الصمداني وممد بعود (?)
الامداد الرحماني فبسبب كرامة نفسه وتنزيهها من كل رذيلة ونقيصة
ما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء كيف وقلبه قد طهره الله بشق الملائكة

المراتب

المراتب المتعددة عند تنقله في الاطوار المختلفة كما مر بيانه واخراج ما فيه
مما جبل عليه النوع الانساني مما يقتضي ذنبك ثم طهر وغسل وحشي
من الحكم والعلوم ما لا يحيط به الا المانّ به عليه وذكر الخشاع (?) العلم بانتفايها
بالاولى من انتفاء السوء لانها السوء الذي جاوز حده لان المقام
مقام اطناب واذا تاملت ما اتاه الله تعالى لنبيه مما مر من تلك الكمالات
التي لا تحد ولا تعد علمت انه قد **عظمت نعمة الاله عليه** عظمة
قطعت ساير الخلق عن ان يصل احد منهم الى مبادي غاياتها ومفاصل
نهاياتها فبسبب هذه العظمة المذكورة **استقلت لذكره**
اي عندي وفتت ذكر ما انعم الله به عليه ونظيره اقم الصلاة لذكري
العظماء اي جميع ما انعم به عليه لانها وفي غايات الكمالات الباهرة
التي لا يدرك شاوها مخلوق ولو عرض معها على ذوي العقول
الكاملة جميع النعم والفضايل التي اوتيها غيره من المخلوقات لاستقلوه
وعدوها دون كمالاته وقطعوا بان ما عنده اعظم واجل وافخم واعيد
ضمير ذكره وحملت العظمى على ما ذكرته لان المتن صريح في ذكره باعتبار
انه فرع الاستقلال على عظم النعمة وحذرا من ان لو لم افعل ذلك
لاوهم ذلك الاستقلال على ما هو المتبادر منه عرفا الاحتقار العظمى
الشامل لبقية الانبيا والمرسلين والملايكة المقربين لاسيما وقد
استعمله الناظم فيه بعد بيتين حيث قال مستقل دنياك ولا تنظر
مع ذلك الى قبول ذلك الايهام لمنع بان يقال استقلال الشيء عده قليلا
حتى في العرف ولا شك ان ما عداه صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه
كنسبة القليل الى الكثير فان قلت يلزم على تسليم ذلك الايهام ان
الاحتقار متبادر حتى على ما ذكرت لان اضافة الاستقلال الى النعم
توهم احتقارها وهو محذور ايضا قلت ممنوع لان النعم الواصلة

للمعظم وغيره تنوصف بالقلة تارة وبالكثرة اخرى فلم يوهم ذكر الاستقلال
فيهما احتقارا لاصلا بخلاف الذوات فان وصفها بانها استقلت
يوهم احتقارها اذ لا يستعمل الاستقلال فيها لا بهذا المعنى غالبا
نعم قرينة المقام لا سيما مع مراعات وصفهم بالعظمة تدفع ذلك الايهام
كما هو جلي وبين عظمت والعظمى تجنيس الاشتقاق وكان صلى الله عليه وسلم
من الحلم على من اذاه وزيادة الاحتمال لاعدايه وفرط الحلم عليهم والا
والاغضا عنهم بالغاية التي لم يصل اليها غيره ومن ثم جهلت قومه
اى قريش وغيرهم عليه اى اذوه اذى لا يطاق فضربوه وخنقوه واغروا
به سفهاءهم وصغارهم فضربوه ورجموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه
فسال منها الدم على نعليه وشجوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر
والكهانة والجنون وتواعدوا على قتله مرات وحصروا لاجله بني هاشم
وبني المطلب في شعبهم سنتين حتى كادوا ان يهلكوا من الجوع كما مر جميع ذلك
في البخاري ومسلم من حديث عايشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل
اتى عليك يوم اشد من يوم احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد
ما لقيت منهم يوم العقبة وذكر ما مر من ذهابه الى ثقيف فاغروا به
سفهاءهم وصبيانهم فضربوه ورجموه فاغضى عنهم حلما وتكرما لاسيما
وقد جاءه لما اشتد ايذاوهم له ملك الجبال كما رواه البخاري ومسلم من
حديث عايشة السابقة انفا فانه قال بعد ان ذكر ما اذاه به ثقيف
لما خرج اليهم بعد موت ابي طالب يدعوهم الى الله ويستنصرهم على
قريش فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن
الثعالب اى ميقات اهل الحجاز فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد
اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول
قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شئت

فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك
وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتامرني بامرك ان شئت ان اطبق عليهم
الاخشبين فقال صلى الله عليه وسلم ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله
وحده لا يشرك به شيئا فكان الامر كما رجى صلى الله عليه وسلم واخو الحلم اى
الثاني في الامور وعدم الانتقام ممن اتى بمكروه وان عظم اى الذي طبع عليه حتى
صار غريزة له مختلطا بلحمه ودمه دابه اى شانه وعادته المستمر هو عليها الا
الاغضاء اى التغافل عن ان يلتفت الى اذاه اذى فضلا عن ان ينتقم
من اذاه وفي كلامه المقابلة لما تقرر ان المراد بالجهل لازمه من ايذائه بما لا
يطاق ومن ثم لما اذوه يوم احد بشج وجهه وكسر رباعيته قيل له ادع
عليهم فقال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اى علما ينتفعون به اما جهلهم
اى المتقادم الشيء على خلاف ما هو عليه وكثير منهم كانوا كذلك فكانوا يعتقد ون
على ايذايه ومقاتلته غفلة عما لو التفت قلوبهم اليه ادنى التفاته من معجزاته
لعلموا الحق واتبعوه من نورهم واما لعنادهم وهم الاكثرون قال تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا اى فنزل علمهم منزلة
الجهل بل هو اضر منه كما لا يخفى ولهذا تقرر ان في تعبير الناظم بالجهل
تضمينا لجملة قوله يعلمون وان المراد بالحلم لازمه من عدم الانتقام وكذا
بين الامساك والاعطا والتحقق والظن الاتيان وفيه ايضا جناس
الاشتقاق بين اغضى والاغضا والتذييل بالمثل السابر واصل الاغضا
اطباق العين عن روية المكروه فاستعير لما ذكر بجامع الاعراض المكروه
فيهما واذا كان اخو الحلم دابه ذلك فكيف بنبينا صلى الله عليه وسلم وهو
الذي وصل من الحلم الى غاية لم يصل اليها مخلوق لان الله تع هو
الذي تولى تاديبه بنفسه وافاض عليه من حقايق حلمه وقدسه
حيث قال له خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وفسرها

جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم حين ساله فقال يا محمد ان الله يامرك ان
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وكل من اثر له
زلة او هفوة تنافي لحلم الانبيا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيد على كثرة
الاذى الا صبرا وعلى جهل الجاهلين وان بلغ الغاية الا حلما ولقد
قالت عايشة ما رايته منتصرا من مظلمة ظلمها الا ان تكون حرمة
من محارم الله اى المتعلقة به تعالى كما مر ذلك مستوفا في شرح قوله
لا تحل الباساء منه عرى الصبر ومنه قصة الاعرابي الذى جذبه
بردايه حتى اثر في عنقه الشريف وقال له اعطني من مال الله لا من مالك
ومال ابيك فقال صلى الله عليه وسلم المال مال الله وانا عبده ثم طلب منه القود
فقال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك وامر ان يحمل
بعيريه ومر في قصة اليهودي الذى اسلم من علامات نبوته ان حلمه
يسبق غضبه وانه لا تزيد شدة الجهل عليه الا حلما ولما دخل في غزوة
فتح مكة على قريش وقد اجلسوا في المسجد الحرام واصحابه ينتظرون
امره فيهم من قتل وغيره فقال لهم ما تظنون اني فاعل بكم قالوا
خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب
عليكم اليوم اذهبوا فانتم طلقا وسع بالكسر العالمين جمع عالم
وللمحققين فيه في الاية كلام منتشر لا باس بتلخيصه وتحريره هنا
وهو مع اشتقاقه من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم اسم لما يختم به
مع كونه مشتقا من الختم ثم غلب فيما يعلم به الخالق تع فصار اسما
لكل ما سواه تعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها
الى موثر واجب لذاته يدل على وجوده وجمع ليشمل ما تحته من الاجناس
المختلفة ولا يعارضه ان المفرد هو العالم ادل على الشمول والاستغرا
اذ الجمع قد يحتمل غير الشمول لان الغرض هنا افاده ان له اجناسا مختلفة

مطلب

كالجن

كالجن والانس والملايكة والافلاك والدواب والجماد وغير ذلك
واستغراق جميعها بطريق المطابقة ولو قيل العالم لاوهم استغراق
بعض افراد تلك الجناس فقط ولاصحاب حواشي الكشاف هنا كلام
متباين هذا احسنه وغلب في جمعه بالواو والياء والنون العقلا
لشرفهم وجمع جمع قلة مع ان الظاهر يستدعي للاتيان بجمع الكثرة تنبيها
على ان العوالم وان كثرت قليلة في جنب عظمة الله وكبريايه وقيل
العالم اسم وضع لذوي العلم وهم الانس والملايكة والجن وتناوله لغيرهم
على سبيل الاستتباع فهو مشتق من العلم وقيل عني به الناس فان
كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظايرها في العالم الكبير
من الجواهر والاعراض التي يعلم بها الصانع ولم يذكر سوى بين النظر
بينهما فقال تع وفي انفسكم افلا تبصرون وقد بين حجة الاسلام في كتابه
الانتصار لما في الاحيا من الاسرار وجه اشتمال الانسان على نظيرها
في العالم بما فيه طول فراجعه فانه بديع ومنه ان العالم ينقسم الى عوالم
عالم الملك وهو الظاهر للحواس والى عالم الملكوت وهو المدرك بالعقل
وعالم الجبروت وهو المتوسط الذى اخذ بطرف كل عالم منها والانسان
كذلك فالمناسب للاول اجزا بدنه وللثاني نحو روحه وعقله وارادته
وللثالث الادراكات الموجوده بالحواس والقوى الموجوده باجزاء
البدن علما تمييز اى وسع علمه علوم العالمين الانس والملايكة والجن
لان الله تعالى اطلعه على العالم فعلم علم الاولين والاخرين ما كان
وما يكون كما مر وحسبك في ذلك القران الذي اوتيه ومثله معه كما صح
عنه وقد قال تع ما فرطنا في الكتاب من شي ويلزم من احاطته صلى
الله عليه وسلم بالعلوم القرانية ومثلها الذى اوتيه ايضا انه احاط بعلوم
الاولين والاخرين وان علومهم مندرجة ومنغمرة في علومه صلى الله عليه وسلم

وبينه وبين ما قبله الجناس المضارع **وحلماً** غيراي وسع حلمه حلم
العالمين باسرهم كما عرف مما سبق انه ما من حليم قط الا وقد عرفت
له زلة او هفوة تخدش في كمال حلمه الا الانبيا صلى الله عليه وسلم فانه
لا تزيده شدة الايذا له والجهل عليه الا حلما وعفوا وصفحا **فهو**
بسبب جمعه تلك المعالي التي لم تجتمع لغيره **بحر** اي واسع العلم والحلم
وغيرهما من اخلاق نفسه الزكية وصفاتها العلية فهو تشبيه بليغ
واستعارة على قول من رده كالبحر الذي هو خلاف البر والنهر
سمي بحرا لاتساعه وعمقه **لم يعيه** من اعيى فلان في مشيه اي تعب
او وقف **الاعباء** جمع عبء بكسر اوله وبالموحده والهمزة وهو الحمل
والثقل من اي شي كان اي لم يكدر بحر علمه شك ولا شبهة وبحر علمه
ايذاء والجهاله فاستعار الاعيا للكدورة والاعبا للتشبيه والجهالات
واذا تاملت ما تقدم من اوصاف كماله الباهره وعصمته ونزاهته
الظاهره وانه البحر الذي اندرجت البحار كلها في بحته والحليم الكريم الذي
دخل كل كريم وحليم تحت حيطة كرمه وحلمه علمت انه لعصمته عن التلفت
لما سوى الله تع **مستقل** اي محتقر **دنياك** اي الاموال التي هي من جملتها
اذ هي في الاصل اسم لما بين السما والارض **ان ينسب الامساك منها ال**
ليه وان ينسب اليه ايضا **الاعطاء** منها لانها لتفاهتها وكثرة الاشتغا
بها عن المعالي حقيقة بمزيد الاعراض عنها وعدم الالتفات الى امساكها
واخراجها ولو لمستحقها احتقارا لشانها وتعليما للامه عدم الاعتداد
بها ودليل اعراضه صلى الله عليه وسلم اشد الاعراض خبر الترمذي انه
صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ان يجعل لي بطحا مكة ذهبا فقلت لا
يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك
واذا شبعت شكرتك وحمدتك وعلم هذا التفصيل الاستلزاذ بخطابه

تعالى والا فهو عالم بالاشيا جمله وتفصيلا وروى الطبراني باسناد
حسن انه صلى الله عليه وسلم كان هو وجبريل على الصفا فقال يا جبريل
والذي بعثك بالحق ما امسى لال محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق
فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هذه من السما افزعته فقال صلى
الله عليه وسلم امر الله القيمة ان تقوم قال لا ولكن امر اسرافيل بنزل اليك
حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني
اليك بمفاتيح خزاين الارض وامرني ان اعرض عليك اسير معك
جبال تهامه زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فان شئت
نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومى اليه جبريل ان تواضع فقال
بل نبيا عبدا ثلاثا فانظر الى همته العليه كيف عرضت خزاين الارض
فاعرض عنها واباها مع انه لو اخذها لم ينفقها الا في طاعة ربه لكنه
اختار العبوديه المحضه فيالها من همة شريفه رفيعه ما اسناها
ونفس زكية ما ابهاها وقد اشار الناظم الى ما هنا بقوله في برده المديح
وراودته الجبال الشم من ذهب الابيات الثلاثه ومعنى البيت
الثالث كيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف
الدنيا وزينتها وهي وما فيها انما خلقت لاجله كما صرح به الخبر
السابق تنبيه قوله هنا مستقل الخ احسن من قوله ثم وكدت
زهده فيها ضرورته لان بعض العلما انكر وصفه صلى الله عليه وسلم
بالزهد ويؤيده قول محمد بن واسع وقد قيل له فلان زاهد فقال
وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها واذا انكر وصفه بالزهد فالضرورة
من باب اولى وفي السيف المسلول للتقي السبكي عن الشفا واقره ان
فقهاء الاندلس افتوا باراقة دم من وصفه صلى الله عليه وسلم في اثنا
مناظرته باليتيم ثم زعم ان زهده لم يكن قصدا او لو قدر على الطيبات

لاكلها وذكر بدر الزركشي عن بعض الفقها المتاخرين انه كان يقول لم
يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا حاله حال فقير بل كان
اغنى الناس بالله قد كفي امر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في قوله
صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا ان المراد به استكانة القلب لا المسكنة
التي هي ان لا يجد ما يقع موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من
يعتقد خلاف ذلك انتهى واما خبر الفقر فخري وبه افتخر فموضوع وقد
صح انه استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من فتنة الغنا فائدة
اكثر القران مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الاخرة بل
هذا هو المقصود بالذات من سائر الشرايع كيف وهي عدوة لله لقطعها
طريق الوصلة اليه ولذا لم ينظر اليها منذ خلقها وعدوة لاوليائه لانها
تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وعدوة لاعدا
لانها استدرجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكها حتى وثقوا بها فخذلتهم احوج
ما كانوا اليها وروى جماعة في قصة ثعلبة بن ابي حاطب الذي انزل الله
فيه ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن الايات انه سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو له بان الله يرزقه مالا فقال له قليل تؤدي
شكره خير من كثير لا تطيقه فاعاد السوال فقال صلى الله عليه وسلم اما لك
في اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله اما والذي نفسي بيده لو شئت ان
تسير الجبال معي ذهبا لسالت الحديث بطوله وصح انه صلى الله عليه وسلم راى
شاة ميتة فقال والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله عز وجل من
هذه الشاة على اهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى
كافرا منها شربة ما، وفي خبر لحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر
الله وما والاه وعالما ومتعلما وصح ان ابا بكر رضي الله عنه دعا بشراب
فاتي بما، وعسل فبكى حتى ابكى اصحابه ثم بكى ومسح عينيه فسالوه

فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يدفع عن نفسه شيا
ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا
تمثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت اما انك ان افلت مني لم يفلت
مني من بعدك وصح من جملة الحديث المشهور فوالله ما الفقر اخشى عليكم
ولكن اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم
فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم تنبيهات اولها المراد
بالدنيا المذمومة في الاحاديث وغيرها ما في قوله تعالى زين للناس
حب الشهوات من النسا والبنين الاية ويجمع ذلك كل ما لك فيه عاجل
حظ او شهوة من غير ان يعين على عمل اخروي ولا يقصد به ثانيها تعارضت
الاحاديث في ذم المال ومدحه لانه مع ما سبق من ذم الدنيا سمي المال خيرا وفي
الحديث نعم المال الصالح للمرء الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والضيافة
والاحسان والزكاة والحج ونحوها فهو ثناء على المال لانه يتوصل به اليه وفي
حديث البيهقي وغيره كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال وفي
وصح على نزاع فيه ولذلك قال بعض الحفاظ انه حسن وزعم بطلانه غلط صريح
خبر اللهم من آمن بي وصدقني وعلم ان ما جئت به الحق من عندك فاقلل ماله
وولده وحبب اليه لقاءك وعجل له القضا ومن لم يؤمن بي ولم يصدقني ولم
يعلم ان ما جئت به الحق من عندك فاكثر ماله وولده واطل عمره وطرقه
كثيرة مختلفة بينها وهي صحيحة على شرط الشيخين ان ابا ذر اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال اني احبكم اهل البيت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
الله قال الله قال فاعد للفقر تجفافا فان الفقر اسرع الى من يحبنا من
السيل من اعلى الاكمة الى اسفلها مع دعائه صلى الله عليه وسلم لخادمه انس بان الله
يكثر ماله وولده رواه الشيخان ووجه الجمع ان المرغوب في الاول من قلة
المال والولد المراد منه قلة تنفعهما لان الغالب فيهما الفتن كما هو واضح من

ذبيح بنذر الالالهم ادعوم

الايات والاحاديث وفي الثاني من كثرتهما ان المراد به كثرة ثوابهما دون اثمهما
الاخروية فالمال ليس خيرا محضا من كل وجه ولا شرا محضا من كل وجه وانما هو
كالسيف في يد القاتل يقتل به معصوما تارة ومهدرا اخرى او كجنة في يد
انسان فيها سم وترياق لكن سمها اكثر واغلب وارجح للنفوس واذهب
واذا تاملت ايضا ما تقرر من كمالاته العلية علمت انه **شمس** سما العلوم والكمالات
باسرها كيف وكل **مفضل** تحلى به كامل فانما هو بواسطة استمداده من
فضله واذا كان الامر كذلك **تحقق** من حق بمعنى ثبت **الظن** بمعنى الاعتقاد
الجازم المطابق للواقع **فيه** اي في ذاته وصفاته **انه** بالنسبة الى بقية الكمل
في اشراقه ورفعته عليهم **الشمس** المشرقة على هذا العالم الثابتة نعتة
رفعته فلا يصل اليها احد منهم **وانه الضياء** المفيض عليهم اضوا الكمالات
وخوارق الامدادات وبين الشمس والضيا تجنيس مراعاة النظير
وفيهما التشبيه البليغ او الاستعارة الاصلية المطلقة على القولين الذي
مر رده ومر اوايل الكتاب ما للبلغا في التشبيه بالشمس فراجعه لكن
ليس كون المشبه به اعلى من المشبه امرا مطردا بل قد ينعكس الحال كما في
صلاة التشهد كما صليت على ابرهيم على احد الاجوبة فيه وما هنا من ذلك
كما بينه الناظم رحمه الله لذلك حيث بين انه صلى الله عليه وسلم اعلى شانا في
الضيا من الشمس فقال عاطفا بفاء السببية اشعارا بالنكتة التي ذكرناها
انه تنبيها **ف**بسبب ان المشبه قد يكون اعلى من المشبه به كان شانه
صلى الله عليه وسلم **اذا ما** لم يتكلم الجمال بن هشام على هذه في المغني مع ايقا
في القران في غير موضع وتكلم على اذا مع كونها ليست فيه وتكلم على
تلك البهاء السبكي في عروس الافراح في ادوات الشرط لكنه لم يتعرض
الى ان زيادة ما نقلها الى الحرفية اولا وقال الجلال مكمل السيوطي يحتمل ان
يجري فيها قولا اذ ما قول سيبويه انها حرف وغيره انها باقية على الظرفية

ويحتمل ان يجزم ببقائها على الظرفية لانها ابعد عن التركيب بخلاف
اذ ما انتهى وفيما علل به الجزم نظر لانه قابل للمنع فالذي يتجه جريان الخلاف
وان الاصح بقاؤها على الظرفية لان ما تزاد في نحو ذلك كثيرا وحينئذ فيجري
فيها احكام اذا غير الفجائية من ان الغالب انها ظرف للمستقبل مضمنة
معنى الشرط وتختص بالجمل الفعلية ولو مقدرة كاذا السما انشقت ويحتاج
لجواب ويقع في الابتدا عكس الفجائية وجوابها اما فعل كما هنا او جملة
اسمية مقرونة بالفاء او باذا الفجائية نحو اذا هم يستبشرون او فعلية
طلبية كذلك وقد يقدر الجواب لدلالة السياق او المقام عليه ثم المحققون
على ان ناصبها شرطها فالاكثرون على انه ما في جوابها من فعل او شبهه
ولا تخرج عن الظرفية عند الجمهور وزعم الاخفش في حتى اذا جاوها
انها مجرورة بحتى وابن جني في اذا وقعت الواقعة بناء على نصب
خافضة رافعة ان اذا الاولى مبتدا والثانية خبر والمنصوبان
حالان وكذا ليس ومعمولاها نعم قد تخرج عن الاستقبال فترد للحال
نحو والليل اذا يغشى وللماضي نحو واذا راوا تجارة الاية فانها نزلت بعد
الروية والانفضاض وعن الشرطية نحو واذا ما غضبوا هم يغفرون
فهي ظرف لخبر المبتدا وزعم انها جوابها بتقدير فهم غفلة عن ان حذف
الفا ضرورة وانهم تاكيد لواو يغفرون الذي هو جوابها تعسف
وان جوابها محذوف تكلف بلا ضرورة وقد تستعمل للاستمرار الازمنة
نحو واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقد ينظر فيه بان الاستمرار
هنا وفي نظايره التي استدلوا بها انما اخذ من قرينة السياق دون موضوع
اذا وتفارق ان في احكام كثيرة منها ان اذا للمتيقن والمظنون الكثير
الوقوع كما هنا في اذا ما وان للمشكوك او الموهوم النادر ولا نحو ولئن
متم لان الموت لكثرة الغفلة عنه والجهل بوقته نزل منزلة الموهوم

يرد ضمه

ولا تمحو وا ذا مس الانسان الضر لانه لتخويفهم واخبارهم بان لابد ان يمسهم
شى من العذاب **ضحى** اى مشى عقب طلوع الشمس وهذا القيد لتقييد
الجزاء به اذ محو نوره الظل يكون فى هذا الوقت وقبيله لكنه فى هذا الوقت
اظهر لقوة ضيا الشمس ومحو نورها حينئذ **محى نوره** وبين هذا وضحى
التجنيس اللاحق وهذا والضحى تجنيس الاشتقاق **الظل** مفعول اى ظل
ذاته الكريمه او مطلق الظل مبالغة بل حقيقة لان نوره صلى الله عليه وسلم
اصل كل نور وهو لا ينفى سعه ظله ومنها الظلال والمراد بالظل كل ظلم ونقص
وبنوره ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة والعلوم والاداب
والحال انه **قد اثبت الظلال** جمع ظل وهو ما تنسخه الشمس او بنسخها
هو واخص منه الفى لانه اسم لما بعد الزوال من الظل فهو ما نسخ الشمس
وقيل كل ما نسخته فهو فى وظل وكل ما لم تنسخه فهو ظل لا فى **الضحاء** اى
ارتفاع الشمس ومده لضرورة النظم فنبينا صلى الله عليه وسلم اكمل من الشمس
رفعة وضوءا لان نورها يثبت الظل ونور نبينا يمحوه ويدل على المعنى الاول
ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه اذا مشى فى الشمس لا يظهر له ظل لطهارة
ذاته وبعده عن كل بعض ولان الله تع استجاب له دعاه المشهور انه يجعله كله
نورا فكان بدنه فى غاية الاضاءة التى لا تحجب ما يقابلها قيل مد الضحا
لضرورة النظم انتهى وفيه تطويل الذى فى القاموس ان الممدود ما قرب
من انتصاف النهار كما مر تود ذكر ان المقصود الشمس وحينئذ ان اريد بالضحا
الشمس كان مده ضرورة او قرب انتصاف النهار كان مده صحيحا لا ضرورة
فيه تنبيه لك ان تستشكل تركيب قوله شمس فضل الخ بان حكمه
عليه بانه شمس الفضل يغنى عن قوله تحقق الظن الخ لانه اذا اثبت اولا
انه شمس الفضل الذى هو اسم لكل كمال علم انه الشمس فى الرفعة وانه الضيا
فقوله تحقق الخ لا حاجة اليه وجوابه ما اشرت اليه فى حله من ان جمله تحقق

الظن فيه حال مؤكده لما قبلها وصاحب الحال الضمير العايد عليه اذ
مستقل وشمس فضل معطوفان على نحو بحذف حرف العاطف ومقدر
الكمال مسند الى سنيها فالنفرد شبابه صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان كل المستقل
كامل فى ذاته لتضمنه للتنبيه كما مر فى شرح قوله كل وصف لم ابتدا الخ
ولما ورد على ظاهر ما قرره ان نوره يمحو الظل ما سبق له صلى الله عليه وسلم
ان الغمامة كانت تظلله بان يقال كيف يمحو نوره الظل والغمامة اظلت
فلم لم يمح نوره ظل الغمامه ولم احتاج اليه مع انه الضيا الاعظم من ضيا
الشمس اشار الى جواب ذلك لكن بما قد تقصر عنه عبارته ببادى الراى
فقال **ف**بسبب محو نوره الظل الحسى على ما مر صار صلى الله عليه وسلم
هو الظل المعنوى الاعظم على جميع اتباعه حتى **كان الغمامة** لما اظلته
قبل النبوه ارهاصا وتاسيسا لما سيصير اليه امره اعلمته بانها **استودعته**
الامم باسرها لكن اصحابه وهم الرفقا ومن بعدهم بواسطة امداد الاولين
من ظله وامدادهم لمن بعدهم من ذكر الظل بالدين بواسطتهم **من** اى الذين
اظلت هم **من بعض محله الاعظم الرفقاء** جمع راف كعلما جمع عالم وهم
جيوشه سمى الجيوش بذلك لانهم يرفقون نحو العدو اى يسيرون اليه لرفعه
واستيصاله وحاصل الجواب ان ذكر التظليل الذى كان قبل النبوه كان
لحكمتين احدهما الارهاص كما تقرر وثانيهما اعلامه صلى الله عليه وسلم بما سيؤول
اليه امره من ان الله سيجعل له امة اكثر الامم وانهم قرون متفاوتون وان
كل قرن منهم مستمد من القرن الذى قبلهم وان الكل مستمدون وممدون من
ظله فساير القرون مستمدون وممدون من اصحابه واصحابه مستمدون
من ظله وممدون من ظله وحينئذ فلا تنافى بين محو نوره الظل وبقا الظل
مع نوره عند تظليل الغمامه له لان المحو هو الاصل المستمر والبقا انما كان
على خلاف الاصل للحكمتين المذكورتين احدهما الارهاص والثانية الاعلام

له بعموم ظلم المعنوى على الامة من اولهم الى اخرهم فتامل ذلك فانه مهم بل انغلق
معنى هذا البيت على الشارح فقال انه وجد هذا البيت فى نسخة وانه
غير مفهوم بسبب انغلاقه عليه جعله الضمير المفعول فى استودعته
للظل لا يقال بل ما قاله من رجوعه للظل يتضح به المعنى لكن ان جعلنا الذى
الطيور يكون فى البيت حينئذ التلميح الى قصة هى ان الطيور كانت
تظل الانبيا قبله كداود وسليمان بل بنى اسرائيل وظللنا عليهم الغمام وحينئذ
فكانه يقول الغمامة لما اظلته استودعت الظل الانبيا الذين اظلتهم
الطيور من ظله لانا نقول هذا المعنى لا يطابق اللفظ سلمناه مع ما فيه من
البعد والتكلف فوزن دفقا فعلا وهو انما يكون جمعا لفعيل اذا كان
وصف ذكر عاقل بشروط اخرى ولما دل على سجية حمد او ذم بشروط
اخرى كشجاع وشجعا وصالح وصلحا وشاعر وشعرا وجاهل وجهلا فعلم
انه لا يصح حمله على الطيور اصلا لانه انما يكون جمعا لصفة عاقل مذكر او
سجية حمد او ذم بشرطها على ان الذى سمع فى الطير دفوف فى العقاب
وفعلا لا يجمع عليه اصلا ودافى فيما يطير بجناحيه ولا يصف وبنحو
وصف لغير عاقل ودفيف وهو ليس وصفا للطاير بل للحركة بتسليم
انه وصف له هو غير عاقل فان قلت المعنى الصحيح ان الغمامة لما
اظلته استودعت الظل للطيور التى اظلت الانبيا من ظله فضلا
بحمل النظم عليه قلت يعارضه ما تقرر فى قاعدة جمع فعلا وبتسليم
تجوزا فى الجمع فالنظم ينبو عن هذا المعنى بكل وجه كما هو واضح فان
قلت ظاهر كلام الناظم فى البردة انه احتاج لتظليل الغمامة لتقيه
حر الشمس فينافى ما مر ان تظليلها للحكمتين السابقتين قلت
ما فهمه كلامه لم يعارضه ان تظليلها لم يكن الا قبل النبوة ارهاصا
كما مر ولو كان لما ذكره لكان بعد النبوة ايضا فان قلت قد ظلل

عليه صلى الله عليه وسلم ثم عند رميه للجمرة بثوب وهو يشعر بالاحتياج قلت
هذا امر ضرورة للجبلة البشرية وما نحن فيه من حيث الحقيقة والامور
الاصلية فتامله وايضا فهو صلى الله عليه وسلم برز للشمس فى عرفة ولم يظلل
اشارة الى ان السنة للمحرم ان يبرز للشمس وظل عند الرمى اشارة الى انه
لا يسن البروز للشمس هناك كما ذكروه وعليه فلا اشكال اصلا ومرت قصة
تظليل الغمامة ورواياتها فى شرح قوله

وانّا هالة الغمامة والشرح أظلته منهما أفياء

واذا تقرر ان كل فضل مستمد من فضله وان نوره يمحو الظل على ما سبق فى
معناه علم انه قد خفيت عنده اى فى جنب ما اوتيه الفضائل التى اوتيها
غيره من الانس والملائكة والجن وانه قد انجابت اى انكشفت به اى
بسبب ما بثه فينا من علومه وادابه واخلاقه عن عقولنا معشر امة الاجابة
والعقل لغة المنع واصطلاحا غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة
الالات وفيه خلاف طويل اشار اليه فى القاموس وعبارته العقل العلم بصفة
الانسان حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها او العلم بخير الخيرين وشر
الشرين او مطلق الامور او لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن ولمعان
مجتمعة فى الذهن يكون بمقدمات يستتب بها الاغراض والمصالح او لهيئة
محمودة للانسان فى حركاته وكلامه والحق انه نور روحانى به تدرك
النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتدا وجوده عند اجتنان
الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهت الاهواء اى
الضلالات والنقايص فلم يقع فى ورطة شى منها كما وقع فيها من اعرض
عن الهدى وسلك سبيل الردى ثم استدل على ذكر الخفا وكشف
الهوى بما افاده الاستفهام الانكارى فقال على طريق اللف والنشر
المرتب ايوجد مع الصبح للنجوم تجل ام يوجد مع الشمس للظلام بقاء

اى انما خفيت الفضايل عنده لانه الفجر الصادق وغيره من ساير
الكمل كالنجوم فكما ان النجوم لا يبقى لها نور مع الفجر فكذلك ساير
الكمل وانما كشف عن عقولنا الاهواء لانه الشمس كما مر والاهوية
والنقايص كالظلام فكما ان الظلام لا يبقى مع الشمس فكذلك الاهوية
والظلالات لا تبقى مع اشراق الشمس من غير حايل بينها وبين ما اشرقت
عليه وبين الصبح والنجوم والشمس والظلام تجنيس التقابل وفى البيت
الكلام الجامع ولما قرر ما يتعلق بقوله شمس فضل بما بعده الى هنا لانه
مناسب له عطف بحذف حرفه واستانف نظير ما مر فقال
معجز القول لان الله تعالى امتن عليه بجوامع الكلم التى اوتيها دون غيره
ومن ثم قال بعض العلما ان كلامه معجز كالقران وكان الناظم رحمه الله
اعتمد هذا القول حيث عبر بما يوافقه وان احتمل ان يريد ما يوافق
مذهب الاكثرين ان كلامه غير معجز ومعجز الفعال فلا يقدر مخلوق
ان يوجد فعلا مطابقا لساير المصالح الظاهره والباطنه فى ذلك الوقت
الذى اوجد فيه ذلك الفعل غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هى مرتبة وادب
الحضرة الالهيه الذى لا يدخل احد اليها الا باذنه كريم الخلق كما يعلم مما
قدمته مبسوطا فى شرح قوله فمنزه فى ذاته اخ كريم والخلق بضم اوله
كما مر مبسوطا فى شرح قوله ما سوى خلقه النسيم وبين القول والفعل
والخلق والخلق تجنيس التقابل مع تجنيس التحريف فى الثانى مقسط
اى عادل فى احكامه واقواله وافعاله فلا يصدر منه شى قط
الا على غاية العدل باطنا وظاهرا باتفاق كل من راه وعلم احواله حتى
اعدايه ومناويه الا ترى ان قريشا لما بنوا الكعبة والنبى معهم قبل النبوة
ثم وصلوا الى موضع الحجر الاسود اختلفوا فيمن يضعه فى محله ثم اجمعوا على
انهم يحكمون اول داخل المسجد فكان النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا

هذا

هذا الامين فحكموه فامر بوضعه بثوب وامر كل رئيس قبيلة ان يمسك
بطرف الثوب ثم يرفعوه ففعلوا الى ان بلغوا به محله فاخذه صلى الله عليه وسلم
ووضعه فى محله وصح ان رجلا قال له وهو يقسم اعدل فقال ويلك فمن يعدل
ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل وكان يقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع
وكان يقول ابلاغى فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله
يوم الفزع الاكبر وكان لا يواخذ احدا بقول احد ولا يصدق احدا فى
احد معطاء اى كثير العطا الذى يعجز عن ادناه الملوك فقد صح عن
انس كان النبى صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس واجود الناس
واقتصاره على هذه الثلاثه من جوامع الكلم التى منحها من امداده صلى
الله عليه وسلم لانها امهات الاخلاق اذ فى كل انسان ثلاث قوى الغضبيه
وكمالها الشجاعه والشهوانيه وكمالها الجود والقوليه وكمالها اكتساب الفضايل
واجتناب الرذايل وصح عنه ايضا ما سيل صلى الله عليه وسلم شيا الا اعطاه
فجاءه رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال اسلموا فان محمدا
يعطى عطا من لا يخاف الفقر واعطى صفوان بن امية يوم حنين حتى اسلم
اعطاه مايه من الغنم ثم مايه ثم مايه وصح عن جابر ما سيل صلى الله عليه وسلم عن
شى قط فقال لا اى لا ينطق بالرد بل ان كان عنده المسول وساغ الاعطا
بان لم يرضوا ما عنده لما هو اهم اعطاه والا سكت كما فى حديث مرسل
فحينيذ لا ينافى الحديث الايه قلت لا اجد ما احملكم عليه فهو لا يقولها
منعا للعطا بل اعتذارا حيث لا ينفع السكوت لنحو جهل السايل وفى حديث
الترمذى انه حمل اليه سبعون الف درهم فقام اليها فما رد سايلا
حتى فرغ منها وقال لسايل ما عندى شى ولكن ابتع على فاذا جانا
شى قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر فكره منه ذلك فقال
انصارى انفق يا رسول الله ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم

وعرف البشر في وجهه وقال هذا امرت وقوم ما اعطاه يوم حنين
خمسماية الف الف قيل هذا نهاية الجود الذي ما سمع لاحد مثله وصح انه
اتي بمال من البحرين فامر بصبه في المسجد وكان اكثر مال اتي به صلى الله عليه وسلم
وفي رواية مرسلة كان ماية الف فخرج الى الصلاة فلم يلتفت اليه ثم
بعدها جلس اليه تفرقه ومع هذا الجود الواسع الذايع كان صلى الله عليه وسلم
يعيش الفقرا ويأتي عليه الشهران لا يوقد في بيته نار وربما ربط الحجر
على بطنه الشريف من شدة الجوع وجاءه سبي فسالته فاطمة في خادم
يكفيهما مونة بيتهما فامرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والحمد
وقال لا اعطيك وادع اهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع واذا
علمت اتصافه صلى الله عليه وسلم بهذه الاوصاف الجليلة التي لم يوجد
مثلها وما لا يقاربها في مخلوق غيره علمت ان من الواجب على كل
من عرف ذلك ان يقول لمن لم يعرفه حق معرفته لا تقس من قست
الشي بغيره قدرته على مثاله اي لا تشبه بالنبي الموصوف بما ذكر وهو نبينا
صلى الله عليه وسلم في الفضل الجامع لتلك الصفات بل ولا في كل وصف منها
على حدته لان كل وصف من اوصافه وصل فيه الى غاية لم يلحقه فيها
مخلوق خلقا نبيا او ملكا او غيرهما اي لا تعتقد ان مخلوقا يساويه
او يقاربه في وصف من اوصاف كماله لما مر اول الكتاب في شرح قوله
لم يساووك في علاك الخ فهو لا غيره البحر الجامع لكل وصف من اوصاف
الكمال البالغ النهاية فيه والانام هو كما في القاموس كسحاب والانام
بالمد والانيم كامير الخلق او الجن والانس او جميع ما على وجه الارض انتهى
والمراد هنا الاول بدليل قوله الاتي في العالمين اضاء بالكسر والمد جمع
اضاة كقناة وهي الغدير ويجمع ايضا على اضا كقنا وشتان ما بين
البحر والغدير ففيه مراعاة النظير وكيف لا وكل فضل وجد في العالمين

الانس

جامعة الرياض
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

٢١
١٠٥

الانس والملايكة والجن فهو كاين من فضل ذلك النبي الاكرم
على ربه من ساير الانبيا والمرسلين والملايكة المقربين وبين فضل
والفضلا تجنيس الاشتقاق استعاره حال من ضمير الظرف المستقر
الفضلاء لانه المستمد لهم اذ هو الوارث للحضرة الالهية والمستمد منها
بلا واسطة دون غيره فانه لا يستمد منه الا بواسطة فلا يصل منها
لكامل شي الا وهو من بعض مدده وعلى يديه فايات كل نبي انما هو
مقتبسة من نوره لانه كالشمس وهم كالكواكب فهي غير مضيئة بذاتها
وانما هي مستمدة من نور الشمس فاذا غابت اظهرت انوارها فهم قبل
وجوده صلى الله عليه وسلم انما كانوا يظهرون فضله وانوارهم مستمدة من
نوره الفايض ومدده الواسع فلا ترى ان ظهور خلافة ادم واختصاصه
بالاسما كلها انما هو مستمد من جوامع الكلم المخصوص به نبينا صلى الله عليه وسلم
ثم توالت الخلايق الى زمن بروز جسمه فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره
كل نور وانطوى تحت منشور اياته كل اية لغيره من الانبيا فلم يحط احد
منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطي مثلها او اعظم منها كما سيتي الايما ونحوه
ومنه ان ادم لما اعطي خلق الله تع بيده اعطي نبينا انه شق صدره
وملاه ذكر الخلق النبوي فتوالي من ادم الخلق الجسمي ومن نبينا الخلق النبوي
ولذا كان هو المقصود من خلق ادم ومن ثم لم يكن سجود الملايكة الا
لنور محمد الذي في جبهة ادم كما قاله الفخر الرازي وادريس لما اعطي
المكان العلي اعطي نبينا المعراج الافخر الاعظم ونوح لما نجا هو وقومه
اعطي نبينا ان الله لم يهلك امته بعذاب عام ووقع في تفسير الرازي
انه اعطي مكان السفينة انه دعا حجرا وهو على شطها فاقتلع وسبح
الى ان جا اليه وشهد له بالرسالة وابرهيم لما نجي من النار نجي نبينا
من نار الحرب قال تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ورد في النسا

انه احتزت جلد طفل كله فسحه صلى الله عليه وسلم فصار صحيحا ولما اعطى
مقام الخلة اعطى نبينا ذلك وزاد بمقام المحبة الارفع من كل مقام ومن ثم
يقول ابرهيم في الموقف لما يساله في الشفاعة العظمى انما كنت خليلا من
وراورا ولما اعطى بناء الكعبة اعطى نبينا وضع الحجر الذى هو روحها في محله
لما بنته قريش ولما اعطى موسى قلب العصا حية اعطى نبينا حنين الجذع
الذى هو ابهى واعزب وذكر الرازى وغيره ان ابا جهل اراد ان يرميه بحجر فراى
على كتفه ثعبانين فانصرف مرعوبا واليد البيضا التى بياضها يغشى البصر
اعطى نبينا انه كان عنده عباد بن بشر واسيد بن حضير ليلا فخرجا ويد
كل عصا فاضا لهما عصا احدهما فمشيا في ضوءها فلما افترقا اضات عصا الاخر
صححه الحاكم واخرج البخارى في تاريخه والبيهقى وابو نعيم عن حمزة الاسلمى
قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فتفرقنا في ليلة ظلما فاضات اصابعى
حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان اصابعى لتنير وانفراق البحر
اعطى نبينا انشقاق القمر الذى هو ابهر لانه تصرف في العالم العلوى
على انه نقل ان بين السما والارض بحر ايسمى المكفوف وبحر الارض بالنسبة
اليه كقطرة من البحر المحيط فعليه يكون انفراق لنبينا صلى الله عليه وسلم
ليلة الاسرا وتفجير الما من الحجر اعطى نبينا تفجيره من بين اصابعه وهو
ابلغ لان الحجر من جنس الارض التى ينبع منها الما والكلام اعطى نبينا مثله
ليلة الاسرا وزيادة الدنو والروية بعين البصر وشتان بين جبل
طور الذى نوجى موسى عليه وما فوق العرش الذى نوجى نبينا عليه وهرون
الفصاحة اعطى نبينا ابلغ منها واجمع على انها في العبرانية والعربية افصح
منها ومن ثم لم يكن فصاحته معجزة بخلاف فصاحة نبينا فانها معجزة عند
بعضهم وكذا عند الكل لكن بالنسبة لما اشتملت عليه من الاخبار بالمغيبات
ولم يتحدث بنى بها الانبيا ولقد قال له بعض اصحابه ما راينا الذى هو افصح

منك

منك فقال وما يمنعني وانما نزل القران بلسانى لسان عربى مبين وبيوسف
شطر الحسن وتاويل الرويا اعطى نبينا الحسن كله كما في الحديث وعبر من المراى
فوق ما عبر مما لا يدخله الحصر وتعبير يوسف انما كان في ثلاث مرات كما في
سورته وداود تليين الحديد اعطى نبينا ان العود اليابس اخضر بين يديه وان
شاة ام معبد درت ببركة يده ولم تلد قط كما مر وسليمان كلام الطير اعطى نبينا
انه كلمه الحجر وسبح في كفه الحصى وكلمه ذراع الشاة المسمومة والظبى وشكا اليه
البعير والريح التى غدوها شهر ورواحها شهر اعطى نبينا البراق وهو اسرع من
الريح بل من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش في لحظة واحدة واقل
مسافة ذلك سبعة الاف سنة وما فوق العرش الى المستوى والرفرف لا يعلمه
الا الله تعالى وايضا الريح سخرت لسليمن لتحمله لنواحى الارض ونبينا صلى الله
عليه وسلم زويت له الارض اى جمعت حتى راى مشارقها ومغاربها وفرق من
يسعى الى الارض ومن تسعى له الارض وتسخير الجن اعطى نبينا ان الله مكنه
من شيطان تفلت عليه في صلاته فاراد ان يربطه بسارية وسخر له الجن حتى
اسلموا ولم يسخروا لسليمن الا في العمل وعد الطيور من جنوده اعجب منه حمامة
الغار وعنكبوته بل هذا اعجب لان فيه الحماية من العدد الكثير بالشى القليل
وعيسى ابرا الاكمه والابرص واحيى الموتى اعطى نبينا رد العين الى محلها بعد ما
سقطت فعادت احسن ما كانت وذكر الرازى انه صلى الله عليه وسلم مسح برصى
فشفيت والبيهقى ان رجلا قال لا او من بك حتى تحيى لى ابنتى فاتى قبرها فخاطبها
فاجابته وتسبيح الحصى وحنين الجذع ابلغ من تكليم الموتى لان هذا من جنس من
يتكلم وبالجملة فقد اوتى صلى الله عليه وسلم مثلهم وزاد بخصايص لا تحصى علما بانه
الممد لهم ابدا وفيه تجنيس الاشتقاق وعدل عن استعارة ليصفهم بالفضل
اى هم مع كونهم فضلا كاملين على بقية العالم انما يستمدون من محمد صلى الله عليه وسلم
لا على وجه الاصالة والاستقلال به بل على وجه الاستعارة المستحقة الرد

اذ الاراده المعتبر ولم لا يكون كذلك وقد **شق عن صدره** وفي نسخة عن قلبه
وكل منهما صحيح لانه شق صدره اولا ثم قلبه المرة بعد المرة الى ان تكرر ذكر الشق
اربع مرات او خمسا مبالغة في التطهير والتخليص من الاغيار ولم يحصل لاحد
من الكمل نظير ذلك ولا ما يقاربه وقد مر الكلام على ذلك مستوفى في مبحث
رضاعه صلى الله عليه وسلم فراجعه فانه نفيس **وشق له** اي لاجله **البدر**
اي القمر بمكه قبل الهجره بنحو خمس سنين لما كذبه كفار مكه وبالغوا في عناده
فطلبوا منه اية يريها اياهم تدل على صدقه وهي ان يشق لهم القمر نصفين ربه
فانشق له كذلك كما نص عليه القران وتواترت الاحاديث به كما حققه التاج السبكي
وغيره واجمع عليه المفسرون واهل السنة اعلاما بصدقه في دعواه الرسالة والوحدانية
لله وانما يجحدونه باطل لا يبصر ولا ينفع ولم ينقل انشقاق القمر لغيره صلى الله عليه وسلم
وهو من امهات معجزاته لا يكاد يعدلها شي من ايات الانبيا لظهوره في ملكوت
السموات خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطباع فلم يطمع احد
في الوصول اليه بحيله وفي روايات ما يوهم تعدد الانشقاق مرتين وظاهر كلام
بعضهم حكاية الاجماع عليه لكن رد بان احدا من ايمة الحديث لم يجزم بذلك وبان
من قال مرتين اراد فرقتين كما في روايات او فلقتين كما في اخرى وفي روايات
ان فرقه كانت فوق جبل حرا واخرى كانت اسفله وفي رواية انه كان بمكه المراد
منها ان ذلك كان وهو بمكه قبل الهجره فلا دليل فيه على انه صلى الله عليه وسلم كان بمكه
ليلتين وفي رواية لاحمد فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل
وفي روايات انه قال لهم اشهدوا فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على ان يسالوا السفار
فجاوا من كل جانب واخبروا به فقال بعضهم لبعض لا يستطيع محمد ان يسحر الناس
كلهم وانكار جمهور الفلاسفة ومن وافقهم من المبتدعة ذلك مبني على انكارهم خرق الاجرام
العلوية والتيامها وذلك من جملة كفرهم وتقولهم بمقتضى عقولهم معاندين للشرايع
فيما وردت به واما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشترك اهل الارض

كلم

كلهم في معرفته ولم يختص بها اهل مكه لتوفرت الدواعي على نقل العجايب فهو من
تهوراته لان ما قاله انما يتوجه لو كان نهارا او اول الليل والناس مستيقظون اما اذا
وقع لحظة والناس الا القليل قد ناموا ومن لم ينم لم ينظر للسما فلا يلزم ما ذكره بوجه
على ان الاجماع الموافق للقران والسنة لا يخدش فيه مثل هذه التخيلات الفاسده
وكان هذا لم يسمع بما هو الواقع البديهي ان الكسوف قد يدركه اهل قطر دون
قطر اخر وما قيل ان القمر دخل في جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه باطل لا اصل له
تنبيه البدر القمر ليلة اربعة عشر وظاهر تعبير الناظم به دون القران الشق كان
ليلة اربعة عشر ولم ار في ذلك سلفا ولعله اراد بالبدر مطلق القمر سمي بذلك لانه يبادر
الشمس بالطلوع كانه يعجلها قبل تمامه ويناسب هذه المعجزة رد الشمس له
صلى الله عليه وسلم بعد ما غابت حقيقة لما نام صلى الله عليه وسلم وراسه في حجر علي
بالصهبا قرب خيبر حتى غابت ولم يمكنه ايقاظه لاحتمال انه يوحى اليه فلما استيقظ
ساله اصلى العصر قال لا فدعا الله ان يردها عليه لانه كان في طاعة الله ورسوله
فردت ليصلي العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث في صحته جماعه
بل جزم بعضهم بوضعه وصححه اخرون وهو الحق وقوله سلما في الروايه الصحيحة
فرايت الشمس بعد ما غربت حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علي فتوضا
وصلى العصر ثم غابت رد لزعم انها انما وقفت ولم ترد وزعم ان حركتها انما
ابطات فقط وفي رواية سندها حسن امر صلى الله عليه وسلم الشمس فتاخرت ساعة
من نهار وحبست ايضا وردت عليه بعد الاسرا لما اخبرهم بعيرهم ولا يعارض ذلك
كله الحديث الصحيح لم تحبس الشمس على احد الا ليوشع بن نون حين قاتل الجبارين
يوم الجمعة فلما ان ادبرت الشمس خاف ان تغيب قبل ان يفرغ منهم ويدخل السبت
فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم وذلك لان
المراد على احد غيري على ان كثيرين او الاكثرين من الاصوليين ان المتكلم لا
يدخل في عموم كلامه وروي حبسها يوم الخندق حين شغل عن صلاة العصر

لعله اختلف

وذكر البغوى فى تفسيره ردوها على انما حبست لسليمن عليه السلام ورد بان
المراد الصافنات لانها المذكورة دون الشمس وبين شق وشق الجناس التام وهو
ان يتفق اللفظان حروفا وعددا وهيئة ومنه قوله تع ويوم تقوم الساعة يقسم
المجرمون ما لبثوا غير ساعة واعترض بان الساعة فى الموضعين بمعنى واحد
وشرط اختلاف المعنى ان لا يكون احدهما حقيقة والاخر مجازا بل حقيقتين
وزمان الساعة وان طال لكنه عند الله فى حكم الساعة الواحدة فاطلاق الساعة
على القيمة مجاز وعلى الاخر حقيقة وذلك يخرج الكلام عن التجنيس كما لو قلت ركبت
حمارا ولقيت حمارا يعنى بليدا انتهى فان قلت هذا بانى هنا لان الشق فى الموضعين
بمعنى واحد وبتسليم الاختلاف فهو فى احدهما حقيقة وفى الاخر مجاز قلت يمكن
ان يقال انه فيهما مختلف وحقيقى اذ شق الاجرام الجمادية غير شق الاجرام الحيوانية
من حيث الصورة والالة وايضا شق القمر شق جرمه كله وشق الصدر لازالة غشاوة
لا غير وكفى بهذا الاختلاف ثم المتبادر من كل منهما انه حقيقى كما لا يخفى قيل ليس
فى القران من الجناس التام غير هذه الاية واستدرك عليه شيخ الاسلام ابن
حجر باية يكاد سنا برقه يذهب بالابصار فانه استعمل الابصار اولا بمعنى العيون
وثانيا بمعنى البصاير وقد ينظر فيه بان استعمال الابصار فى البصاير مجازى
وقد تقرر انه لا يكفى وقد يجاب بادعاء انه حقيقة عرفية وعلى كل فاقول فى القران
اية اخرى اظهر من تلك وهى يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب
فالاول ما كتبوه بايديهم المذكورة فى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم
والثانى التورية والانجيل والثالث الجنس الشامل لكتب الله كلها اى ما هو شى
من كتب الله فان قلت هذا اعم من الثانى فليس مغايرا له من كل وجه قلت
بل يسمى مغايرا له حقيقة كما صرحوا به وعلى التنزل وان هذا التغاير لا يكفى هنا
فيكفى التغاير بين اللفظين الاولين فيتحقق الجناس التام فيهما فان قلت الا
بعدوا منه ان النفس بالنفس الخ قلت كانه لكون هنا مميز منع تمام التجنيس وهو

البار

البار الدال على المقابلة فتامله فان قلت لم لا اكتفوا فى التورية بكون
احدهما مجازا الا هنا قلت لوضوح الفرق اذ مبنى التورية على قصد المعنى البعيد
والمجاز قد يكون كذلك ولا كذلك الجناس التام فلم يكتف فيه كون احدهما مجازا ومن
ثم اقر بعض المحققين بشرط كونهما حقيقتين وعليه يحتمل ان يقال لا بد ان يكون
كل حقيقة فى الشرع او فى العرف او فى اللغة فلا يكفى كون احدهما حقيقة شرعية
والاخر حقيقة لغوية مثلا لان هذين كالحقيقة والمجاز وقد تقرر انهما لا يكفيان
ويحتمل ان يقال يكفى ذلك ويويده اطباقهم على ان الاية فيها الجناس التام مع ان
حقيقة الساعة لغة وعرفا وشرعا شى واحد وانما الاختلاف من حيث
انها فى مطلق الزمن حقيقة لغوية وفى القيمة حقيقة شرعية وهذا الثانى
اقرب ومما يويد اشتراط كونهما حقيقتين انه ما من لفظ غالبا او دايما الا وله
حقيقة ومجاز فلو قلنا بانه يكفى كون احدهما مجازا لزم وجود التجنيس فى غالب
الالفاظ او كلها وهو بعيد جدا ولك ان تاخذ من قولهم ليس فى القران جناس
تام الا ما مر مع ما فيه من نحو النفس بالنفس الذين قال لهم الناس ان الناس الحر
بالحر ونحو ذلك ان شرط الجناس التام ان لا يكون فى اللفظ قرينة ظاهرة تدل
على مغايرة معنى اللفظ المتحد وهو متجه لانه مع فهم التغاير ليس فيه تعمية اصلا
ومبنى الجناس التام انما هو التعمية على السامع ما امكن نظير التورية ولم ار لاحد
من اهل البديع فى هذا المبحث ما ينبغى فتامله فان قلت ما ذكر فى شق
من الاختلاف انما هو بالنظر لمتعلق الشقين دون موضعيهما وذلك لا يكفى
قلت هذا وان كان ظاهر كلامهم لا يمنع من ان يلحق به اختلافهما من حيث
المتعلق اذا تناقضت به صورتهما وانما شق له القمر لانه شق عن صدره
حتى اخرج قلبه ثم شق وظهر فجوزى على ذلك اذ من شرط كل شرط وقع فى
البدن لغرض مقصود ان يكون له جزاء من برء من مرض او غيره فكذا هنا لما
روع صلى الله عليه وسلم بشق قلبه المرة بعد المرة وبما حصل له من الخوف

وان لم جوزى على ذلك بجزاء عظيم مشابه له فى الصورة هو شق القمر الذى هو
اظهر معجزاته وابهرها بعد القران وفى كلامه لجناس التام بين شرط وشرط
اذ هما مختلفان معنى وحقيقتان ولا يقدح فيه كون الاول حقيقة نحوية والثانى
حقيقة عرفية على ان الاول يحتمل ان يكون بمعنى العلامة فيكون مع كون الثانى بمعنى
الجرح كل منهما حقيقة لغوية فجاء التجنيس التام اتفاقا وبفرض ان احدهما مجاز يكون
فى التورية او حقيقة ايضا ولكنه بعد فيهما من اللفظ يكون فيه لجناس التام والتورية
ومن الكلام فيها مستوفا اذ الشرط المراد به فى الاولى ما علق بحصوله حصول شى
اخر يسمى جزاء وفى الثانى شق الجلد واللحم والجزاء فيه تورية ايضا اذ هو يطلق
على الجزاء النحوى والجزاء العرفى وهو المجازاة على صنع وقع فيه ومنه جزيته
وجازيته بما صنع جزاء ومجازاة ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ايضا انه فى غزوة بدر
وغزوة حنين رمى اعداه بالحصى فاقصد اى اصاب فاهلك ففى القاموس
اقصد السهم اصاب فقتل مكانه جيشا عظيما كانوا تالبوا عليه حتى ظن ظان انهم
لا يبقون احدا من المسلمين وبيان ذلك انه لما التقى الجمعان بيوم بدر تناول صلى الله
عليه وسلم كفا من الحصى فرمى به فى وجوههم وقال شاهت الوجوه اى قبحت وانهزمت
فلم يبق مشرك مع كثرتهم وقلة ذلك الحصى الا دخل فى عينيه ومنخريه منها شى فانهزموا
فقتل الله من قتل من صناديد قريش واسر من اسر من اشرافهم قال عبد الرحمن
ابن زيد بن اسلم فى قوله ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر
اخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة فى ميمنة القوم وبحصاة فى ميسرة
القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا وكذا روى عن غير
واحد انها نزلت فى رميه يوم بدر وان كان رمى فى غيره ولاهل الجبر فى هذه
الاية غلط لا باس بذكره ثم رده قالوا فيها سلب فعل النبى صلى الله عليه وسلم عنه
واضافته الى ربه وهو عين الجبر وابطال نسبة افعال العباد اليهم وليس كما زعموا
والا لزمهم ان لا تكليف ولا عقاب ومن ما فى الاية ان تلك الرمية من البشر

لا يمكن بلوغ هذا المبلغ كان منه صلى الله عليه وسلم مبدوها وهو الحذف ومن الرب تعالى
نهايته وهو الايصال فاضاف اليه رمى الحذف الذى هو مبدوه ونفى عنه رمى الايصال
الذى هو نهايته ونظير هذا فى الاية نفسها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاخبر تعالى
انه المنفرد بالتاثير وان غيره ليس منه الا الاسباب ونظير للناس مثل ورماهم بالحصى
يوم الاحزاب وفيه نظر وانما الذى نقل انه صلى الله عليه وسلم لما بلغت القلوب الحناجر
دعا عليهم فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم
وزلزلهم فارسل الله عليهم الريح فرمتهم بالحصى وسفت عليهم التراب وقلعت اوتاد
خيامهم فسقطت عليهم وكفات قدورهم وسمعوا فى ارجاء معسكرهم التكبير وقعقعة
السلاح فارتحلوا خائبين آيسين ومن ثم اخبر صلى الله عليه وسلم انهم لا يغزونهم بعد
اليوم فكان كذلك ولما التقى الجمعان يوم حنين استقبل المسلمين من هوازن ما لم
يروا مثله فى السواد والكثرة فحملوا حملة واحدة فانهزم المسلمون ولم يبق معه صلى الله
عليه وسلم يومئذ الا اناس قليلون من اهل بيته العباس وابى سفيان بن الحارث
وعلى والفضل واصحابه ابى بكر وعمر واخرين رضى الله عنهم فامر صلى الله عليه وسلم ان ينادى
فى الناس ليرجعوا فلما سمعوا نداءه اقبلوا كانهم الابل اذا حنت على اولادها يقولون
يا لبيك يا لبيك فاقتتلوا مع الكفار واشتد القتال حتى قال صلى الله عليه وسلم حمى الوطيس
وهو التنور يخبز فيه اى اشتد حر الحرب حتى اشبهت التنور وحينئذ تناول صلى
الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها فى وجوه المشركين
فما خلق الله منهم انسانا الا ملاء عينيه من تلك القبضة وفى رواية لمسلم قبضة من
تراب والجمع انه يحتمل انه رمى بكل مرة او انها قبضة واحدة لكنها مختلطة وفى رواية
عند احمد وغيره ان المسلمين لما ولوا قال صلى الله عليه وسلم يا عبيد الله انا عبيد الله
ورسوله ثم اقتحم عن فرسه واخذ كفا من تراب فضرب وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق منهم احد الا امتلات عيناه وفمه ترابا ولاحمد والحاكم عن ابن مسعود فحادت
به بغلته فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فضرب وجوههم

وامتلأت اعينهم ترابا وجاءه المهاجرون والانصار يسوقهم بايمانهم كانهم
الشهب فولى المشركون الادبار واذ قد علمت ما ترتب على رميه صلى الله
عليه وسلم بالحصى من تشتيت جمعهم وافتراق شملهم وهزيمتهم آل الكران تقول
لمن نال لكران القاء موسى لعصاه والسحرة لحبالهم وعصيهم يعادل الرمي بالحصا
لانقل ذلك ما استفهام انكارى العصا التى القاها موسى على حبال سحرة
فرعون وعصيهم حتى ابتلعت ذلك عنده اى الحصا المرمى وما الالقاء
لتلك العصا على تلك الحبال والعصا الذى فعله سحرة فرعون اى لا
يقاس معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم فى القاء ذلك الحصى لمعجزة موسى عليه
السلام فى القاء عصاه على ما ذكر لان معجزة نبينا اظهر وابهر اذ القاء
موسى لعصاه حاكى بالقاء السحرة لحبالهم وعصيهم ومعجزة نبينا لم
تحاك قط ووصول تلك الحصيات القليلة الى جميع ذلك الجيش الذى هو
الوف مالفه حتى هزمهم عن اخرهم وشتت شملهم ابهر من قلب العصا
ثعبانا وابتلاعها لتلك الحبال من حيث انها مع ذلك لم تقهر العدو ولا
شتت شمله بل زاد بعدها طغيانه وعتوه على موسى وقومه وجانس
بين الحصى والعصى ونقفن بين رمى والالقاء تنبيه اكثر معجزات
بنى اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وعمى ابصارهم واكثر معجزات هذه الامة
عقلية لفرط ذكائهم وكمال افهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت باقية
على صفحات الدهر الى يوم القيمة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها
ذوو البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى ما من الانبيا نبى
الا اعطى ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحاه الله
الى اكثرهم وفى معناه قولان غير متنافيين اذ يرجع حاصلهما الى ان المراد ان
معجزات الانبيا انقرضت بانقراض اعصارهم مع كونها حسية تشاهد
بالابصار كعصا موسى وناقة صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة

القران تشاهد بالبصيرة وتستمر الى القيمة لا يمر عصر الا ويظهر فيه شئ اخبر
بانه سيكون فكان من يتبعه لاجلها اكثر اذ ما يدرك بالعقل يشاهده كل من جاء
بعد الاول ومن معجزاته ايضا انه دعا للانام من تعبيره لكن المراد به هنا
غيره ثم اذهم هنا اهل المدينة ومن ضاهاهم اذ اى وقت او لاجل ان دهمتهم اى
غشيتهم سنة من اجل محولها متعلق بما بعده اى شدة جدبها وقحطها
شهباء اى لا خضرة فيها ولا مطر والسنة زمن الجدب والمحل ومطلق الزمن
المخصوص فعلى الاول شهبا تاكيد وعلى الثانى تاسيس وسبب دعايه ما فى
الصحيحين ان الناس اصابتهم سنة على عهده صلى الله عليه وسلم فقام اعرابى
وهو صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقال يا رسول الله هلك المال وجاع
العيال فادع الله لنا فرفع يديه وليس فى السما قطعة سحاب فما وضعها حتى صار
السحاب امثال الجبال فلم ينزل حتى اصابه المطر واستمر الى الجمعة الاخرى
فقام ذلك الاعرابى او غيره فقال يا رسول الله تهدم البنا وغرق المال فادع الله
لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانقلعت السحاب وخرجوا يمشون
فى الشمس وسال وادى قناة شهرا ولم يجئ احد من ناحية الا حدث بالجود
وهو بفتح الجيم المطر الواسع الغزير فبسبب دعايه استهلت بالغيث
اى صبت المطر بشدة سبعة ايام كوامل لما علمت انه من خطب الجمعة الى خطبة
الجمعة الاخرى ما انجلى الكسر عليهم سحابة فاعل استهلت وطفاء اى مسترخية
الجوانب لكثرة ما بها حال كونها تتحرى اى تتقصد تلك السحابة بما بها واسناد
ذلك اليها مجاز نظير ما يأتى فى جدارا يريد ان ينقض الا ان يريد الملايكة
الموكلون بها مواضع الرعى اى الكلا الذى يرعى ومواضع السقى التى يجتمع
الما فيها ليشرب منها البهايم وفى الرعى والسقى مراعاة النظير والسقى والسقيا
تجنيس شبه الاشتقاق وتتحرى ايضا حيث العطاش اى مواضعهم التى يوتى
بالبنا للمفعول اى يعرف السقاء منهم فيها اى ان تلك السحابة عمت جميع الاماكن

بالغاء الكسر معه

بما بها حتى انها تتحرك فى الاماكن المعطشه التى تتحرق اسنمة العطاش فيها
فيحتاجون الى الغدران للشرب منها وهذا اظهر واولى مما سلكه الشارح كما يعرف
بتامله لا يقال مواضع السقى تشمل مواضع الشرب فلا يحتاج لقوله وحيث الى اخره
لانا نقول قرينه قرن السقى بالرعى تصرفه الى سقى البهايم فاحتاج فى افادة عمومها
الى التصريح بمواضع شرب العطاش ايضا قال الشارح ايضا وفى قوله وحيث
العطاش الخ اقتباس المثل وهو قولهم خل سبيل من وهى سقاوه ومن هريق فى الفلاء فاوه
يضرب لمن لا يستقيم امره فضرب به المثل هنا فى المحل والجدب انتهى ملخصا وفيه
نظر لبعد معنى المثل مما نحن فيه الا بتكلف لما تقرر ان مراد الناظم ما دلت
عليه عبارته من ذكر النص على عموم ذلك الغيث لجميع الاماكن ولما استمرت
عليهم سبعة ايام وكادت ان تهلكهم اتى الناس الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو
على المنبر كالمرة الاولى سالوه ان يدعو لهم يشكون اذاها اى تلك السحابه
اى المآل النازل منها لعظمة السيل وتعطيل المعايش وتخريبه البيوت
وذكر الناس مع ان الشاكى واحد لان ما به لهم فكان الكل شاكين بلسان الحال
فلذا اسنده الى الكل ونظيره قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد
جمعوا لكم اذ المراد بالناس الاول واحد كما هنا ورخاء اى سعة من المطر يؤذى
الانام غلاء اى شدة عظيمة واصله ارتفاع السعر المؤدى الى الشده وبين
اذاها ويؤذى جناس الاشتقاق والرخا والغلا جناس التضاد فبسبب
ان هذا الرخا الذى المقصود منه حياة النفوس انتقل الى ضده وهو اهلاكها
دعا صلى الله عليه وسلم ربه ان يكشفه عنهم بانجلا الغمام اى السحاب عقب
دعايه وخرجوا يمشون فى الشمس كما مر واذا تقرر هذا فقل ايها العالم
بهذه الواقعه ما شيت من الكلام الدال على التعجب او فتعجب فى وصف
غيث اقلاعه اى انكشافه استسقاء اى ذو استسقا على خلاف
المتعارف اذ الاستسقا غالبا انما يكون لطلب وجوده لا لطلب رفعه

ولهذا يندفع قول الشارح الاحسن ان الاستسقا بمعنى السقى لانه يلزمه
فوات هذه النكته التى هى سبب التعجب ثم بعد ذكر الغيث الواسع النافع
ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم اثرى الثرى اى كثر المطر الواقع عليه حتى كثرت
فوايده للتراب لكثرة انباته الزرع والثمار المؤدية الى كثرة الاموال من اثرى
الرجل كثر ماله فبسبب هذه الكثرة قرت اى فرحت واطمانت من اقر
الله عينه اى اعطاه حتى لا تطمح عينه الى من هو فوقه عيون لاهل المدينه
فبسبب ما زال عنهم من الكرب وحصل لهم من الخصب وبسبب عمارة
قراها اى العيون او المدينه وبلادها بتلك الفوايد الكثيره بعد خرابها
واحيت بعد ما حصل لها من الجدب والشده ما صيرها كالموتى من احياه
المستغنى بالفك وحى بالادغام وهو الاكثر الاحيا جمع حى اى قبايل العرب
بواسطة احيا نفوسها ومواشيها وفيه تجنيس الاشتقاق فى اثرى الثرى وقرت
قراها واحيت احياء فترى انت لو شاهدت تلك الواقعه الارض عقبه
اى عقب ذلك الغيث المتولد عنه ما يدهش الابصار من النبات والزهور
كسماء حال ان جعلت راى بصريه وهو الظاهر او مفعول ثان ان جعلت
علميه اشرقت اى زالت عنها من اجل نجومها الظلماء ففيه تجوز اذ الاشراق
انما يستعمل للنور ووجه الشبه ما حصل الارض باصابة الغيث وللسماء من
النجوم من زوال ظلمتها الحقيقيه فى السما والمجازيه فى الارض وبين الارض
والسما والاشراق والظلمة الطباق وتراها ايضا تجل اى تخبر وتدهش الدر
اى اللولو واليواقيت وهى فارسى معرب واسناد التجل اليهما مجازا وهو
على حذف مضاف اى اهلها بمعنى ان من بايديهم تلك الجواهر يشاهدونها
ليلا ونهارا لا يملكون نفوسهم عن رؤية تلك الازهار الغريبه والاعشاب العجيبه
من نور بفتح النون اى زهر وهو بيان لفاعل تجل الاتى رباها بضم الراء
اى المحال المرتفعه منها وخصت لان ما بها انضر واشهى من بقيتها

البيضاء راجع للدر والحمراء راجع لليواقيت اى تجل نورها الابيض الدر ونورها الاحمر اليواقيت ففيه اللف والنشر المرتب ومراعاة النظير بذكر المعدنين والتقابل بذكر الضدين ويسمى التدبيج لانه الوان وما تقرر ان الناظم انما اراد الفضة المذكورة التى كانت بالمدينة وصحت بها الاحاديث هو الظاهر ويجوز ان يريد ايضا ما وقع بمكة على ما ورد ان قريشا لما ابطاوا عن الاسلام ودعا عليهم صلى الله عليه وسلم بالقحط فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام جاءه ابو سفيان فقال يا محمد جئت تامر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله فدعا فسقوا الغيث فاطبق عليهم سبعا فشكى الناس كثرة المطر فسال الله رفعه ولما ذكر من صفاته صلى الله عليه وسلم الباهرة ما يشوق كل سامع لشىء منها الى رؤية وجهه الكريم تمنى ذلك فقال ليته هى للتمنى ما لا طمع فى حصوله او ما فيه عسر خصنى برؤية وجها اى ليتنى ادركت زمنه لاكون من اصحابه اذ هم افضل من جميع من جاء بعدهم عند الاكثرين وذهب ابن عبد البر الى انه يمكن ان يكون فيمن بعدهم من هو افضل من بعضهم للخبر الحسن بل قيل انه يرتقى الى درجة الصحة مثل امتى مثل المطر لا يدرى اخره خير ام اوله وللخبر الحسن ايضا ليدركن المسيح اقواما انهم لمثلكم او خير ثلاثا وفى حديث ابى داود والترمذى ياتى ايام للعامل فيهن اجر خمسين قيل منهم او منا قال منكم ويجاب عن الاول باحتمال انه قيل ان يعلم افضلية اصحابه فلما علمها صرح بها بقوله لو انفق احدكم ملء الارض ذهبا لم يبلغ مد احدهم ولا نصيفه وبقوله خير القرون قرنى وعن الثانى بان اوفيه يحتمل ذلك ايضا وعن الثالث بانهم صرحوا بان مجرد زيادة الثواب لا يقتضى الافضلية على ان فضيلة الصحابة لا يعادلها عمل ومن ثم يسال ابن المبارك عن عمر ابن عبد العزيز ومعوية رضى الله عنهما ايهما افضل فقال للغبار الذى دخل فى انف فرس معوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من مائة مثل عبد

العزيز واشار بعضهم الى ان محل الخلاف فى صحابى لم يحصل الا مجرد الرؤية واما من زاد على ذلك بنحو رواية او غزو فلا نزاع فيه او ليتنى اراه فى الموقف على الحوض وفى الجنة شافعا نافعا او ليتنى اراه فى النوم لاخباره صلى الله عليه وسلم فى الاحاديث الصحيحة بان من راه فيه راه حقا وان الشيطان لا يتمثل بصورته ولا يتشبه بها وبان من راه فى اليقظة اى كانه راه فى اليقظة لما تقرر ان الشيطان لا يتشبه به فهو وان امكن من التصور باى صورة اراد لم يمكن من التصور بصورة نبينا صلى الله عليه وسلم مطلقا وقال جمع ان رؤى بصورته التى كان عليها وقال بعضهم ان رؤى بصفته التى قبض عليها حتى عدد شيبه وصح هذا عن ابن سيرين وعن ابن عباس رضى الله عنهم ما يفهمه وفى حديث ضعيف انى ارى فى كل صورة وصحح النووى وغيره انه يرى حقيقة ولو على غير صفته قال ابن العربى وغيره لكن رؤيته على غير صفته مثال فرؤيته مقبلا او بصورة حسنة كاملة تدل على خير وعكسه بعكسه وقال عياض فى رواية مسلم من رانى فسيرانى فى اليقظة يحتمل ان المراد رؤيته على صفة موجبة لرؤيته فى الاخرة على نوع مخصوص من قربه منه او شفاعته له وفى هذا اقوال اخر كثيرة وقال الغزالى فى رؤيته على صفته ليس المراد رؤية ذاته حقيقة بل مثال يحكيها على التحقيق كما فى رؤية الله تعالى اذ لا صورة له ترى بل يعرف لها من نور او غيره او ليتنى اراه فى يقظتى بناء على امكان ذلك وهو ما حكاه ابن ابى جمرة والبارزى واليافعى وغيرهم عن جماعة من التابعين ومن بعدهم انهم راوه فى المنام فراوه بعد ذلك فى اليقظة وسالوه عن اشيا غيبية فاخبرهم فكانت كما اخبر قال ابن ابى جمرة وهذه من جملة كرامات الاوليا فيلزم منكرها الوقوع فى ورطة انكار كراماتهم وفى منقذ الغزالى ان ارباب القلوب فى يقظتهم يشاهدون الملايكة وارواح الانبيا ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوايد وقال البدر حسن الاعدل وقوعها

للاولياء تواترت باجناسها الاخبار وصار العلم بذلك قويا انتفى عنه الشك وما
تواترت عليه اخبارهم لم يبق فيه شبهة ثم اخذ يبطل ذلك ويفسده ويعظم النكير
على مجوزه بما لا حجة فيه ومما يبطل جميع ما دندن فيه وجاوز فيه الحد ان من المعلوم
انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وانه لا يراه في اليقظة الرؤية النافعة الاولى وانه
لا يبعد ان من اكرم برؤيته ان يكرم بازالة الحجب بينه وبينه فهو صلى الله
عليه وسلم مع كونه في قبره يراه الاولياء في اليقظة في قبره ويحادثونه وان بعدت
ديارهم واختلفت مراتبهم في الحالة الواحدة ولا يلزم من وقوع ذلك لهم على
جهة الكرامة الباهرة انهم اصحابه لان الصحبة انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم
واذا كان من راه بعد موته وقبل دفنه غير صحابي فهو لا كذلك بالاولى
تاذن في قول فتح الباري هذا مشكل جدا ولو حمل على ظاهره كانوا صحابة
انتهى ومما يؤيد ان الناظم يحتمل انه اراد ذلك انه تلميذ القطب ابي العباس
المرسي فهو الذي حلت عليه بركته حتى وصل الى النظم البالغ الذروة العليا
والقطب وارث القطب الاكبر ابي الحسن الشاذلي وكل منهما حفظت عنه
رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بل قال ابو الحسن لو حجب عني النبي صلى الله عليه وسلم
طرفة عين ما عددت نفسي مسلما والقطب يعلي من القطب محمد بن ابي الوفا
وهما من جملة المنتسبين الى القطب الشاذلي ومن ثم قالوا طريقة الوفائية
خلاصة طريقة الشاذلية ممن حفظت عنه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة
مرارا لا سيما عند قبر والده بالقرافة كما هو مسطور في كراماته فكون الناظم
منسوبا لهؤلاء الواقعة لهم الرؤية يقظة يقرب انه سالك في وقوع ذلك له
كما وقع لهم ولقد كان شيخي وشيخ والدي الشمس محمد بن ابي الحمائل يرى النبي
صلى الله عليه وسلم يقظة كثيرا حتى يقع له ان يسال في الشيء فيقول حتى اعرضه
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدخل راسه في جيب قميصه ثم يقول قال
النبي صلى الله عليه وسلم فيه كذا فيكون كما اخبر لا يتخلف ذلك ابدا فاحذر

من انكار

من انكار ذلك فانه السم الموحي زال اي تحول فزال هنا تامة لا ناقصة
عن كل من راه مؤمنا في حياته او بعد موته في يقظة الرائي لان ذلك لا يقع
الا لاكابر الاولياء او في النوم على صفته التي كان عليها لما مر ان ذلك
يدل على الخير ورؤيته المخصوصة في الاخرة الشفاء اي جميع انواعه
لان الصحابة رضوان الله عليهم عدول كما يشهد له الكتاب والسنة
نحو اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وما وقع لبعضهم مما يخالف
ذلك تداركه الله فيه برحمته فوفقه للتنصل من وصمه وحباه بجعله
من احبته ببركة حلول نظر نبيه صلى الله عليه وسلم ولما ذكر ذلك الوجه الكريم
وزوال السقام عن كل من راه اتبعه بذكر صفات وخصوصيات له
ذاكرا مع كل ما يناسبه كما هو شأن البلغاء فقال مسفر ذلك الوجه
حسنا اي مشرق نوره الذي يكاد يخطف يلتقي ذلك الوجه ايضا
الكتيبة اي الجيش بالمثلثة او المثناة من تكتب بنو فلان اذا اجتمعوا حال كونه
بساما متبسما يفتر عن مثل سنا البرق او مثل حب الغمام اذ اسهم اي غير
من سهم بفتح عينه او ضمها وجهه اذا اضمر وتغير الوجوه اللقاء للعدو
فهو في الحالات التي فيها ينزع غيره ويضطرب ويتغير وجهه على غاية
من الطمانينة والثبات والتبسم لعظيم ما اتاه الله من الشجاعة التي لم يصل غيره
الى ادناها وقد صح كما مر عن انس انه كان اشجع الناس وان صياحا وقع
بالمدينة ليلا فخرج صلى الله عليه وسلم الى ابعد فلم ير شيئا فلما رجع راى الناس
خارجين فقال لن تراعوا اي روعا عن حقيقة ما رايناه من شيء وصح انه صرع
ركانة مرات ولم يصرع قط قال له متعجبا ان شانك لعجيب وصرع اخر
بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويتجاذب اطرافه عشرة
ليتنزعوه من تحت قدميه فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه وصح ان في غزوة
حنين لما تفرق عنه اصحابه ولم يبق معه الا بضعة عشر ثبت على بغلته

مع انها الانصلح للكر والفر وهو مع ذلك يركضها الى وجه العدو وينوه باسمه
ليعرفه من لا يعرفه قايلا انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب • ولا شجاعة وراء
ذلك ومن ثم قال الصحابة رضي الله عنهم كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله
صلى الله عليه وسلم اي جعلناه امامنا واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه وذهب
بعض المالكية الى ان من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان
تاب والا قتل لانه تنقيص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصة نفسه لعلمه بان الله
ناصره وحافظه واعترضه بعض المالكية بما حاصله حيث انه كان ذلك
تنقيصا لم يستتب ولم تقبل له توبة انتهى وقياس مذهبنا خلافا لمن
اخطا فيه انه ان نوى بذلك تنقيصه كفر والا فلا واذا قلنا بكفره فذهب
بعض ايمتنا انه لا تقبل توبته وحكى فيه الاجماع والمعتمد قبولها منه **جعلت**
مسجدا اي لي لكرم الوجه الكريم ولامته بطريق التبع له **الارض** كلها كما اخبر
بذلك صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة حيث قال اعطيت خمسا
لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل الحديث والمراد بقوله
مسجدا موضع سجوده اي ان السجود لا يختص بموضع منها دون غيره قيل ويمكن
ان يكون مجازا عن المكان المبني للصلاة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت
الصلاة في جميعها كانت كالمسجد في ذلك وقيل المراد جعلت لي الارض
مسجدا وطهورا ولغيري مسجدا لا طهورا لان عيسى عليه السلام صلى الله على
نبينا وعليه وسلم كان يسيح فيها ويصلي حيث ادركته الصلاة وقيل المراد ان
الصلاة لم تبح الا في محل يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة ابيحت لها في كل
الارض الا ما يتيقنون نجاسته والاصح الاول وهو انها لم تبح لمن قبلنا الا
في اماكن مخصوصة كالبيع والكنايس والصوامع للخبر المصرح بذلك وكان
من قبل انما يصلون في كنايسهم ويوافقه رواية ولم يكن في الانبيا احد يصلي

حتى

حتى يبلغ محرابه وبهذا يرد الاحتجاج بفضيلة عيسى المذكورة بمنع ما ذكر فيها
لدلالة ما هذا على خلافه وبفرض صحته فهو لا ينافي الخصوصية لانها ثابتة
لنبينا وامته بخلاف عيسى فبسبب هذا الجبل **اهتز** اي تحرك طربا وفرحا **به**
صلى الله عليه وسلم **للصلاة** اي لاجلها **فيها** اي الارض **حراء** بالكسر والمد وهو
الجبل الذي كان صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه قبل النبوة وهو مشهور ودليل ذلك
انه صلى الله عليه وسلم كان على حرا هو وابو بكر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت
الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حرا فما عليك الا نبي او صديق او شهيد
وفي رواية وسعد بن ابي وقاص ولم يذكر عليا اخرجهما مسلم واخرجه الترمذي
وذكر انه كان عليه العشرة الا ابا عبيدة وقال اثبت حرا وفي رواية اهدا حرا
ورواه البخاري في احد بلفظ انه كان معه ابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه
صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
ورواه النسائي والترمذي في ثبير وهو جبل مقابل الحرا انه صلى الله عليه وسلم
كان عليه ومعه ابو بكر وعمر وعثمان فتحرك حتى تساقطت حجارته بالحضيض
اي التي في قراره واسفله فركضه صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما
عليك نبي وصديق وشهيدان وما اشار اليه الناظم بتعبيره باهتز من ان
ذلك التحرك انما كان للطرب والفرح لا للغضب نقله شارح البخاري ابن
التين في احد فقال قيل الحكمة في ذلك انه لما رجف اراد صلى الله عليه وسلم ان
يبين ان هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم
وان تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نص صلى الله عليه وسلم
على مقام النبوة والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت به لا
رجفانه فاقر الجبل بذلك فاستقر انتهى واستشكل ما ذكر بان الهز طربا فرع
العلم بما فوقه وقول الى الاخوة يقتضي ان تحركه لغير السرور ويجاب بانه علم
من الاحاديث الصحيحة التي منها احد يحبنا ونحبه ان احدا اودع علما به

صلى الله عليه وسلم ومحبته له وميلا اليه فاذا اهتز لاجل ذلك دل على نوع طيش
وخفة فناسب ان يركضه صلى الله عليه وسلم برجله الكريمة وان يذكره بان مقام
النبوة والصديقية والشهادة كل منها يقتضي الرواية وعدم التحرك فلما علم الجبل
ذلك سكن وخضع فكان ما منه اولا هزة الطرب واخرا سكون الحيا والامتثال
والادب ويحتمل انه ارتعد هيبة لجلاله صلى الله عليه وسلم فامره صلى الله عليه وسلم
بترك ذلك وذكره بان ما عليه من المقامات الثلاثة السابقة يقتضي هزة
الجمال واللقا المنبئين عن غاية الفرح والسرور قال الطبري وغيره
واختلاف الروايات يحمل على انها قصص تكررت وهو بعيد ما نوقف فيه
بان الذين معه عمر ازيد من معه باحد فان قلت ما وجه التعليل في قول
الناظم للصلاة فيما قلت كانه يشير الى ان الله تعالى لما اقطع نبيه الارض وجعلها
كلها مسجدا له وشرفها بصلاته فيما دخل في ذلك جبالها فاذا اصعد بعضها
تذكر الجبل ذلك الجعل وتلك الصلاة الذين حصل عما للجبل كبقية الارض غاية
الشرف فحينئذ تحرك اعلاما للامه بما حصل له مما يوجب السرور والطرب
ثم رايت بعضهم جعل ضمير فيها للجبل وجعل المراد بالصلاة صلاته صلى الله
عليه وسلم فيه لما كان يختلي فيه قبل البعثة وهذا كلام ساقط لانه لم يعرف انه
صلى الله عليه وسلم صلى قبل النبوة ولان الاهتزاز بعد النبوة بكثير لرواية ان العشرة
الا واحدا كانوا معه مظهر ذلك الوجه الكريم شجة الجبين اي جرح جبينه وهو
المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ وفي التعبير به مسامحة وتجوز لما ياتي ان الذي
شج جبهته وفي رواية وجنته والجبين غيرهما فالتعبير بالجبين من مجاز المجاورة
على البرء اي فيه او معه من برى من المرض بالكسر برءا بالضم وبرا يبرا بالفتح
فيهما وهذه الشجة كانت يوم احد اخرج ابن هشام عن ابي سعيد الخدري
ان عتبة بن ابي وقاص اخا سعد بن وقاص اول من رمى بسهم في سبيل الله
فكان صلى الله عليه وسلم يناوله السهام يوم احد ويقول له ارم فداك ابي وامي قال

فلم يجمع ابويه لغيره وكان يفتخر به ويقول هذا سعد خالي اي لانه زهري
فليرني امرء خاله فشتان ما بين هذين الاخوين رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته اليسرى وان عبد الله بن هشام
الزهري شجه في جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر
فيهما ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة وفي رواية وهشموا البيضة على راسه ورموه بالحجارة
حتى رموه لشقه في حفرة الحديث وروى الطبراني وغيره ان عبد الله بن ابي قمئة رمى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وانا ابن
قمئة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه اقماك الله فسلط الله عليه تيس
جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة واحمد والترمذي والنسائي عن انس
كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل
يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله
تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وفي مرسل
قوي ان وجهه صلى الله عليه وسلم ضرب يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله
شر كلها كما مصدرية اظهر الهلال البراء بفتح الموحدة وهو اول ليلة من الشهر
اي ان وجهه المكرم اظهر اثار تلك الشجة مع بريها ظهورا واضحا ليس فيه ادنى
شين بل فيه غاية الجمال كظهور الهلال ليلة استهلاله لحكمتين ليتذكر الراوون لذلك
والراوون عنهم ما وقع له صلى الله عليه وسلم من المحنة وعظيم الصبر عليها حتى يقتدى به
في ذلك وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه حاشاه من ذلك بل زادته جمالا على جماله
لانها صارت بعد البرء كالهلال في وجهه الاحسن من الهلال كما قال ستر
ذلك الوجه الحسن الاصلي منه بالحسن العارض من الشجة فاعجب لجمال
اصلي له الجمال العارض وفي هذا كالذي قبله الجناس التام المتماثل بناء على ما
مر مع الكلام عليه في شرح شق عن قلبه وشق له البدر واما جزم الشارح بانه
من ذكر مع اختلاف موضوعه باعتبار الاصلي والعارض كما تقرر لا من حيث

الوضع واختلاف المراد لعدو وامنه الذين قال لهم ان الناس ان النفس بالنفس
الخ نعم يمكن ان يقال قد يقاس اختلاف المراد باختلاف الوضع حيث لا قرينة تميزه
كما هنا بخلاف ما في الايات فان قرينة التغاير فيها ظاهرة مع التجنيس فلو عبر
الشارح بيحتمل او نحوه لسلم من الجزم بما كلامهم كالصريح في رده وفي البرء
والبرا الجناس المطرف وفاء وسبب ذلك ان الله تعالى اعطى نبيه غاية الجمال
التي لم يعطها المخلوق كما مر بدليله في باطنه وظاهره فكان جلده ساترا لجماله الباطن
فاذا ازالته الشجة ظهر من انواره الباطنة ما صيرها كالهلال في وجهه وصار
حينئذ حسن ظاهره مستورا بما ظهر من حسن باطنه فهما جمالان عظيمان صار
باطنهما وقاية لظاهرهما وهذا مما يستغرب ويتعجب منه ولذلك شبهه بتشابيه
توضح ذلك وتكشفه فقال فهو اي ما ظهر بالشجة من باطن بدنه كالزهر
اي نور النبات اذا لاح اي ظهر من سجف بفتح اوله وكسره اي ستر الاكمام
هو الاكمة جمع كم بالكسر وهو غطا النور المشبه به هنا ظاهر الجلد وهو ايضا مثل
العود الذي يتطيب به اذا شق عنه اللحاء وهو قشر الشجر من لحوته لحوة
قشرته فظاهر الجلد كاللحا وباطنه كالعود وفي هذين التشبيهين ما يعلمك
ان جمال باطنه ربما فاق جمال ظاهره ومن ثم قال كاد ما ظهر بالشجة ان وهي
وما بعدها سدت مسد مرفوع كاد وخبرها يغشي بالغين المعجمة اظهر من يهمله
العيون اي يغطي عليها سنى بالقصر اي ضوء عظيم خارج منه لنس عظيم وفي
نسخة بسر فيه اي في ذلك الباطن الذي ظهر مصيره كله ضيا اعظم من ضيا الشمس
ومن ثم كان اصل ذلك السر الكمال حكت اي شابهته ذكاء بضم المعجمة وعدم
الصرف وامتناع دخول ال عليها اي الشمس وذكرها بعد سنى من مراعاة النظير
وبما تقرر علم ان من اسباب عدم شينه بتلك الشجة ما اوتيه من الحسن الذي لم
تؤته غيره ومن ثم صانه ذلك الحسن لو انفرد فكيف وقد انضم اليه السكينة
اي وقار الظاهر مع طمانينة القلب وعدم تحركه مما يمتحن به من الموذيات التي لا يمكن

عندها

عندها غيره ان تظهر فيه اثارها هو ضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو الباساء
اي الشدائد فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشجة الا غاية الطمانينة ونهاية الجمال كما
مر فعلم انه لما اودعه الله فيه من كمال الجمال وتمام البها في حالة السرا كهو في حالة
الباسا فلا تؤثر فيه الباساء البتة وتخال اي تظن انت الوجوه ان قابلته
اي عاينت وجهه وجواب ان محذوف لدلالة ما قبله عليه جعلت من فرط جماله تتلون
بالالوان المختلفة كما يشاهد ممن قوي خجله حتى كان تلك الوجوه عند ذلك التلون
البستها الوانها ضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو الحرباء من شانها انما تستقبل
الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة فبسبب
هذا الجمال الباهر المستلزم لباهر الافضال والاحسان اذا شمت بالمعجمة من شمت
البرق نظرت الى سحابه بشره اي طلاقة وجهه ونداه اي جوده اي اذا تطلعت
الى مخايله ببصرك منتظرا اليه اذهلتك اي انستك ما انت بصدده الانوار
الباهرة التي تحصل لك من بشره عند روية وجهه والانواء جمع نوء وهو ما
تضيف العرب الامطار اليه من النجم او وقته نحو مطرنا بنوء الثريا وهي هنا
كناية عن الخيرات الواصلة منه صلى الله عليه وسلم لمن نداه واملة ففيه لف
ونشر مرتب لرجوع الانوار للبشر والانواء للندى وفيهما الجناس اللاحق ونوع
من مراعاة النظير يسمى تشابه الاطراف وهو ان يختم الكلام بما يناسب ابتداه
في المعنى نحو لا تدركه الابصار الاية فاللطيف يناسب لا تدركه الابصار والخبير
يناسب وهو يدرك ولما تمنى روية الوجه المكرم واستتبعه باوصافه العلية
اخذ في تمني تقبيل راحته الكريمة ووصفها باوصافها العلية فقال او لثمة حصنى
بتقبيل راحة اي بلغني في اليقظة او النوم نظير ما مر لكفه التي كان لله اي لاجل
ابتغا الوجهه دون غرض اخر وبالله اي بسبب شهود اعانته وقد اغرها
والعطاء اسم مصدر بمعناه اي واعطاؤها لبرايتها من كل غرض ينافي الكمال
الاعظم فلم يقع تصرف منها في شي منذ افاض الله عليها خوارق جوده الا وشهوده

سلب كل حول وقوة عما سواه تعالى ولهذا الشهود الاعظم في نصره فما كانت
تتقي بفتح التائين اى تخاف وتحذر باسها اى شدتها في الحرب الملوك كقيصر
وكسرى والمقوقس الى ان ظفرها الله بجميعهم وكانت تخطى ان تفوز الغناء
الحسي والمعنوي من بعض نوالها اى عطاياها الفقراء لانه كان اجود الناس
فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك ومع ذلك يعيش عيش الفقراء لايثاره على نفسه
وعياله وكان جوده كله لله وفي ابتغاء مرضاته يبذل المال تارة للفقير والمحتاج
وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتالف به من يقوى اسلامه او من يسلم باسلامه
نظراوه وبين الاخذ والعطا والملوك والفقرا وتتقي وتخطي تجنيس التقابل
لا تسال اصله بالهمز ثم خفف بحذفه كما قرئ به في سال سائل سيل هو الماء
الكثير الجاري وبينهما تجنيس التحريف والتصحيف جودها بفتح الجيم وهو
المطر الغزير اى لا تسال هذا الامر المكنى به عن سعة عطايه وجوده فان هذا
شي لا يقدر احد من البشر قدره بل انما الذي يليق بك ان تسال ما يكفيك وهو
ان يصل اليك من وكف اى قطر سحبها جمع سحاب الانداء جمع ندا وهو البلل
على ان بلل هذا القطر فيه الغنا الكلي فمن وصلت اليه بلة من قطرة منه كان
سببا لغناه في الدنيا والاخرة ومن اوصاف تلك الراحة العلية ايضا انها درت
الشاة اى ارسلت لبنها الغزير حين مرت عليها فبسبب ذلك صار
لها بعد فقد اللبن منها بالكلية اذ لم يكن طرقها فحل قط ثروة اى كثرة اللبن
بها اى بسبب تلك الراحة الكريمة ونماء اى زيادة في تلك الكثرة وهذه
القصة وقعت له صلى الله عليه وسلم لما خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة
ومعه ابو بكر ومولاه عامر بن فهيرة فاخذ بهم الدليل طريق الساحل فمروا
بقديد قريب رابغ على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة
تسقي وتطعم وكانوا في غاية القحط والجهد فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه
فلم يجدوا عندها شيا فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة تخلفت

عن الغنم لشدة الجهد فسالها هل بها من لبن فقالت هي اجهد من ذلك والله
ما ضربها فحل قط فقال اتاذنين لي ان احلبها فقالت نعم ان رايت بها حلبا ان
فاحلبها فدعا بالشاة واعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا
باناء يشبع الجماعة فملاه من حلبها وسقى القوم حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلب
فيه مرة اخرى عللا بعد نهل ثم تركه عندها وذهبوا ذكره اصحاب السير وغيرهم
ومن اوصاف تلك الراحة الجليلة ايضا انه نبع الماء بها اى بسببها وعدل اليها
عن عينها المتبادر ليفيد انه نبع تارة منها وتارة ببركتها من غيرها اما الاول فقال
قال القرطبي فقصة نبع الماء من بين اصابعه قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم في عدة
مواطن في مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي
المستفاد من التواتر المعنوي ولم يسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا صلى الله عليه وسلم
حيث نبع الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه وذكر المزني صاحب الشافعي
رضي الله عنهما ان هذا ابلغ من نبع الماء من الحجر بضرب موسى صلى الله على نبينا
وعليه وعلى سائر الانبيا والمرسلين وسلم لان الحجر يولف منه خروج الماء ولا كذلك
البدن فمن جملة تلك المواطن ما في الصحيحين عن انس ان الناس احتاجوا الصلاة
العصر فلم يجدوا الماء فاتي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده في ذلك الاناء فنبع الماء
من بين اصابعه حتى توضوا كلهم زاد البخاري كانوا ثمانين وان الماء نبع من بين اصابعه
واطراف اصابعه وفي رواية لابن شاهين انه وقع نظير ذلك في غزوة تبوك لما شكوا
اليه فطلب فضلة ماء فاتي بها فصبها في صحفة ثم وضع راحتيه فيها فتحلبت عيون
بين اصابعه فرووا هم وابلهم وتزودوا وفيهما عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان
بين يديه ركوة فجاؤه يشكون العطش فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من
بين اصابعه كامثال العيون فتوضوا كلهم وكانوا الفا وخمسمائة بل قال جابر لو كنا
مائة الف لكفانا وفي رواية لاحمد عنه فوالذي ابتلاني ببصري لقد رايت العيون
عيون الماء تخرج من بين اصابعه وظاهر الروايات ان الماء نبع من نفس اللحم الكائن

في الاصابع وهو ما صححه النووي وجزم به غيره وانما استدعى قليل ماء تادبا
مع ربه فانه المنفرد بايجاد المعدومات من غير اصل ثم في رواية عند جماعة
انه فعل ذلك مرة من غير ماء لكن استدعى بشن يابسة ووضع يده فيها فنبعت
عيون الماء واما الثاني ففي مسلم انكم ستاتون غدا ان شاء الله عين تبوك
وانكم لن تاتوها حتى يضحي النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيا حتى اتي
فسبق رجلان وهي مثل الشراك تبض بشيء من ماء فسالهما هل مسستما من مائها شيا قالا نعم فسبهما ثم اغترفوا له قليلا فغسل به
وجهه ويديه ثم صب الغسالة في العين فجرت العين بماء كثير ثم قال يا ابا
معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ بساتين وعمرانا
وفي رواية الموطا وغيره فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق وصح على
مقال في بعض رواية ان العطش اشتد بهم في غزوة تبوك حتى كادت تلوبهم
تنقطع وكان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل الباقي على كبده
فساله ابو بكر ان يدعو لهم فقال اتحبون ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما
حتى نالت السماء فانسكبت حتى ملوا ما معهم من انية ثم ذهبوا ينظرون فلم
يجدوها جاوزت العسكر وفي البخاري في غزوة الحديبية نحو ذلك مرتين مرة
امرهم بوضع سهم من كنانته في محل الماء ففاض ومرة بوضع يده في الركوة فجعل الماء
يفور من بين اصابعه ومن اوصافها ايضا انه **اثمر النخل في عام** اي في
سنة غرسها اي بسبب مس تلك الراحة الكريمة لذلك النخل في قصة
سلمان الفارسي رضي الله عنه التي ذكرها اصحاب السير ابن هشام وابن سيد
الناس وغيرهما وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة اتاه سلمان
وامن به وكان مسترقا فامره صلى الله عليه وسلم ان يكاتب سيده فكاتب على
غرس ثلثمائة ودية وتعهدها حتى تثمر واربعين اوقية ذهبا ثم اخبره صلى
الله عليه وسلم بذلك فامر اصحابه ان يعينوه بالودي فاعانوه ثم وضعه صلى الله عليه وسلم
بيده فما ماتت منها واحدة بل اثمرت كلها في عامها وفي رواية توقفت منها واحدة فقلعها

صلى

صلى الله عليه وسلم واعادها فنبتت البقية فاداها وبقي عليه الذهب فجاءه النبي
صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة دجاج من ذهب من بعض المعادن فاعطاها له فقال
واين تقع هذه مما علي قال خذها فان الله سيؤدي بها عنك فوزن لهم منها اربعين
اوقية ومن اوصافها ايضا انه **سبحت بها** اي في راحته **الحصباء** اي الحصا
كما رواه البزار والطبراني في الاوسط وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم كان عنده ابو بكر
وعمر فقبض حصيات فسبحن في كفه حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم ناولهن ابا بكر
فسبحن في كفه كذلك ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك ثم اخذها الحاضرون فلم تسبح مع
احد منهم قال الحافظ شيخ الاسلام والحافظ العسقلاني ليس لحديث تسبيح الحصى
الا طريق واحدة مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس انتهى نعم اخرج البخاري
من حديث ابن مسعود كنا ناكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع
تسبيح الطعام وفي فتح الباري عن الشفا انه صلى الله عليه وسلم مرض فاتاه
جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه فسبح تنبيه تسبيح الجماد
كالطعام والحصى معناه ان الله تعالى خلق فيه اللفظ الدال على التنزيه حقيقة
خرقا للعادة ومع ذلك اضافة التسبيح اليه مجاز لان اللفظ انما يضاف حقيقة
لمن قام به ومن اوصافها العلية ايضا انها **احيت المرملين** اي الذين نفد
زادهم من القحط حتى اشرفوا على الموت فتسميتهم موتى حتى وصفوا بالحياة
مجاز كما ان اسناد الاحيا الى الراحة مجاز ايضا فهو استعارة تبعية **من موت**
جهد اي قحط شديد والاضافة بيانية مبالغة بادعاء ان ذلك الجهد كان
سببا قريبا للموت اطلق عليه اسمه **اعوز القوم** عدل اليه من اعوزهم الذي هو
القياس لازالة ايهام لفظ المرملين انه خاص بذكورهم وان كان التغليب
في مثله شايعا ذايعا فان قلت شمول القوم للاناث انما هو بطريق التبع فساوى
المرملين قلت الفرق بينهما واضح لان شمول القوم للاناث لفظي وان قلنا بانه
بالتبعية ومن ثم لم يحتج لقرينة بخلاف المرملين فافاد القوم ما لم يفده المرملين

فبه اى فى ذلك الجهد زادوما، من اعوزه الشى اذا احتاج اليه وعبر بزادوما مع انه انما
يقال فى طعام المسافر اشعارا بانهم لما حصلت لهم تلك الشده التى ادت بهم
الى الاشراف على الموت صاروا كالمسافرين المشرفين على الهلاك وبين الموت
والاحيا والزاد والما، الطباق كالرى والشبع المفهومين مما ياتى فبسبب
احيابه لهم كثر الله تع كرامة ومعجزة له الطعام والماء القليل جدا حتى
تغدى بالموالد المهملة اى اكل وقت الغدا وهو ما قبل الزوال بالصاع
الواحد وهو قدحان بالكيل المصرى تقريبا الف جياع وتروى بالصاع
الف ظما، جمع ظامى او عاطش اما تروى الالف الظماء بالماء القليل النابع
من بين اصابعه تارة وببركة دعايه اخرى فقد مر الكلام عليه مستوفى والتعبير
بالصاع فيه المراد به الماء القليل جدا الحا يعلم مما مر وانما ذكره على جهة مجاز
المشاكلة ما قبله نحو وجزاء سيئة سيئة ومكروا ومكر الله تعلم ما فى نفسى ولا
اعلم ما نفسك وبالالف المراد به العدد الكثير فقى بعض المواطن كالحديبية
كانوا الفا واربع ماية او خمسماية وفى بعض المواضع كانوا الثماية وفى بعضها كانوا
اقل وفى غزوة كانوا الوفا واما تغدى الالف الجياع بالصاع فهو ما فى الصحيحين
عن جابر رضى الله عنه انه راى بالنبى فى غزوة الخندق جوعا شديدا فذهب
لامراته واخبرها فاخرجت صاعا من شعير وشاة داجنا اى سمينة فذبحها وطحنت
الشعير فلما وضعت اللحم فى البرمه ذهب للنبى صلى الله عليه وسلم واخبره وطلب ان ياتى
بنفر معه فصاح النبى صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان جابرا صنع سورا فحى هلا بكم
ثم امره ان لا تنزل البرمه ولا تخبز العجين حتى يجى فلما جاء بصق فى العجين وبارك
ثم فى البرمه وبارك ثم امرها ان تدعوا خابزة تخبز معها وان تغرف من برمتها
ولا تنزلها فاكلوا وهم الف حتى تركوه وان عجينهم وبرمتهم كما هما وفيهما ايضا الا
بعض زيادات ففى مسلم عن انس رضى الله عنه فى غزوة الخندق ايضا ان عمه
زوج امه ابا طلحه عرف جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صوته فذكر ذلك

لام سليم زوجته فاخرجت اقراصا من شعير ولفتها بخمار واعطتها
لانس ولفت طرف الخمار على راسه من تحت كالعمامه وارسلته الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجده بالمسجد اى الموضع الذى اعده لمحاصرة الاحزاب
ومعه الناس فقال له ارسلك ابو طلحة قلت نعم قال لطعام قلت نعم
فقال لمن معه قوموا فتقدمهم انس فاخبر عمه فقال يا ام سليم قد جا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا طعام نطعمهم فقالت الله
ورسوله اعلم فتلقى ابو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم
هلمى يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك الخبز فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ففت وعصرت عكة فادمته ثم قال صلى الله عليه وسلم ما شا الله ان يقول ثم قال
ائذن لعشره فاكلوا حتى شبعوا فخرجوا فقال ائذن لعشره وهكذا فاكلوا
وشبعوا وهم ثمانون ثم اكل صلى الله عليه وسلم واهل البيت وتركوا بقيه وفى
طرق هذه القضيه ما يقتضى تعددها وادخالهم عشره عشره ولاتحاد القصعة
وصغرها وقول انس نعم اما لاستحيايه من كثرة الناس فقال ذلك لشيخه
النبى صلى الله عليه وسلم وحده واما لانه من ارسله ذكر له انه اذا راى كثرة الناس
دعاه وحده وفى رواية ان ابا طلحة قال انما ارسلت انسا يدعوك وحدك
ولم يكن عندنا ما يشبع من ارى فقال ادخل فان الله سيبارك فيما عندى
وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم مسح القرص فجعل ينتفخ ويتسع فى الجفنة
وفى اخرى ان ابا طلحة راى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبرى اصحاب الصفة
سورة النسا وقد ربط على بطنه حجرا وروى مسلم انه فى غزوة تبوك
جاعوا فسال عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعوا بفضل ازوادهم ثم
يدعوا الله عليها بالبركه ففعل فاجتمع شى يسير فدعا صلى الله عليه وسلم
بالبركه ثم قال خذوا فى اوعيتكم فما ترك فى العسكر وعاء الا ملوه فاكلوا
وفضلت فضله فقال صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله وانى

رسول الله الحديث وفيهما ايضا عن انس ان امه ارسلته الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بحيسة في ثوب وهو عروس بزينب فامره ان
يدعو من لقي فدعى من لقي فكانوا زهاء ثلثمائة فوضع صلى الله عليه وسلم
يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم دعا عشرة عشرة فاكلوا حتى
شبعوا فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت وصح عن سمرة
ابن جندب انهم تداولوا قصعة من غدوة الى الليل تقوم عشرة وتقعد
عشرة قيل له فما كانت تمد قال ما كانت تمد الا من ههنا اشار الى السماء
ومنها انه وفى قدر بيضة اي بيضة دجاج من نضار اي ذهب دين
سلمان الفارسي رضي الله عنه الذي كان من جملة ما كاتب عليه سيده
وهو اربعون اوقية من الذهب كما مر الجامع صغر تلك البيضة وعظم ذلك
الدين لكن ببركة مسه صلى الله عليه وسلم لتلك البيضة براحته الكريمة حين
حان اي قرب الوفاء اي حلول الاجل وبين اوفى والوفا الجناس
الناقص ورد العجز على الصدر وحين ودين وحين وحان الجناس اللاحق
وسبب هذا الدين على سلمان انه كان يدعى قنا اي رقا بالباطل وملخص
قصته كما حكاه هو عن نفسه انه من اصبهان واجتهد في المجوسية حتى
صار رئيسها فمر بكنيسة للنصارى فاعجبوه فذكر لابيه فقيده وقال له
دينك ودين ابائك خير من دينهم وكان سالهم عن اصل دينهم فقالوا بالشام
فارسل اليهم اذا جاءكم احد من الشام فاخبروني ففعلوا فحل القيد وتوجه
اليها فسال عن اعلمهم فدل عليه فخدمه الى ان مات ثم خدم من اقيم مقامه
فلما احتضر قال له من توصي قال بفلان بالموصل فجاءه فاخبره وخدمه
فلما احتضر قال من توصيني قال بفلان بنصيبين فجاءه واخبره وخدمه
فلما احتضر ذكر ذلك له قال بفلان بعمورية من ارض الروم فلما احتضر قال
له يا بني ما اعلم احدا على ما كنا عليه امركه ان تاتيه وانه اظل زمان نبي هو

مبعوث

مبعوث بدين ابرهيم يخرج من ارض العرب مهاجرا الى ارض بين حرتين
به علامات لا تخفى ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة
فان استطعت ان تلحق بارضه فافعل ثم مات ثم مر بي نفر من كلب فقلت
احملوني الى ارض العرب واعطيكم ما عندي فحملوني فلما بلغوا وادي القرى
ظلموه فباعوه من يهودي فباعه من ابن عم له من بني قريظة بالمدينة قال فحملني
اليها فعرفتها فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة فلم اسمع له ذكرا ثم هاجر الى المدينة
فبينا انا اجني لسيدي تمرا جاءه ابن عمه فقال له قاتل الله بني قيلة وهي ام
الاوس والخزرج انهم الان لمجتمعون بقبا على رجل قدم اليهم من مكة اليوم
يزعمون انه نبي فاخذتني رعدة شديدة حتى ظننت اني ساقط فنزلت فقلت
لسيدي ماذا قال فكهرها فغضب ولطمني لطمة شديدة وقال ما لك ولهذا اقبل
على عملك فلما امسى اخذ شيا جمعه وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
بقبا فقال له هذا صدقة فامر اصحابه باكله ولم ياكل فجمع شيا اخر واتى به وهو
بالمدينة فقال له هذا هدية فاكل هو واصحابه ثم جاءه بالبقيع وقد تبع جنازة
فجعل ينظر الى ظهره فعرف انه يتامل لشي وصف له فالقى رداءه عن ظهره
فراى خاتم النبوة فقص عليه حديثه واسلم وامره صلى الله عليه وسلم ان يكاتب
فكاتب نظرا للحالة الراهنة والا فهو من جملة الاحرار الذين هم ابناء حواري
عيسى عليه السلام على غرس ثلثمائة وستين نخلة وتعهدها حتى تثمر واربعين
اوقية ذهب فغرس له النخل فاثمرت من عامها واعطاه مثل بيضة من
ذهب فوفت الاربعين فاعتق باداء النجوم لما ابيعت اي نضجت
من نخيله حالة من قوله الاقناء جمع قنو وهو العذق اي العرجون والاجل
ما ذكر عن سلمان انه بمجرد سماعه لذكر النبي صلى الله عليه وسلم اخذته الرعدة والشدة
وهو على راس نخلة يجنيها لسيده وشاهدت سجوده منه ومع ذلك الدال
على نبوة محمد وانه بلغ امره وبعثه الاباعد والاقارب لما فهم ان لم تلفتنا

الى سماع خبر النبي صلى الله عليه وسلم لطمه لطمة شديدة لانه كان من جملة
اليهود الذين كانوا يتحزون على الانصار بانه قرب زمن نبي عربي
فكونوا اول من يتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم المدينة كفر به
اكثرهم كما قال فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به عرض الناظم رحمه الله لموالي سلمان
منكرا عليهم اذ لم يؤمنوا بنبينا صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من حال
سلمان بل زادوا في الطغيان بضربه فقال اتلطمون سلمان وتمنعونه
من الاجتماع بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يؤمنوا به فلا تعذرون سلمان
اي ترون له عذرا يمنعكم من ايذائه ومنعه وقد وضح الدليل عندكم على
نبوته لما اي حين ان عرته اي غشيته من اجل ذكره اي ذكر
اليهودي لقربه النبي صلى الله عليه وسلم واجتماع الناس به في قبا العرواء
اي قوة الحمى وسميت في اول اخذها للانسان بالشدة والرعدة وما ذكرته
في تقرير هذا البيت المطابق لما في قصة سلمان والذي فيه غاية المناسبة
للمقام وغاية الانكار على اليهود ورميهم بالعناد والبهتان اولى مما وقع للشارح
في تقريره على ما فيه من النظر كما يعلم بتأمله وبين عرته والعرواء التجنيس
شبه الاشتقاق ومن اوصاف تلك الراحة ايضا انها ازالت بلمسها
لمن به امراض اعيت الاطبا كل داء به اكبرته اي استعظمته وعجزت
عن برئه اطبة جمع طبيب وهو العالم بعلم الطب الذي هو حفظ صحة
الانسان بمنع الواصل ودفع الحاصل واساء بكسر الهمزة اي مرضى جمع اس
كراع ورعاء روى الدارمي ان امراة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله ان ابني به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح
صلى الله عليه وسلم صدره فقاء من جوفه مثل جرو الاسود فشفي فابرءه
روى البخاري ان سلمة اصيب يوم خيبر بضربة في ساقه فنفث فيها صلى
الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكى قط ومن اوصافها ايضا انه برئ

بها عيون ناظرة برئت بها تلك الراحة وهي رمد اي معطلة الابصار
فارتها اي تلك الراحة تلك العيون ما اي الشيء البعيد الذي لم تره
فيه مع ارتها جناس الاشتقاق الزرقاء المشهورة بزرقاء اليمامة
التي كانت ترى من مسيرة ثلاثة ايام روى البخاري في غزوة خيبر
انه صلى الله عليه وسلم قال ابن علي اي ليعطيها الراية ويكون الفتح على يديه
كما في رواية اخرى فقالوا يشتكي عينيه قال ارسلوا اليه فاتي به فبصق
صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كان لم يكن به وجع وعند
الطبراني عن علي فما رمدت ولا صدعت مذ دفع الي صلى الله عليه وسلم
الراية يوم خيبر وعند الحاكم عنه فوضع صلى الله عليه وسلم راسي في حجره
ثم بزق في راحته فدلك بها عيني وعند الطبراني فما اشتكيتهما حتى
الساعة قال ودعا لي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر
فما اشتكيتهما حتى يومي هذا [illegible] روى ابن شيبة والبغوي والبيهقي
والطبراني وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم نفث في عيني فديك وكانتا
مبيضتين لا يبصر بهما شيئا وكان وقع على بيض حية فكان يدخل
الخيط في الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان ومنها
ايضا انها اعادت على قتادة بن النعمان عينا له ذهبت فهي حتى اي الى
مماته النجلاء اي الواسعة والمراد واسعة النظر وقصته ان عينه اصيبت
يوم احد فوقعت على وجنته فاتي بها الى النبي صلى الله عليه وسلم بيده وردها
الى موضعها وقال اللهم اكسها جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا
وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه رجل من ذريته فقال له عمر من انت قال

ابونا الذي سالت على الخد عينه ۞ فردت بكف المصطفى ايما رد ۞
فعادت كما كانت لاول امرها ۞ فيا حسنها عينا ويا حسن ما رد ۞

فوصله عمرو احسن جابرنه قال السهيلي وفي رواية اصيب عيناى
يوم احد فسقطتا على وجنتي فاتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم
فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطني هذا
حديث غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة واخرج الطبراني
وابو نعيم عنه كنت يوم احد اتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكان اخرها سهما ندرت منه حدقتي فاخذتها بيدى
وسعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راها في كفي دمعت عيناه فقال
اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما
نظرا ويجمع بين رواية الواحدة ورواية الثنتين على تقدير صحتهما بان
احد الرواة ظن ان الساقط واحدة وبعضهم علم ان ثنتان فاخبر كل
بحسب علمه ومن قواعدهم ان زيادة الثقة مقبولة وبها تترجح رواية
الثنتين او لبينة خصني في اليقظة او النوم نظير ما مر يلثم اى تقبيل
التراب المنفصل من قدم له موصوفه باوصاف جليلة منها انها كانت
اذا مشت على حجر لانت حيا اى لاجل او من جهة استحيايها منها
واجلالها لها من اجل مشيها اى تلك القدم الكريمة الصفراء اى الحجارة
الصلدة فاعل لانت واعيد ضمير مشيها وما بعده عليها لتقدمها رتبة
ونبه بذلك على انه ينبغي لك ايها العاقل ان تستحي من مخالفتك ما جاء
عن نبيك لانك اذا علمت ان الحجر الاصم استحى منه ان يبقى على صلابته
مع مشيه عليه تتشوف عليه صلابته فلان له حتى يسهل عليه مشيه عليه
فانت اولى بالاستحياء منه ان تبقى على مخالفته مع علمك بجليل اوصافه
وعلى اخلاقه ثم لهذا الذي ذكره الناظم ذكره غيره ممن تكلم على
الخصايص لكن بلا سند موطى يدل من التراب الاخمص بضم الميم
والمراد به الجنس اى الاخمصين وهو من التعبير بالبعض عن الكل اذ الاخمص

من القدم الموضع الذى لا يلتصق بالارض منها عند الوطى والخصان
المبالغ فيه ولا يرد على كلامه ما رواه البيهقي عن ابى هريرة كان صلى الله
عليه وسلم اذا وطى بقدمه بكلها ليس له اخمص وابن عساكر عن ابى امامة
كان صلى الله عليه وسلم لا اخمص له يطا على قدمه كلها لان المراد ان
اخمصه معتدل الخمص ومن ثم قال ابن الاعرابى اذا كان خمص الاخمص
بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل القدم جدا فهو احسن ما يكون
وان استوى او ارتفع جدا فهو ذم الذى نعت للمضاف ولا يصح كونه
نعتا للمضاف اليه الا بتكلف منه صفة للمبتدا الذى هو وطا تقدمت عليه
فصارت حالا للقلب خبر المبتدا وهو الفواد وقد يعبر به عن العقل
ومر المراد بالقلب والخلاف في العقل وذكر القلب بعد الاخمص فيه تجنيس
مراعاة النظير اذا مضجعى اى جنبى الذى اضطجع عليه اقض بالقاف
والمعجمة اى اصابه القضض وهو التراب الذى يعلو الفراش كما في القاموس
وطاء اى فراش وصف ذلك التراب الذى هو موطى القدمين الشريفين
بانه لو فرض ان مضجعه اصاب تراب فراشه الذى هو من جملة ذلك التراب
سرى سر ذلك التراب الاكبر الى قلبه فاناره واراحه من الاغيار وصيره
على اكمل الاحوال وصانه من قبايح الخطرات والاحوال كما ان الفراش يصون
من فرش له عن ذلك وهذا اولى واظهر مما حل به الشارح هذا البيت فتاملها
ومن اوصافها ايضا انه حفظ المسجد الحرام يعنى جميع حرم مكة اذ المسجد
الحرام يراد به ذلك كثيرا كما في القران في مواضع كثيرة بل كلما ورد فيه من ذكر المراد به
مكة الا في نحو فول وجهك شطر المسجد الحرام بممشاها اى بمشى تلك القدم
فيه اى فضل حرم مكة سائر البقاع ما عدا موضع قبره المكرم كما عليه اكثر
العلماء بتوسط ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وتربيته ونشاته فيه
ومن ثم صح من غير نزاع فيه لا اصل انه صلى الله عليه وسلم قال لمكة والله

انك لاحب ارض الله الى الله ولولا انى اخرجت منك كرها ما خرجت
والحديث المعارض لذلك الذى يرويه مفضلوا المدينة المنورة موضوع
كما اعترف به امام المالكية ابو عمرو بن عبد البر وصرح بان افضلية
مكة هى الحق عند من الهم رشده وبرئ من التعصب **ولم يشس حظه منه**
ابدا اى بيت المقدس بل شرفه بمشيه فيه ايضا وصلاته فيه بالانبيا
ليلة الاسرا كما جاء ذلك فى الاحاديث الصحيحة ولم يذكر المدينة لان الذى
انشا شرفها كما قال فى الحديث الصحيح اللهم ان ابرهيم حرم مكة
وانى حرمت المدينة الحديث فقوله حرمت المدينة اى نزل تحريمها
على لسانى ولم يسبق زمنى بخلاف مكة فان تحريمها من يوم خلق الله
السموات والارض كما فى حديث البخارى وغيره لحديث البخارى
وغيره ايضا ان ابرهيم حرم مكة معناه اظهر حرمتها لا غير جمعا بين
الحديثين فانه متعين ما امكن وليس الكلام فيما انشا حرمته وانما هو
فيما عرفت حرمته من قبله على لسان غيره من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام لكن ازدادت حرمته ببركة حلوله به ومشيه فيه ففضل غيره
حينئذ ففضل مكة وبيت المقدس ليس لتقدم حرمتهما قبله صلى الله
عليه وسلم بل لاجل حلوله ومشيه فيهما وبين حظى وحظه كورمت ورمى تجنيس
شبه الاشتقاق ومن اوصافها ايضا انها **ورمت** كما فى حديث
الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه
فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فقال افلا اكون عبدا شكورا وفى رواية لهما عن عايشة رضى الله عنها
قام نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وفى رواية حتى تفطرت
قدماه فقلت له لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فقال افلا اكون عبدا شكورا فلما بدن وكثر لحمه صار جالسا فاذا اراد ان

يركع قام فقرا ثم ركع والفاء للسببية والتقدير اتترك تهجدى فلا
اكون عبدا شكورا والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد لمحض الشكر
فكيف اتركه قال ابن بطال شارح البخارى فى هذا الحديث اخذ
الانسان على نفسه بالشدة فى العبادة وان اضر ذلك ببدنه لانه
صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لا يعلم
بذلك فضلا عمن لم يامن انه استحق النار انتهى قال بعض
المفسرين قام صلى الله عليه وسلم طول ليله على قدميه الا قليلا فلما تورمت
قدماه كان يقف على اطراف اصابعه فانزل الله عليه طه اى طا،
الارض بكل قدمك واسترح مما انت فيه من التعب فاننا ما انزلنا
عليك القران لتشقى **اذ** اى وقت او لاجل انه **رمى بها ظلم الليل**
فيها استعارة بالكناية شبه القدم الشريفة بسهم صايب من
حيث ان قيام القدم فى طاعة الله اوجب زوال ظلمة الليل ووحشته
كما ان رمى السهم فى طاعة الله يزيل سورة عدوه ووطاته فتشبيه
القدم بالسهم فى ذلك استعارة بالكناية لبنايها على هذا التشبيه
المكنى فى النفس واثبات الرمى لها استعارة تخييلية وبهذا التقرير
البديع المبقى للبا على حالها يندفع زعم الشارح انها بمعنى من او عن
وانه لا يصح بقاوها على حالها ولما كان قيام الليل لذاتها عن مزيد خوف
او سعة رجاء بين الناظم رحمه الله ان قيامه صلى الله عليه وسلم لم يكن
لاجل ذلك وانما كان لمحض الشكر كما افاده قوله افلا اكون عبدا شكورا
مع التلذذ بمناجاة الله تعالى والقيام بين يديه وان خوفه ورجاه
اللذين وصل فيهما الى غاية لم يصل اليها غيره انما كان لمحض التقرب
بهما الى الله تعالى فقال **الى الله** خبر مقدم **خوفه** منه قال صلى
الله عليه وسلم انا اعلمكم به واخوفكم منه **والرجاء** اى وسعة امله

فيما عنده لا الى غرض اخر لان الله تعالى عصمه من ان ينظر او يميل الى غيره
طرفة عين لهو دايم المثول في حضرات الشهود الاقدس والتملي بمعالي
القرب الانفس ووقع للشارح رحمه الله حل هذا البيت على خلاف ما ذكرته وما
ذكرته اولى وانسب بمقامه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على متامل ثم رايت القرطبي
اشار الى نحو ما ذكرته حيث قال ظن من ساله في حديث الصحيحين المذكور
عن سبب تحمله المشقة في العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب
وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك فافادهم
ان هذا طريقا اخر للعباده وهو الشكر اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام
بالخدمة فمن كثر منه سمي شكورا لكنه قليل كما قال تعالى وقليل من عبادي
الشكور وفي الحديث بيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد في
العباده والخشية من ربه قال العلما انما الزم الانبيا انفسهم بشدة الخوف
لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانما ابتداهم بها قبل استحقاقها فبذلوا
مجهودهم في عبادته ليودوا بعض شكره مع ان حقوق الله اعظم من ان يقوم
بها العباد انتهى وقيام الليل كان في اول الاسلام واجبا عليه صلى الله عليه وسلم
وعلى امته كما ذكره الله في اول سورة المزمل ثم نسخ بما في اخرها ثم نسخ عن الامه
بالصلوات الخمس وكذا عنه على الاصح كما نص عليه الشافعي رضي الله عنه ولكن
اكثر اصحابه على انه لم ينسخ عنه لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي عبادة
زايده في فرايضك لان الامر للوجوب وقيل معناه زيادة خالصة لك
لان تطوع غيره يكفر ذنبه وتطوعه خالص له لكونه لا ذنب عليه فسائر
تطوعاته صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات والقرب واما حديث اللهم
اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب
اليها من قول وعمل فهو تعليم لامته وبين الخوف والرجا المقابلة ومن
اوصافها انها دميت اي خرج دمها في الوغى قال الشارح هو

الصوت

الصوت والجلبه ويقال للحرب لما فيها من الصوت والجلبة وكثرة
اختلاط الاصوات وهو المراد هنا انتهى لتكسب هي طيبا ما
اي الذي اراقت من الدم بيان لما الشهداء جمع شهيد فعيل
بمعنى فاعل لانه يشهد الجنة وما اعد الله له فيها عند طلوع روحه
او مفعول لان الملايكة الرحمة تشهده عند ذكره وهو فاعل اراقت اي من
حكم خروج الدم من رجله الشريفه ان يعود طيب ذلك الدم وبركته على جميع دم
الشهدا حتى يكون رايحة دمهم كريح المسك كما اخبر صلى الله عليه وسلم عن دمهم بانه
كذلك وكان ينبغي للناظم ان يذكر هذا من اوصاف يده الكريمه لان الذي في
البخاري انه صلى الله عليه وسلم دميت اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت وقد يحمل كلام الناظم على ما سبق انه صلى الله عليه وسلم
خرج الى ثقيف يدعوهم الى الله فابوا واغروا به سفهاهم بالحجاره الى ان
ادموا رجليه فجلس من شدة الالم وزيد مولاه يحميه منهم فان قلت ليس
هنا حرب والناظم قيد ذلك بالوغا قلت قد علمت ان اصل الوغا
الصوت والجلبه وهذا موجود هنا على ان لنا ان نمنع قولك ليس هنا حرب وسند
المنع انه اقام عندهم شهرا يدعوهم وهم لا يجيبونه بل يغرون به سفهاهم
وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضب
نعلاه بالدما زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجاره قعد الى الارض فياخذونه
بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه
بنفسه لقد شج في راسه شجاجا وهذا حرب واي حرب لان من قام بين
ظهراني العدو وفاجاهم بما يكرهونه من غير ان ينزجر بزجرهم ولا ينفك
عنهم بضربهم محارب لهم اي محارب ويدل لذلك ان ايمتنا عدوا من
المتحاربين الصفين اذا تقابلا بحيث يصل سلاح كل الى الاخر وان لم يقع قتال
بل ولا سل سيف ولا رمي سهم تنزيلا لما بالقوه منزلة ما بالفعل فكذلك

هنا بل في صرفه الوغا عن معناه الحقيقي الى معناه المجازى وقال انه المراد
هنا اى كما يقضي به سياق النظم لكن كان عليه ان يبين ما يشهد لذلك المراد
من كتب السير او غيرها واذا تقرر انه صلى الله عليه وسلم قام على قدميه حتى
تورمت والهادمين في الحرب لتكتسب طيب دم هادم الشهداطيبا فتى
حينئذ قطب المحراب و وقطب الحرب اى انتهى اليها الثبات في الصلاة
والحرب المحالة لم توجد في غيرها لانه صلى الله عليه وسلم لا اتقى ولا اخشع لله منه ولا
اشجع كما مر فهو قطب العبادات والجهاد في سبيل الله لا يتحرك ولا ينتقل من مكانها
فلذا دارت عليها قبايل العرب الذين اكرمهم الله بطاعة الاقتدا به والمجاهدة
معها كما قال وكم اى مرات كثيرة دارت عليها في طاعة الله حال من قوله ارحاء
اى قبايل وهذا تذييل و قطب الرحا ما يدور عليه وينبني امير الجيش قطب رحى
الحرب لانها تدور عليه واستنبط من ذلك انها مركز دايرة الوجود فهو نقطة
الكون المخلوق لاجله انتدا والمتصرف فيها انتهى وبين المحراب والحرب تجنيس
الاشتقاق وراه اى اعلم انه صلى الله عليه وسلم لو هى مع شرطها وجوابها سدت
مسد المفعول الثانى ويصح ان ما جنت هو المفعول وجواب لو محذوف دل عليه
ما جنت واعلم ان الكلام على لو كثر اختلاف العلما فيه وقد اردت هنا ايراد
خلاصته لانه مما يضطر الى معرفتها فاقول لو هى شرط للماضى غالبا واختلفت
عبارات النحاة في معناها حتى قيل انهم لم يفهموه قال سيبويه هى حرف لما كان
سيقع لوقوع غيره وقال البصريون حرف امتناع لامتناع واختلف في مرادهم
بذلك فقال ابن الحاجب مرادهم امتناع الشرط لامتناع الجواب لا عكسه لان
انتفاء السبب لا يدل على انتفاء مسببه لجواز ان يكون للشى اسباب واستدل
لذلك بقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا لانها مسبوقة لنفى تعدد الالهة بامتناع
الفساد لا عكسه اولا يلزم من انتفائها انتفاؤه اذ المراد فساد نظام فساد العالم عن
حالته وذلك جايز ان يفعل الاله الواحد سبحانه انتهى وردوا عليه واطالوا وصوبوا

ان المراد

ان المراد امتناع جوابها لامتناع شرطها كما هو المتبادر للافهام واعترض
ذلك بان الجواب قد لا يمتنع في اماكن كثيرة نحو ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
الاية وقول عمر رضى الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه لان عدم
النفوذ محكوم به وجد الشرط ام لا وكذلك عدم العصيان وجد الخوف ام لا فلذلك
خرج جمع محققون العبارة عن معناها فقالوا انها حرف يقتضى امتناع ما يليه
واستلزامه لتاليه من غير تعرض لنفى التالى فقيام زيد من لو قام زيد قام عمرو
محكوم بانتفائه ويكون مستلزما ثبوته لثبوت قيام عمرو وهل لعمرو قيام اخر
غير اللازم عن قيام زيد اوليس له لا تعرض لذلك ثم ان ناسبه بان لزم التالى الاول
عقلا او شرعا او عادة ولم يخلف المقدم في ترتيب التالى عليه غيره لزم انتفاؤه
بانتفائه كلو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ففسادهما لازم لتعدد الالهة
على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التنازع في الشى ولم يخلف التعدد في ترتيب
الفساد غيره فينتفى الفساد بانتفاء التعدد المفاد بلو وان خلفه لم يلزم كلو
كان انسانا لكان حيوانا فالانسان لازم للحيوان عقلا لانه جزؤه ويخلف
الانسان في ترتيب الحيوان غيره كالحمار ويثبت التالى مع انتفاء الاول ان لم
يناف انتفاؤه وناسبه اما بالاولى كاثر عمر والمرتب فيه عدم العصيان على عدم
الخوف وهو بالخوف المفاد بلو انسب للترتيب عليه ايضا في قصده والمعنى
انه لا يعصى الله مطلقا لا مع الخوف ظاهرا ولا مع انتفائه اجلالا له تعالى عن ان
يعصيه او المساوى لقوله صلى الله عليه وسلم في بنت ام سلمة لو لم تكن ربيبتى في
حجرى ما حلت لى انها لابنة اخى من الرضاعة رواه الشيخان اى لا تحل لى
اصلا لان لها وصفين متساويين المصاهرة والرضاع لو انفرد كل منهما حرم
او الادون كلو انتفت اخوة الرضاع ما حلت للنسب الادون منه الرضاع
لم يسكن هو يحا اى بعده قبل بالبنا على الضم حراء منعولة يسكن بالصرف
هنا لا غير لئلا ينزحف الوزن وفي غير هذا يجوز كل منهما بالاعتباريين

المعروفين ماجت اى تحركت واضطربت به اى القدم او النبى صلى الله عليه وسلم
وفى نسخة بها الداما اعلم ان الشارح تكلم على هذا البيت بما فيه خفا ونظر لانه
جعل مفعول اراه الثانى ماجت ولو لم يكن شرطا جوابه محذوف لدلالة الكلام عليه
وقال فى الذاما هى بالمعجمة كانه اراد بها سرعة الحركة وقال فى حله ومن اوصافه انه لو لم
يسكن بالقدم المذكورة حرا لما اراد التحنث فيه ماجت به سرعة الحركة واستمر
اضطرابه به صلى الله عليه وسلم انه لما صعد احدا تحرك به فقال اثبت احد فذاك
تسكين بالقول وهذا بالفعل انتهى ولم يظهر من هذا الحل مع ما قبله من الاعراب
معنى مطابق للنظم وجعل سرعة الحركة فاعل ماجت فى غاية الخفا مع عدم المناسبة
لما قبله على انه فى القاموس لم يذكر الذاما بالمعجمة اصلا ولا الذاما بالمعجمة معنى
مناسب السرعة الحركة ولا مقاربا لها اصلا وانما ذكر لان امه ما قد يناسب سرعة
الحركة وهو الرعب وعبارته فى ذامه بالمعجمة كمنعه حقره وذمه وطرده وخزاه والاذام
الرعب وما سمعت له ذامة كلمة انتهت وانما ذكر الداما فى المهملة فقال دام الحايط
كمنع دعمه وتدام الماء الشئ غمره والتحلان فقد تحللها وتداما الامر تكنفاه تراكم عليه
وتزاحم والداما البحر ثم قال وجيش مدام كمنبر يركب كل شى انتهى والذى يتجه
فى حله ان ماجت جواب لو وان الداما بالمهملة وانها البحر وان فيها الاستعارة
المصرحة لانه شبه الجبل بالبحر لانه لما تحرك به صلى الله عليه وسلم اشبه تحركه حينئذ
تحرك البحر براكبه وان ماجت استعارة مرشحة لانها تناسب المشبه به وهو
البحر اذ لا يستعمل ماج الا فى الماء كما يصرح به كلام القاموس وحينئذ فالمعنى
واعلم انه لو لم يسكن بقدمه حرا قبل اى عند ابتداء تحركه به بقوله له اثبت حرا
الى اخر ما مر فى شرح قوله فاهتز به للصلاة بهما حر الماج اى استمر اضطرابه
وتحركه الى اخر الدهر لما مر انها هزة الطرب والسرور برقيه صلى الله عليه وسلم
عليه وكان القياس لو لم يسكن بقدمه قبل حرا ماج لكن لما احتاج الى تشبيه
الجبل بالبحر فيما ذكر عدل عن ذكره الى ماجت الداما لافادتها فى تشبيه الجبل بالبحر

من البلاغة

من البلاغة المبينة على الاستعارتين المذكورتين فان قلت الذى مر فى
حرا انه انما قال له اثبت او نحوه ولم يضربه بقدمه وانما الذى ضربه
بقدمه احد وثبير فمن اين للناظم قوله لو لم يسكنها قبل حرا قلت
كانه نظر الى ما فى بعض الطرق فى مسند الحارث بن ابى اسامة اذ فيها
احدا وحرا بالشك وصح فى رواية حرا وفى رواية احد فاقتضى ذلك
ان الضرب بالقدم الكريمة فى حرا كما انه فى احد ولكن ان نحمل النظم على
ان المراد لو لم يسكن حرا قبل اى قبل طلوعه عليه هو واصحابه بقدمه
اى مشيه عليه واقامته فيه للتعبد قبل النبوة لاستمر تموجه واضطرابه
حتى طلع عليه ثانيا هو واصحابه وحينئذ لا يرد على الناظم شى الا ان يقال
المسكن له كل من قدمه وقوله له اثبت او احدا حرا فلا وجه لتخصيص
القدم بالذكر وقد يجاب بانه لا مانع اذ المسكن له كل من الامرين فنسبته
الى القدم لا ينافى انه لا مسكن غيرها ولك ان تجعل الداما الارض تسمية
للمحل باسم الحال وحينئذ فالمعنى لو لم يسكن بقدمه حرا اى بتعبده فيه
قبل النبوة لماجت به الارض بعد النبوة فرحا وطربا الى اخر الدهر الدهر
وخص حرا لانه صلى الله عليه وسلم خصه بتعبده فيه دون غيره تنبيه
اشار صلى الله عليه وسلم فى احد الى ان سبب تحركه به محبته له فقال احد
جبل يحبنا ونحبه رواه الشيخان قال الخطابى والمراد بحب احد حب
اهل المدينة نحو واسئل القرية ورده البغوى وتبعوه بانه لا مانع من حمله
على ظاهره ولا ينكر وصف الجمادات بحب الانبياء والاولياء واهل الطاعة
نظير ما مر فى حنين الجذع لما فارقه النبى صلى الله عليه وسلم وحديث ان
حجرا كان يسلم على قبل النبوة وروى البزار وابو نعيم حديث لما اوحى
الى جعلت لا امر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله ولما
ذكر جملة كثيرة من معجزاته صلى الله عليه وسلم التى من شاهدها آمن بها من فوره

بين ان الكفار الذين شاهدوها ولم يزدهم الاضلالا احقيقون بان يقال
في شانهم عجبا بدل من اللفظ بفعله وهو الامر المستغرب الخارج عن
قياس العقول الكفار اي منهم حال كونهم زادوا ضلالا بالمعجز القران
وغيره الذي فيه اي في كل فرد من افراده للعقول السليمة الخلية عن
العناد والخذلان والحسد والغل ومر الكلام على العقل وما فيه من الخلاف
اهتداء الى الدين الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والى صحة ما
تحدى به ويصح ان يراد العقول لا بالقيدين المذكورين حملا للاهتدا
على ما يشمل ما بالقوة وما بالفعل اذ المعجزة فيها الاهتدا بالقوة وان قارنها
عنادا وخذلان وبين الضلال والاهتدا والجن والانس الاتيين الطباق
ووجه التعجب منهم واضح فانهم كانوا مع ما شاهدوه من الايات والمعجزات
التي ترشد العقول الى الحق لا يزدادون لما عندهم من الحسد والتلبيس على
الضعفا منهم الا ابا وكفرا وتمردا كما قال تع عنهم وان يروا اية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر وعجبا ايضا من الذي يسالونه منه على جهة التعنت
والعناد وهو كثير منه كتاب منزل معه عليهم من السما قد اتاهم به وهم
يشاهدونه وارتقاء منه اليها وغير ذلك مما حكاه الله تع عنهم بقوله
وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل
وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا او
تاتي بالله والملايكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السما ولن
نومن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقروه وقالوا له ايضا لقد علمت انه ليس
احد من الناس اضيق بلدا ولا اقل ما ولا اشد عيشا منا فاسل ربك فليسير عنا
هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا في بلادنا وليخرق فيها انهارا
كانهار الشام وليبعث لنا من مضى من ابائنا وليكن فيهم قصي بن كلاب فانه كان
شيخ صدق فان صدقوك صدقناك وما قررته في هذا البيت اولى مما قرره

الشارح فيه من ان الذي مبتدا خبره كتاب وارتقا معطوف عليه لانه حينيذ
لا تعلق له بما قبله ولا بعده مع ما فيه من غموض المعنى بخلاف ما ذكرته فان مناسبته
لما قبله واضحة وكذا لما بعده كما يدل عليه الاستفهام التعجبي الانكاري عليهم في
قوله ا يقولون ذلك كله ويتعنتون به ولم يكفهم عن ذلك كله من الله حال
من فاعل يكف وهو ذكر واصل اليهم وتسميته ذكرا جاءت في انه مراد به الشرف
كما في رواية لذكرك ولقومك وفي اخرى مراد به انه مذكر لكل ما ينفع ومحذر عن كل
ما يضر فيه للناس والجن بل والملايكة رحمة باهتدا المومنين به وتاخير عذاب
الاستيصال عن الكافرين ببركة كونه بين ظهرانيهم وشفاء من كل دا ظاهر
وباطن حسي او معنوي كما قال تع قل هو للذين امنوا هدى وشفا وتخصيص المومنين
لانهم المقصودون بذلك بالذات وغيرهم بطريق التبع وانما قلت والملايكة لقول
بعض اكابر ايمتنا ان الملايكة لم يعطوا فضيلة حفظ القران لكنهم حريصون على
استماعه من غيرهم قال العلما لم ينزل الله من السما شفاء قط اعم ولا انفع ولا اعظم
ولا انجع في ازالة الدا من القران فهو للدا شفا ولصدا القلب جلا كما قال تع وننزل
من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين قال الفخر الرازي وغيره ومن ليست للتبعيض
بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو القران شفا من الامراض الروحانية
كالاعتقادات الفاسدة في الالهية والنبوة والمعاد وفي القران من النصوص القاطعة
بفساد تلك ما يكفي ويشفي وكالاخلاق المذمومة وفيه اوضح بيان لانواعها وحض
على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراته عليها لكن مع الخلوص وفراغ
القلب من الاغيار والاقبال على الله تع بكليته وعدم اكل الحرام وعدم رين الذنوب
وعدم استيلا الغفلة على القلب وصح حديث ان الله لا يقبل الدعا من قلب غافل
لاه وقراته من هذه حالته على اي مرض كانت مبريته وان اعيى الاطبا ومن ثم
قال بعض الايمة متى تخلف الشفا فهو اما لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول
المحل المنفعل او لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع فيه الدوا كما يكون ذلك في الادوية

والادوا الخبيثة وقد روي حديث من يستشف بالقران لا شفاه الله رواه
ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال خير الدوا القران وعن العارف الامام الكبير ابي
القسم القشيري رحمه الله ان ولده اشتد به مرض فاشرع عليه فراى النبي صلى الله عليه وسلم
فشكى اليه ما بولده فقال له اين انت من ايات الشفا اي وهي ست ايات مشهوره
فكتبها ومحاها بما وسقاها له فكانما نشط من عقال ثم استطرد بذكر شي مما اشتمل
عليه القران العزيز من المعجزات الباهرة والايات الظاهرة فى ذلك بل ابهره فى قمع
المعارض وادحاض الجاحد انه **اعجز** قيل علم اعجازه ضروري بل الاصح ان محله فيما شاهد
النبي صلى الله عليه وسلم او علم وجوه الاعجاز وظاهره ان المشاهد يحصل له العلم الضروري
باعجازه وان لم يعلم وجوه الاعجاز ولا يستبعد ذلك لان من كشف عن قلبه الغطا
عند المشاهده يحصل له قطعا العلم الضروري انه رسول الله وما جاء به من عند الله
وانه يعجز الخلق عن محاكاته لان هذا امر يدركه الذوق السليم وان لم يمكن صاحبه ان يعبر
عنه بل لو ادعى مدع ان ذلك قد يحصل لبعض حذاق العوام لم يبعد لا سيما وكل يدرك
فرقا بينا بين القران وغيره عند سماعهما **الانس ايه** عبر بها تبعا للقاضي ولم يبال
بان الذي عليه الجمهور ان اقل ما وقع به التحدي اقصر سورة وهي ثلاث ايات او مثلها
طلب منهم صلى الله عليه وسلم ان يأتوا بمثله فعجزوا فطلب ان يأتوا بعشر سور من مثله
فعجزوا فطلب منهم ان يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكان اقل ما طلب منهم قدر اقصر
سوره من سوره وذلك لان في دليل الجمهور شيا اذ يلزم من كونه لم يطلب منهم دون
السوره انهم قادرون على اقل منها لان المشاهده قاضيه بانهم عجزوا حتى عن بعض
الاية المفيد لما يفيد النظم الاتي او بعضها لان في ارتباطها بما قبلها وبعدها انواعا
من بديع الحكم لا يحيط به غيره صلى الله عليه وسلم فالحق انهم عاجزون عن محاكاة اية من
اياته حتى ثم نظرا وبعضها المفيد لكن مع النظر لمناسبتها لما قبلها وما بعدها واما
التصريح بانه لم يقع التحدي الا عن ثلاث ايات فترده المشاهده الخارجه اذ لم يسمع من احد
قط انه حاكى شيا منه **منه والجن** ايه منه ايضا وذكرهم كالاية لان

التحدي

التحدي وقع لهم ايضا لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث اليهم اجماعا وزعم انهم
انما ذكروا تخطيبا للاعجازه انهم ليسوا من اهل اللسان العربي يرد بان الاية
يقتضي انهم يحسنون اللسان العربي فادعا خلافه يحتاج الى دليل نقلي
ولم يذكر الملايكة لانه صلى الله عليه وسلم ليس مرسلا اليهم ويرد بان الاصح خلافه
ومن ثم قال بعضهم انهم مستثنون في الاية ايضا وانهم لا يقدرون على معارضته
اي وكان حكمة عدم ذكرهم عصمتهم عن المخالفة فلم يخش تحديهم وعلى كل فلم
يستطيع احد من الفريقين بل الثلاثة في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده ان
ياتي بمثل اية او سورة منه على نظمه البديع وتاليفه المنيع وعذوبة منطقه
وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلايل البعث والنبوة والاخلاق
الكريمة وضدها وهذا مقتبس من قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا لتحقيق **فهلا**
هي في اصلها للتخصيص والمراد بها هنا التهكم ونظيره من حيث انه لو لا بمعنى هلا
فيثبت لهذه ما لتلك فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله الايه فهي هنا للتوبيخ
والتنديم فكذلك هلا هنا التوبيخ من يزعم امكان المعارضة لبعض اهل الضلال والالحاد
تاتي ببعضها اي الاية والمراد ببعضها المفيد **البلغاء** جمع بليغ والفرق بين
الفصاحة والبلاغة ان الاولى خلوص اللفظ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة
القياس ويوصف بها الكلام والمتكلم والكلمة والثانية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بان
يدل على ما يقتضيه حال المتكلم او المخاطب او المحكي من تنكير او اطلاق او تقديم او
اضمار او ايجاز او فصل وضد كل ويوصف بها ما عدا الكلمة وبلاغة المتكلم ملكة
يقتدر بها على ايراد الكلام البليغ غير محتاج الى تعقب او استدراك وافاد الناظم
رحمه الله بهذا ان البلغا فضلا عن غيرهم مع انهم العرب الفصحا والخطبا البلغا
والشعرا النبها في نثرها وغيرها والمتقدمون في اللسن والتبيان والروسا
في قوانين المعاني والبديع والبيان والفرسان في ميدان الفصاحة والشجعان

في مقامات البلاغة اظهروا عوار عجزهم عن المعارضة وعثار عقلهم عن المناقضة
ومن ثم كان عجزهم عن ذلك اعجب في الاية واوضح في الدلالة من احيا الموتى وابراء
الاكمه والابرص لان قوم عيسى لم يكونوا يطمعون في ذلك ولا يتعاطون علمه وقريش
كان اعلى اربهم ومنتهى طلبهم التفنن في افنية الفصاحة والتنزه في رياض البلاغة
والتقدم في اعاجيب الخطابة واساليب البراعة فدل عجزهم عنه مع ذلك على انه
انما هو لكونه من اعلام نبوته وبراهين رسالته وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة
اذ محال ان يلبثوا ثلاثا وعشرين سنة على السكوت عن معارضة اية منه المستلزم
لنقض امره وتفريق اتباعه وزوال شوكته وحيازة مرتبته مع قدرتهم عليها
وطلبها منهم وقتل اكابرهم وسبي ذراريهم وهو لا يزداد الا تقريعا لهم بعجزهم حتى
يكشف من نقصهم ما كان مستورا وقال لهم ان زعمتم اني افتريته لعلمي باخبار الامم
فاتوا بعشر سور مثله فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا تكلف مصقع ولا ظهر
ووجد من يتخيره ويتحامى عليه ويزعم بمجرد الدعوى انه عارض وناقض فاذ السحر
يوجد ذلك مع الكثير اسلم هجاه وعارض شعراء الصحابة وخطباءها امته قطع بعجزهم
وتحيرهم وانقطاعهم ومن ثم تحداهم وقد كان صلى الله عليه وسلم اعقل خلق الله وقد
قطع القول فان ما اتى به من عند ربه وانهم لا ياتون بمثل اقصر سورة منه فلولا
انه على بينة واضحة من ربه والا لم ينطق بشيء من ذلك على انه لم يزل ينادي عليهم
عليهم بالعجز عن معارضته وبالتقصير عن بلوغ الغرض في مناقضته فلم يستطع
احد منهم ان يناديه ولم يرفع راسه الى ان يبادره بل رضيت هممهم السرية وانفسهم
الابية اذ كانوا انف شيء واشده حمية بسفك الدماء وهتك الحرم ولذلك قال العلماء
من اعلى وجوه اعجاز القران ان فصاحته وبلاغته خرقت عادة العرب مع انهم
اوتوا منهما ما لم يؤته غيرهم لانهم كانوا ياتون منهما على البداهة بالامر العجيب
ويدلون به الى كل سبب فيحيطون بديها عند شدة الخطب ويرتجزون به بين
الطعن والضرب ويترسلون في اوديتهما فياتون منهما بالسحر الحلال ويتطرقون من

دررها

دررها اجل من سمط الجمان فلا يشكل على عاقل انهما طوع مرادهم وسلس قيادهم ف
راعهم الا رسول كريم بكتاب قديم لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وهم
افصح ما كانوا في هذا الباب مقالا واشهر ما وجدوا في الخطابة والشعر مثالا
وما رخا فيهم في كل حين مقرعا لهم على رؤس الملا اجمعين فاتوا بسورة من مثله
والا فانتم المردودون الى اسفل السافلين ثم لم يزل يقرعهم ويوبخهم ويسفه
احلامهم ويحط اعلامهم ويسب الهتهم ويستبيح نفوسهم واموالهم وهم لا
يزدادون الا تقهقرا عن المعارضة لم ياتوا بمقال صابرون على الجلا والقتل
والصغار والاذلال ناكصون عن معارضته محجومون عن مماثلته مخادعون
انفسهم بالتشغيب والتكذيب والاعتراف بالافترا في قولهم ان هذا الا سحر
يوثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم
قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
والادعا مع ظهور غاية العجز عليهم بقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا وقد قال لهم
تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا اذ لو اطاقوا ادنى معارضة لبادروا اليها
ولحموا الخصم الذين كانوا محافظين على اطفا نوره واخفا امره مع طول الامد
وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فايسوا وقطعوا فانقطعوا
هذا كله والاتي اليهم به مكث بين ظهرانيهم اربعين سنة اميا لا يحسن نظم
كتاب ولا عقد حساب ولا تعلم سحرا ولا انشد شعرا ولا تحفظ خبرا ولا روى
اثرا حتى اكرمه الله بالوحي المنزل والكتاب المفصل قال تع وما كنت تتلو من قبله من
كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون روى البيهقي وغيره ان عتبة بن ربيعة
قام من جمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد وحده
فعرض عليه المال وغيره ليكف عما هو فيه فقال اسمع مني وقرا بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى ان بلغ السجدة فسمع ما اعتره فقال للنبي صلى الله عليه وسلم

١٢٦ — ١٣٠

انت وراك فقام الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نقسم بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذى
ذهب به فقالوا ما وراك قال سمعت قولا ما سمعت مثله قط والله ما هو بشعر ولا بسحر
ولا كهانة اطيعونى معشر قريش وخلوا بينه وبين ما هو فيه فليكونن له نبأ وقد بلغ
فقد انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اسكت فمه وناشدته
الرحم ان يكف وقد علمتم انه اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم
العذاب وروى ابن اسحق والبيهقى ان الوليد بن المغيرة وكان زعيم
قريش فى الفصاحة طلب منه ان يقرا عليه فقرا عليه ان الله يامر بالعدل
والاحسان الاية فاستعاده اياها فاعادها فقال والله ان له لحلاوة وان
عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى وما
يقول هذا بشر وما فيكم اعلم منى بالشعر واجمعوا فيه رايا ثم قبل حضور وفود
العرب فى الموسم لئلا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال ما هو بزمزمته
ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بخنقه ولا بوسوسته قالوا شاعر قال قد
عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه وبسيطه ومقبوضه ما هو بشاعر
قالوا ساحر قال ما هو بنفثه ولا بعقده وما انتم قائلون من هذا شيئا الا وانا اعلم
انه باطل وروى الحاكم ان هذا الشقى لما رق لقراءة القران عليه جاء ابو جهل
فقال يا عم ان قومك يرون ان يجمعوا لك مالا لانك اتيت محمدا لتعرض لما قبله فقد علموا انى
من اكثرهم مالا قال فقل فيه ما يعلم قومك انك كاره له فقال ماذا اقول وذكر ما مر
من مدح القران قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعنى حتى افكر فلما فكر
قال هذا سحر يوثر اى ينقله عن غيره فتامل قضاء هؤلاء الاشقياء على انفسهم بالعناد
والشنان القبيح والقول الباطل ومع ذلك لم يزدادوا الا ضلالا وعنادا
وطغيانا وفسادا وما احسن ما قيل لو وجد مصحف بفلاة لشهدت العقول
السليمة بانه من عند الله فكيف وقد جاء على يد اصدق الخلق وقال انه من عند
الله وتحداهم باقصر سورة منه فعجزوا هذا وقد علم مما تقرر وجوه اعجازه

اجمالا واما تفصيلها فقد بينها الائمة بما حاصله انه ينحصر مقصود
فى امور اربعة وعدها بعضهم اكثر من ذلك وهو يرجع الى ما قلناه احدها
ما فيه من الايجاز والبلاغة والتراكيب بحيث وصل فى كل منها ومن مراتب البلاغة
فيهما الى المرتبة العليا لفظا ومعنى لصدوره ممن احاط علمه بجميع مراتب الالفاظ ومعانيها
فلا يضع لفظا الا اذا لم يوجد غيرها ابلغ ولا انسب منها وغيره ليس كذلك ومن ثم
لما سمع اعرابى فاصدع بما تؤمر سجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ولما
سمع نظيره الى قوله ومن يخش الله ويتقه الاية قال جمعت هذه الاية ما انزل على
عيسى من امر الدنيا والاخرة ولقد رام بعض سخفاء العقول محاكاة بعض قصار
المفصل فاتى من الهذيان بالعجب العجاب كقول مسيلمة الكذاب اللعين يا ضفدع كم
تنقين اعلاك فى الماء واسفلك فى الطين لا الماء تكدرين ولا التراب تمنعين وقوله
محاكاة للنازعات والذاريات والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات
قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم
على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر وقال الفيل وما الفيل وما ادراك ما الفيل
له ذنب وبيل وشعر طويل فان ذلك من خلق ربنا القليل ثانيها انه مع كونه من جنس
كلام العرب خارج عن سائر فنونه من النظم والسجع والخطب والشعر ونحوها فخفى
عنهم حتى لم يهتدوا الى مثل شيء منه اذ لا مثال له عليه والامام يرجع عند الاشتباه
اليه ولقد رام قوم من المتاخرين انفت اليهم فصاحة وقيتهم شيئا من محاكاته
فاعترتهم هيبته فقطعتهم عن ذلك ومنهم من فضل كلاما وجعله سورا فسمع صبيا
يقرا وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى الامر فتاب ومحا ما عمل
ثالثها تاثيره فى النفوس والقلوب بحيث يجد من اللذة والحلاوة عند سماعه
ما لا يجد عند سماع غيره ومن ثم كان ان قاريه وسامعه لا يمله بل كلما زاد تكريره
زادت حلاوته واتضحت طلاوته رابعها ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين
والاخرين ما فرطنا فى الكتاب من شيء ومن الاخبار بالمغيبات مما كان

تعجب لفصاحته

قف على محاكاة اللعين مسيلمه الكذاب للفرقان العظيم

ويكون نحو ولن تفعلوه ولا يتمنونه ابدا فانما فعل مثله مخلوق ولا تمنى الموت بعوده
وهذه ايضا من ابهر المعجزات قال بعض المحققين اعجازه من وجهين اما الاول انه
من حيث لفظه ومعناه المخصوصان اذ تاليفه ليس على هيئة ما يتعاطاه البشر
اذ لا يصح ان يقال له رسالة ولا خطابة ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا
تخرج عن ذلك واما الصرف الناس عن معارضته والاعجاز في هذا ظاهر ايضا اذا
اعتبر وذلك لانه ما من صناعة محمودة او مذمومة الا وبينها وبين قوم مناسبة
خفية واتفاق جبلي ولذا تجد هذا يوثر حرفة لانشراح صدره لها وذاك يكرهها لتوجيه
وينشرح لاخرى وهكذا فلما دعى اليه اهل البطالة الذين يهيمون في كل واد من المعاني
بسلاطة السنتهم الى معارضة القران فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا للمعارضة
لم يخف على اولي الالباب ان صارفا الهيا صرفهم عن ذلك واي اعجاز ابلغ من ذلك
انتهى ملخصا وحاول بذلك توجيه القول بالصرفة مع انه للنظام من المعتزلة لكن للنظام
افسدوه بان قوله تع قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية دليل ظاهر على عجزهم
مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لانه حينئذ بمنزلة اجتماع
الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز
الى القران والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله لا الى القران وحينئذ يلزم زوال
الاعجاز بزوال زمان التحدي وفيه خرق لاجماع الامة ان معجزة الرسول العظمى
باقية ولا معجزة له باقية اظهر من القران ويلزم الصرفة ايضا انه لا فضيلة للقران
على غيره فان قلت القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين وهو
محال قلت معنى قدرتهم انهم لو توجهوا الى المحاكاة لظنهم القدرة عليها فعجزت
وعلى القول لم يتوجهوا للمعارضة اصلا لقطعهم من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لها
عليها البتة فان قلت توجه الهمم ابهام العجز في نفس الامر لا نسمي قدرة
قلت ممنوع بل نسمي قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك ان
اهل فن البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة عن المحاكاة ابتدا بل بعد الاختبار

فتامله

فتامله لتعلم سقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع بعجزهم عنه ونظير ذلك
خطاب من علم الله منه عدم الايمان بالايمان كابي جهل ولهب نظرا لقدرتهما
عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للغايات والعواقب ومن المفاسد
ايضا قول فريق ضلال ان الخلق قادرون على الاتيان بمثله وانما تاخروا عنه لعدم
العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه واخريب ان العجز انما وقع من الموجودين
واما من بعدهم ففي قدرتهم الاتيان بمثله ومما يرد عليهم ان جماعة ممن انتهت
اليهم الرياسة في الفصاحة تعرضوا للمعارضة كابن المقفع والمعري والمتنبي
ونظرائهم فلم ياتوا الا بما تمجه الاسماع وتنبو عنه الطباع ونادى عليهم بالخزي
والانقطاع وصيرهم مثلة وسخرية ضحكة الى ان مات اكبرهم واظهر ندمه ونسكه
ولاشتمال القران على ما لا يحصى من العلوم والمغيبات واحوال العالم الدنيوي
والاخروي وغير ذلك من العجائب كان **كل يوم** اي وقت **تهدى** فاعل الثنا
اي توصل وافاد التعبير به تشبيه المعجزات بالتحف المهداة ثم استعارة
بالكناية استعارة تخييلية **الى سامعيه معجزات** من بيان المعجزة بما يتقبل الوقوف
عليه ليعلم منه ان المراد بها هنا الامر الغريب وان لم يصدق عليه حد المعجزة السابق
مبتداه **من لفظه** كعذوبته وانسجامه وجزالة معناه وغاية ايجازه مع غاية
بلاغته وبيانه مع فصاحته وخروجه عن جنس كلام العرب حتى صار جنسا اخر
متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة اخباره الصادقة تارة عن الامم
الماضية واخرى عن المغيبات وما فيه من العلوم التي لا يمكن حصرها ونقل الامام
ابن سراقة من اصحابنا ان كل واحد من هذه راى قوم انه سبب اعجاز القران
ثم اعترضهم بانهم كلهم ما بلغوا في وجوه اعجازه جزءا واحدا من عشر معشاره وتبعه
البدر الزركشي فقال اهل التحقيق على ان الاعجاز وقع لجميع ما سبق لا لكل على
الكل فنسبته الى احدها اي وحده تحكم بل فيه غير ذلك ككونه لا يزال غضا طريا
على الالسنة وفي الاسماع وجمعه صفتي الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين اذ لا

بجمعهان غالبا فی کلام البشر وکونه مستدرکا علی جمیع الکتب قبله فهی مفتقرة
الیه وهو غنی عنها ومن ثم کان ابهر فی الاعجاز من سایر معجزات الانبیا بل ومعادلا
للکل لان سببها واحد وهو مخالفة العاده وهو کثیر کما تقرر فی وجوه اعجازه وسیل
بعضهم ما موضع الاعجاز من القران فقال هذا شبیه بقولک ما موضع الانسان
من الانسان ومعناه انه لیس الا الانسان بل متی اشرت الی جملته فقد حققته ودللت
علی ذاته کذلک القران لشرفه لا یشار الی شی الا وکان ذلک المعنی ایة فی نفسه
ومعجزة لمحاوله وهدی لقایله ولیس فی قدرة البشر الاحاطه باسرار الله من کتابه
فلذلک طارت العقول وتاهت البصایر عنده واختلفوا فی تفاوته فی مراتب
الفصاحه بعد اتفاقهم علی بلوغه الذروة العلیا کما مر فاختار القاضی المنع وانما
المتفاوت ادراک الناس له واختار ابو نصر القشیری وغیره تفاوته وتبعهم
ابن عبد السلام ولم یات کله بالافصح لیلا یخرج عن نمط کلام العرب فجا علی نمط
کلامهم لیتم ظهور ربقا، العجز عن معارضته القراء لان من سمع الفاظ القران
وتدبرها حق تدبرها علم ان کل لفظ منها باعتبار ما دل علیه امر معجز لا یعارض ولا
ینافض واذا بلغ القران فی الجلاله التی مرت الاشارة الیها ما لم یبلغه غیره کان
حقیقیا بانه تحلی به ای بسماعه المسامع من التحلیه بالفاظه وتحلی بالفاظه
الافواه من الحلو فهو للحلی راجع للاول والحلواء بالفاظه راجع للثانی رق
ای حسن لفظا ای من جهته فلا تجد لفظا منه فیها ما ینافی کمال الرقه الموجبة
للفصاحه من تنافر وتعقید وراق ای تصفی من شوایب النقص اعجب کل ناظر
فیه معنی ای من جهته فلا تجد معنی من معانیه الا وهو واصل فی الاحکام ووضوح
المراد الغایة القصوی وفی رق وراق والحلی والحلو لجناس لحلاها وحلیها وسور
وصور والنظایر والنظر الایات والمسامع والافواه واللفظ والمعنی مراعات
النظیر کالرقه والصفا والایات والحروف والمجالی الایات وفی ما بعدهما اللف
والنشر المرتب فـ بسبب کون سوره رقت وراقت جاءت فاعله الخنسا،

وما

وما قبله حال منه ای حال کونها فی حلاها ای صفاتها الجمیله وحلیها ای
زینتها الخنسا بنت عمرو وخصها من بین کثیرات سمین بذلک لانها کانت
شاعرة مفلقه کما یاتی بسط الکلام فی ترجمتها شبه سور القران فی صفاتها
العلیه وترتیبها بها ودعته من الاسرار البهیه بامراة بلغت من الزینه واوصاف الحسن
ما لا یمکن التعبیر عنه وارتقا ای وضحت لنا وفاعله رقته الاتی فیه ای القران غوامض
ای خفایا فضل کالعلوم والمعارف المستنبطه منه التی لا حد لها ولا غایه ومن ثم
جاء عن علی کرم الله وجهه لو شیت ان اوقر بعیرا من تفسیر سورة الضحی لفعلت
رقه کانه من زلالها الزلال ما فی غایة الحلاوة والبرودة توجد فی اجواف صور
توجد فی نحو الثلج تشبه الحیوان ولیست فی الحقیقة بحیوان کما قاله بعض اکابر
ایمتنا وصفاء من ذلک الزلال شبه آی القران فی محاسن اسالیبها وصفاء
مواردها الموجبین لمن حرف فی خفایاها حدید نظره وحقق فی غورها دقیق
فکره برد الیقین وصفا القلب عن کل سو حتی اطلع علی سایر الغوامض من
العلوم الالهیه والمعارف الاختصاصیه والمواهب الرحمانیه والمارب
الروحانیه بما فی غایة العذوبه والبروده وصفا الجوهریه ورقتها بحیث لا تمنع
من رویة ما تحته مما من شانه ان یخفی ولهذا الذی قررته من برد الیقین وصفاء
القلب یعلم ان ذلک انما یحصل لمن انصقلت مرآة فکره کما اشار لذلک بکلام
جامع بدیع علی عادته فقال انما تجلی الوجوه ای تظهر ظهورا واضحا
لا خفاء معه بوجه اذ قوبلت بالمرآة اذا ما زایده جلیت ای اریلت
وبین هذا وتجلی تجنیس الاشتقاق عن مرآتها بکسر المیم والمد الاصداء
فکذلک مرآة القلوب لا تجلی لها العلوم والمعارف من القران الا اذا جلیت
عنها اصداء الاغیار واذابت قواها فیما هی بصدده آناء اللیل واطراف النهار
سور جمع سوره وهی الطایفه المخصوصه المسماه باسم مخصوص توقیفی منه
لبیان الجنس لان ما یاتی لیس خاصا ببعض سورة بل یشملها کلها اشبهت

لاشتمال كل منها على مفادات من العلوم وغيرها مستقلة بها لاتتوقف على
ما في الاخرى ومن ثم وقع التحدي باقصر سورة منه **صورا** جمع صورة وصورة
الشي شكله **منا** في اشتمال كل منها على عقل وادراك وفهم وخلق لايشاركه فيه
غيره ولايتوقف على ما في غيره وكان الناظم قصد بهذا التشبيه الرد على من
زعم ان الاعجاز انما هو بمجموع القران لابكل من سوره لان ما فيه من انواع الاعجاز
السابقة انما يستفاد من مجموعه وهذه مقالة فاسدة لايعول عليها لمنافاتها لقوله
تعالى فاتوا بسورة من مثله كما مر بيانه فالصواب خلاف هذه المقالة بل
قايلوها معترضون لا انتقام لهم وزنا **ومثل النظاير** جمع نظير **النظراء**
جمع نظير ايضا وهو المثل والمناظر ويطلق النظاير على الاماثل والافاضل
وكل منهما يصح ان يكون مرادا هنا خلافا للشارح وهذا اساقه كالمثل لما
قبله فيكون من التذييل اي ومثل تلك السور التي هي نظاير كما قال ابن مسعود
لو عرفت النظاير التي كان يقرا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عشرون
سورة الاماثل والافاضل الذين يتناظرون في التحلي بالفضايل والتخلي عن الرذايل
والاقاويل جمع قول والمراد به هنا اللفظ المفيد **عندهم** اي الكفار
ظرف للمبتدا والخبر **كالتماثيل** جمع تمثال وهو الصورة يعني ان تقولهم
في القران وافتراءهم عليه بما يقدح في حقيته امر مزخرف مموه بالاباطيل كما
ان التصاوير التي يخترعها المصورون كذلك فكما ان هذه لاوجود لها
في الحقيقة ولا اعتبار بها فكذلك تقولهم المذكور واذا تقرر لك ان جميع ما قالوه
في القران باطل قطعي البطلان **فلاتوهمك الخطباء** اي فاحذر ان يوقع مزخرفوا
الكلمات بتشدقهم وتفاصحهم في ذهنك ادنى ريب او شك في شي من اوصاف
القران التي بيان بعضها وما ينبه على ما بقي منها **كم** اي مرات كثيرة **ابانت**
اي اوضحت **اياته** جمع اية وهي لغة العلامة واصطلاحا قران مركب
من جمل ولو تقديرا ذو مبدا ومقطع مندرج في سورة قاله الجعبري وشكل

عندهم

عندهم نحو ثم نظر في المد ثر اية اذ ليس في هذه جمل ولا تقديرا لا ول قوله
غيره طايفة من القران منقطعة عما قبلها وما بعدها لكن قولهم من القران الاولى
ان يقول بدله من السورة وسميت الاية بذلك لانها علامة على صدق الاتي
بذلك وعلى عجز المتحدين بها وبانقضاء عدا اي القران **من ايه** في الاثبات
كما هو راي جماعة **علوم** للغاية بها كما قال تع ما فرطنا في الكتاب من شي وقال
وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي وفي حديث الترمذي وغيره ستكون
فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبا ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم
ما بينكم واخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال من اراد العلم فعليه بالقران
فانه خبر الاولين والاخرين قال البيهقي يعني اصول العلم واخرج عن الحسن
انزل الله مائة واربعة كتب اودع علومها اربعة منها التورية والانجيل والزبور
والفرقان ثم اودع علوم الثلاثة الفرقان اي مع زيادات لاتنحصر ومن ثم
قال الشافعي رضي الله عنه جميع ما تقوله الامة شرح للسنة وجميع السنة
شرح للقران وقال ايضا جميع ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما
فهمه من القران وما ثبت ابتدا بالسنة فهو بالحقيقة ماخوذ منه
لانه اوجب علينا اتباعه صلى الله عليه وسلم ولهذا قال مرة بمكة سلوني عما
شئتم اخبركم عنه من كتاب الله فاستخبر قاين فاستنبطها من القران
منها لو قتل محرم زنبورا هل عليه جزا فاستنبط لهم منه انه لاجزا عليه لان
عمر رضي الله عنه امر بقتله والنبي صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا بالذين من بعدي
ابي بكر وعمر والله تعالى يقول وما اتاكم الرسول فخذوه الاية وتبعه اعني الشافعي
العلما على ذلك فقال واحد ما قال صلى الله عليه وسلم شيا او حكم او قضى بشي الا وهو
او اصله في القران قرب او بعد وقال اخر ما من شي في العالم الا وهو فيه فقيل له
فاين ذكر الخانات فيه فقال في قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير
مسكونة فيها متاع لكم فهي الخانات وقال اخر ما من شي لايمكننا استخراجه

من القران لمن فهمه الله حتى ان عمره صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة
استنبط من اخر سورة المنافقين لاعتبار اسس ثلاث وستين سورة وعقبها
بالتغابن لظهوره بفقده صلى الله عليه وسلم وقال اخر لم يحط بالقران الا
المتكلم به ثم نبيه صلى الله عليه وسلم فيما عدا ما استاثر تعالى بعلمه ثم ورث
عنه معظم ذلك الاعلام الصحابة مع تفاوتهم فيه بحسب تفاوت علومهم
كابى بكر فانه اعلمهم بنص ابن عمر وغيره وكعلى كرم الله وجهه لقوله صلى
الله عليه وسلم فى الحديث الحسن خلافا لمن زعم وضعه انا مدينة العلم وعلى بابها
ومن ثم قال ابن عباس رضى الله عنهما جميع ما اثرته لكم من التفسير فانما هو
عن على كرم الله وجهه وكابن عباس حتى قال لو ضاع عنى عقال بعير لوجدته فى
كتاب الله ثم ورث عنهم التابعون معظم ذلك ثم تقاصرت الهمم عن حمل
ما حمله اولئك من علومه وفنونه فنوعوا علومها انواعا ليضبط كل طايفة
علما وفنا فتوسعوا فيه بحسب مقدرتهم ثم افرد غالب تلك العلوم وتلك
الفنون التى كادت ان تخرج عن الحصر وقد بين هذا القايل وجه استنباط
غالبها منه بتاليف لا يحصى وقال اخر علومه خمسون علما واربعمايه علم
وسبعة الاف علم وسبعون الف علم على عدد كلم القران مضروبة فى اربعة
اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع ويضم لذلك اعتبار تركيب ما بينهما
من روابط لكن هذا لا يحصيه الا المتكلم به فقال ثم ام علوم ثلاثة توحيد
ووعظ وحكم ومن ثم سميت الفاتحة امه لاشتمالها على هذه الثلاثة
والاخلاص ثلثه لاشتمالها على الاول وقال ابن جرير الثلاثة التوحيد
والاخبار والديانات وقال اخر اشتمل القران على كل شى كما قال تعالى
ما فرطنا فى الكتاب من شى اما العلوم فلا تجد مسئلة هى اصل الا وفى القران
ما يدل عليه وفيه عجايب المخلوقات وملكوت السموات والارض وما
فى الافق الاعلى وتحت العرش وبدء الخلق واسماء مشاهير الانبيا

والملائكة

والملايكة وعيون اخبار الامم السابقة وشانه صلى الله عليه وسلم وغزواته
واخباره الى مماته ثم شان امته من بعده وبدء خلق الانسان الى موته وامارات
الساعة وجميع احوال البرزخ والحشر والجنة والنار وزعم الجاحظ انه لا يوجد
فيه شى من المذهب الكلامى الذى هو احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع
الخصم على طريقة ارباب الكلام ولا من النوع المنطقى الذى يستنتج منه النتايج
الصحيحة من المقدمات الصادقة وردوا عليه بانه مشحون من ذلك اذ ما من برهان
ودلالة وتقسيم وتحرير يبنى منه كليات المعلومات العقلية الا وكتاب الله قد نطق به
وقد بين الاسلاميون من اهل هذه العلوم كثيرا من ذلك منه ان من اول سورة الحج
الى قوله وان الله يبعث من فى القبور خمس نتايج من عشر مقدمات بل فيه الاشارة
حتى لعلم المهندس بل الاشكل ما فيه وهو الشكل الثانى بقوله الى ظل ذى ثلث شعب
الاية فتامل الاية وانما اوردت حججه على عادة العرب دون دقايق المتكلمين بقوله
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ولان من استطاع ان يفهم غيره بالاوضح
الذى يفهمه الاكثرون لا ينبغى له ان ينحط الى الاغمض الذى لا يفهمه الا الاقلون
والا كان ملغزا ومن ثم اخرج تعالى فى مخاطباته فى محاجة خلقه فى اجلى صورة
واوضحها ليفهم العامة ما يقنعهم وتلزمهم الحجة بسببه والخاصة ما يليق بهم من
دقايق المعارف التى هى منتهى كل ومبلغ اربه ومن عجيب تلك الايات انها ايات
تلك العلوم التى لا غاية لها حال كونها منقولة عمن بينهما وبين من الجناس
اللاحق حروف تقليله بالنسبة اليها اخرج ابن الضريس عن ابن عباس
قال جميع اى القران ستة الاف اية وستمايه اية وست عشرة اية وجميع
حروف القران ثلثمايه الف حرف وثلاثة وعشرون الف حرف وستمايه حرف
واحدى وسبعون حرفا وهذه الحروف ليس المراد بها حروف التهجى بل مسمياتها
فحروف التهجى اسماء كاشفة عن تلك المسميات كما قال ابان اى كشف عنها الهجاء
اى التهجى وهو تعديد الحروف بذكر اسمايها فانك اذا قلت ضرب مركب من

مطلب فى عدد حروف القران واياته

صن ريب فقد عددت الحروف البسيطة التي هي مادة الكلم قبل ان تحصل
صيغه والمراد هنا اي التهجي بالاسماء عن المسميات حتى يتبين موضع كل وبيانه
ان الحرف الذي اول زيد مثلا له مسمى هو زاي ولخطا فيه بحذف هاء السكت
لابوثر لانه للتعليم وله اسم هو الزاي لانه تعتريه ساير علامات الاسم
ومن ثم قال سيبويه قال الخليل يوما وسيل اصحابه كيف تقولون اذا
اردتم ان تتلفظوا بالكاف التي في ذلك والباء التي في ضرب فقيل نقول
باكاف فقال انما جيتم باسم ولم تتلفظوا بالحرف وقال اقول كه به
فحروف القران من الاول وحروف التهجي من المراد الثاني ودليل تسميتها
حروفا الخبر الصحيح من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها
لا اقول الم حرف بل الف حرف واللام حرف وميم حرف فتسمية كل
حرفا اما لغة او مجازا فهي اي حروف القران وان عزرت معانيها وكثرت
احكامها لا يستبعد منها ذكر وان كانت قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد
منها الان لهاءمنا الجنة فيها نوع ترتب لحروف اسماء الاعداد والافتنان ما
بينهما اذ ما يأتي له احد معلوم يبغي فيه عن قرب وهذه مستمرة النمو والزيادة
على مر الاعصار وتوالي الازمان في هذه الدار وبل وفي دار القرار كما يدل
عليه الحديث الصحيح انه يقال للقاري في الجنة اقرا وارق ورتل كما كنت
ترتل في الدنيا وياتي ذلك قريبا بزيادة وذلك المثال هو اما الفا لحروف
اسماء الاعداد فانها مع كونها الفاظا محصورة لا ينتهي الوهم الى المعدود
بها واما انها كالحب الذي يلقيه الزارع والنوى الذي يلقيه الغارس
بالارض فينبتا عن الاول من السنابل والحبوب ما يكاد ان لا يحصى
ولا يتناهى ومن الثاني من الثمر ما هو كذلك وفي هذه الحالة اعجب فاعله
فتقول الفاعل لك فيه ضمير الحب والنوى وان فاعله سنابل سهو منه اذ
كيف يتصور في فعل ان له فاعلين ضميرا وظاهرا في حالة واحدة الزارع

والغارس

والغارس كما يدل عليه ذكر النوى فهو اكتفا كسرابيل تقيكم الحر اي
والبرد وفيه ايضا اللف والنشر المرتب لعود الزارع للحب والغارس
للنوى وعود السنابل للاول والركام لهما منها اي تلك الزروع والاشجار
سنابل وركاما اي نموا يفوتون الحصر بحيث لو اجتمع اهل الارض على استقصا
عددها لما اطاقوه فقد علمت ان المتناهي هنا كما يحصل منه ما لا يتناهى فكذلك
حروف القران هي متناهيه وتحصل منها من العلوم والمعارف ما لا يتناهى وهذا
المثل المراد به التقريب لا غير كما عرف مما مر والافتنان ما بين الامرين الاثري
ان عدم تناهي تلك الحبوب والثمار انما هو في مدة قليلة ثم يفنى عن قرب واما
تلك الحروف فان معانيها لا تتناهى في الدنيا ولا في الاخرة ففي الحديث الصحيح
انه يقال للقاري في الجنة اقرا وارق ورتل كما ترتل في الدنيا وبه يعلم انه يتغذا
ويتلذذ بالقراة ومن لازم ذلك تلذذه بمعانيها وما يفتح الله به على القرا
من انواع المعارف اللايقة بتلك الدار وتلك الذوات التي تم فيها التاهل
وذلك امر لا يتناهى ابدا ومن عجيب شان الكفار انهم مع هذه المعجزات
والايات البينات كلها استمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار
فاظلوا فيه التردد والريب اي الشك عطف مرادف فقالوا كما
حكاه الله عنهم في كتابه تمويها وتلبيسا مرة انه سحر اي تمويه لا حقيقة له واصل
السحر لغة كلما لطف ماخذه ودق وقالوا مرة اخرى انه افترا اي
كذب ومرة اساطير الاولين الى غير ذلك من افترايهم واقتراحهم وتباهيهم
وتلبيسهم وضلوا فيما قالوا بل هو والله المتفضل بانزاله قران مجيد في لوح
محفوظ لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
وكل ذلك ينادي عليهم بالبوار والعناد وانه لا عقل لهم ولا راي ولا استعداد
ولكن لبس ذلك بكثير على من عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق لما هو
المقرر في العقول السليمة من الحكم البديعة الجامعة انه اذا كانت

البينات اي الحجج القطعية البرهان الواضحة البيان لم تغن هم اي
تفدهم شيا من الهدى فالناس للهدى ظهن اي طلبه منهم بتلك الحجج
بعد الياس من ايمانهم عناء اي تعب لا يفيد شيا واذا اضلت عن طرق
الحق العقول جمع عقل وسبق الكلام مستوفى على اي مع علم منها بتلك
الطرق اي اضلها باريها فماذا تقوله اي فاي قول تقوله الانبياء
النصحاء وقولهم حينئذ لا يفيد شيا والبيت الاول مقتبس من قوله
تعالى وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون والثاني من قوله تع افرايت
من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على
بصره غشاوه فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون ومما قررت كلامه تعلم ان
هذين البيتين من الكلام البديع الجامع تنبيه لا يتوهم من النظم انه
مخالف لقول الايمة اجمعت الامة على التكليف بالمحال لغيره كتكليف ابي
جهل مثلا بالايمان مع علم الله بانه لا يومن وذكر لان التكليف بذلك انما هو
بالنظر للحالة الراهنة المنطوي عنا عاقبتها فهم بالنسبة اليها مكلفون بالايمان
لقدرتهم عليه ظاهرا وان كانوا عاجزين عنه باطنا لعلم الله بانهم لا يومنون
لان هذا لا نظر اليه والا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المنافي لما
جات به الشرايع فاحذر ان تميل اليه فتزل قدمك ويحق ندمك واستحضر
قوله تعالى لا يسال عما يفعل وهم يسالون فوايد منها قيل حكمة تنزيه
القران مع ان الوزن يورث الكلام عذوبة ان فصارى امر الشاعر التخييل
بتصوير الباطل في صورة الحق والافراط في الاطرا والمبالغة في الذم
والايذا دون اظهار الحق ولهذا نزه الله نبيه عنه ومن ثم قال بعض الحكما
لم يرصد ابن صادق اللهجة متلقا في شعره اي غالبا وما وقع فيه على صورة
الشعر لا يسماه لان شرطه القصد ومن ثم لم تعارضه العرب ولو اعتقدوه
شعرا لعارضوه وقيل دون البيتين ليس شعرا وقيل الرجز كذلك ومنها

سبيل الغزالي عن قوله تع لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فقال الاختلاف
مشترك بين معان وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه بل نفي الاختلاف
عن ذلك القران فليس نظمه مختلفا ولا بعضه يدعو للدين وبعضه
يدعو للدنيا بخلاف كلام البشر لاختلاف قواهم واغراضهم واحوالهم فيها
ومنها ان سائر كتب الانبيا لا اعجاز فيها من حيث النظم والتاليف لان
السنتهم لا تفي بذلك بخلاف الاخبار بالغيوب فان الكل جميعا تشترك فيه
ولكون السنتهم كذلك كان ما في القران حكاية عنهم انما هو حكاية لمعنى
الفاظهم ذكره ابن جني وغيره ومنها وقع في القران ايات متشابهات
من حيث النظم كايراد القصة الواحدة في سور وفواصل مختلفة كقوله كلا
سيعلمون وسيعلمون سنزيد وسنزيد وذلك كثير وقد افرد علما الجواب
عن ذلك بتاليف مستقلة ومن حيث ايهام التعارض عند عدم التامل نحو ولا
يتساءلون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون واول من تكلم في الجواب عن ذلك
ابن عباس رضي الله عنهما ثم تبعه الايمة حتى افرد بعضهم ذلك بالتاليف كما الفوا
في مختلف الحديث وبين الجمع بين الاحاديث المتعارضة ومن حيث ابهام من
المتشابه الذي استاثر الله بعلمه او علمه ايضا الراسخون في العلم وهو مبحث
طويل فلا باس بذكر خلاصته وهي قيل القران كله محكم كما في اية وقيل كله
متشابه كما في اية والاصح انقسامه اليهما والمراد باحكمت اياته اتقنت
وتنزهت عن نقص بمحكمها وبمتشابهها انه يشبه بعضه بعضا في الحق
والصدق والاعجاز ثم المحكم ما عرف المراد منه قيل ولو بالتاويل والمتشابه
ما استاثر الله بعلمه كالحروف المقطعة اوايل السور وفيهما اقوال اخر
ثم المتشابه هل علم فيه قولان ومنشاهما هل الوقف على في العلم وعليه طايفة
قليلة كمجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس وقال النووي انه الاصح
لانه يبعد ان يخاطب الناس بما لا سبيل لاحد من الخلق الى معرفته وان

الحاجب انه المختار والاكثرون من الصحابة فمن بعدهم خصوصا اهل
السنة ان الوقف على الله وهو اصح الروايات عن ابن عباس وعد ابن
السمعاني اختيار الاول هفوة ورجح بعضهم بان من المتشابه ما يمكن الوقوف
عليه ومنه ما لا يمكن فصح الوقفان لهذا الاعتبار ومن المتشابه ذكر ايات
الصفات التي فيها ذكر نحو الاستواء واليد والعين وجمهور اهل
السنة منهم اكثر السلف واهل الحديث على تفويض معناها المراد منها
الى الله تع مع تنزيهه عن ظواهرها وذهب الخلف الى تاويلها بما يليق
بجلاله تعالى وكان امام الحرمين يميل الى هذا ثم رجع عنه فقال الذي
نرتضيه دينا وندين الله به عقد اتباع سلف الامة فانهم درجوا على
ترك التعرض لمعانيها وتبعه ابن الصلاح فقال على ذلك مضى صدر
الامة وسادتها واياها اختار ائمة الفقهاء وقادتها واليها دعا ائمة
الحديث والخبر فقال واحسن فيما قال لا يصرف اللفظ عن ظاهره الا
بدليل منفصل وهو اما لفظي وهو لا يعتبر هنا لانه مظنون واما عقلي اذ
القطع به يتوقف على انتفاء الاحتمالات العشر وهو مظنون واما عقلي وهو
انما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لاستحالته دون اثبات المعنى المراد لانه
ترجيح مجاز على مجاز وتاويل على تاويل وذلك انما يكون باللفظي وقد تقرر انه
لا يفيد الا الظن وهو لا يعول عليه في المسايل الاصولية القطعية قال فلهذا
اختار الائمة المحققون من السلف والخلف بعد اقامة الدليل القاطع على ان
حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض في تعيين التاويل انتهى وتوسط
ابن دقيق العيد فقال التاويل ان قرب في لسان العرب نحو على ما فرطت في
جنب الله اى في حقه وما يجب له لا ان بعد اى كتاويل استوى باستولى
ولما فرغ من الحجاج مع المشركين وبين ما آل اليه امرهم شرع في الكلام
مع اهل الكتابين لتبيين ما آل اليه امرهم ايضا فقال يا **قوم** وحرف

حرف النداء اجابة الا في الندبة والاستغاثة ومع الضمير وكذا مع اسم
الاشارة واسم الجنس على قول فيه **عيسى** المدعوين بالنصارى **عاملتم**
قوم موسى وهم اليهود **با**لتصديق بكتابهم وهو التورية **الذي**
عاملتكم بنظيره وهو التصديق بكتابكم الذي هو الانجيل **الحنفاء**
اى المسلمون جمع حنيف وهو المائل عن كل دين الى الدين الحق ثم بين
ما ابهمه قوله بما يتلوه **صدقوا** اى قوم عيسى **كتبكم** وهو التورية وما
بعدها الزبور **وكذبتموا كتبهم** وهي الانجيل وجمعه للمشاكلة او لتنزيله
منزلة كتب متعددة وفي هذا التفات لان قوم عيسى خوطبوا اولا
واعيد عليهم ضمير الغيبة وقوم موسى بالعكس وبين موسى وعيسى الجناس
اللاحق كقابيل وهابيل الاتيين والتصديق والتكذيب الطباق
ان ذا الذي فعلتموه معشر اليهود **لبئس البواء** اى الصنيع الذي
رجعتم به القهقرى وهذا مقتبس من قوله تع وباءوا بغضب من الله
لو جحدنا من الجحد وهو الانكار عن علم **جحودكم** اى مثله بان انكرنا كتابكم
كما انكرتم كتابنا وكتاب عيسى **لا استوينا** نحن وانتم **ا**ي لا يكون ذلك
منا لا يتصور ذلك كيف **و**ليس **الحق** وهو ما نحن عليه من التصديق
بجميع كتب الله ورسله **بالضلال** وهو ما هم عليه من التصديق بالبعض
والكفر بالبعض **استواء** اى مساواة بل بينهما غاية التضاد فالحاصل
اننا لم نجحد شيئا من كتب الله وانما وقع الجحد من اليهود لكتاب النصارى
ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف ما يوهمه اللفظ قال تع وقالت
اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على
شيء وهم يتلون الكتاب اى المكذب لهم وكان الشارح اخذ من هذا قوله
وانما وقع التجاحد بين اهل الكتاب اذ التعبير بالتفاعل مصرح بما
ذكر مما يخالف النظم ويوافق ظاهر الاية انتهى وقد يقال لا يلزم من

ادعا كل فرقة في الاخرى ما ذكروا انكار كتبهم اذ لا مانع ان النصارى
قايلون في اليهود ذلك مع قولهم انهم ليسوا على شي اي باعتبار تبديلهم
وتغييرهم فصح ما في النظم ويحتمل ارجاع ضمير صدقوا وكتبهم الى الحنفا
وضمير الخطاب في كتبكم وكذا بينهم الفريقين اليهود والنصارى ويكون ذلك
تفسير العاملكم الحنفاء وفي السياق ما يويد كلا من الاحتمالين لكن الاول
اقرب ولما كان من المعلوم المستقر ان اليهود اشد الناس حسدا قال
ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وانهم حسدوا عيسى حتى
قتلوه في زعمهم الفاسد واستمر حسدهم للنصارى من بعده حتى قالوا
ليست النصارى على شي الموجب لقول النصارى فيهم ذلك ايضا وان
الطايفتين حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم وامته حتى وقع منهم العناد ما لا
يصدر عن سخفا العقول فضلا عن غيرهم شرع الناظم بيان ذلك كله
منهم على وجه بديع فقال **مالكم** اي اي حال حصل لكم معشر الفريقين
يا **اخوة الكتاب** المراد به الجنس الشامل لكتابيهما سماهم بذلك لانه لما
جمعهم ما فيه من التكاليف والاحكام صاروا مستوين فيه كما استوى الاخوة
في الانتساب الى اصل واحد حال كونكم **اناسا ليس** شانكم انه **يرعى**
للحق منكم اخاء بكسر الهمزة نايب فاعل يرعى ويجوز انه اسم ليس ونايب
فاعل يرعى ضميره اي مواخاة اي ليس يصدر منكم مراعاة للدين الحق بالقيام
بما يجب من الحقوق التي منها تصديق محمد صلى الله عليه وسلم عملا بما في كتبكم من
التصريحات الكثيرة بنبوته وعموم رسالته وفي اخاء اخوة رد العجز على
الصدر وبين الاخوة والاخاء جناس الاشتقاق كالشهادة والشهدا
الاتي ومن عدم رعايتكم لذلك انه **يحسد الاول الاخير** كما وقع لليهود
انهم حسدوا عيسى عليه السلام حتى زعموا انهم قتلوه وصلبوه وما درى
الملاعين انه شبه لهم مثله فقتلوه ونجاه الله منهم ثم رفعه الى السما لينزل

آخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا وراء المهدي اول نزوله
ليعلم انه نزل تابعا لهذه الامة عاملا بشريعة نبيهم ومنها انه لا يقبل الجزية بل يقتل
كل يهودي ونصراني في الارض لان نوعا من الشبهة المجوزة لقبول الجزية منهم ارتفع
بنزوله وتكذيبه لهم **ومازال كذا** اي هكذا المذكور من حسد الاول للاخير **المحدثون**
والقدماء من لدن ادم الى اليوم **قد** هي للتحقيق **علمتم** يا اهل الكتاب **بظلم**
قابيل من اضافة الى فاعله وهو اول اولاد ادم وهم اربعون جاؤا من حوى
في عشرين بطنا في كل بطن ذكر وانثى وبارك الله في نسله في حياته حتى بلغوا
اربعين الفا **هابيل** بشدخ راسه بين حجرين وهو ثاني اولاد ادم عليه السلام
حسده على الدين من اجل كون الله تع قبل قربان هابيل ولم يقبل قربانه فخبثه
قال له لاقتلنك فاجابه بانه يستسلم لقضا الله ولا يجزي بالسيئة السيئة كما
افاد ذلك ما حكاه الله تعالى عنه بقوله عز قايلا لئن بسطت الي يدك لتقتلني
الاية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كن خير ابني ادم كن عبد الله
المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وجاء ان سبب حسده له انه تزوج اخت
قابيل وكانت ليست كجمال اخته التي تزوجها هابيل وكان من شريعة
ادم ان اختلاف بطون حوى بمنزلة اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور
كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس وهو مع مخالفته لظاهر الاية يمكن تاويله
بانه لا مانع انه حسده بسببين اخريين وهو ما في الاية ودنيوي وهو ما ذكر
على انه جاء في القصة ان ادم عليه السلام لما امر قابيل ان يزوج اخته لهابيل
فامتنع امرهما ان يقربا قربانا لله وكانت العلامة على قبوله اذ ذاك نزول
نار من السما تاكله فقرب كل منهما قربانه فتقبل قربان هابيل فزاد حسده الى
ان قتله وبين الاول والاخير والمحدثون والقدما جناس الطباق كوفيتم وخانوا
واحسنتم واساوا والابا والابنا **ومظلوم الاخوة** الاضافة فيه بمعنى من ويصح
بتكلف كونها بمعنى في واخبر عنه بالجمع لانه الجنس الصادق بالجمع وتسميته

الاتقياء لانهم الذين يصبرون على تحمل الاذا ولا ينتقمون لانفسهم وهذا
شبه بحوار سال المثل للاستدلال به على ما قبله وكذ اوما زال الخ وعلم من قوله
وهذا فيه الخ انه ليس المراد بالاخوة هنا خصوص قابيل وهابيل حتى يجاب
عنه بانه اراد بالاخوة الاخوين بنا على القول بان اقل الجمع اثنان وقد
سعتهم هو للتفنن لان المراد في كل العلم بكيد ابناء يعقوب المسمى في
القران باسرايل اى عبد الله بن اسحق الذبيح عند الاكثرين الاشهر انه
اخو اسمعيل بن ابرهيم الخليل عليه السلام اخاهم يوسف عليه السلام
كما هو مبسوط في قصته المصدرة بقوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص
اى لانها سيقت على اسلوب لم يسبق عليه غيرها من بقية القصص لا يتوهم
من كيدهم له المحكي عنهم في قصتهم ولا من ذكرهم اثر قابيل الكافر اللعين ان ذلك
ينافي صلاحهم لاتفاق العلما على انهم كلهم صلحاء عدل اليه من انبيا لانه
الامر المتفق عليه كما تقرر ولقوة الخلاف عنده في عدم نبوتهم بخلاف يوسف
فانه لا خلاف بنبوته لكن الحق انهم ظاهر الاية او صريحها وهي قوله تعالى
قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسماعيل واسحق ويعقوب
والاسباط اذ الاسباط هم اولاد يعقوب وقد ذكرت الاية انهم انزل عليهم
شي يجب الايمان به غير ما انزل على ابايهم وذلك الشي هو الوحي كما هو المتبادر
بل صرحت باية واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وحينيذ فنفي نبوتهم المستلزم لنفي الوحي اليهم مناقض لصريح الاية
فتامله ولا ينافي نبوتهم ما حكي عنهم في تلك القصة لانه انما صدر منهم
عن تاويلات تراها شريعتهم ومما يقرب ذلك ان العلما اتفقوا على صلاحهم
وان تلك الامور التي جرت منهم لم تؤثر في صلاحهم فكذا في نبوتهم على ان في عصمة
الانبيا قبل النبوة خلاف محل بسطه كتب الاصول حين طرقه الكبد القوه
في غيابة جب هو البير التي لم تطو وغيابته قعره وكادوه بذلك خوفا

من تقدم

من تقدم صح كونه اصغرهم عليهم الذي ابان عنه روياه المذكوره اول السوره
اذ الاحد عشر كوكبا مثال لهم لانهم احد عشر والشمس والقمر ابوه وخالته وسجود
الكل له دخولهم تحت امره وطاعته وكان الامر كذلك كما في اخر السوره فانهم
لما جاوا اليه مع ابيهم وخروا له سجدا قال يا ابت هذا تاويل رؤياي من
قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من
البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وليس في التعبير
بنزغ الشيطان بينه وبينهم ما يقدح في نبوتهم على القول بها قال تع لافضل
خلقه واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله لان معناه واما يستخفنك
غضب يحملك على ترك الاعراض عن المكذبين لك والنزغ ادنى حركه امره تع انه
متى تحرك عليه ادنى غضب على عدوه واراد الشيطان القاء ادنى وسوسه اليه ان
يستعيذ به تعالى ليكفيه امره وهذا من تمام عصمته لانه لم يسلط عليه بالاكثر
من التعرض له بهذا الامر الذي لا تاثير له من غير قدرة عليه ومن كيدهم له ايضا
انهم رموه بالافك بحيث قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يريدون يوسف
وهو براء اى بري منه وفي تسمية الناظم هذا افكا نظر ظاهر بل لا يصح كيف
وقد اخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل قال سرق يوسف صنما كان لجده ابي امه
من ذهب وفضه فكسره فالقاه على الطريق فعيرته اخوته بذلك واخرج ابن جرير
عن قتاده قال سرقته التي عابوه بها اخذ صنما لابي امه وانما اراد بذلك الخير
وروى نحو ذلك جماعه عن زيد بن اسلم وسعيد بن جبير وابن جريج وزاد
ان امه امرته بذلك لانها كانت مسلمه قال الشافعي رضي الله عنه كان زيد
هذا من العالمين بالقران فالحاصل انه وقع منه صورة سرقة فذكروها
تعييرا له فهم لم يكذبوا وانما الذي وقعوا فيه انهم عيروه بما لا عار فيه
بل بما فيه غاية الرفعة والمدحة كما ذكرته في كتابي سعادة الدارين في

صلح الاخوين وذكرت عين ايضا نحو ما سبق وملخصه اعلم ان واقعه
يوسف مع اخوته واقعة عجيبة تشتمل على غرايب وعجايب وحكم واحكام
وعبر وامثال وذل وانخفاض وعلو وارتفاع وعلى حسن عاقبة الصبر
وخيبة عاقبة الحسد وعلى نصر المحق وان لم يكن له اعوان ولا انصار وعلى خذلان
المبطل وان كانوا اعوانه وانصاره الوزراء والملوك فضلا عن غيرهم وعلى ان التباغض
والتحاسد بين الاخوة امر قديم قل ما يسلم منه حتى اوادم وان كملوا وجلوا وعلت
مراتبهم وزكت معادنهم ومزاياهم كما ان اخوة يوسف وقع منهم ما وقع مع كونهم
صلحا بل انبيا بنص قوله تع قولوا امنا بالله الاية اتفقوا على ان المراد بالاسباط اولاد
يعقوب فكوننا امرنا بالايمان بما انزل الى ابيهم وبما انزل اليهم ظاهر او نص في انه
انزل عليهم ما يجب علينا الايمان به اجمالا وهذا صريح في نبوتهم وعليه فقد
يستشكل ما وقع منهم في هذه القصة من الامور الكثيرة التي ظواهرها يجب
تنزيه الانبيا عليهم الصلاة والسلام عنها بناء على الاصح بل الصواب ان الانبيا
جميعهم الرسل وغيرهم معصومون قبل النبوة وبعدها من صغاير المعاصي وكبايرها
سهوها وعمدها ويجاب بان ذلك ينبني على مذهب كثيرين بل نقل عن الاكثرين
ان العصمة انما هي بعد النبوة لا قبلها والاولى ان يجاب بان هذه الامور انما تستشكل
على قواعد شرعنا اما على شرعهم فلا ندريه وبفرض انه موافق شرعنا في ذلك
فيحتمل ان لهم تاويلا سوغ لهم ارتكاب ما فعلوه وتعبير كثيرين كالناظم ببغضهم
وحسدهم ونحو هذا من العبارات التي ظاهرها لا يليق بهم انما هو بناء على عدم
نبوتهم كما هو قول فيهم واخرج ابن جرير ابن المنذر ان ابا عمرو قيل له كيف تقرا
نرتع ونلعب بالنون وهم انبيا فقال لم يكونوا يومئذ انبيا والحاصل انه يجب
علينا الايمان بنزاهتهم وبراءتهم من كل ما لا يليق بهم انتهت عبارة الكتاب
المذكور واذ قد علمتم معشر المسلمين ما وقع لمن قبلكم من الشدايد والمحن
وصبروا عليها ففازوا برضى الله ومحبته فتاسوا اي تعزوا اذ التاسي

التعزي من تاسيت بفلان تعزيت به اي جعلت حالي على حاله فمعنى التاسي
تسكين النفس على الامر المشق وتصبيرها عليه والتعزي الحمل على الصبر
بوعد الاجر فمعنى التاسي والتعزي واحد او متقارب وساغ ذكرهما على الاول
لاختلاف لفظهما بمن مضى قبلكم من الكمل في ذكر اذا اي وقت او لاجل ان
ظلمتم من الكفار بما رموكم به من الحسد والبغضا والعداوة والقتال فالتاسي
في المصايب لا سيما بالكمل للنفس فيه عزاء اي تسل وتصبر لحملها على ان
لا يصدر منها الا كمال الاخلاق والاعراض عن النظر الى ما يصدر من اهل
النفاق والشقاق وهذا من التذييل اذاكم الفاعل لاهل الكتاب
والمفعول للمسلمين اي اذاكم اهل الكتاب وفيتم بما عاهدتم الله عليه
فاظهرتم الحق ودمتم على العمل به حين ظرف لوفيتم الواقع موقع المفعول
الثاني خانوا ما عاهدوا الله عليه فكتموا الحق وابوا قبوله من غيرهم
ام متصلة لا منقطعة معادلة للهمزة السابقة اذاكم اهل الكتاب احسنتم
في اتباع نبيكم في جميع ما جاء به فلم تغيروا منه شيا قط ولم تبدلوا في
حياته ولا بعد وفاته اذ اساؤا الطويه فلم يستمروا على العمل بما جاءهم
به رسلهم بل بدلوه وغيروه ايثارا لما نالوه من اتباعهم من الحظوظ الدنيويه
بل لا يبرون شيا من ذلك وانما الذي حملهم على عدم اتباع الانبيا عليهم الصلاة
والسلام انه تمادت اي تتابعت واستمرت على التجاهل الموجب لرفض
الحق واتباع الباطل اي اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم على
خلافه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فاظهرتم الحق
ودمتم على العمل به آباء بينه وبين الابناء الطباق تقفت اي اتبعت
اثارها الباطلة الابناء انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون
بينته اي الحق الذي من جملته نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته توراتهم
المنزلة على موسى عليه السلام من اوريت الزند قدحته لتخرج ناره والنار تستلزم

التوريه والاناجيل المنزله على عيسى عليه السلام من نجل النبي اخرجه الى
لهم كما حكاه الله تعالى عنهما بقوله عز وجل الذين يتبعون الرسول الامي
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوريه والانجيل ولاينافي هذا اجمع الناظم
له لانه باعتبار افراده وهذا من اعظم الادله على صحة نبوته وعموم رسالته
وعلى انه صلى الله عليه وسلم على البينة الواضحة من امره لانه صرح بذلك على
رؤس اهل الكتابين ولم يخش ان احدا منهم يقول ليس ذلك في كتابنا فاذ
قد صرح بذلك ولم يتعرضوه كانوا عالمين به وكان تخلفهم عن اتباعه لمحض
العناد والحسد قال تع يكتمون الحق وهم يعلمون يحرفون الكلم عن مواضعه
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ليطفيوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم
نوره ولو كره الكافرون ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به واخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق ان ابن سلام لما
سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال له انت ابن سلام عالم
يثرب قال نعم قال انشدك بالله الذي انزل التورية على موسى اتجدني في التوريه
قال انعت ربك فارتج النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل قل هو الله احد
الى اخرها فقراها فقال ابن سلام اشهد انك رسول الله وان الله مظهرك
ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله اي التوريه يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن
يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يستقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا لا اله الا
الله يفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا واخرج البيهقي وابو نعيم
عن كعب والبخاري عن عمرو بن العاص رضي الله عنهم انهما نقلا عن التوريه
والانجيل نحو ذلك وزيادة عليه وفي التورية تجلى الله من طور سينا اي بتكليمه
موسى عليه واشرق من ساعير اي بتكليمه عيسى عليه واستعلن من جبال

فاران اي جبال بني هاشم المطلة على شعبهم بمكة بارسال محمد منها الى جميع
الخلق كما يشير اليه تعبيره باستعلن وفي الانجيل كالتورية من ذلك ما
يضيق عنه هذا المحل وهم اي اليهود والنصارى في جحوده اي ذكر الحق الذي
بينه كتابهما وهو الانكار بعد العلم شركاء اي مشتركون فلعنة الله
عليهما ان شرطيه تقولوا يا اهل الكتاب ما نافيه بينته اي التوريه
والاناجيل الحق المذكور فازالت بها اي التورية والانجيل عن عيونهم
عشواء بالمعجمة والمهملة اي عن بصايرهم ظلمة مانعة لهم من ابصارهم
الحق من قولهم ركب فلان العشواء اذا كان قد خبط امره على غير بصيرة
وقولهم ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء وهي الناقة التي لا تبصر امامها
فهي تخبط بيديها كل شي ففيه الاشارة للمثل المذكور والاستعارة بالكناية
لانه العيون بالبصاير والعشو بالظلمة المذكوره والاستعارة التخييلية في
اثبات الظلمة للعيون والترشيح في قوله ما بينته لانه يناسب المشبه به
او تقولوا قد بينته كما هو الحق فما اي فاي شي حصل للاذن اي لالة
سمعكم حتى انها عما تقوله التوريه والاناجيل واسناد القول اليهما فيه
الاستعارتان السابقتان انفا وكذا في قوله الاتي من طمستم الى اخره وقوله
كساهم الى اخره صماء اي غير سامعة له سماع قبول اي فلا موجب للاعراض
عن ذلك الا محض العناد والحسد عرفوه اي الحق السابق معرفة يقينية
ببواطنهم وانكروه بظواهرهم كما قال تع عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وبين
عرفوه وانكروه طباق وذلك نتيجة الالزام السابق وظلما مفعول
لاجله كتمته اي الحق المذكور الشهادة بدل اشتمال من كتمته اي
كتمت الشهادة به الشهداء الذين هم اهل الكتابين لانهم عرفوا صفة
النبي صلى الله عليه وسلم وصفة دينه معرفة قطعية ثم انكروا ذلك راسا
حسدا وعنادا او مداهنة او تلبيسا على ضعفائهم لسحت ينالونه منهم

ونكتة ايقاع الظاهر موقع المضمر اذ الاصل كتموا الشهادة به التسجيل
عليهم بما قرروه انهم بلغوا من العلم به صلى الله عليه وسلم وبحقية دينه مبلغ
روية الشمس ومع ذلك كتموه ومما يدل لقوة علم الشاهد اشتراط الاتيان
بلفظ الشهادة لانها ابلغ من العلم كما يفيده الحديث الصحيح على مثل هذه
اى الشمس فاشهد ومن ثم لم يكتف فيه بقوله اعلم انكم تكتمون ذلك وتظهرون الضلال
ونور الاله الذى هو النبوة والرسالة والاله المعبود بالحق تطفئه من
طفيت النار اذا ذهبت حرها الافواه الالسنة المتقولة بالباطل وهذا من
الكلام البديع الجامع لانه يكون ذلك يريدون ان يطفئوا نور الله
بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره وكيف يطفا ذلك النور الالهى وهو
الذى به يستضاء ظاهرا وباطنا اى يبصر الحق من الباطل والصادق
من الكاذب ا يستمرون على ضلالهم وادعاء انهم محقون وينكرون نبوته
ولا ينكرون من طحنتهم اى اهلكتهم برحاها اى اسلحتها عن امرة الهيجاء
اى حربه صلى الله عليه وسلم لا ينبغى ذلك بل الذى ينبغى لهم الرجوع عن الضلالة
والاعتراف بانهم ان استمروا عليه طحنتهم صلى الله عليه وسلم برحى حربه كما طحن اباهم
وابناهم واهاليهم بجلاء بنى النضير الى ارض الشام والزمهم ان لا يحمل كل واحد
منهم الا حمل بعير من غير السلاح وقتل قريظة ولشدة باسه وظهور نصرته
صلى الله عليه وسلم عليهم كساهم ثوب الصغار اى الذل كضرب الرق على
غير القاتلين من بنى قريظة استعار اللباس للصغار على حد فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف ثم قرنه بما يلائم المشبه به وهو الكسوة وبما يلائم
المشبه وهو طول دما وصون دما فالاولى ترشيحه والثانى تجريده
والحال انه قد طلت اى دفنت دماهم كبنى قريظة وصينت دماء
منهم كبنى النضير او المراد دماء المسلمين ان الله جعل لهم الغلبة والدايرة
على اعدايهم واذا تقرر انصاف اهل الكتابين بتلك القبايح الشنيعة

حتى لهم ان يقال فى حقهم كيف يهوى الا له منهم قلوبا حشوها اى
ملؤها من هى اللام المعدية حبيبه صلى الله عليه وسلم البغضاء اى شدة
البغض لحبيبه ويصح على بعد انها للتعليل اى من اجله او البدل اى حشوها
بغضه بدل حبه وفى هذه الاستعارتان السابقتان ايضا خبرونا اى علمونا
يا اهل الكتابين التورية والانجيل من اين استفهام انكارى اتاكم
تثليثكم اى ادعاوكم معشر النصارى ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن
وروح القدس ومن اين لكم معشر اليهود البداء بالموحدة والمهملة من بدا
ظهر وهو كما ياتى ظهور مصلحة بعد خفايها وسواء على ذلك امتناع النسخ
اى لم ياتكم واحد من هذه عن دليل صحيح بل عن محض سفهكم وعنادكم
تنبيه حكى ابن الصلاح عن بعضهم ان لفظ البداء غير صحيح لغة لانه
من بدى بد وانه رده بان ابن دريد ذكره قال التبريزى هو بالمد من
قولهم بدا لى فى الامر اى تغير راى فيه عما كان ونقله الزركشى عن صاحب
المحكم عن سيبويه وقال السهيلى الاسم البداء والانفعال فى المصدر قال
ومن اجل ان البدو والظهور كان البداء فى البارى سبحانه محالا لانه لا يبدو
له شى كان غايبا عنه ويجى بدا بمعنى اراد كما فى حديث الاقرع والاعمى
والابرص ان يبتليهم اى اراد الاظهر لانه كفر كما ياتى هاتى بالعقيدتين
المذكورتين كتاب من كتب الله تعالى ابدا واعتقاد وهو جزم الذهن
بالحكم ثم ان طابق ذلك الحكم ما فى نفس الامر كاعتقادنا فصحيح والا كاعتقادهم
فباطل لا نص فيه اى فى اثباته وعبر بالنص وهو ما لا يحتمل لفظه غير معنى
واحد معين بان خلا عن الاحتمالات العشر المقررة فى محلها دون الدليل
الاعم من ذلك لان الاعتقاديات لا يكفى فيه الدليل الظنى ادعاء اى باطل
لانه اختراع فى الدين بمجرد التشهى وكالنص حكم العقل القطعى فالاعتقاد
المستند اليه صحيح وان لم يرد فيه نص لو ورد النص بخلافه وجب

تاويل النص اليه كايات الصفات واحاديثها ان ظاهرها محال على الله
عقلا فوجب صرفها عنه بتاويلها بما يوافق العقل وانكر جمع من المتاخرين
من الحنابلة تاويلها الزاما لهم باعتقاد ظواهرها من التجسيم والجهة واطالوا في
ذلك بما كان سببا لمحقهم وسحقهم في الدنيا والاخرة والدعاوى التي يقولون
بها معشر اليهود والنصارى بفتح الواو وكسرها كالفتاوى ما مصدرية ظرفية
لم يقيموا عليها بينات اي ادلة قطعية لان الكلام في الاعتقاديات وهي
لا يفيد فيها الظني ابناؤها اي نتايجها ادعياء اي باطلة والدعي في
الاصل من ينسب الى شخص بالكذب ومن يتبناه الانسان وليس بابن له وان
عرف نسبه شبه دعاويهم بوطي الزنا بجامع فساد كل وقبحه وعدم الاعتداد
بما ينشا عنه لانه ناشي عن اصل فاسد وهذا استعارة بالكناية ثم خيلها
بذكر ما هو من لوازم المشبه به الذي هو وطي الزنا وهم الابناء الذين هم نتيجة
ثم رشحها بذكر الادعيا المناسب للمشبه به وبين الادعا والدعاوى
والادعيا تجنيس الاشتقاق وشبهه كخلطوها والخلطا والصفات ووصفه
الاثبات وفي النظم القياس الاقتراني المركب من مقدمتين حمليتين المنتج
انتاج الشكل الاول فالاولى الاعتقاد الذي لا نص فيه دعوى والثانية
الدعوى بلا بينة باطلة تنتج الاعتقاد الذي لا نص فيه باطل تنبيه
فرق النصارى ثلاثة نسطورية ويعقوبية وملكية ولكل فرقة اعتقاد
معروف وقد اشار الناظم للبحث مع الكل والرد عليهم اجمالا واكثر الكلام مع
القايلين بالتثليث لانهم اكثر واشد كفرا ومن ثم خصوا بالذكر في قوله
عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة الاية ليت حرف تمني
شعري اي علمي اي ليتني علمت لما تقولونه انضباطا حتى اتكلم معكم
في رده بابلغ مما هنا وهو ذكر الثلاثة الصادر منكم تارة حيث قلتم
ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس وذكر الواحد الصادر

منكم تارة اخرى حيث ادعيتم توحيده نقص في عدكم او نماء اي
زيادة فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحيث ذكرتم
الواحد كان ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يصدر
عن عاقل لانكم تارة تثبتون تعدد الاله وتارة تثبتون عدم تعدده
ولذا قال متعجبا منهم كيف اوحدتم اي القايلون بالتثليث الها
نفى التوحيد عنه الاباء والابناء اللذان اثبتموهما في دعواكم التثليث
ا يمكن ان يوجد اله مركب من ثلاثة اجزا او اقل او اكثر لا انا ما
سمعنا باله لذاته اجزاء او جزان اي بوجود اله كذلك بل ولا تعقلنا
لانه مما يحيله العقل بالبديهة كما انها تحيل تعدده كما يدل عليه برهان
التمانع المذكور في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وبيان
احالة العقل لما ذكر انه لو فرض له مركب من اجزاء او متعدد قيل لهم
الكل منهم نصيب اي جزء من الملك فان قالوا نعم قيل لهم فهلا وفي
نسخة فلم لا وحذفت الف ما الاستفهامية لدخول الجار عليها نحو عم
يتساءلون تميزا بالبنا للفاعل اي تمييزا او للمفعول الا نصبا اي نصيب
كل من الالهة حتى يكون ذكر التمييز دليلا على ما زعمتموه ولا تمييز فلا تعدد
كما هو بديهي وبين الثلاثة والواحد والنقص والنما جناس المقابلة كالحاجة
والاضطرار والامانة والاحيا الابيات فان قالوا الكل نصيبا لكنهم
خلطوها قيل لهم الزامهم اي نظمهم لحاجة اي احتياج واضطرار
وهو شدة الحاجة الى الشي بحيث لا يجد منه وعنه خلطوها خلطا
يمنع تمييزها فان قالوا نعم قلنا الاله لا يحتاج ولا يضطر لشي مطلقا لانه
غني بذاته عن غيره فاحتياجه واضطراره دليل قطعي على عدم الوهيته
فان قالوا خلطوها لا لحاجة ولا لاضطرار قلنا لا يتصور وجود شركة
دايمة بين شريكين فاكثر والحال انه ما نافية بغى اي ظلم الخلطاء

اى الشركاء اى بعضهم على بعض لا يتصور ذلك بل متى وجدت
شركة وجد التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب هذا العالم المشاهد
لانهما ان استويا فى القوة تمانعا ولم يقع فعل من احدهما وان تفاوتا
وقع مراد الغالب فقط وتخلف مراد المغلوب فيلزم ان لا يتم نظام
هذا العالم لان الغرض وقوع الشركة وعدم التميز واحتمال توافقهما دايما
الذى يجوزه العقل لا نظر اليه لانه مما تحيله العادة التى هى مناط الادلة
القرانية والسلايق العربية فليس فى ذلك دليلا اقناعيا خلافا لمن وهم
فيه بل الزم قايله الكفر بعض المتاخرين وبالغ فيه لكنه الزام باطل كما هو
جلى وكون العادة تحيل ذلك لا تحتاج لبيان لان كل من عرفها حكم
ان شريكين فى الاتحاد والامداد لا يتصور دوامهما على الموافقة
لان من شان النفس ان لا تريد بقاء شريك معها وكل ذلك باطل لانا
نشاهد هذا العالم باقيا على اكمل وجوه الاتقان واحكم قواعد الشروط
والاركان ويلزم من ذلك انتفاء الشريك مطلقا وان الاله لا شريك له وبيان
بطلان التعدد من وجه اخر وبيانه ان عيسى عليه السلام كان يركب
الحمار كما عرف ذلك بالتواتر عنه وحينيذ يقال لهم ا تقولون فى حال
ركوب عيسى هو اى الاله الراكب للحمار فان قلتم انه هو فركوبه
يستدعى حدوثه وتعبه وهو يستدعى عجزه والاله لا يكون عاجزا ولا حادثا
وما زعمتموه يلزم عجزه وحدوثه وحينيذ فيا عجزاه تعجب من دعواهم
المستلزمة ذلك عمه الاعياء اى التعب ام منفصلة لمعادلتها للهمزة
يقولون الثلاثة الذين زعمتموهم الهة جميع على الحمار فيقال لكم لقد جل
حينيذ حمار يحملهم اى الالهة اى مجموعهم مشاء صيغة مبالغة من مشى
وقبح اله يحتاج الى ان يمشى به حمار فالجملة الخبرية فى النظم تفيد التعجب
مما يترتب على ما فيها ام منفصلة لمعادلتها للهمزة تقولون سواهم اى

الثلاثة الذين على الحمار هو الاله فبسبب ذلك ما استفهامية
نسبة عيسى اليه خبر نسبة والانتما هو الانتساب فهو عطف مرادف
على نسبة اى اخبرونى من انتما عيسى وانتسابه الى الاله حينيذ هل
يوجب التثليث الذى زعمتموه وكل عاقل يجزم بانه لا يوجبه بل
ولا يقتضيه وقوله فيا عجزاه وما بعده تذييل متكرر ام منفصلة كذلك
اردتم اى بالثلاثة التى زعمتم انها الهة الصفات القايمة بذات الاله
والصفة ما دل على معنى زايد على الذات فلم مرآتها الكلام عليها خص
ثلاث بالصرف للوزن بوصفه اى الاله وثناء بضم اوليهما معدولين
عن ثلاث ثلاث واثنين اثنين والمراد هنا ليس ذلك التكرير بل نفس
الثلاثة فقط عند من ينظر الى مجموع الثلاثة والاثنين فقط عند من
ينظر الى الاله بالحقيقة والاله بالتجوز فان الاول واحد فقط
والثانى اثنان فقط وعلى كل فالصفات لا تنحصر فى اثنين ولا فى
ثلاث فادعا التثليث تحكم صرف وهو لا يقول به عاقل ام يقولون
هو اى عيسى ابن الله فيقال لكم لم اختص عيسى بذلك حتى انه ما نافية
شاركته فى معانى البنوة الانبياء بل عيسى وبقية الانبيا فى ذلك على
حد سوا فادعا البنوة لعيسى تحكم باطل ايضا قتلته اى عيسى اليهود حال
كون قتلهم له انما هو فيما اى فى القول الذى زعمتم معشر النصارى
والزعم اصله وموضوعه قول كذب ومن ثم قالت العرب زعموا مطية
الكذب وقد يستعمل بمعنى قال مجردا عن التكذيب كقول ام هانى للنبى
صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة زعم ابن امى اى على كرم الله وجهه انه قاتل
من اجرته فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت يا ام هانى
وكيف تزعمون ذلك والحال انه لا موا لكم به اى بسبب عيسى احياء
وهو رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له لانه كان فيكم يحيى الموتى فكيف

يحيى الموتى فيمكن منه من يقتله فنقصد بقتلكم اليهود في ذلك شاهد صدق
على سخافة عقولكم وانه لا مسكة لها ولا تثبت لانكم تتعلقون في التناقض
الصريح ولا تتنبهون له وعلى كل حاله ان قولا مما حكى عنكم كقولكم
بالتثليث اطلعتموه على الله تعالى عما تقولون انتم وامثالكم علوا
كبيرا ذكرا اي ثناء وتعظيما له في قولكم الله ثالث ثلاثة لتقول هولاء
نضم المعا، من هذا الكلام اذا كثر في الخطا وفي نسخ بالزاي من قولهم هزه
بالتسكين اي معزوية ويصح ان ذكرا تمييزا عن تعالى اي تعالى ذكره وهذا
من القول البديع الجامع مثل يجوز نصبه حالا اي لتقول هذا حال كونه
مثلا ونعتا للمصدر محذوف ورفعه خبر مبتدا محذوف اي هو مثل ما قالت
اليهود اي قولهم بالبدا فالتشبيه من حيث مطلق الكفر وان تباين تفصيل
كل من المقالتين وكل من الفريقين لزمته اي لزمت دعواه مقالة
شنعاء اي قبيحة جدا اذ هم استقروا البداء اي تتبعوه حتى قالوا
ما عدا العيسوية منهم لا يجوز عقلا ولا سمعا على الله نسخ ملة بملة لانه
يوهم البدا وهو ظهور مصلحة له بعد خفايها حتى نسخ ما مضى لاجلها
ووافقهم بعض غلاة الرافضة ومنهم من جوزه عقلا ومنعه شرعا واما
قول بعض المسلمين الحكم الثابت لا يرتفع بل ينتهي فلا يكون نسخا ممنوع
بل هو نسخ وحينئذ فالخلاف لفظي واعلم ان شريعة نبينا صلى الله
عليه وسلم ناسخة لجميع الشرايع اجماعا واختلفوا في شريعة عيسى عليه السلام
هل هي ناسخة لشريعة موسى عليه السلام او مخصصة والاظهر انها مخصصة
لا ناسخة لقوله ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال الامام في تفسيره روي
ان الرسل تترى بعد موسى كلهم على شريعته الا شريعة عيسى تنبيه
ذكر الامام ايضا في المطالب العاليه في الحكمة في نسخ الشرايع كلاما حسنا
فقال الشرايع منها ما يعرف نفعه بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمتنع

طرق النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته ابدا ومجامع هذه الشرايع
العقليه امران التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ومنها سمعيه
لا يعرف الانتفاع بها الا من السمع وهذا يمكن طرق نسخه وتبديله
وحكمة نسخه ان الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف
صارت كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها الى ما هو
المقصود من معرفة الله وتمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطريق وعلم
ان المقصود من الاعمال انما هو رعاية احوال القلب والروح في المعرفه
والمحبه فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر
الى تطهير السرائر وقال غيره حكمته ان الخلق طبعوا على الملالة من الشي
فوضع في عصر كل رسول شريعة جديدة لينشطوا في ادائها واعظم
حكمه اظهار شرف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه نسخ بشريعته شرايعهم
وشريعته لا ناسخ لها ومن حكم النسخ ايضا ما فيه من حفظ مصالح العباد
كطبيب يامر بدواء في يوم وباخر في يوم ثان وهكذا بحسب المصلحه
وان كان الثاني ابعد تنبيه اخر ما زعمه اليهود ان النسخ يستلزم
البدا باطل لما تقرر ان المصالح الداعيه للنسخ ترجع اما لاحوال المكلفين
او الازمنة وذلك لا يستلزم بل ولا يقتضي ان الله تعالى ظهر له شي بعد ان
لم يكن وزعم اليهود انه يستلزمه فمنعوا النسخ وزعم كفرة الرافضة
انه يجوز البدا عليه لوقوع النسخ منه وهذا اغلظ في الاولين من كفر اليهود
فعلم الجواب عن قولهم الفعل اما حسن فيستحيل النهي عنه او قبيح فيستحيل
الامر به فالنسخ محال على التقديرين وبيانه ان التحسين والتقبيح رد
العقليين باطلان وبتسليمهما فالعلم العادي قاطع بان الفعل قد يكون
مصلحة في وقت مفسدة في وقت اخر وكذا بالنظر للمكلف يكون
مصلحة في حق واحد مفسدة في حق اخر ولا مانع ان علمه تعالى يتعلق بان

حرمة كذا ينتهي بوقت او فعل كذا قالوا والسمع يمنع النسخ ايضا لان اللفظ
الدال على شرع موسى اما ان يدل على الدوام فان ضم اليه ما يقتضي نسخه فهو
تناقض وان لم ينضم له ذكر كفى في العمل به مرة فلا ينضور فيه نسخ قالوا وهما
يمنعه ايضا ما علم بالتواتر من قول التوريه تمسكوا بالسبت ابدا وجوابه انهم في
زمن بخت نصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد التواتر قيل لم يبق منهم الا
ستة اطفال على ان الابد كثيرا ما يراد به الزمن الطويل كما في التورية في صور
كثيرة **وكم** اي مرات كثيرة **ساق وبالا** اي عذابا **اليم استقرا** وفي هذين
كقاتل ومقاله السابق جناس الاشتقاق كرد العجز على الصدر وفي المسخ
والنسخ وفسخ ومسخ الجناس اللاحق وخالفوهم وحالفوهم الجناس المضارع
لقرب المخرج والمصحف وقوله وكم الخ من التذييل البديع **واراهم** اي اعلم انهم
لقولهم بذلك ادعى امتناع النسخ لئلا يلزم البدا **لم يجعلوا** اي يعتقدوا **الواحد**
في ذاته وصفاته وافعاله فلا شريك له بوجه ما **النهاية في الخلق** اي الخلق
على نفوذ ما اراده فيهم وبصح تعليقه بفاعلا اي على حالها **فاعلا ما يشا** لان
امتناع النسخ عليه يستلزم قهره وعجزه **جوزوا النسخ** جواب لو الانية
تجويزا **مثلها** مصدريه **جوز المسخ عليهم لو انهم فقهاء** اي فهما
ولا فهم لهم اذ لا ابلد في العرف منهم والنسخ لغة الازالة والتغيير والنقل
كنسخت الشمس الظل والريح التراب ونسخت الكتاب وشرعا بيان
انتهاء حكم شرعي بخطاب اخر شرعي وزيد فيه متراخ ليخرج نحو الاستثنا
ورد بان الكلام لا يعرف حكمه الا بانتهايه فلا يحتاج للاحتراز عن ذلك
بهذا القيد اي لو ثبت انهم فقهاء لجوزوا النسخ لانه كما علم من حده لا
يلزم عليه محذور البتة وزعمهم البدا باطل لا يعول عليه ومما يدل على جوازه
ووقوعه ما علمه اليهود من وقوع المسخ وهو تحويل الصورة الى اقبح منها
في كثير منهم في زمن موسى لما خالفوه في السبت فمسخهم الله قردة وخنازير

كما قصه الله تعالى علينا في كتابه العزيز وكيف يمنعون النسخ وهو **ليس** فيه
الا ان يرفع الحكم الشرعي اي استمراره وتعلقه فعلم ان المراد بالحكم تعلقه
بالمكلف بعد ان لم يكن او نفسه لكن من حيث دوامه بمعنى تكرره ولا ذاته
التي هي خطاب الله المتعلق بفعل المكلف من حيث هو مكلف اقتضاء او
تخييرا لانه قديم وما ثبت قدمه استحال عدمه ثم النسخ يكون الى بدل فان
كان الى بدل زيد في الحد **بالحكم** الشرعي وان كان لا الى بدل لم يزد ذلك
وخلق اي ايجاد **فيه** اي المسخ للصورة الثانية بعد اذهاب الصورة
الاولى **وامر** اي تصرف برفع الحكم الاول وايجاد الثاني **سوا** لما تقرر
ان المسخ فيه الصورة الاولى وخلفها الصورة الثانية والنسخ فيه رفع
الحكم الاول وخلفه الحكم الثاني فاذا جوزتم الاول لزمكم ان تجوزوا الثاني
والا فانتم سفها معاندون لا يلتفت اليكم وكيف تستبعدون النسخ وانما
غايته ان كان لبدل ان فيه حكمين المنسوخ وهو المراد بقوله **وحكم من الزمان**
انتهاء والناسخ وهو المراد بقوله **وحكم من الزمان ابتداء** ولا ينافي هذا
تفسير النسخ بالرفع لما علمت ان المراد رفع تعلقه بالمكلف او دوامه وهو
الانتهاء المذكور هنا وقول الشارح انه اشارة الى تفسيرين في النسخ غير صحيح
لان حقيقة الرفع مستحيلة توجب تاويل التعبير به بما قلنا كما هو المقرر في محله
فتامله وعلى كل فجواز النسخ اولى من جواز المسخ لان ذاك في الاحكام وهذا
في الذوات سوا جعلنا النسخ رفعا ام بيانا وسوا جعلنا المسخ في صورتهم
حتى صارت اقاربهم من المومنين لا يعرفونهم وهم يعرفونهم اذ يجي النزد الى
قريبه ويتمسح به وتدمع عيناه فيقول له الم ننهكم عن المخالفة فيشير
براسه ان نعم ام في قلوبهم فقط على ما ذكره مجاهد والنظم مشير الى هذه
القصة ففيه تلميح وبين ابتدا وانتها طباق واذا اردتم ايها المسلمون المبالغة
في ادحاض حجتهم **فسلوهم** قايلين لهم **اكان في مسخهم** التفنن عن

خطابهم مبالغة فى تحقيرهم اى جعلهم قردة فى الصورة كما هو المشهور
او فى قلوبهم وجعلنا كقلوب القردة لا تقبل هدايتهم بقا ذواتهم على ما
زعم مجاهد نسخ لايات الله وهو الصورة الاولى مع احكامها وللادراك
الاول على قول مجاهد ام انشاء لايجاد صورة مستقلة وحكم مستقل يتعلق
بها او لادراك كذلك فان قالوا بالاول فقد ناقضوا انفسهم ولزمتهم الحجة
او بالثانى فهو مكابرة للحس والحق ان المسخ متردد بين انشاء الخلق وبين
النسخ لانه بالنسبة للصورة الاولى نسخ وبالنسبة الى الصورة الثانية
المتجددة القبيحة انشاء لا يقال قد لا يعترفون بطرو التغير على قلوبهم
بناء على قول مجاهد لانهم اعترفوا به فى قولهم قلوبنا غلف اى مغطاة
باغشية خاصة لا يصل اليها ما جئت به وبداء بالمد وسبق معناه وهو
مبتدا خبره فى قولهم الثابت عنهم ومقولهم ندم الله على خلق ادم ام
خطاء المشهور فيه القصر ويجوز مده كما جرى عليه الناظم وهو عطف
على بداء اى سلوهم عن قولهم هذا اهو عن قصد منهم او عن خطا منهم
فان قالوا عن قصد كان عين البداء الذى انكروه لانه يستلزم جهل الله
تعالى بعواقب الامور وخفيتها فكيف يمنعون النسخ فرارا من لازمه
عندهم وهو البداء هذا تناقض قبيح وان قالوا انه خطا منهم فيكفيهم الاعتراف
به على نفوسهم فى غاية السفاهة والغباوة وسبيلهم الاعتراف بالبدا لا بالخطا
فاتضح بطلان زعمهم استحالة النسخ حذرا من البدا وسلوهم ايضا عما
لا يمكنهم انكاره لانه امر محسوس وورد القران على طبقه فقولوا لهم علامة
الليل والنهار كل منهما باقية فلا يزول احدهما بالاخرى ام محى اى اذهب
الله اية اى علامة الليل اسم جنس جمعى واحده ليلة كتمر وتمرة واتى بالنهار
بدله وهكذا الى يوم ذكرا بضم الذال تمييز اى من جهة الذكر اى العلم والتفهم
بعد سهو ليوجد الامساء اى الدخول فى المسا وهو ما بعد الزوال والمتا

ان

ان يراد به هنا ما بعد الغروب اى سلوهم هل هو هذا المحو واقع ام لا ويعرض
وقوعه فهل هو عن عمد بعد سهو ام عن سهو ابتدا فان قالوا بالاول لزمهم
القول بالنسخ لانه بمنزلته او بالثانى من الترديد الاول فقد كابروا الحس و
من الترديد الثانى لزمهم القول بالبدا لان من يجوز السهو يجوز البدا لانه
بمنزلته فلم منعوا النسخ حذرا منه وقد بين الله تعالى حكمة اختلاف الليل
والنهار فقال قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الايات وقال وهو
الذى جعل الليل والنهار خلفة اى يخلف احدهما الاخر لمن اراد ان يذكر
او اراد شكورا وقال وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا
اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب
والحاصل ان الحكمة كما تقتضى دوام اشياء بلا تبدل ولا تغير تقتضى تبدلها
وتغيرها وفى ذكر ابعد سهو جناس لفظى كرم والتخليل وجدوا ما من
الايات ام بدا للاله فى ذبح اسحق والحال انه قد كان الامر فيه اى
بذبحه من الله تعالى لخليله ابرهيم عليه السلام فى النوم مضاء اى ماضيا قد
وفى نسخ قضا بالقاف اى حتم وذلك لان رويا الانبيا وحى اى سلوهم فيما وقع
للخليل انه امر بذبح ولده امرا جازما ثم عند ارادته لما اضجعه على جنبه
نسخه الله تعالى فامره بتركه وفداه بذبح عظيم وما يقال ان الرقبة كسيت
نحاسا وانه مر بالسكين عليها فلم يوثر ونحو ذلك مما يذكره الخطبا والقصاص
فكله لم يثبت فيه شى فان قالوا ان الامر بالفدا وترك الذبح فسخ للامر بالذبح
لزمهم القول بالنسخ مطلقا او غير فسخ لزمهم الجهل المفرط والغباوة الشنيعة
تنبيه ما جرى عليه الناظم ان الذبيح اسحق هو ما عليه الاكثرون قيل
واجمع عليه اهل الكتابين لكن سياق الاية والمشاهدة بان اسمعيل هو الذى كان
بمكة ومنى ولم ينقل قط ان اسحق حج ولا اتى تلك الاماكن قاضيان بانه اسمعيل
وهو التحقيق كيف وقد صح ما يصرح بذلك روى الحاكم فى المستدرك ان

الصلحي قال حضرنا مجلس معويه رضي الله عنه فتذاكر القوم اسمعيل
واسحق ابني ابرهيم عليهم السلام فقال بعضهم الذبيح اسمعيل وقال
بعضهم الذبيح اسحق فقال معويه سقطتم على الخبير كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسه
والماء يابسا وضاع العيال فعد علي مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقلنا يا امير المومنين وما الذبيحان
قال ان عبد المطلب لما امر اي في المنام بحفر زمزم نذر لله ان سهل له امرها
ان ينحر بعض ولده فاخرجهم فاسهم اي اقرع فخرج السهم لعبد الله فاراد
ذبحه فمنعه اخواله من بني مخزوم وقالوا ارض ربك وافد ابنك ففداه بمايه
ناقه فهو الذبيح واسمعيل الثاني وهكذا رواه ابن مردويه والثعلبي في
تفسيريهما وسلوهم ايضا فقولوا لهم اتنكرون النسخ و تقولون ماحرم
الله نكاح الاخت بعد التحليل في زمن ادم عليه السلام او تقولون
حرمه بعد ان حلله وعليه فهو اي نكاحها الزناء موجب للرجم ومد
الزنا الغه فان قالوا احرمها بعد ان احلها فهذا اصرح في النسخ الذي انكروه
وان قالوا لم يحرمها ولم يحللها فهو عناد محض وقايله لا يخاطب ولا يكالم
واذ قد بان لك قبيح جهلهم وتناقضهم وعنادهم فامسك عن حجاجهم
و لا كذب ان اليهود لحالهم انهم قد زاغوا اي مالوا عن الحق من وجوه
عديده سفها وحسدا معشر اي قوم لوماء جمع ليئم وهو دني الاصل
الشحيح النفس جحدوا بدل من زاغوا المصطفى اي المختار من
الصفوه او المصطفى من كل نقص اي انكروا نبوته ورسالته بعد علمهم
بهما علما يقينيا قال تع وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم و لحالهم
انه قد امن بالطاغوت اي الشيطان وكل ما عبد من دون الله او صد
عن عبادته فعلوت من الطغيان قوم هم عندهم شرفاء هذا كالذي

بعده بيان لعظيم لومهم وزيغهم عن الحق اذ جحدوا الحق الاظهر
من الشمس واقروا من آمن بالباطل ومدحوهم على ذلك بل عدوهم مع
ذلك من شرفايهم ثم ظاهر النظم ان المومن بالطاغوت فرقة من
اليهود لا كلهم وليس كذلك بل كلهم امنوا به كما يصرح به قوله تع الم ترى الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب قال المفسرون هم اليهود
يومنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا اي من اشرافهم او
كفار العرب هولاء اهدى من الذين امنوا سبيلا وعجيب من الشارح انه
اخذ النظم على ظاهره واستدل له بالاية مع انها انما تدل على الكل لا البعض
ويصلح ان المراد وامن بالطاغوت قوم من قريش عندهم شرفا ومعنى الاية
حينيذ ويقولون اي اليهود للذين كفروا اي كفار العرب الذين امنوا بالجبت
هولاء اهدى من الذين امنوا سبيلا ويدل على هذا ان حيي بن اخطب لما ذهب
لقريش وغيرهم ليحرضهم على قتاله صلى الله عليه وسلم ومعه اشراف اليهود سالوهم
انحن خير دينا من محمد قالوا انتم فخرجوا وخرجوا لقتاله صلى الله عليه وسلم تنبيه
جعل الواو للحال لا للعطف الدال عليه حذفها من قتلوا الاتي اولى من قول
الشارح انها عاطفه وان المسوغ للعطف وصف قوم بالجمله بعده اي لما
قررته فيه ان مدحهم للمومنين بالطاغوت مع جحدهم لنبوة نبينا فيه غاية
الغباوه واللوم واحوجه الى ذكر المسوغ قولهم شرط قبول عطف الجمله على
الاخرى ان يكون بينهما مناسبة لجهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر وقد
يقال في النظم دلالة لما قاله الشارح لانه اتى باربع جمل ثنتين بلا واو واثنتين
بواو ونظرا للمناسبه المعتبره في ذلك وبيانه ان ايمانهم بالطاغوت وجحد نبوة
نبينا فيه ما مر وكذلك اتخاذهم العجل مع قتلهم الانبيا واما قتلوا مع ما قبله فلا
مناسبه ظاهره بينهما فلم يعطف عليه قتلوا بل هو بدل او عطف بحرف
حرفه بناء على انه يمكن مناسبته لما قبله الانبياء كزكريا ويحيى وغيرهما

جاء انهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا ثم اقاموا سوق بقلهم ومعاشهم
واتخذوا العجل الها ومعبودا مع السامري هو الذي صاغه لهم بحضرتهم
من الحلي الذي استعاروه من القبط قبل غرقهم والقى فيه قبضة من تراب
اثره من تحت حافر فرس جبريل الذي جاء به لفرعون حتى دخل وراءهم البحر
لما انغرق لهم لانه كان احجم عن دخوله فتبعه دان التي فيه تلك القبضة خور
فقال لهم هذا الهكم واله موسى فراج على عقولهم السخيفة كلامه فاعتقدوه الها
ومعبودا كما قصه الله علينا مبسوطا في القران ومن ثم كان في كلامه اقتباس
كقوله **الا** حرف تنبيه لاستفراغ وسع السامع في القاء سمعه لما بعدها **انهم**
هم السفهاء ولكن لا يشعرون فجهلهم مركب فلا اسفه ولا اغبى منهم جمع
سفيه وهو من زاد نقص عقله حتى حصلت له خفة وطيش وسخافة راي
وانطماس بصيرة ومن ثم لم ينظروا الى كونه محدثا بحضرتهم من جماد والاله
لا يكون كذلك عند من له ادنى عقل وتمييز ثم بين ادنى انواع سفههم
بقوله ملمحا لما وقع لهم **وسفه** خبر مقدم او مبتدا وسوغ الابتدا به وقوعه
بيانا لما قبله كما تقرر **اساءه** اي احزنه **المن** وهو نوع من الحلوى كان ينزل
عليهم وهم في التيه في غاية الاضطرار **والسلوى** وهو السماني طير من اسمن
الطيور لحما وانفعها واطيبها غذا كان ياتيهم الى محالهم فرقا فرقا فيمدوا ايديهم
اليه وياخذوا منه ما شاؤوا **وارضاه الفوم** اي الثوم كما قرى به وقيل الحنطة
وهو بعيد من السياق لان الحنطة ليست من الادنى **والقثاء** بل سال فيهما
وفي نظايرهما قال تع تبكيتا لهم بعد ما ذكر انه انزل عليهم المن والسلوى واذ
قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض
من بقلها وقثايها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو
ادنى بالذي هو خير ففي كلامه اقتباس وطباق بين ساءه وارضاه ومراعاة
النظير في المن والسلوى والفوم والقثاء **ملئت بالخبيث** وهو ما سالوه

من القوم

من القوم وما معه **منهم** صفة تقدمت فصارت حالا **بطون** ليناسب
ما انطوت عليه من الغل والحسد والغباوة والسفاهة او المراد ملئت بطونهم
بالداء الخبيث اي العضال الذي لا دواء له وهو الغل وما بعده والى هذه
يرشد ما رتبه عليه بقوله **فهي نار** اي مشتملة على ما يودي الى النار او سماها
نارا باعتبار المآل كما في اراني اعصر خمرا **طباقها** اي الناس **الامعاء** اي
المصارين اي معاء فوقه نار ثم معاء فوقه نار وهكذا او الى الاول يرشد قوله
ملئت بالخبيث المشعر بان بطونهم صارت به كنار ذات طباق وطباقها
هي امعاوهم البخسة ويصح ان المراد ان بطونهم صارت كنار ذات طباق بعضها
فوق بعض وطباقها امعاوهم اذ الخبيث الذي ملئت به نحو الربا والسحت
فاذا دخلها جذبته المصارين اليها وبعضها فوق بعض وايضا الخبيث
بعضه اشد عذابا من بعض فبعضه فوق بعض لتفاوت عذابهم بالنسبة الى
الكلم والكنايتهم هذا على الاصح عندنا في الاصول انهم مخاطبون باصول الشريعة
يعاقبون عليها بخصوصها في الاخرة وعلى مقابله هم كفروا بعضها اشد من
بعض **لو** شرطية **اريدوا في حال سبت** مصدر سبت اليهود اي عظموا
سبتهم بالسكون فيه عما عدا العبادة واصل السبت القطع **بخير** الباء زايدة
للتاكيد كما هو راي جماعة وكل من الظرفين متعلق باريدوا وعلى ان الثاني
مفعول ويصح كون الاول حالا من خيرا اي لو اراد الله لليهود في حال سبتهم
الذي فرض عليهم تعظيمه خيرا **كان سبتا لديهم** اي عندهم **الاربعاء** هذا
من حيث ترتبه على ما قبله بطريق الملازمة المستفادة من لو في غاية الاشكال
ولم ينبه الشارح على ذلك اولم يتنبه له وانما تكلم على بعض مفرداته فقط ومنها قوله
والسبت اخر الاسبوع والاربعا رابعه وقيل السبت اوله والاربعا خامسه
وقد يقال كان الناظم نظر الى ان السبت القطع والى ان الاربعا محل النور
الحسي لما ياتي ان الله خلق النور فيه فيكون محلا للنور المعنوي الذي هو الوصل

فكانه يقول لو اريد بهم الخير لجعل قطعهم وصلا ولا ينافي ذلك قوله هو يوم مبارك
لانه باعتبار ما فرض عليهم من تعظيمه وتخصيصه بالعباده وما نحن فيه باعتبار
انه لو اريد بهم تمام الخير جعل محل عبادتهم موذنا بوصوله الذي من شانه ان ينشا
عن العباده واما اذا جعل محل عبادتهم موذنا بقطعهم باعتبار اصل مدلوله فهذا
مما يوذن بنقصهم وانهم لا يريد بهم كمال الخير ومما يوضح هذا ان الله ادخر لهذه
الامه يوم الجمعه الموذن بغاية الوصل اذ مقام الجمعيه هو مقام الوصل الذي هو اكمل
المقامات وافضلها وجعل لليهود السبت الموذن بقطيعتهم وحرمانهم وللنصارى
الاحد الموذن بوحدتهم وتفردهم عن مواطن الخيرات والسعادات فكان فيما
خصت به كل امة من الايام دليلا على احوالها وما يول اليه امرها فنبه الناظم
رحمه الله على هذه الحقيقة العرفانيه والحكمة الربانيه زيادة في مدح هذه الامه وذم غيرهم
او يقال ان الناظم اراد بذلك انهم لو اريد بهم الخير لكان الايام كلها سبتا عندهم
ليحيوها جميعها بالعباده واما تخصيص يوم منها بالعباده دون بقية الاسبوع
فهو من جملة ما اريد بهم من خلاف الخير وعلى هذا مع ما فيه من البعد والتكلف يكون
معنى حال سبت شانه ويكون ذكر الاربعا للمثال لا للتقييد ويكون قوله يوم
الخ رجوعا الى مدح ما شرع لهم ولا ينافي ما قبله لان بركته لا تنافي ان تعطلهم عن
العباده بقية الاسبوع غير خير واعلم ان قول الشارح والسبت الى اخره
عجيب منه اذ ما حكاه بقيل هو الذي صح به الخبر وعليه الاكثرون وهو مذهبنا
كما في الروضة واصلها ونقله في شرح المهذب عن الاصحاب بل قال السهيلي
في روضه لم يقل بان اوله الاحد الا ابن جرير واستدل له في شرح المهذب
بخبر مسلم عن ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق
البرية يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين
وخلق المكروه يوم الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا وبث فيها الدواب يوم الخميس
وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعه في اخر الخلق في اخر ساعة من النهار فيما بين

العصر

العصر الى الليل ولهذا الخبر صوب الاسنوى كالسهيلي وابن عساكر ان اوله
السبت وجرى النووي في موضع على ما يقتضي ان اوله الاحد فقال يوم
الاثنين سمي به لانه ثاني الايام الا ان يجاب بانه جرى في توجيه التسميه
المكتفى فيه بادنى مناسبه على القول الضعيف نعم انتصر لكون اوله
الاحد الذي جزم به القفال من اصحابنا بان الخبر السابق تفرد به مسلم
وقد تكلم فيه الحفاظ علي ابن المديني والبخاري وغيرهما وجعلوه من كلام
كعب وان ابا هريره انما سمعه منه ولكن اشتبه على بعض الرواه فجعله
مرفوعا ويجاب بان من حفظ الرفع حجة على من لم يحفظه والثقه لا
يرد حديثه بمجرد الظن ولاجل ذلك اعرض مسلم عما قاله اولئك واعتمد الرفع
وخرج طريقه في صحيحه فوجب قبولها ومن ثم انتصر ابن عساكر لكون
اوله السبت بما حاصله ان تاييد ابن جرير لكون اوله الاحد بان هذا
العالم خلق في ستة ايام وادم خلق يوم الجمعة انما يصح بتقدير ان يوم
الجمعة داخل في الست التي فيها خلق العالم ولم يصح ذلك لانه صلى الله عليه وسلم
فسر خلق الاشيا وجعل خلق ادم في اليوم السابع وهو الجمعه ولم يثبت انه
خلق اخر الايام وانما اخبر تع انه خلق العالم في سته فاخرها الخميس
وخلق ادم بعد الفراغ من خلقها اشارة لكونها خلقت لمصالحه كبنيه
وسياق خبر مسلم المذكور ظاهر في ذلك ويويده ايضا الخبر الصحيح ان
الله هدانا ليوم الجمعه واضل عنه اليهود والنصارى اي لان اليهود لما
اعتقدوا ان اول الاسبوع الاحد كان الجمعه سادسا فاخذوا السابع
وهو يوم السبت والنصارى لما اعتقدوا ان اوله الاثنين اخذوا الاحد
واما هذه الامه فاعتقدوا ان اوله السبت فاخذوا السابع وهو الجمعه
قال ولا حجة في اشتقاق نحو الاحد من الواحد وهكذا الان التسميه
لم تثبت بامر من الله ولا من رسوله فلعل اليهود وضعوها على مذهبهم

فاخذتها العرب عنهم ولم يرد في القران الا الجمعة والسبت وليس من
اسماء العدد انتهى على ان هذه التسمية لو ثبتت فيما لم يكن فيها دليل
لان العرب تسمي خامس الورد اربعا وهكذا وهذا هو الذي اخذ منه
ابن عباس رضي الله عنهما قوله الذي كاد ان ينفرد به ان يوم عاشورا
هو تاسع المحرم وتاسوعا ثامنه وهكذا هو اي يوم السبت يوم مبارك
لان الله ابتدا فيه خلق هذا العالم كما مر خلافا لما زعمته اليهود انه ابتداه
يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا فنحن نستريح
كما استراح الرب فيه وهذا من جملة غباوتهم وسفاهتهم ومن ثم رد الله تعالى عليهم
بقوله عز قايلا وما مسنا من لغوب اي تعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ لا
يتصور التعب الا من حادث مفتقر للغير في الاسباب والله تعالى بخلاف
ذلك انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اي نوجده فورا
فلا يتخلف عن الاراده فقول كن كناية عن ذلك قيل بناه للمجهول لضيق
النظم فلا يتوهم انه قول ضعيف للتصريف اي المتصرف فيه ببيع او
نحوه من اليهود اعتدا اي ظلم وعدوان كان سببا المسخ كثيرين منهم
قردة وخنازير وذلك انهم لما امروا ان يجردوه للعبادة اهتدى فيه ناس
منهم في زمن داود عليه السلام اثنا عشر الفا فاصطادوا فيه وكانوا بايلة
قرية على جانب البحر فابتلاهم الله بان الهم السمك يوم انه ما يبقى حوت في
البحر الا ورفع خرطومه او خرج فاذا مضى السبت تفرق السمك ونفر
فاجتمع راي جماعة منهم على حيلة يمسكون بها السمك ويمنعونه عن
الاصطياد يوم السبت فحفروا يوم الجمعة حفرا بجانب البحر وجعلوا
فيها جداول من البحر فصارت تمتلي من يوم السبت ويأخذونه يوم
الاحد فشوروا واكلوا فتشم جيرانهم فسالوهم فاخبروهم بالحيلة فقالوا ان
الله معذبكم ثم لما لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة ثم جماعة حتى صاروا

قدر

قدر الثلث واعتزلهم الثلث الباقي فبنوا بينهم حايطا فاصبحوا وقد
مسخ الثلث الاول قرده وخنازير وكذا الثاني على خلاف فيه اي لان
الاية فيهم محتملة ومن ثم قال ابن عباس لا ادري ما فعل بالساكتة نجاها ام
مسخها كذلك قال مالك فهذا تحريم الحيلة ووجوب سد الذرايع انتهى
ويرد بان المقرر في الاصول ان شرع من قبلنا ليس بشرع لنا فان ورد
في شرعنا ما يوافقه بالدليل هو شرعنا لا غير فبظلم متعلق بعد ثم منهم
وهو وضع الشيء في غير محله كحيلتهم في السبت واكلهم الربا واخذهم اموال
الناس بالباطل وكفر من عطف الاخص لزيادة الاهتمام به عدتهم اي
فاتتهم طيبات من الرزق حرمها الله عليهم وهذا مقتبس من قوله تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية ومن شانه انه
يوجد في تركهن الذي تحتم الامر به ابتلاء اي اختبار ومحنة للعبد يكون
سببا للفلاحه او هلاكه خدعوا اي يهود المدينة وما قرب منها بدل من زاغوا
لكن ذاك عام وهذا خاص لتقييده بالظرف بعده بالمنافقين من الاوس
والخزرج الذي تعرهم الاسلام فاظهروه واتخذوه جنة من القتل مع بقايهم
على كفرهم باطنا وكان هولاء مع اليهود لانهم مثلهم باطنا فكانوا يدسون
اليهم المكر والخديعة وكانت احبار اليهود هم الذين يتعنتون على النبي
صلى الله عليه وسلم فينزل القران مكذبا لهم تارة ومجيبا عن شبههم
اخرى ومنبها على احوال المنافقين الذين هم معهم باطنا اخرى ومعنى
كونهم خدعوا بهم انه اريد بهم المكروه من حيث لا يعلمون بسبب المنافقين
الذين كانوا يصدونهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فيخدعوهم لغباوتهم
وسفاهتهم كما قال وهل ينفق الا على السفيه الشقاء اي وما
ينفق الشقاء الا على السفيه وهم اليهود لا غير شبه الشقا الحاصل لهم
بدراهم تصرف وتخرج في الشر فهي استعارة بالكناية واثبت لها

ماهو من لوازم المشبه به وهو الاتفاق تخييلا وجعل الشارح نفق من
النفاق اى الرواج فعليه سقف الشقا بالسلعة المعروضة للبيع واثبت لها
النفاق تخييلا ورشح او جرد بذكر السقف الملايم للمشبه والمشبه به **واطمانوا**
فى زعمهم مما كانوا يتوقعون من النبى صلى الله عليه وسلم **بسبب قول الاحزاب**
اى طوايف اهل مكة ومن ثم كان معهم من قبايل العرب الذين تجمعوا لحربه
صلى الله عليه وسلم بعد وقعة احد **اخوانهم** فى الكفر لهم **اننا لكم اولياء** اى
متوالون ومتفقون على حرب محمد وسبب ذلك ان جماعة من اليهود
منهم اللعين حيى بن اخطب ازدادت عداوتهم له صلى الله عليه وسلم حتى
قدموا على قريش بمكة فدعوهم لحربه صلى الله عليه وسلم وقالوا انا نكون معكم
حتى نستاصله فوافقوهم ثم ذهبوا لغطفان وذكروا لهم ذلك فوافقوهم
فخرجت قريش وقايدها ابو سفيان رضى الله عنه وغطفان ومن معهم
من اهل نجد وقايدها عيينة بن حصن فاجتمعوا فى عشرة الاف واليهود
قاطعون بانهم بذلك يستاصلون المسلمين فلما سمع بهم النبى صلى الله عليه وسلم
اشار سلمان بحفر الخندق لان العرب لم تكن تعرفه فاجتهد فيه صلى الله عليه وسلم
هو واصحابه فلما وصل العدو اليه خرج اليهم فى ثلاثة الاف فمكثوا نحو عشرين
يوما او خمسة عشر وهو الاشهر لا قتال بينهم الا الرمى بالنبل والحصا ثم
اشتد الحرب فجاء نعيم بن مسعود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له انى اسلمت
ولم يعلم بى قومى فمرنى بما شئت فامره ان يخذل عنهم ما استطاع فان الحرب
خدعة فذهب الى بنى قريظة وكان نديمهم فى الجاهلية فحسن لهم التخلف
عن معونة رضى الله عنه قريش الا ان اخذوا منهم رهنا وخوفهم على اموالهم
واولادهم فقالوا اشرت بالراى ثم ذهب للعرب وقال لهم عن اليهود مثل
ذلك وانهم ندموا على ذلك وارسلوا لمحمد بذلك فارسلوا رسلهم لقريظة
فذكروا لهم ذلك فاعتقدوا صدق نعيم وانحلت عزمهم فخذلهم الله وارسل

عليهم

١

عليهم الريح فى ليال شديدة البرد فكفأت قدورهم وطرحت خيامهم
وبلغه صلى الله عليه وسلم تخاذلهم وما هم فيه فقال لحذيفة بن اليمان اذهب
فانظر ما يفعل القوم ولا تحدثن شيئا حتى تاتينا فدخل بينهم فسمع ابا سفيان
يقول لينظر الرجل منكم من جليسه قال حذيفة فاخذت بيدى جنبى فقلت
من انت فقال فلان بن فلان ثم قال ابو سفيان والله يا معشر قريش ما اصبحتم
بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة ثم امرهم بالرحيل
وارتحل ولولا عهد النبى صلى الله عليه وسلم ان لا تحدث شيئا لقتلته بسهم ثم
سمعت غطفان ما وقع لقريش فرجعوا ايضا فلما اصبح النبى صلى الله عليه وسلم
رجع الى المدينة وقال لا يغزونكم قريش بعدها ابدا ولكن انتم تغزونهم وكان
كذلك ولما وضعوا السلاح جاء جبريل معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة
عليها قطيفة ديباج وفى رواية البخارى انه لما وضع السلاح اغتسل فاتاه
جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم اى بنى قريظة
فانى عامد اليهم ومزلزل بهم وفى رواية ثم فشد عليك سلاحك فوالله لادقنهم
دق البيض على الصفا فبعث صلى الله عليه وسلم مناديا يا خيل الله اركبى فذهب
اليهم فى ثلاثة الاف مقاتل وستة وثلاثين فرسا فحاصرهم خمسا وعشرين
ليلة او خمسة عشر وقذف فى قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم الايمان
وحلف لهم انه نبى مرسل وانه الذى يجدونه فى كتابهم فابوا فقال الليلة السبت
فلعلهم امنونا فانزلوا لعلكم تصيبون منهم فقالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه
ما لم يحدث فيه من قبلنا فقال الامر علمت فاصابه ما لم يخف عليكم من المسخ
ثم اشتد عليهم الحصار فنزلوا على حكم النبى صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد
ابن معاذ سيد الاوس فحكم فيهم بان تقتل رجالهم وتقسم اموالهم وتسبى ذراريهم
فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله الذى حكم به فامر النبى صلى
الله عليه وسلم بهم فادخلوا المدينة وحفر لهم اخدود فى السوق وجلس النبى صلى الله عليه وسلم

ومعه اصحابه واخرجوا اليه فضربت اعناقهم وكانوا ما بين ستمايه الى سبعمايه ولا ينافيه الرواية الصحيحة انهم كانوا اربعمايه مقاتل لان الباقين اتباع ومما تقرر علم ان الاحزاب **حالفوهم** اى اليهود اى عاهدوهم مع الايمان المغلظة على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم **وخالفوهم** فى ذلك فرحلوا عنهم واسلموهم للنبى صلى الله عليه وسلم حتى قتلهم عن اخرهم **ولم ادر لما خالف الحلفاء** واراد بنفى الدرايه على طريق تجاهل العارف اغرا السامع على البحث عن سبب ذلك وان كان ظاهرا وهو ان الله تعالى اراد خذلانهم بتفريق كلمتهم واستيصال شافتهم تنبيه تجاهل العارف سماه السكاكى سوق المعلوم مساق غيره وهو سوال المتكلم عما يعلمه على سبيل التعجب او الانكار او التوبيخ كما هنا او التقدير نحو وما تلك بيمينك يا موسى **اسلموهم** اى المنافقون عبد الله بن ابى واصحابه اليهود المسلمين بنى النضير **لاول الحشر** المقتبس من قوله تعالى هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المومنين اى فى اول حشرهم واجلايهم من جزيرة العرب الى الشام او من محلهم الى المحل اخر وانما كان اولا لانهم لم يصبهم قبل نظير ذلك او فى اول حشرة الى القتال لما بانى فى قصتهم انهم عزموا على القتال فغشلوا والقى الله الرعب فى قلوبهم وآخر حشرهم اجلا عمر لمن بخيبر من هولاء ومن اهلها الى الشام او فى اول حشر الناس الى الشام لانها فتحت بعد ذلك بقليل وقصدها الناس للاقامة بها وعليه فاخر حشرهم بها عند قيام الساعة لانها ارض الحشر **لاميعادهم** اى المنافقين لليهود انهم ينصرونهم على النبى صلى الله عليه وسلم **صادق** لانهم سولوا لهم قتالهم وانهم يعينونهم ثم تخلفوا عنهم **ولا الايلاء** اى الحلف منهم لهم صادق ايضا **سكن الرعب**

اى هيبة النبى صلى الله عليه وسلم وخشية انتقامه منهم وظن ظفره عليهم **والخراب** الاتى لدورهم **قلوبا** من اليهود المحصورين وغيرهم من اهل خيبر وغيرها وهذا راجع للاول **وبيوتا منهم** راجع للثانى ففيه لف ونشر مرتب **نعاها** اى اخبر تلك البيوت بموت اهلها المعنوى من نعاه نعوا ونعيا ونعيانا اخبره بموته **الجلاء** اى خروجهم من ديارهم شبهه فى كونه معلما بقهرهم وزوال شوكتهم المشبه بالموت بانسان مخبر بما ينفع ويضر ففى استعارة بالكنايه وذكر النعى الملايم للمشبه به استعارة تخييلية وعجيب من الشارح حيث لم يتكلم على هذه الجملة مع ما علمت بينهما من الاستعارتين المذكورتين بل فيها استعارة ثالثة كما اشرت اليها بقولى المشبه بالموت وظاهر النظم ان واقعة بنى النضير هذه بعد الخندق المشار اليها بقوله السابق واطمانوا الى احزه وهو ما اوهمه كلام بعض السير لكنه مردود بان بنى قريظة هم الذين ظاهروا الاحزاب واما بنو النضير فلم يكن لهم فى الاحزاب ذكر بل كان من اعظم الاسباب فى جمع الاحزاب وما وقع من اجلايهم فانه كان من رؤسهم حيى بن اخطب وهو الذى حسن لبنى قريظة الغدر وموافقة الاحزاب حتى كان من اهلاكهم ما كان فكيف يصير السابق لاحقا وخلاصة ما قاله اهل السير فى واقعة بنى النضير انه صلى الله عليه وسلم خرج اليهم يستعينهم فى دية قتيلين قتلهما بعض حلفايهم فاظهروا له الاجابه ثم تواعدوا وهو صلى الله عليه وسلم جالس الى جانب جدار لبعض بيوتهم على ان يصعد واحد منهم ويلقى عليه صخره ليستريحوا منه فنهاهم بعضهم وقال والله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض العهد الذى بيننا وبينه فلما صعد الرجل لذلك اخبر به صلى الله عليه وسلم فقام مظهرا انه يقضى حاجة وترك اصحابه فى مجلسهم ورجع مسرعا الى المدينة يطلبه فاخبرهم ونزل فى ذلك يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم

ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية فامر صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير
اليهم فساروا وحاصروهم ست ليال فتحصنوا بالحصون فقطع النخل
وحرقها وخرب ولما وقع في نفوس بعض المسلمين من ذكر شيء نزل ما قطعتم
من لينة الاية واللينة اصناف التمر ما عدا العجوة والبرني ففي الاية انه صلى
الله عليه وسلم يعرف من نخلهم الا ما ليس بقوت وكانوا يقتاتون العجوة وفي
الحديث العجوة من الجنة وتمرها يغذو احسن غذا والبرني كذلك وكان
رهط من بني عوف بن الخزرج منهم ابن ابي بعثوا اليهم ان اثبتوا وتمنعوا
فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم
فتربصوا فقذف الله في قلوبهم الرعب فسالوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يجليهم عن ارضهم ويكف عن دمائهم وفي رواية ابن سعد
انهم لما هموا بالغدر ارسل محمد بن مسلمة ان اخرجوا من بلدي وقد
عشر الا من رءى منكم بعدها ضربت عنقه فشرعوا في التجهيز فارسل
اليهم ابن ابي بانهم يمنعون ويمدهم من ينصرهم فارسلوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يقولون لا نخرج فاظهر التكبيرة وكبر المسلمون بتكبيره فسار اليهم
وعلي يحمل رايته فلما راوه قاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة وخذلهم
ابن ابي وغيره فحاصرهم خمسة عشر يوما ثم قال لهم اخرجوا ولكم دماؤكم
وما حملت الابل الا الدروع فنزلوا على ذلك فكانوا يخربون بيوتهم بايديهم
فلحقوا بخيبر ثم الى الشام والحيرة على ستمائة بعير ولكون القاهر لهم مجرد
الرعب كان ما بقي من اموالهم له صلى الله عليه وسلم يقسمه بين المهاجرين يدفع
مؤنتهم عن الانصار **وخدعوا** ايضا اي بنو قريظة منهم **بيوم الاحزاب اذ زاغت** منهم
الابصار وضلت الاراء وذلك ان الاحزاب لما اقبلوا ونزلوا حوالي المدينة
وخرج صلى الله عليه وسلم والمسلمون فجعلوا ظهورهم الى سلع والخندق بينه
وبين القوم خرج عدو الله حيي بن اخطب حتى اتى كعب القرظي صاحب

عقد

عقد بني قريظة وعهدهم فاغلق كعب دونه باب حصنه وقال له انك امرؤ
مشؤوم واني عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه فاني لم ار منه الا وفا
وصدقا فقال ويلك افتح ولم يزل به حتى فتح فقال يا كعب جئتك بعز الدهر
جئتك بقريش انزلتهم بمجتمع الاسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدوني على
ان لا يبرحوا حتى يستاصلوا محمدا ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده
وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك فعظم البلاء
واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل
ظن ونجم النفاق في بعض المنافقين وانزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض الايات وقال رجال ممن معه يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا
ثم وقع ما مر من ان الله خذل الاحزاب وبدد شملهم وجعل الدايرة عليهم
والغلبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين واهلك بني قريظة عن اخرهم
كما مر وبما تقرر علم ان في كلام الناظم في هذا البيت والذي قبله تلميحا من جوه
عديدة **وتعدوا** ظاهر سياقه ان الضمير للنصارى واليهود والمنافقين ويجوز
عوده لمطلق الكفرة الشامل لكفار العرب وغيرهم اي تجاوزوا حتى وصل ايذاؤهم
الى النبي صلى الله عليه وسلم **حدودا** احدها الله لهم ومنعهم عن تجاوزها فلم يقفوا
عندها فلذلك **كان بينها** اي في تجاوزها **عليهم** احد الظرفين حال والاخر خبر
العدواء اي بعدهم عن النجاة ووقوعهم في الهلاك الابدي وفي هذا تلميح الى قوله
تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وبين تعدوا والعدواء جناس
شبه الاشتقاق وهو ما يشبهه بين نعتهم وانتهت واليذى والبذا والخيل
والخيلا واكدى وكدى وعفا وعفوا وسوا وسواه واجمت والحجون والحلم والحلم
الاتيات **ونفتهم** اي اولئك المعتدين قوم منهم عن استمرارهم على ما هم عليه من مخالفة
النبي صلى الله عليه وسلم وايذائه قائلين لهم انه لرسول الله حقا **وما انتهت عنه**
اي عن مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وايذائه **قوم** بل استمروا على ما هم عليه من

ايذايه والامر به فبسبب ذلك ابيد اى اهلك الأمّارُ منهم بايذايه والنّهاءُ
عن اتباعه لبقائهما على الفريقين على ضلالة ومرّ ان عتبة بن ربيعة لما
اشتد ايذاء قريش له صلى الله عليه وسلم ذهب اليه لينهاه فقرا عليه فصّلت فرجع
الى قومه ومدح القران وامرهم ان يخلوا بينه وبين ما هو فيه وبيّن لهم ان القران
ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة وانه صلى الله عليه وسلم ليس به جنون وانه ليكونن
لقوله نبأ فقالوا والله سحرك محمد بلسانه فقال افعلوا ما بدا لكم فلم يزدهم الا طغيانا
وايذاء له بالقول والفعل وقتل عتبة يوم بدر مشركا وبين الامّار والنّهاء جناس
الطباق كبينهم وما انتهت وكالخدوّ والعشا والقطع والوصل والتقريب والاقصا
والملام والأطراء والتباين والوفا الآتيات وتعاطوا في احمد نبينا صلى الله عليه وسلم
وخصه بالذكر لانه لم يسم به احد قبله كما رواه مسلم واما محمد فتسمى به قبله خمسة عشر
نفسا كما بينه الحافظ العسقلاني منكر القول اى القول المنكر اى الذى ينكره
سامعه بل المتلفظ به لعلمه بقبحه وفساده وان الحامل عليه انما هو محض عناد وحسد
فقالوا مرة ساحر ومرة كاهن ومرة مجنون كما سبق ذلك مبسوطا في بيان اعجاز
القران وطاف صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر وعثمان رضى الله عنهما فلما مر بابى جهل
وعقبة بن ابى معيط وامية بن خلف اسمعوه بعض ما يكره ثم اراد ابو جهل الاخذ بمجامع
ثوبه صلى الله عليه وسلم فدفعه عثمان على استه ودفع ابو بكر امية والنبى صلى الله عليه وسلم
عقبة ثم قال والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه عاجلا فما منهم الا اخذته رعدة وجعل
صلى الله عليه وسلم يقول لهم بيس القوم انتم لنبيكم ثم قال لاصحابه ابشروا فان الله مظهر
دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله بايديكم عاجلا
قال عثمان فوالله لقد رايتهم ذبحهم الله بايدينا ومن ايذاء المنافقين قولهم يوم
الخندق محمد يعد اصحابه ان ينفق كنوز قيصر وكسرى واحدنا اليوم لا يامن
على نفسه ان يذهب الى الغايط وقد حقق الله ما قاله نبيه صلى الله عليه وسلم
فملك الله المسلمين كنوز كسرى وقيصر في زمن عمر وعثمان ثم ذيل بجملة مشتملة
اى الشاهد

على معنى

مطلب

على معنى ما قبلها جارية مجرى الامثال فليس تتميما خلافا للشارح لانه
الماتى به لمجرد المبالغة والتاكيد ولا تكميلا لانه الماتى به لرفع الايهام نعم في ذلك
اضطراب بين اهل البديع فقال ونطق اى منطوق الاراذل اى الاسافل
الأخسّا الذين لا مروءة لهم ولا عقل الكلمة العوراءُ اى القبيحة الساقطة اى شانهم
النطق بالفحش وهو لا ككذلك كيف وكل رجس اى قذر وغضب قام
لهم يزيده ما جبلوا عليه وهو الخلق السوء بفتح السين وضمها
اى القبيح سفاها بفتح السين من سفه بالضم سفاها وسفاهة ومصدر
المكسور سفها وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وطيشه ويزيده سفاهة
ايضا وبعدا عن الخير الملة اى الشريعة سميت بذلك لانها تملى وتكتب
العوجا اى الباطلة شبهها بطريق عوجا لا تندى سالكها الى مطلوبه بل يتوه
ويضل فيها على سبيل الاستعارة المكنية ثم اثبت لها العوج تخييلا واولئك الاراذل
اجتمع فيهم الوصفان الخلق السوء والتمسك بالملة الباطلة فتضاعفت سفاهتهم
فبسبب ازديادهم من السفاهة والجهل انظروا ايها العقلا كيف هى وما
بعدها سدت مسد مفعولى انظروا واما قول الشارح كيف في موضع المفعول
الثانى وعاقبة القوم المفعول الاول فهو انما يصح بفرض زيادة كان ولا
محوج لذلك كما عرف مما قررته كان تامة عاقبة اى مال ومصير القوم
المعروفين بما ذكر وهى خزى الدنيا وعذاب الاخرة ثم كان عاقبة الذين
اساءوا السوآى الاية ففيه اقتباس وانظروا ما هو بصلته سد مسد
المفعولين ايضا وعجب من الشارح حيث لم يبين اعرابه مع احتمال وجه
اخر فيه غير ما ذكر لكن ما ذكرته اولى كما هو واضح ساق للبذى اللسان
كهؤلاء البذاء بالمعجمة اى بذاؤهم اى فحشهم وهو تخلفهم عن عز الدنيا وسعادة
الاخرة وفيه تشبيه البذى بدابة يسوقه والبذا بسايقها وهما استعارتان
مكنيتان واثبات السوق للبذا على جهة كونه فاعله وللبذى على جهة كونه

وانفا عليه تخييل وجد البذى العضب اى الشتم فيه اى النبى صلى الله
عليه وسلم سما اى مهلكا اى مهلك وبين السب والشتم الجناس
المضارع ولم يدر البذى ان سبه عين الشتم القاتل لوقته لفظا
اذ الميم فى مواضع حال من الخبر وهو باء كقولهم فى بيد مبد وهى لغة
مازن قال المازنى دخلت على الخليفة الواثق فقال لى ممن الرجل
قلت من بنى مازن قال باسمك يريد ما اسمك وهى لغة قومى يبدلون
الميم باء ثم قال اجلس فاطبن يريد فاطمئن وقال ابن جنى فى سر
الصناعة اخبرنا ابو على باسناده الى الاصمعى قال كان ابو سوار الغنوى
يقول باسمك يريد ما اسمك فهذه الباء بدل من الميم انتهى ومعنى لانه
اهلكهم كما يهلك السم بل هو ابلغ من السم لان اهلاك السم فى الدنيا وله ادوية
تزيله واهلاك السب فى الدنيا والاخرة ولا دواء له كان من اجل ما صدر
من فيه اى فم البذى حال من الضمير المستقر فى الخبر وهو بيده به قتله
لنفسه بيديه وقتل الانسان لنفسه اشد من قتل غيره له فبسبب ذلك
هو اى البذى القاتل لنفسه المذكور فى الانصاف بما وقع منه
سوء فعله بنفسه بالمراة المشهورة بالملك القاهر فى العرب التى هى
الزباء بفتح الزاى وتشديد الموحدة اى شبيهها فانها تناولت
خاتما مسموما تحت فصه حتى قتلت نفسها وقالت بيدى لا بيد
عمرو فكان قتلها لنفسها بسبب ما تناولته بفمها من يدها لما
ظفر بها عمرو ابن اخت جذيمة الابرش لما كان بينهما خوفا من
تعذيبه اياها وحاصل القصة وهى طويلة ذكرها الاخباريون
وابن هشام وابن الجوزى وغيرهم ان جذيمة بن عامر التنوخى وقيل
الازدى وهو اول من ساس العرب وهو اول من اتخذت له الشموع
واوقدت بين يديه واول من اجتمع له الملك بارض العراق من قبل

ازدشير وكان ابرص فكنوا عن ذكره بالابرش والوضاح قيل كان الانف
من الابرص لانه فى العرب من يفتخر بذلك وكان له اخت احبها نديمه
عدى بن نصر الايادى فوافقها على ان ينكحها منه اذا غلب السكر
عليه فسأله حينئذ فى ذلك فانكحه اياها واشهد عليه ودخل بها وعلم
بذلك تغيب عدى فلم يعرف له اثر فولدت له ولدا سمى عمرا فاحبه
جذيمة واختطفته الجن ثم ردوه فرادحطا عند خاله وكان ابو الزباء
سميت بذلك لكثرة شعرها اذ كان يجللها ويسحب من ورائها ملكا ما
بين الفرس والروم فغزاه جذيمة وقتله قبل بعثة عيسى عليه السلام
وطردها فلحقت بالروم وجمعت الجيوش واستخلصت من جذيمة
ملك ابيها وابنت لها بجانب الفرات قصرا حصينا فحدثت جذيمة
نفسه بخطبتها لانها بكر واجمل اهل عصرها وطمع فى ملكها فارسل اليها
واظهرت غاية الفرح وارسلت له بهدية سنية فاستشار فى السير
اليها فبالغ قصير بن سعد فى منعه وفى ان ذكر مكيده منها فلم يصغ
اليه وسار اليها فلما قرب منها اعاد الاستشاره فاعاد قصير رايه
فلم يصغ اليه وسار وكانت امرت لعسكرها اذا وصل ان يحيطوا به
ويمنعوه ممن معه ففعلوا وقصير معه فلما راى ذلك ركب فرس
جذيمة التى تسبق الريح وفر بها ثم ادخل جذيمة عليها ليس معها الا
جوارى وكانت ربت شعر عانتها حولا فكشفتها له وقالت
امتاع عروس ترى فقال بل متاع امة بظراء ثم قالت خذوا بيد
سيدكن وبعل مولاتكن فاجلسوه على النطع ثم امرتهن بفصد عروق
يديه ففعلن ووضع له طشت فنزف دمه الى ان قضى فامرت به
فدفن ثم اقبل قصير على عمرو واخبره الخبر وامره ان ياخذ بثاره منها
فافهمه انه لا قدرة له عليها فقال له اجدع لى انفى واذنى واضرب ظهرى

حتى يوثر في ذلك فعل به ذلك وقيل اى فعل قصير بنفسه ذلك
ثم ذهب اليها مستجيرا بها من عمرو فراجت عليها حيلته واكرمت
منزله ثم قال لها ان لي بالعراق مالا كثيرا وذخائر فسفريني لآتي به ففعلت
فرجع اليها باموال هائلة ثم عاد الى العراق ثانيا ثم رجع اليها باكثر من الاولى
فازدادت مكانته عندها ولم يزل يتلطف حتى عرف سردابا جعلته
تحت الفرات يصعد منه الى قصرها وبابه من جانب الفرات الآخر
ثم خرج ثالثا فرجع باكثر من ذلك كله فزادت مكانته وعولت عليه في
امورها فاظهرت له انها تريد غزوا وانه يذهب ويأتيها بالعبيد
والعدد فقال لها ان لي في بلاد عمرو الف بعير وخزانة مال وسلاح فاعطته
ما اراد من المال وقالت الملك يحسن لمثلك فعاد الى عمرو وقال اصبت
الفرصة منها فقال عمرو مر بما شئت فقال الرجال والاموال فعمد الى
الفي رجل من فتاك قومه فحملهم على الف بعير على كل بعير اثنان في
غرائر سود اوثقين وعمرو فيهم وساق الخيل والكراع والسلاح وكان
يكمن النهار ثم دخل عليها فقال انظري الى العير فنظرت فقالت

ما للجمال مشيها وئيدا ٭ اجندلا يحملن ام حديدا

ام الرجال جثما قعودا ٭ ام الرجال في الغرار السودا

ولما وصلت العير المدينة طعن بواب جولقا بمخصرة بيده فضرط
من اصابته فارادوا الصياح فضربه قصير بسيفه فقتله ثم حلت الجوالق
فخرج الرجال ودخل عمرو باب السرداب ليصعد الى الزبا فلما رأته
مصت خاتما في يدها مسموما وقالت بيدي لا بيد عمرو فماتت وقيل
ان عمرا قتلها بسيفه واحتوى على بلادها او هو في سوء فعله النحل
اى شبهه ثم بين وجه الشبه فقال فرصتها اى لسعها لغيرها
يجلب الحتف اى الموت اليها عقب لسعها والحال ان لسعها

ما نا

ما نافيه له انكار اى قتل ولا جرح بل ولا دم ولا تأثير قوي في الملسوع
فكل منهما قتل نفسه بما خرج من فيه مع انه لا مصلحة تعود عليهما مما
كان سببا لهلاكهما صرعت قومه صلى الله عليه وسلم الذين ارسله
الله اليهم فلم يؤمنوا به اى المتقدم قتلى بين يديه حبائل جمع حبالة
وهي التي يصاد بها وناصبها يسمى الحابل مدها اى تلك الحبائل اليه
المكر حال كونه منهم وهو ابطان السوء مع اظهار خلافه والدهاء
هو بالكسر كالدهي جودة الرأي وفي كلامه استعارة بالكناية من حيث
تشبيه القوم الذين حاربوه صرعى بين يديه صلى الله عليه وسلم بصيود
مصروعة بين يدي الصياد ومن حيث تشبيه البغي بشبكة
الصياد من حيث تشبيه المكر والدهاء بالصائد كما يقتضيه نسبة
المد اليهما او بحبال الشبكة التي يمدها الصائد حتى يقع فيها الصيد
وتخييلية باثبات المد اللازم للمشبه به وترشيحية بذكر الصرع
اللائق بالمشبه وبما تقرر علم ان في كلامه ثلاث استعارات
مكنيات الاولى تشبيه القوم بالصيد وجرد لها بذكر الصرع
والمكر والدهاء لهم ورشح وخيل لها بذكر الحبائل والمد والثانية تشبيه
البغي بالشبكة وخيل لها باثبات الحبائل له ورشح بذكر المد وجرد بذكر
الصرع الملائم للبغي والثالثة تشبيه المكر والدهاء بالصائد على ما
مر وخيل باثبات المد ورشح بذكر الحبائل وجرد بذكر الصرع هنا ايضا
اذ لا مانع من اشتراك ما من اشتراك مكنيتين او اكثر في كون الشيء
الواحد تخييلا او ترشيحا او تجريدا للكل اعتبار الكل على حدته عاقبتها
فيجب مكرهم ودهائهم اتتهم من قبله صلى الله عليه وسلم ما اوجب
عود تلك الحبائل اليهم ولا يحيق المكر السيء الا باهله فلا يمكرون به مكرا
ولا يكيدون به كيدا الا عاد عليهم وكيف لا وكلما تحزبوا الحرب وحاولوا

اخفا امره بدد الله جمعهم وقتل ساداتهم واظهر امره عليهم
وهو الذى ايدك بنصره وبالمومنين فى ذلك انهم اتتهم خيل الى
الحرب تختال اى يتبختر بها راكبوها تيها وعجبا والخيل النفايس
وعليها الشجعان فى الوغا اى الحرب متعلق بقوله خيلاء اى كبر
وترفع عن الوقوع فى وهدة الاصدام بنحو شجرة وهذا تذييل قصدت
فيهم اى فى ابدانهم القنا اى الرماح جمع قناة وفى هذا الاستعارة
المشهورة فى قوله تعالى جدارا يريد ان ينقض ولا ينافى ذلك عد كثير من
له من انواع المجاز باعتبار ان فيه اضافة الفعل الى ما لا يصح منه وهو الارادة
التى هى من صفات الحى لان ذلك مبنى على تشبيه ميله للوقوع بارادته له
والاستعارة مجاز علاقته المشابهة ومن ثم قيل زوج المجاز بالتشبيه فتولد
بينهما الاستعارة وهل هى مجاز لغوى او عقلى والاصح الاول انما موضوعه
للمشبه به لا للمشبه ولا لاعم منهما فاسد فى رايت اسدا يرمى موضوع
للسبع لا للشجاع ولا للحيوان الجرى فبسبب قصدها لم كانت
قوافى الطعن اى الطعنات المشبهة بالقوافى فى تتابعها حال
كون ذلك الطعن منها اى تلك الرماح ما شانها اى عابها وفى
نسخ شانه اى الطعن الايطاء وهو تكرير القافية المتحدة لفظا
ومعنى قبل عدد مختلف فيه عندهم المشبه به الطعنات الواردة على
محل واحد من غير ان تؤثر التالية لشى لم تؤثره المتلوة وهو معيب
فى المشبه به لانه يدل على عجز الشاعر وتقصيره والمشبه لانه يدل
على قصر ساعد الشجاع وعدم تمكنه وتحريره وهذا الحل اولى مما سلكه
الشارح كما يعلم بتامله نعم قوله ولكثرة ما عملت رماحهم فى اجساد عدوهم
تاتى الطعنة الثانية مكان الاولى حتى كانهما واحدة لسرعة الطعن
يقرب حله واثارت اى رفعت تلك الخيل لما ركضت فى مصافة الحرب

بارض

بارض العدو فى الاقطار الحجازية وغيرها حتى فى مكة فى غزوة
الفتح لما ازدحمت ترب دخولها نقعا اى غبارا اظلم الجو حتى ظن ان
الغور اى وقته وهو ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس منها اى من
اجل تلك الخيول التى اثارت ذلك النقع ومن اجل تلك الغبرة المفهومة
من الغبار التى اثارتها تلك الخيول عشاء اى وقته وهو اذا غاب الشفق
الاحمر وقضية كلام الشارح بل صريحه ان المراد العشا بفتح العين
وفسره بانه ما بين الغروب والعتمة وفيه نظر وما ذكرته اولى واسلم
مما تكلفه وفى قوله واثارت نقعا تلميح الى قوله تعالى فى سورة العاديات
فاثرن به نقعا وخلاصة شى من هذه الغزوة التى حصل بها ذلك
الفتح الذى هو اعظم فتوح الاسلام لان الله اعز به دينه ورسوله وجنده
وحرمه وبلده ونبيه واستبشر به اهل السما وضربت اطناب عزه
على مناكب الجوزا ودخل الناس فى دين الله افواجا واشرق به وجه
الدهر ضيا وابتهاجا وسببها انه وقع الصلح بالحديبية انه صلى الله
عليه وسلم لا يتعرض لمن دخل فى عقد قريش وانهم لا يتعرضون لمن دخل
فى عقده وكان ممن دخل فى عقده خزاعة وفى عقدهم بنو بكر وكانا
متعادين فخرج بعض بنى بكر وبنى خزاعة فاقتتلوا فامد قريش بنى بكر
فخرج اربعون من خزاعة اليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرونه
فقام وهو يجر رداءه ويقول لا نصرت ان لم انصركم بما انصر منه نفسى
ولما احس ابو سفين جاء الى المدينة ليجدد العهد ويزيد فى المدة فابى
صلى الله عليه وسلم عليه فرجع فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عشرة
الاف ثم لحقه الفان لليلتين من رمضان سنة ثمان فلما كان
بقديد عقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم لما نزل مر
الظهران امرهم ان يوقد عشرة الاف نار ففعلوا فاهم ابو سفين ارسله

قريش ليأخذ لهم امانا لعلمهم بتجهيزه صلى الله عليه وسلم اليهم فاذا
راى تلك النيران انهره امرها فادركه الحرس فاتوا به رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاسلم بعد تمنع وتهدد به فسال العباس النبي صلى الله عليه وسلم
ان يظهر له فخرا في قومه فقال من دخل دار ابي سفين فهو آمن وقال
للعباس اجلسه عند حطم الخيل حتى ينظر الى المسلمين وفي رواية اجلسه
عند مضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها فجلسه فمرت به القبايل
كتيبة كتيبة وهو يسال عن كل فيبينها له العباس فيقول مالي ولها
ولما مرت به كتيبة الانصار وصاحب رايتها سعد بن عبادة قال له سعد
يا ابا سفين اليوم يوم الملحمة اي الحرب اليوم يستحل الحرمة او الكعبة
فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فامره على لسان علي كرم الله وجهه بدفع
الراية لابنه قيس واخبر ابا سفين انه لم يامر بقتل قريش وان اليوم يوم
الرحمة وان يعز قريشا وخشي سعد ان ابنه يقع منه شي ايضا فذكر ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فدفعها للزبير وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم
كتيبة المهاجرين مع الزبير ايضا فبعثه ومعه المهاجرون وخيلهم وامره
ان يدخل من اعلى مكة وان يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى ياتيه كذا ذكره
موسى بن عقبة وغيره وقول الشارح انه صلى الله عليه وسلم امر الزبير ان
يدخل من كدا بالضم تصحيف وصوابه من كدا بالفتح والمد وقوله امر سعد
ابن عبادة ان يدخل في بعض الناس من كدا بالفتح لم ار في الروايات المعتمدة
ما يشهد له وانما الذي صح انه صلى الله عليه وسلم دخل من اعلاها وخالد من
اسفلها ورواية عكس ذلك ضعيفة لا يعول عليها ولعل الشارح اخذ من
الرواية الاتية عن مسلم وانت خبير بانه ليس فيها نص بكدا ولا كدا وبعث
خالد بن وليد في قبايل ليدخل من اسفل مكة ويغرز رايته عند ادنى البيوت
وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وامرهم

وامرهم ان يكفوا ايديهم الا ان قوتلوا ولما دخل خالد من اسفل مكة قوتل فقاتلهم
حتى ادخلهم المسجد من باب الحزورة ثم كف ولما قال صلى الله عليه وسلم له لم قاتلت
وقد نهيت قال كففت يدي ما استطعت فقال قضى الله خير وصح في مسلم وغيره
انه صلى الله عليه وسلم بعث على احد المجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير على الاخرى
وبعث ابا عبيدة على الذين بغير سلاح فقال يا ابا هريرة اهتف لي بالانصار
فهتف بهم فجاوا فاطافوا به فقال لهم اترون الى اوباش قريش واتباعهم ثم قال
باحدى يديه على الاخرى احصدوهم حصيدا حتى توافوني بالصفا قال
ابو هريرة فانطلقنا فما نشا ان نقتل احدا منهم الا قتلناه فجاء ابو سفين فقال
يا رسول الله ابيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال صلى الله عليه وسلم من
اغلق بابه فهو امن ومن هذا اخذ الاكثرون ان مكة فتحت عنوة ويرد بانه صلى
الله عليه وسلم لم يبص الاعلى او باشهم الذين من شانهم الجهل والمبادرة بالقتال في غير محله
وهذا كقوله من اغلق بابه فهو امن ظاهر في ان الكلام انما هو فيمن قاتل ليوافق
الروايات الاخر المقيدة بذلك وبهذا تقوى ما ذهب اليه امامنا الشافعي رضي الله عنه
انها فتحت صلحا كما هو قضية التامين الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم لمن دخل دار ابي
سفين او اغلق بابه او دخل المسجد ولم يقع قتال من جهة اعلا مكة التي دخل منها
صلى الله عليه وسلم والعبرة بها لا بغيرها على ان القتال الذي وقع في غيرها انما
كان دفعا لقتالهم كما مر وعلم مما تقرر في القصة انه صلى الله عليه وسلم امر اكثر اصحابه
ان يدخلوا من الحجون وهو كدا بالفتح والمد وكان معهم في كتيبة الخضراء الكثيرة
ما معهم من السلاح على ناقته القصوى بين ابي بكر واسيد بن حضير وفيها المهاجرون
والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فراى ابو سفين ما لا قبل له به فقال للعباس
لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال
نعم وامر بقية اصحابه ان يدخلوا من اسفلها وهو كدا بالضم والقصر ولذا قال
اجمت اي كفت وامسكت عنده اي ذلك الفتح الذي حصل بمكة لما اجتمعت

فيها جنود الاسلام مع ما هم فيه من كثرة الخيل والسلاح الداخلون من اعلاها
واسفلها **الحجون** بفتح الحاء وهو الجبل المطل على مقبرة مكة المسماه بالمعلاه وذكر
هو كدا بالفتح والمراد ان الفرقة التي كانت بالحجون وان اثارت فيه من النقع
شيا كثيرا لكنه قليل بالنسبة لما في مكة فاستكن عن محاكاة ما بمكة **واكدى**
اصله قلة الخير والمراد هنا قلة التراب **عند** حال من كدا **اعطايه**
اي كدا التقدم رتبة والمصدر مضاف للمفعول وفاعل الاعطا النبي
صلى الله عليه وسلم **القليل** من الناس مفعول المصدر الثاني **كداء** بضم
الكاف والمد لغة قليلة فيه اي وقل غبار كدا الذي هو اسفل مكة لان
الفرقة الداخلين منه الذين اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم قليلين ويجيب
من الشارح حيث لم يبين هذا الشطر معنى ملايما كونه اوهم ضبط
كدا هذا بالفتح وهو فاسد لان المفتوح الحجون السابق في الشطر
الاول او قريب منه كما يصرح به كلام ايمتنا في المناسك وغيرهم فان
قلت هذا البيت وان كان صحيحا لفظا لما فيه من الجناس والمجاز فيصفا
من حيث التعبير بالمحل عن الحال والمجاز والاستعاره من حيث الاكدا
والمنع اللذين هما من صفات الحي الى غيره على حد جدا ربر يد ان ينقض كما
مر بيانه انما لكنه ركيك معنى اذ لا حاصل له لان من المعلوم ان ما يمكن
من مجموع الفرقتين الداخلتين من اعلا واسفل وان ما من مجموعهما اكثرها
من كل منهما ومثل هذا ليس له كبير جدوى قلت بل فيه معنى يستفاد
وله جدوى لخفايه وهو ان دخوله صلى الله عليه وسلم واكثر اصحابه كان من
الحجون والبقية من كدا ووجه اخذه من النظم واضح فانه خص اعطاء القليل
بكدا فدل على انه والاكثرين دخلوا من الحجون ويصح ان يراد نفس البقعتين
مبالغة وعليه فيصح ان يكون اجمت معطوفا على اثارت بحذف حرف
العطف ففيها ضمير هو الفاعل يعود على الخيل وان اكدى مبني للمفعول

والتقد

والتقدير ان من قوة تلك الخيول انها فهرتهم حتى الجاتهم فكنت الحجون
ومنعت كدى عن ان ينتصر لاهلهما ولو تنصرو مهما ذلك لاسيما وخيل كدى
كانت قليلة ويصح بنا النظم على اعرابه الاول وهو ان الحجون فاعل وكدى
مبني للفاعل وان المراد انه صلى الله عليه وسلم نصر عليهم نصرا باهرا حتى
ان بقاعهم ساعدته عليهم والتقدير ان الحجون وكدى منعاهم عن ان
يمدوا اعينهم اليه صلى الله عليه وسلم او الى احد من عسكره وفي هذا وما قبله
من المبالغة ما لا يخفى عظيم وقعه عند الفصحا وبين الحجون وكدى جناس
معنوي **ودهت** اي اهلكت تلك الخيل والخيالة **اوجها من اناس بها**
اي بمكة قاتلت كما مر في الرواية المصرحة بذلك المحمول عليها الرواية المطلقة
وكذا جماعة لم يقاتلوا لكن كانوا يبالغون في ايذايه صلى الله عليه وسلم واظهار
هجوه فامر بقتلهم وان كانوا متعلقين باستار الكعبة وعدتهم ستة رجال
واربع نسوة **واهلكت بيوتا** كان اهل مكة يرجعون الى اهلها **قل** اي
شيم **منها الاكفا** وهو في الشعر المخالفة بين هجاه اخره كان يكون بعضه
ميما والاخر با، وهنا انكفا تلك الوجوه على الناس لعلمها بخيبها او بخيرها
والاقواء اصله من قولهم منزل قوا اي لا انيس به واقوت الدار وقوت
اي خلت ثم استعمل في الشعر مرادا به ان تختلف حركات اعراب الروي
وبما قررته به كلامه هنا وفيما قبله في قصدت فيهم القنا الخ يعلم انه استعار
القوافي للطعن المتتابع ورشح بذكر الايطا ولمح بذكر البيوت ترشيحا البيوت
الشعر المرشح لها وبذكر ما يختص بها من الاقوا والاكفا للاستعارة
الاولى وفيهما تورية ولف ونشر مشوش لاندرج الاقوا للبيوت
باعتبار لمح بيوت الشعر والاكفا للوجوه لان الراس اذا قطع انكفات
الوجوه وتحولت واستعمل الاقوا في الخلو من حيث بيت السكن وفي
تغيير القافية من حيث بيت الشعر وكذا الاكفا من حيث تغيير حركة

الوری فبسبب ما حصل لاهل مكه من الخوف الذی ظنوا انه مهلك
لهم عن اخرهم دعوا محمدا صلی الله علیه وسلم احلم البریه بالهمز فی الاصل
ای الخلق ای طلبوا منه یوم الفتح ان یعفو عنهم وان لا یعاقبهم بما مضی
منهم مما كانوا وصلوه الیه من الایذا الذی لا یتحمله غیره صلی الله علیه وسلم
فاجابهم الی العفو قایلا لهم لا تثریب علیكم الیوم كما یاتی والعفو
عمن ساله جواب الحلیم من حلم بالكسر اذا ترك الانتقام بحق والاغضاء
ای ارخا الجفون من الحیا وفی ذكر الحلم والعفو والاغضا مراعاة النظیر
فانشدوه بدل من دعوه القربی ای حلفوه عن ان یصل قرابتهم ویعفو
عنهم او القربی علی حذف الجار ای حلفوه بالقرابه التی بینهم وبینه ان یعفو عنهم
التی وصلت الیه من سایر بطون قریش وهم ولد النضر بن كنانه احد
اجداده صلی الله علیه وسلم حال كون تلك القربی قطعتها الترات بفوقیتین
جمع تره وهی مصدر وتر ای قتل له قتیل ولم یترك دمه والشحناء ای
التباغض والتحاسد الذی كان بینهم فبسبب تلك المناشده عفا صلی
الله علیه وسلم عنهم عفو قادر لانه كان یسهل علیه ابادتهم عن اخرهم لم ینغصه
ای یكدر ذلك العفو علیهم بسبب ما مضی منهم صفه اغرا تقدمت علیه
فصارت حالا اغراء من اغریت الكلب بالصید ای حملته علی اصطیاده
وهو فاعل ینغص ای لم یكدر عفوه عنهم اغرا سفهایهم وجهلایهم فیما مضی
حال كونه منهم حتی بالغوا فی ایذایه بما لا یتحمله مخلوق كما تحمله صلی الله علیه وسلم
وخلاصته ما اشار الیه الناظم انه صلی الله علیه وسلم لما كان من الغد من یوم الفتح
قام خطیبا فی الناس فحمد الله واثنی علیه ومجده بما هو اهله ثم قال ایها
الناس ان الله حرم مكه یوم خلق السموات والارض وهی حرام بحرمه الله
الی یوم القیمه لا یحل لامری یومن بالله والیوم الاخر ان یسفك بها دما
او یعضد بها شجره فان احد ترخص فیها لقتال رسول الله صلی الله علیه وسلم

فقولوا

فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم یاذن لكم وانما احلت لی ساعه من
نهار ای من الفجر الی العصر وقد عادت حرمتها الیوم كحرمتها بالامس
فلیبلغ الشاهد الغایب ثم قال یا معشر قریش ما ترون انی فاعل
فیكم قالوا خیرا اخ كریم وابن اخ كریم قال اذهبوا فانتم الطلقا ای من
الاسر والاسترقاق وفی روایه انه قال لهم اقول لكم كما قال یوسف
لاخوته لا تثریب علیكم الیوم یغفر الله لكم وهو ارحم الراحمین وسر
هذا العفو وهذه الوصله منه صلی الله علیه وسلم لهم بعد القطع انه
ناظر الی الله تع دون غیره واذا كان القطع والوصل لله كما هو
حال النبی صلی الله علیه وسلم تساوی عنده فاعل ذلك التقریب للاقارب
والبعدا والاقصاء ای الابعاد للاقارب البعدا ولم یمیز باحدهما
قریب ولا اجنبی لان النظر لرضی الله وامتثال امره لا غیر وهذا
من القول البدیع الجامع وسواء بفتح السین والمد ویجوز كسرها
والقصر وهما فیهما بمعنی مستو ویستعمل الاول بمعنی التمام ومنه
سواء للسایلین الی سواء الصراط والوسط ومنه فی سواء الجحیم
وبمعنی غیر قلیل ومنه فقد ضل سواء السبیل وهو وهم وانما هو بمعنی
وسطه علیه الذی تقربه واقصاوه لله لا غیر واجل من تصف بهذه
المرتبه نبینا صلی الله علیه وسلم كان خلقه القران یرضی برضاه ویسخط
بسخطه وهذا خبر مقدم ویصح كونه مبتدا فیما اتاه من سواه
كلاهما حال من المبتدا او الخبر وهو الملام بالسب والتنقیص
والاطراء ای المبالغه فی المدح حتی یغیر الواقع ای سواء علیه اللوم
والاطراء حال كونهما مندرجین فیما اتاه من غیره من خیر وشر ای
استوی عنده مدح الغیر وذمه لانه لیس ناظرا الی نفسه وانما نظره
الی تصریف فی خلقه بما اراد منهم تنبیه ما وقع للناظم هنا من

حذف همزة التسويه بعد سوا والعطف بالواو وهو ما درج عليه
الفقهاء فى كتبهم وهو لغة وان كانت بخلاف الاشهر الشايع من ذكر
الهمزة والعطف بام وقد صرح فى الصحاح بتلك اللغة فقال بقول
سواء على قمت او قعدت وكذلك فى القاموس وسوا تطلب اثنين سوا زيد
وعمرو اى ذوا استوى من استويا وتساويا وتماثلا وقد صرح سيبويه
بالمسئله اتم تصريح واوضحها اكمل ايضاح فقال كما فى البديع عنه اذا
كان بعد سواء همزة استفهام فلا بد من ام اسمين او فعلين وان كان
بعدها فعلان بغير الف الاستفهام عطف الثانى باو وتقول سواء على
قمت او قعدت وان كان اسمين بلا الف عطف الثانى بالواو وتقول
سواء على زيد وعمرو وان كان بعدها مصدران كان الثانى بالواو
واو وحملا عليها انتهى فعلم صحة ما عليه الفقهاء واندفع قول ابن هشام
ان ذلك لحن وان ما فى الصحاح سهو وان قراءة او لم تنذرهم من الشذوذ فى
مكان انتهى فاستحضر ذلك فانه مهم ومن ثم لو مر فيها فى بحث الاوصاف.
قدمه صلى الله عليه وسلم ما ينبغى مراجعته للعزيزة زيفا سنته ان انتقامه
صلى الله عليه وسلم اى غضبه واستيفا الذى صدر منه كان لهوى
النفس الامارة بالسوء المطبوعة على التكبر على الغير وجب التمنى عليه
بما يغفره ويذله لله لن امت قطيعة للرحم وجفاء اى ابعاد لها
ولكنه لم يكن لذلك وانما كان لله فقطعهم حيث قطعوا ما امر الله به
ان يوصل ووصلهم غير ناظر لما سبق منهم من قتل اصحابه باحد والتمثيل
بعمه وشج وجهه وكسر رباعيته حيث وصلوه بامتثال اوامره واجتناب
نواهيه وكيف لا وقد قام صلى الله عليه وسلم لله وحده لا لهوى ولا
لحظ ولا لرعاية رحم او صديق وفى نسخة بالله اى مستعينا به فى الامور
جميعها فبسبب قيامه لله او به ارضى الله تعالى عنه صلى الله عليه وسلم.

وهو

وهو متعلق بارضى او حال من فاعله وهو التباين لاعداء الله وموفاء
لاولياء الله من غير تعويل على حظ سوى رضى ربه ولهذا كان فعله صلى الله
عليه وسلم كله جميل لصدوره على امتن قوانين الاعتدال واحق موازين الكمال
ولا بدع فى ذكر انه هل اى ما ينضح اى يسيل مما فيه على ظاهره الا بما حواه
عا بد على مستقر الرتبه وهو الاناء اى لا ينضح الا بما فيه فمن امتلا اناء
قلبه خيرا كانت افعاله المسببة بما ينضحه الاناء كلها خيرا ومن امتلا اناء
قلبه شرا كانت افعاله كلها شرا وليس احد متحليا بمعالى هذه الصفات
الباهرة الا نبينا صلى الله عليه وسلم وهذا من التذييل ومنه قوله وهل
يجازى الا الكفور ويصح ان يكون من التتميم وفيه التلميح الى المثل السائر
وهو كل اناء بما فيه ينضح اطرب السامعين اى استفزهم وافرحهم
ونشطهم الى محبته واتباعه وامتثال جميع ما برز من حضرته ذكر
علاه لانهم يجدون لذكره روحة تفوق روحة الراح يا حرف استغاثة
لراح اى خمر مستغاث ولذا فتح لامه سميت بذلك لان شاربها
يستريح ويرتاح من هموم الدنيا ما دام سكرانا بها مالت اى سكرت
وتواجدت به اى الراح المستعار لذكر علاه فهو مذكر لفظا ومعنى
فاندفع ما قد يقال الراح الخمر وهى مؤنثة وتذكيرها شاذ الندماء
اى شاربو الخمر سموا بذلك لانهم يتنادمون اى يتخاطبون عليها
بالاشعار التى فيها مدحها وفى هذا استعارة تصريحية واستعارة
ترشيحية لانه شبه ذكر علاه فى اطرابه لسامعه بالراح فى اطرابها
لشاربها ثم قرن بذكر ما يلايم المستعار منه وهو ذكر الميل والندما واعلم
ان هذا الموصوف بهذه المعالى الذى اطرب السامعين ذكره علاه
هو النبى الامى نسبة الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرا الكتب كانه
على اصل ولادة امه او نسبة اذ الغالب فى النساء عدم الكتابة وقيل

نسبة لام القرى اى مكة وقيل غير ذلك ومع كونه لا يقرا ولا يكتب اطلعه
الله على علوم الاولين والاخرين وجعله القدوة العظمى لكل مخلوق فى كل
علم وحلم وحكمة وخلق حسن وساير اوصاف الكمال وبراه من الاحاطة
بجميع مصالح الدنيا والدين وقوانين سياسات العالم ومتفرقات الشرايع
وعوارف المعارف ما لم يحصل لشاوه مخلوق وهذا مقتبس من قوله تع
الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية
والانجيل الايات اعلم الخلق جميعا حتى من اى الانبيا والمرسلين الذين
اسند اى روى عنه الرواة والحكما اى العلما الذين يصنعون كل شى فهو
من عطف الاخص على الاعم ولما قدم كثيرا من اوصافه صلى الله عليه وسلم واحواله
وسيره ومغازيه انتقل بطريق لطيف الى ذكر دار مولده وبعثته ودار
مهاجره لانهما اشرفا به على ساير الامكنة والى ذكر زيارته وتاكدها والاشارة
الى انها من افضل القربات وانجح المساعى وقد الفت فيها كتابا حافلا لم اسبق
الى مثله مشتملا على جميع ما يتعلق بها وسميته الجوهر المنظم فى زيارة القبر
المكرم وفيه ابلغ الرد والتضليل لمن نازع فى ندبها بما يكون سببا
لسواد وجهه وسايه فى الدنيا والاخرة فقال كانيا عن منة الله تع
باشارته اليه انه هيا له اسباب تلك الزيارة من الزاد والراحلة الموصوفة
بالصفات الحسنة الاتية حتى كانها مخاطبة له نزر على ظهرى فانى
احملك ذهابا وايابا مع السلامة من التعب والراحة من السير المتعب
وعدتنى ذكر الموعود فى حيزها كما هنا يوجب اشتراكها بين الخير والشر
وانما يتعين التميز بالقراين وحذفه بعينها للخير ويعين للشر اوعد ازديارة
اى النبى صلى الله عليه وسلم افتعال من الزيارة وابدال الدال من التاء نحو
ذلك مطرد وهو منصوب بنزع الخافض اى بزيارته هذا العام وجنا
اى ناقة قوية من الوجن وهى الارض الصلبة ومنت لرعيها اى

انعمت بموعودها الوجناء المذكورة وهذا كما علم مما وطأت به اول الكتابة
منه عن نيته للزيارة فى تلك السنة واعداد ذلك المركوب لها فهو
اخبار عن لسان حال ذلك المركوب ومما تقرر من ان ال فى الوجنا
للعهد الذكرى اندفع قول الشارح بين جنا والوجنا جناس والعجب
منه انه صرح مع ذكره بان ال للعهد المستلزم لاتحاد اللفظين وان الاول
هو عين الثانى ا يليق بى ان اترك الزيارة او ابطا عنها فلا انطوى
اى اضم نفسى على تلك الوجنا التى منت على بما ذكر لها اى لاجلها ليسهل
سيرها بى فان حسن سير المركوب من حسن ركوب راكبه فى حصول
اقتضابه اى طلبى منها لذكر الموعود فالمصدر مضاف للفاعل وهو
الياء والها مفعوله فان اردت الاضافة اليهما ايضا كانت هذه الاضافة
غير صحيحة لانها اجتمع فيها اثنا تعريف وهو الاضافة الى كل من الضميرين
وقد قالوا لا يجوز اجتماع اثنى تعريف على معرف واحد قالوا وانما جاز فى اضافة
الصفة من اسم الفاعل او المفعول او الصفة المشبهة وامثلة المبالغة اقتران
المضاف دون ساير المضافات بال لان اضافة الصفة الى معمولها لا تفيد تعريفا
بل تخفيفا فليس هنا محذور اجتماع اداتى تعريف بخلاف بقية المضافات
انتهى ثم جرى لنا قول ان اضافة المصدر بال مرفوعه او منصوبه غير
مخصصه فعليه يجوز ما وقع فى النظم لانه لم يجتمع اداتا تعريف فتامله اما
اذا لم نرد الاضافة لها وانما اريد بها وها على نصبه ما فيه ارتكاب ضرورة
اتصال الضمير مع امكان انفصاله لتطوى بالبنا للفاعل او للمفعول والاول
اولى اذ لا يلزم عليه زيادة ما بخلاف الثانى ما المسافة البعيدة التى بينى
اى بينى وبين ذلك القبر المكرم على الحال به افضل الصلاة والسلام الافلاء
جمع فلاة كما فى القاموس وعبارته والفلاة القفر او المفازة لا ماء فيها
ثم قال والصحرا الواسعة جمعه فلا وفلوات وفلى جمع جمعه افلا انتهى

وبه يندفع ما للشارح هنا وجوز الشارح فيه كسر الهمزة مصدرا
اى السير الى فلاة بعد اخرى ولا يلزم على بنا به للفاعل وان الافلا
جمع اتحاد الفاعل والمفعول لانهما تختلفان بالاعتبار بل وبالحقيقة
اذ النظر فى تلك المسافة المطويه الى السير البعيد و فى الافلا الى الامكنة
المنفرة ولا شك ان السير غير محله فتامله وبين انطوى وتطوى جناس
الاشتقاق كهوا و شبهه بين مباركها والبركة وجاوزتها والحور او حنين وحنت
ونضت والانضا والخلاص والخلصا الابيات بوجنا الوف صيغه
مبالغة من الف كعلم متعلق بتطوى وكان القياس لها لكن اظهر لافادة
وصفها بهذا الوصف الممدوح البطحاء المحموده ذهنا وهى مكه
ونوابعها واصل الابطح والبطحا مسيل متسع فيه دقاق الحصى الحصباء
وهذا وما بعده لسان حاله ابرزه على لسان حالها مبالغة فى افادة
تلك الاوصاف ما لو كان لراحلته ادراك لكانت مثله فيما لما
تشاهده من حالة بجفلها اى بزعجها وتقلقها النيل اى ارض مصر
عن الاقامة بها مع انها وطنها ومرباها الشرة شوقها الى التملى بتلك
الانوار والتعفر بتراب تلك الاثار وبين الالف والاجفال جناس
الطباق ولطالما انه قد رشفت اى شرب رطوبة جوفها او النحل
جوفها الاظماء اى شدة العطش فى طريقها فهى راضيه بهذه
المشقة الموديه الى التلف فى جنب ما املته فى تلك الحضرة من
مزايا الانعام وخفايا التحف ولاجل ذلك انكرت مصر لانها
لا تومل فيها من تلك المواهب العليه معشارما املته فى تلك الحضرة
الاحديه والساحة المصطفويه فبسبب هذا الانكار
المسبب عن ذلك الامل هى تنفر بكسر الفاء وضمها اى تجد فى الهرب
من مصر الى تلك الحضرات العليه ما مصدرية ظرفيه لاح اى ظهر

مزارض

من ارض مصر بنا العيها او خلاء اى فضا ولا بنا فى هذا فقوله
بالوف البطحاء لانها نالفها لبقطعها حتى تصل الى مطلوبها فعند
توجهها اليه تجد فى السير وتنفر الى جهة مقصدها سواء لاح لها
فى غير تلك الحاله بنا او فضا وفسر الشارح الخلا بالحشيش الرطب
وبوجه بنظير ما ذكرته الفا تجد فى السير الى جهة مطلبها وان
ظهر لها فى غيرها قوتها الذى هو الحشيش الرطب وهذا فيه من زيادة
المبالغه ما لا يخفى عظيم وقعه لكن يبعده مقابلته بالبنا بخلاف ما
ذكرته وقوله اذ المراد به ما بين ابنية مصر وهو اقرب انتهى فى غاية
البعد كما لا يخفى فانقصت من النقصيص وهو الماء العذب او السايل
على مباركها بركتها هى اول محل يلى طريق الحجاز يجتمع الحجاج فيه للتاهب
لسفرهم ولذلك كان مجمعا عظيما يجلب اليه كل ما يحتاجه الحجاج
سميت بذلك لان ما النيل ياتى اليها فيمكث فيها زمانا طويلا وكانت
فضاء صوفا فعمر فيها القطب الربانى البرهان المتبولى رضى الله عنه
من نحو سبعين سنة جامعا وجعل فيه مجاورين يقرون القران فعادت
بركته عليهم حتى ذكر بعض صالحيهم ممن ادركناه يوم بالجامع الازهر
انه اشتهى زيارة امه بالعجم وهو ثم فاستاذن الشيخ فى السفر لذلك
فلم ياذن له فدخل الخلوة والناس يقرون القران على بابها فراى
نفسه ببلده عند امه فسلم عليها واقام عندها اربعة اشهر بعدها بالايام
والليالى ثم اشتاق للشيخ فراى نفسه فى خلوته فخرج فراى القرا قد
فرغوا فى تلك المده نحو ربع القران وهذا من بعض كرامات الاوليا ان
الله تعالى يطوى لهم الارض ويفسح لهم فى الزمن ووقع لهم من نظاير ذلك
ما لا يحصى وانكار انساع الزمن القليل دون طى الامكنة تحكم لان كليهما
من حيز الكرامه فاذا جاز احدهما جاز الاخر فتامله ثم بنى الشيخ للناس

حول ذلك الجامع ابنية وبساتين لازالت تنمو ببركته حتى صارت
الان قرية كبيرة اى فاضت البركة على مبارك تلك الناقة من الماء
العذب ما ارواها وراكبها ومن معه في بعد البركة منازل للحجاج في
هذه الطريق اكثرها مشهور الغالب للحجاج فلا حاجة بنا الى مزيد بيانها
هي الموت وانما حملت النظم على هذا الايهام ان افضت عام في
الكل وهو غير مراد ان الاد به ما ذكرناه فان اراد به انه من الفضا اى
فاتسعت على مبارك الناقة بركتها المزيد سعتها صح عطف ما بعده عليه
من غير حاجة الى التاويل الذى ذكرته وعجيب من الشارح حيث حمله
على المعنى الاول ولم ينبه على عطف ما بعده عليه الذى لا يصح الا بما
ما ذكرته لان تلك المنازل اكثرها قفر معطش لا ماء فيه اصلا فالحمراء
وهي قريبة من المحل المسمى الان بجرود وفيه بئر ماء مر مسهل وبها بنيت
بركة تملا من بيت المال بعد احتياج الحجاج اليها وكان ذلك من اصله حدث
بعد الناظم وانما قلت من اصله لان بركته معلومة الحدوث في اوايل هذا
القرن فالقباب التي تليها اى المنازل السابقة اى الوادى المسمى
بوادى القباب اى رمل الرمل المتينة لارتفاعها وبياضها بالقباب البيض
الحسية فبير النخل بركة تملا من بيت المال ايضا وماؤها احسن من الذى
قبله بكثير ولذا قال والركب قايلون عندها اى مستريحون وقت القيلولة
رواء من الماء بكسر او لجمع ريان او ريا وعرت ايلة اى عقبتها وحقل
محل بعدها قريب منها تسميه العامة مرور حقل وقد ليس هذا الاسم
مشهورا عند الناس اليوم خلفها اى الناقة لكونها جاوزتها فالمغارة
المنسوبة الى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم الفيحاء اى الواسعة فعيون
الاقصاب سميت بذلك لكثرة ما فيها من القصب الفارسي تتبعها
النبكر هذا ايضا البين مشهور وفي القاموس النبك بالنون فالموحدة

بلدة

١٦٥

بلدة بين حمص ودمشق وتتلوا النبك كفافه وبها قبر ولي يسمى
مرزوقا مشهور البركة وله ذرية كثيرون مشهورون بالصلاح وللحجاج
فيه اعتقاد وتعظيم خارج عن الحد العوجاء اى المنحرفة عن جادة الطريق
وجعل الشارح كفافه مفعول تتلوا والعوجاء فاعله فعليه هما محلان متغا يران
وفيه نظر لانه ليس ثم محل يعرف بالعوجا اصلا فالموافق للخارج ما ذكرته
جاوزتها اى حادثة الناقة الحوراء فيما هي بصدده شوقا منها لما
الناقة مشتاقة له وسايرة اليه واثبات الشوق للجمادات غير منكر
لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا مانع لحمله
على التسبيح بلسان الحال اذ لو كان مرادا لم يقل ولكن لخ احد جبل
يحبنا ونحبه فينبوع جاوزتها شوقا ايضا وهي بلدة معروفة من جملة
الحجاز الذى هو مكة والمدينة واليمامة وقراها فقد ذكروا ان ينبوع هذه
من جملة قرى المدينة في سبب مجاوزتها لهما ارق الينبوع والحوراء
المذكوران لسماعهما ما يتعلق بالزيارة ومشاهدتهما للترابين لاح اى
ظهر بالرهوتين اى فيهما تثنية رهنا اما لكونه غلب اسمها وهي الرهنا
محل قبيل بدر على مجاورها او ان ثم محلين كل يسمى بالرهنا بدر وهو الان
قرية عامرة عين كبيرة ونخيل ومحل الوقعة المشهورة به التي اعز الله
بها الاسلام مشهور بها ويتبرك بمن دفن به من الشهدا وغيرهم وفي
بدر تورية مرشحة بلاح المناسب للمعنى الغير المراد وبقربه اية باقية من
ايامه صلى الله عليه وسلم ومى يسماع صوت هايل كصوت طبل الحرب في الجو
اشتهر على الالسنة ان هذا لاجل نصرته صلى الله عليه وسلم والفرح بها
وقد انكره قوم فقالوا لا حقيقة له وانما هي اصوات الريح يسمع في ذلك
الوادى عند قوة هبوبها لان في اوله جبلين عظيمين من الرمل فاذا مشى

مطلب [illegible]

الانسان بينهما وقوى عصف الريح سمع ذلك الصوت وقال اخرون
من ايمة المتاخرين بل له حقيقة لانا ذهبنا الى ذلك المحل واقمنا به
حتى سمعناه والجو ساكن لا ريح البتة وتكرر سماعنا له المرة بعد المرة
انتهى واقول وقع لى ايضا سماعه مرات متعدده فى سفرات متعدد ة
حيث لا ريح ولا حركة دواب ولا مشاة ولقد كنت فى بعضها مرافقا لجمع
جم من وجوه مكه ورؤسايها وعلمايها من المالكيه والحنفيه فجرى الكلام
بينهم فى ذلك فمنهم من انكره ومنهم من اثبته ثم وقع الاتفاق على الذهاب
لذلك المحل والرقى الى اعلا احد الجبلين ليحاط بسبب ذلك الصوت
فذهبنا واقمنا عليه نحو ربع النهار ونحن لا نسمع شيا وقد هدا الريح ولا
ثم غيرنا ولبس لاحد منا حركة ففى اخر الامر سمعنا ذلك الصوت الهايل مرة
واحدة فقط فانصرفنا ومن المنكرين من رجع ومنهم من اصر على انكاره
وقد جانا فقيه ساكن يؤذن ويؤم بمسجد بالبلد يشيل يحلف انهم ليلة
الاثنين والجمعه يسمعون ذلك من اول الليل الى اخره وفى غيرهما لا يسمعونه
الا احيانا فالله اعلم بحقيقة ذلك **لها** اى للناقة **بعد** وفى نسخة قبل ما
لاح لها ارض **حنين** يقال انه جبل صغير قريب بدر والظاهر ان الناظم
اعتمد فى هذا على ما هو المشهور فى السنة العامه اذ لم يذكر القاموس
غير حنين المذكور فى الايه الذى هو عين بين مكة والطايف وظاهر قول
الشارح ان النسخة قبل اوضح لان حنينا بعد بدر لما ذكره الناظم
ستنر لكن لا يكفى هذا مع كون القاموس الجامع المستوعب لم يذكره
الا ان امر **وحنت** لتلك الناقة وما جيها **الصفراء** قرية معروفة منحرفة
عن طريق اهل مصر لا يرون عليها الا عند ذهابهم للزيارة **ونضت**
اى خلعت **بزوة** اى خبتها المشهور واسناد ذلك اليه والى ما بعده مجازى
فرابغ فالجحفه محل بعيد رابغ كان بلدة مشهورة لليهود فدعا النبى

صلى

صلى الله عليه وسلم ربه ان ينقل حمى المدينة اليها فكان لا يمر بها احد
حتى الطاير الا حم وهى ميقات الحجاج المتوجهين من هذه الطريق
كما صح به الخبر **عنها** اى عن تلك الناقة لانها استبشرت بقطعها
لتلك الاماكن **ما** اى ثوب النقب الذى **حاكه** اى نسجه **الانضاء**
اى الهزال شبه الهزال بحايك الثوب والثوب باثر الهزال من حيث
ان الهزال يوجب للبدن من النقب ما يغمه ويستر قوته كما يستر الثوب
البدن ثم خيل له باثبات ما هو من لوازم المشبه به وهو الحياكة ورشح
له بذكر الخلع فهى استعارة بالكناية تتبعها استعارة تخييليه وترشيحيه
وارتها اى ابصرتها تلك الناقة **الخلاص** من النقب **بير** فاعل **علق**
وهو اخر الجبت الذى بعد رابغ الى مكة **فعقاب السويق** بعدها بقليل
فالخلصاء اى المحل المشهور الان بخليص فيه عين واسعه وبركة كبيره
فمن اى تلك الناقة **من ماء بير عسفان** المشهورة **او من ماء عيون بطن**
مرظانه اى عطشانة **خمصاء** اى جوعانة لان العادة ان الحجيج اذا وصلوا
لنحو عسفان اشتد شوقهم فاشتغلوا عن سقى دوابهم واطعامها الى ان
يدخلوا مكة **قرب الزاهر** المشهور قبيل ذى طوى **المساجد** المعروفة بمساجد
عايشة بالتنعيم **منها** اى الناقة اى ان وصولها للمساجد جعل الزاهر قريبا
منها لان المسافة بينهما نحو ميلين **تخطاها** بسبب شدة جريها لما
احست بالوصول **فالبطو** الحاصل **منها راح** بمهمله قبلها او مفتوح
اى سرعه وكان مراده انها لما احست بالوصول انقلب بطوها سرعة
بمعنى ان بطاها زال وخلفته سرعه شديده **هذه المذكورات عدة**
غالب **المنازل** بين مصر ومكة التى عليها المعول لان بها تعلم طريق
الوصول الى تلك المعاهد ويتضح سلوك الوافد ويتنشط بسببها
القاصد **لا ما** اى منازل القمر الثمانيه والعشرين التى **عد فيه**

ذكره نظرا للفظها **السماك** الاعزل الذي هو من منازل القمر ولهم سماك اخر يسمى سماك الرامح لكنه ليس من المنازل **والعواء** منزلة من منازل القمر وهي خمسة انجم فلا يعتد بهذه كالاعتداد بتلك **فكاني بها** اي على تلك الناقة **ارحل من مكة** الى عرفة لان الحج عرفة كما صح به الخبر ولانها باب الملك الذي يقف به السايلون وبفنايه المحتاجون ثم الى مزدلفة للمبيت بها لانه نسك واجب او مندوب او ركن كالوقوف اقوال اصحها عندنا الاول ولان فيها مقام الجمع الاكثر ومن ثم سميت جمعا وفي حديث في سنده ضعف انه صلى الله عليه وسلم دعا ربه بعرفة ان يكفر عن امته بالحج حتى التبعات فلم يستجب له فدعا بذلك في مزدلفة فاستجاب له ثم الى منى للرمي بها والمبيت بها ثم الى بقية المشاعر التي حول مكة **شمسا** اي حال تلك الناقة كالشمس في ارتفاعها الرفعة ما التي قاصدته وقوة سيرها لما عندها من عظم الشوق فتشبيهها بالشمس استعارة بالكناية واثبات الشمس لها تخييل وذكر الرجل والبيد تجريد لملايمتهما المشبه الذي هو الناقة **سماؤها** اي تلك الناقة المشبهة بالشمس كما تقرر **البيداء** اي المفازة الواسعة تشبيه بليغ شبه الناقة بالشمس لما مر وشبه البيداء التي هي محل سيرها بالسماء التي هي محل سير الشمس بجامع السعة ولما ذكر مكة استطرد لذكر ما شرفها الله به على ساير البلاد فقال **موضع البيت** اي الكعبة بالجر بدل من مكة بدل بعض من كل وبالرفع خبر هي محذوفا وعليه فمعنى كونها موضعا انه في بعضها وفيه اقتباس من قوله تعالى ان اول بيت الاية **مهبط الوحي** نعت او بدل او معطوف بحذف العاطف على ما فيه من الضعف والشذوذ وكذا يقال فيما بعده اي محل نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة والوحي لغة الاشارة وكل كلام خفي وشرعا ما جاء به النبي المبعوث عن ربه على لسان الملك

او بالالهام

او بالالهام او في النوم او القاء في الروع **مأوى** من اوى فلان الى منزله **الرسل** الكرام بل وساير الانبيا ومر تعريف النبي والرسول اول الكتاب لانه ما من نبي الا حج البيت كما في حديث واستثنا صالح وهود لاشتغالهما بامر قومهما لم يصح **حيث** ظرف مكان فهو كالذي بعده بدل مما قبله **الانوار** الالهية منيرة ثم وقد رث هذا الا ان الاصح منع اضافة حيث الى المفرد اي نزلها دايما على قلوب الطايفين والعاكفين والركع السجود **وحيث البهاء** اي الحسن المعنوي المكني به عن حصول ملايم النفس من الحكم والمعارف الفايضة على اهل هذه الحضرة الالهية والمعاهد الربانية حقق الله لنا ذلك فيهما بمنه وكرمه امين وراعا النظير بذكر الوحي والرسل والانوار والبها وكذا الطواف وما بعده فيما يأتي **حيث فرض الطواف** في حج او عمرة واما خارجهما فهو حيث لم ينذر سنة موكدة وورد فيه فضايل جمة تحمل من احاط بها على مزيد الاكثار منه بل قال بعض ايمتنا انه للغريب افضل من الصلاة لانه عبادة خاصة بهذا المحل لا توجد في غيره واختلفوا في ايما افضل اركان الحج هو او الوقوف بعرفة فقال جمع هو لانه ملحق بالصلاة فيشترط فيه شروطها بخلاف الوقوف لانه امر عادي لا يشترط فيه شي ولذا لم يقبل الصرف وقال اخرون بل الوقوف للحديث الصحيح الحج عرفة اي معظمه ذلك لان من ادركها ادركه بخلاف الطواف ولانه المتكفل بمغفرة الذنوب وقضاء المآرب كما في الاحاديث الصحيحة ولانه يشترط وقوعه حال الاحرام المشعر بغاية الذل والافتقار بخلاف بقية الاركان وهذا اصح كما حررناه في كتبنا الفقهية **و**حيث **السعي** اي فرضه في احدهما ايضا بناء على انه ركن لا واجب كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه **وحيث الحلق** او التقصير في احدهما ايضا اي فرضه بناء على الاصح عندنا انه ركن **و**حيث **رمي الجمار** اي ايجابه لا على جهة الركنية **و**حيث

الاهداء اى سوق الهدى الى مكة ثم ذبحه وتفرقته على ثلاثة من
مساكينها المقيمين والغربا والاولون اولى الا ان يكون الغربا احوج
والمراد بمكة كل الحرم وهذا محله ان نزرد ذلك لان المعروف من مذهبنا
الذى هو مذهب الناظم ان اصل الاهدا سنة ولو لغير الحاج ومن ثم
كان صلى الله عليه وسلم يرسله اليها من المدينة وهو مقيم بها لا واجب
وهذه السنة كانت فى زمن السلف من مشاهير السنن ثم تناساها
الناس واعرضوا عنها بالكلية ويصح ان يريد بالاهدا كل دم وجب فى
النسك او توابعه اثم بسببه كالحلق تعديا ام لا كالتمتع وموضع تفاصيل
ذلك كله كتب الفقه والمناسك وذكره الفرض فى الطواف فقط موهم
انه فرض دايما فلا يتنفل به وان ما بعده ليس بفرض مع ان منه ما هو ركن
ولا يتصور ندبه ولا وجوبه فى النسك وهو السعى والحلق وما هو واجب
لا ركن وهو الرمى وما هو واجب تارة وهو ما حصل لنزفه او جنابة
ومندوب اخرى وهو ما فعل تطوعا من غير سبب وكان الناظم وكل
امره الى التفصيل للشهرة وانه ليس بصدد بيان ذلك **حبذا حبذا** تاكيد
لفظى وهو شايع هنا ومراد الكاتب الكلام على حبذا ايما ينبغى مراجعته
معاهد جمع معهد وهو فى الاصل المنزل الذى يعود اليه مفارقوه
دايما وهذه المواضع كذلك لان من فارقها فهو عايد اليها بالفعل تارة
والعزم اخرى **منها** اى مكة امتازت على بقيتها كالكعبة ومسجدها
ودار خديجة والصفا والمروة ومحل ولادته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك
من المواضع الماثورة لها وبالحرم كمنى ومزدلفة بل وخارجه كعرفة
لم تغير ايا تهن اى علاماتهن الدالة على شرفهن من تعظيم الامة لهن
وازدحامهم على التبرك بزيارتهن والقيام بحقوقهن **البلا** بفتح البا
اى طول المدة الذى من شانه ان يغير الاشيا عماهى وذلك لان الله تعالى

صانها

صانها من التغيير لحرمتها الدينية وفضلها عنده وليستمر لهذه الامة التمتع بها
الى اخر الدهر **حرمت** بحرمة الله من يوم خلق السموات والارض كما فى
الحديث الصحيح وحديث ان ابرهيم حرم مكة المراد به انه اظهر حرمتها
التى كانت خفيت عن الناس فلا تعارض بين الحديثين وهذا بدل من موضع
البيت بدل كل من بعض على حد جنات عدن فى مريم بناء على اثبات ذلك
البدل كما هو راى قوم قالوا به ولم ينظروا الانكار الجمهور له ولا لمن منع
الاستدلال بالاية نظرا الى ان ال فى الجنة للجنس فيصدق بالجمع ايضا
فلا بعض محقق يبدل منه الكل وللعهد الخارجى لانه لا خارج حتى يكون
معهودا والذهنى لان مدخول اللام حينيذ بمنزلة النكرة وهى موضوعة
لفرد وكان وجه عدم نظر مثبت ذلك البدل لما ذكره من وجوه المنع
انه نظر الى ان جنة عدن علم على الجنان الثانية الموجودة الآن والجنة
حيث اطلقت انما ينبادر واحدة من تلك الثمانية فصح ادعا انه بدل
بعض من كل بهذا الاعتبار واما نحو بزانه بدل كل من كل نظرا الى ان
جنات علم كما تقرر وموضوعه شخصى فيكون ابدال العلم من نكرة وذلك
اقرب الى كونه بدل كل من كل فقد يجاب عنه بان هذا المدلول الشخصى
اكثر فى الخارج من مدلول النكرة الذى هو الفرد المنتشر وذلك اقرب
الى كونه بدل كل من بعض منه الى كونه بدل كل من كل وهذا الذى قررته
مما يكفى مثله فى اثبات ذلك الراى المخالف لراى الجمهور فيندفع ما اطال به
السيد من التشنيع على من اثبته كيف وقايله لا يبعد توجيه كلامه
بنحو ما ذكرته وكل ما قرب ماخذه بل او احتمل لا تشنيع على قايله ويجوز
فيه العطف نظير ما مر وانه خبر مبتدا محذوف وحدوده معروفة فى
كتب الايمة وعند اهل تلك الاماكن من اكثر نواحيه **آمن** اى امن من
فيه من شن الغارات واستباحة الحرمات بل كان الانسان يرى

قاتل ابيه فيه فلا يتعرض له ولما دخله الطغاة لم ترتع فيه دابة على دابة
وكان رجل من قوم ابرهة فيه فلم يصبه من رمي الابابيل شيء حتى خرج
منه هذا في الجاهلية واما بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فالمراد من صيوده
وشجره ونباته وكنز لقطته وترابه عن ان يتعرض احد اليها بقتل او قلع
او قطع او تملك او نقل الا ما استثني وهذا مقتبس من قوله تعالى حرما
امنا وفيه كبيت حرام الاتي نوع تمليح **وبيت حرام** اي ذو حرمة
باهرة وعزة قاهرة وهذا اقتباس من قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت
الحرام قياما للناس **ومقام** بفتح الميم هو مقتبس من قوله تع فيه ايات بينات
مقام ابرهيم وهو الحجر الذي نزل لابرهيم صلى الله على نبينا محمد وعليه وعلى
وعلى ساير الانبيا والمرسلين وسلم من الجنة كما صرح به الحديث ليقوم
عليه عند بنايه الكعبة اذا طال البنا فكان يعلو به الى ان يضع الحجر
في محله ثم يقصر به الى ان يتناول من اسمعيل عليه السلام وفيه اثر قدميه
الكريمين وهو الذي نادى عليه لما فرغ من بنا الكعبة ايها الناس ان الله بنى
لكم بيتا فحجوا فسمعته النطف في الاصلاب والاجنة في الارحام فاجابوه
بلبيك وفي رواية انه نادى بذلك على الحجون ولا تنافي لاحتمال انه نادى مرتين
قال الايمة وبقاوه من غير ان يتعرض له احد في الجاهلية مع كثرة السيول
التي كانت تدخل الحرم وتزحزح ما هو اكبر منه باضعاف مضاعفة من ايات
الله الباهرة واختلفوا في موضعه الموجود فيه اليوم هل هو الذي كان في
النبي صلى الله عليه وسلم اولا وانما كان عند باب الكعبة فرده عمر رضي الله عنه
الى موضعه اليوم اجتهادا منه قولان اصحهما الاول ومن الغرايب ما قيل المراد
الحجر الذي وضع الخليل عليه رجليه لما جاء بعد موت هاجر ليزور اسمعيل
فراه غايبا فسال زوجته فشكت فقال مري زوجك يغير عتبة بابه
فجاء فاخبرته فطلقها ثم جاء وقد تزوج اخرى فوجده غايبا فسالها عن

حالهم

حالهم فاثنت ثم امرته بالنزول لتطعمه فابى فوضعت له حجرا ليغتسل
عليه فوضع قدمه عليه وامالت له راسه فغاصت قدمه ثم حولته
فغاصت الاخرى فيه ثم قال لها مري زوجك فليلزم عتبة بابه
فيه اي البيت او الحرم ولا يصح عوده للمقام نظير ومن دخله كان
امنا **المقام** بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اي الاقامة **ثلاء** بفتح
الفوقية اي جوار المحل تنزل الرحمات واقالة وكانه اخذ هذا من
ان اهل مكة يسمون جيران الله اي بيته وحرمه والعجب من الشارح
حيث لم يبين معنى هذه القطيعة مع خفايها واشتراكها بين معان
كما في القاموس لا يناسب منها هنا الا هذا وبين حرم وحرام جناس
الاشتقاق كهو او شبهه بين مقام والمقام وما ياتي من قضينا والقضا
وربها ورحي ويبشر وبشر وشمت وسمت وقباب وقبا ورحضنا
والرحضا وحططنا ونحط وقرانا والاقرا وسمحنا ونسمح وذهلنا
واذهل **فقضينا** اي ادينا اذ القضا يطلق على الادا لغة كما في قضيت
الدين **بها** اي بمكة وما ينسب اليها كعرفة ومزدلفة ومنى **مناسكا** جمع
منسك من النسك وهو العبادة اي اركان الحج والعمرة وواجباتها وسننها
لا نجمد الا في فعلهن القضاء اي لا يحمد الادا احد المخصوص في فعل
عبادة الا في فعلهن كيف وقد تميزت بين الحج المتكفل بالجنة من غير عمل
اخر وخروج فاعله من الذنوب كيوم ولدته امه ويكون اشعث اغبر وتعبه
من مالوفاته الحسية والمعنوية وبفراقه لاهله ووطنه وبتكفير تبعاته
على ما فيه من الخلاف وبكونه لا يضع قدما او يرفعها الا كتب له من الثواب
ما لا يحيط به الا المتفضل به وبقول مخصوص يندفع ما يورد على النظم
ان غير الحج الافضل منه والمساوي له والمفضول عنه يحمد فاعله ايضا
تنبيه ما قررت به قوله فقضينا والقضا يندفع ما للشارح هنا

ومن جملته قوله لا يبتسر القضا اخر المبيت بالفعل ويتعين انه الفراغ او
ضد الاد ا فيفسر القضا بما ليس معناه لغة ولا شرعا وبما لا يتصور في الحج
وهو قوله اوضد الادا على ان استعمال القضا بمعنى الادا اشهر من الشمس لغة
وشرعا وقد حقق بعض المتاخرين ان القضا لا يتصور في الحج لانه ما فعل
خارج وقته والحج وقته العمر تضيقه بخوف نحو غضب او مال او فوت لا يقتضي
بمقتضى انه لو بان الامر على خلاف ظنه يكون قضا فيما بعد ذكر الوقت الاعلى
الوجه الضعيف في نظيره في صلاة تضيق عليه فعلها في الوقت ثم بان خلاف
ما ظنه انها تصير قضا وان فعلت في الوقت وليس كذلك بل المعتمد خلافا
لكثيرين انها ادا كما اتفق عليه الاصوليون ان القضا ما يفعل خارج الوقت
المقدر له شرعا تنبيه لا يتوهم ان ما وقع في النظم من تقديم
المستثنى المختلف فيه لان محله ما قاله الجمهور من منع تقديمه انما هو اذا
كان اول الكلام نحو الا زيدا قايما القوم وجوزه الكوفيون فان تقدم
على المستثنى منه وعامله فقط ففيه مذاهب والذي عليه الاخفش وصححه
ابو حيان جوازه اذا كان العامل متصرفا فقط نحو الا كل شيء ما
خلا الله باطل فالاستثنا من ضمير باطل العامل في ذلك الضمير
وما هنا لا تقدم فيه على مستثنى منه لانه مفرد كما قررته ولا على عامله
وانما هو على حد اذا لم يكن الا النبيون شافع وحكى سيبويه ما لي الا
ابوك احد قال فيجعلون احد ابدلا وابوك بدل منه قال ابن
عصفور ولا يقاس على هذه اللغة وقد قاسه الكوفيون والبغداديون
وابن مالك وعليه فلا اعتراض على المتن ورمينا بها اي الناقة
الفجاج جمع فج وهو الطريق اي القيناها فيها للتسيير الى طيبة
اي المدينة على مشرفها افضل الصلاة والسلام سميت بذلك لان الله
تعالى طيبها لرسوله فجعلها دار هجرته ومحل نصرته وموضع تربته ولها

اسما

اسما كثيرة جدا والسير بالمطايا جمع مطية وهي الدابة تمطو اي تجد
في سيرها رماء مصدر راميته اي يشبه سير السهم اذا رمي فبسبب
ان سيرها شبه سير السهم اشبهت القوس وجنبتها اصبنا عن
قوسها غرض التقرب اي المدينة المشبه بالغرض في كونه المقصود
بالرمي او السير فتشبيه الناقة بالسهم استعارة بالكناية واثبات الرمي
استعارة تخييلية وذكر الغرض والقوس ترشيح يصح كونها شبهت بالقوس
لها تخييل وذكر السهم والاصابة والغرض ترشيح ونعم الحبيبة اي الخبيرة
الناقة الكوماء هي المخصوص بالمدح وهو خبر مبتدا محذوف او عكسه
فقول الشارح انه صفة الحبيبة ليس في محله وهي اعني الكوما العظيمة
السنام فرايبنا اي ابصرنا المدينة وما حوليها التي شرفها الله تعالى بان
جعلها ارض الحبيب اي حبيب رب العالمين تمييزا صلى الله عليه وسلم بمقام
المحبة الذي هو اجل واعلا من مقام الخلة لان المحبة الكاملة تستدعي
الخلة وزيادة اي ارض المدينة وما حولها بغض اي نخفض الطرف
مفعول له مهما اي من اجل الجلالة التي حفتها الضياء المشرق عليها
حسا ومعنى واللالاء اي البرق اللامع على صفحاتها المشار به الى مواهب
الحق المفاضة على الزايرين وفي الضيا واللالا مراعاة النظير فكان
بالتشديد وقد تخفف كان لم يدعنا الى حضرته للتشبيه المؤكد لان
الاكثر انه مركب من كاف التشبيه وان المؤكدة بالاصل في نحو كان
زيدا اسد انه كاسد قدم حرف التشبيه اهتماما به ففتحت ان لدخوله
الجار عليه قال بعضهم وانما تستعمل حيث يقوى الشبه حتى يكاد الرائي
يشك في ان المشبه هو المشبه به او غيره ولذلك قالت بلقيس كانه هو وقيل
وترد للظن والشك فيما اذا كان خبرها غير جامد البيدا من تلك الارض
وهي اسم لمحل قريب من ذي الحليفة المشهورة اليوم بابيار علي من للتعليل

اوابتدا الغاية فكل منهما خبر فالاحسن انها زايدة على مذهب الاخفش
وجماعة **حيثما** مازايده **قابلت العين** الناظره اليها **روضة غناء**
اى كثيرة العشب والنبات والازهار والثمار **وكان البقاع** اى الاماكن
اللاتى حول المدينه المنوره لكثرة مايغشاها من الانوار والاضوا المنزله
على ضريحه المكرم صلى الله عليه وسلم **مدت عليها** اى البقاع **طرفيها** عايد
لقوله **ملاة** بضم اوله وهى ثوب عريض وثوبان ملفوفان كذا قيل وعبارة
شرحى لشمايل الترمذى الملاة بالضم والمد وهى كما فى القاموس كل ثوب لم
يضم بعضه الى بعض بخيط بل كله نسج واحد وفى النهايه هى الازار وفى الصحاح
هى الملحفه ولا تنافى لصدقها على التعريف الاول بكل من هذين انتهت
وبه يعلم ان الثوبين الملفوفين ملاتان لا ملاة واحده **حمراء** شبه تلك
الانوار والاضوا التى غشيت تلك البقاع وعمتها من ساير جوانبها بجبة
حمراء شدت على ما فيها ازرارها فعمها من ساير جوانبها **وكان الارجا**
اى نواحى المدينه الغرا **بنشر** اى بذيع **نشر** اى ريح **المسك فيها** اى تلك
الارجا **الجنوب** وهى الريح التى تقابل الشمال **والجربياء** بكسر الجيم ككيمياء
وهى كما فى القاموس الشمال او بردها او الريح بين الجنوب والصبا وهى التى
تثير السحاب وهى المراده هنا **فاذا شمت** بكسر الشين المعجمه اى نظرت
الى سحايب البرق اى تنظر فى تلك البقاع **او شممت** فى القاموس شممته
بالكسر اشمه بالفتح وشممته اشمه بالضم **رباها** جمع ربوه بتثليث الراء
وهى ما ارتفع من الارض **لاح** اى ظهر وهو راجع لشمت **منها** اى تلك
البقاع **برق** راجع للاول **وفاح** راجع لشممت ففيه لف ونشر مرتب
كباء بوزن كساء عود البخور او ضرب منه اى ريحه من كبى بالتشديد
توبها اى بخره وبين لاح وفاح جناس مضارع **اى نور** اى نور باهر
واى نور بفتح اوله اى زهر نضير وبينهما الجناس المحرف ومنه جربنا الملم

كما حسنت

171

كما حسنت خلق فحسن خلق **شهدناها** اى رايناها بابصارنا وبصايرنا
يوم ظرف لشهدناها **ابدت لنا القباب** التى هناك **قباء** محل مشهور
محل مشهور بينه وبين المدينه ثلاثة اميال **فرمينا دمعا** اى كثيرا وانهمل
من اجل ماشهدناه حسرة على ما مضى لى من فراقها او فرحا بوصولى اليها
او خوفا من التقصير بعدم رعاية الادب فى تلك الحضرة الجليله **وفر**
اى ذهب **اصطبارى** لاسيما بعد ان وصلت الى هذه الربا وانخت
رحلى بقبا وبين قبا وقبا الجناس المصحف **فدموعى سيل عظيم وصبرى**
جفاء بضم الجيم اى زبد كما ان السيل يذهب بذلك الزبد فى اسرع وقت
فكذلك دموعى تذهب بصبرى فلا يبقى عندى منه شى وهذا من جناس
التذييل كقوله الاتى وكم ازهل صباح الخ وفيه لف ونشر مرتب **فبسبب**
ماذكر ان ماشوهد يوجب كثرة الدمع وفنا الصبر **ترى** بها **الخاطب**
الركب طايرين اى جادين فى السير جاهدين لو امكنهم ليستريحوا
منها اقصى ما يمكنهم من الاسراع **من اجل الشرف الى طيبة** فكيف
بشرفها عليه الصلاة والسلام **لهم ضوضاء** اى اصوات عاليه
بالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وعبارة القاموس الضوضا
مقصورة الجلبة واصوات الناس لغة فى المهموزة انتهت وبها يعلم
رد ما قاله الشارح **فكان** عطف على فترى **الزوار ما مست الباساء**
اى شدة السفر ومشقته **منهم خلقا ولا الضراء** تاكيد لما قبله وكيف
يمسهم شى من ذلك **وكل نفس منهم** يتكرر **منها ابتهال** اى تضرع
الى الله تعالى ان يقبل عثارها ويقيل اثارها **وسول** اى توسل الى الله
باحب خلقه اليه **ودعا** اطناب **ورغبة** فيما عند الله من جزيل الثواب
وابتغاء اى طلب لما عند الله تعالى **وزفير** اى تواتر النفس وصعوده
لشدة ما يعترى القلب من خشية المواخذه بما فرط منه وتقصير

الشارح له تارة باعتراف النفس للمشلة وتارة بكسه فيه قصور
عن ذكر نصاعده الذى لابد منه فى حده تظن ايها المخاطب منه
اى من اجل كثرة ذكر الزفير وشدة بحيث يسمع له صوت فى الصدر
ومن ثم جاء ان صدره صلى الله عليه وسلم لشدة ما عنده من الخوف كان
يسمع له ازيز كازيز المرجل صدورا مفعوله الاول طيورا صادحات
اى مصوتات يعتادهن زقاء بالزاى والقاف اى صوت عال
والحاصل ان ذكر الزفير من شدته ظهر له فى صدورهم صوت اشبه صوت
الطيور الصادحات التى يعتادهن التصويت بشدة وعلو صوت
وبكاء يعتريه بالعين اى يحمله على ملازمته لها مد اى سيل من الدموع
نشا عن حرقة القلب لفراق المحبوب وخشية قطيعته او عن فرحة
بلقاء الحبيب والمثول فى حضرته رحيب وهو رفع الصوت بالبكاء
بحفه اى يحضه ويزيد فيه استعلاء اى علو الصوت بشدة وتتابعه
بالبكاء وجسوم كانما رحضتها اى غسلتها ولذا سمى المغتسل مرحاضا
من عظيم المهابة اى الجلالة التى استولت على قلوبهم لما اناخوا رحالهم
بتلك الحضرة الجليلة الرحضاء اى العرق الكثير من اثر الحمى اى جسوم
قام بها من عظيم المهابة ما ازعجها ازعاجا تولد عنه كثرة عرقها حتى
كانه غسلها ووجوه تتلون بالالوان المختلفة لشدة ما عندهم من
القلق والخوف والحياء منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه بوصف
التقصير وعدم كمال الاتباع له حتى كانما البستها من اجل حياء بالمد
ومر تفسيره وانه غريزى باعتبار اصله ومكتسب باعتبار كماله الوان الحرباء
دويبة مشهورة ذات الوان متعدده تستقبل الشمس براسها ودموع
من شدة البكاء والحزن على عدم القيام بواجب تلك الحضرة وشرفها
عليه الصلاة والسلام كانما ارسلتها من جفون سحابه وطفاء اى

مستزخبه

مستزخبه الجوانب لكثرة ما بها شبه ما عنده من الحزن الباعث لهم
على غزارة الدمع وكثرة تتابعه بسحابة مملوة ماء ثم جرد بتلك الجفون
ورشح بذكر الوطف وخيل باثبات السحاب للمشبه ففيه اربع استعارات
وفى قوله كل نفس الى هنا من مراعات النظير والانسجام البديع الذى هو
سهولة الالفاظ وعذوبتها بحيث شابهت الماء العذب الذى من شانه
الانسجام والسيلان والرقة والحلاوة ما لا يخفى على ذى ذوق عظيم
بلاغته وصرله كثير من هذا النوع وبعد ان وصلنا الى ذكر القبر المكرم
على ما بنا مما مر شرحه بقوله كل نفس الى هنا حططنا الرحال بفناء كرمه
صلى الله عليه وسلم نستمطر سحايب القبول والانعام ونستقيل عثرات
التقصير والاثام ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر
لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما حيث اى فى مكان يحط الوزر اى
الاثم والثقل عنا فيه بشفاعة مشرفه عليه افضل الصلاة والسلام
وترفع عنا بالحط واسعافه وامداده الحوجاء اى الحاجة بغنا النفوس
وطلوع البدور وشروق الشموس حتى نصل الى العيان ونستغنى عن
الاستدلال والبرهان وبين الحط والرفع الطباق وقرانا السلام اكرم
اى على اكرم خلق الله وافضلهم كما مرت ادلته مستوفاة اول هذا الشرح
واقتدى الناظم فى هذا بالسلف فانه جاء السلام عليه صلى الله عليه وسلم
عند قبره عن ابن عمر وغيره من السلف بل قال المجد اللغوى السلام عليه
صلى الله عليه وسلم عند قبره افضل من الصلاة عليه عنده اى للاخبار الكثيرة
فيه كخبر ما من احد يسلم على عند قبرى الا رد الله على روحى حتى ارد عليه
السلام ويعارضه الحديث الصحيح انه يصلى هو وملايكته على المصلى
فى الصلاة الواحدة عشرا وفى رواية مائة وصلاة الله افضل من رده صلى
الله عليه وسلم وان كان رده دعا لا يرد على انه صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه

لعله
م استخدام

كالسلام فالاولى ان توجه افضلية السلام بانه شعار اللقا والتحية
فحينئذ تختص افضليته بحالة اللقا عند كل زيارة اما اذا سلم سلام اللقا
فالصلاة بعده اولى من استمرار السلام وان باقيا في مقام الزيارة ويدل
لذلك صنيع العلما فانهم لما ذكروا ان الزاير يبدا بالسلام ذكروا انه يختم
بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من حيث اى من مكان وقوفنا بتلك
الحضرة الذى يسمع الاقراء للسلام منه وفيه رد العجز على الصدر رد ما
اقتضاه كلامه من ان زايره صلى الله عليه وسلم اذا صلى الله وسلم عليه عند
قبره يسمعه سماعا حقيقيا ويرد عليه من غير واسطة وان من صلى وسلم عليه
من بعيد لا يسمعه الا بواسطة فدل عليه احاديث كثيرة ذكرتها في كتابي الدر
المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود وذكرت منها جملة في
الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم منها ما جاء فيه صلى الله عليه وسلم بسند جيد وان
قيل انه غريب من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على من بعيد اعلمته
وصح وان نوزع فيه من احد يسلم على الا رد الله الى روحى حتى ارد عليه السلام
وصح من غير نزاع فيه بعد به من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه
قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم
معروضة على قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت اى
بوزن ضربت يعنى بليت قال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تاكل
اجساد الانبيا وفي رواية زيادة فنبى الله حى يرزق وبقيت احاديث اخر
منها رضه جمعت بينها في الكتاب السابق بانه صلى الله عليه وسلم يبلغ الصلاة
والسلام اذا صدرا من بعد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف ومع سماعه
لهما يبلغهما ايضا زيادة في اكرام الزاير والاعتنا بشانه والاستعداد له بذلك سوا
ليلة الجمعة وغيرها واما رده فهو عام لمن عند قبره ولغيره لانه صح انه من سلم
على قبر اخيه المومن سمعه ورد عليه فلو اختص رده بزايره لم يكن له خصوصية

بذلك وكفى الزاير مميزا انه صلى الله عليه وسلم يسمع صوته من غير واسطة وكفى
المصلى والمسلم من بعيد وقريب رده صلى الله عليه وسلم ومعنى رد روحه
صلى الله عليه وسلم السابق رد نطقه لانه حى على الدوام فروحه لم تفارقه
ابدا وصح الانبيا احيا في قبورهم يصلون والاحاديث في ذلك كثيرة
جمعها الامام البيهقى في جزء استدل بها على دوام حياة الانبيا بخصوصهم
اعلى واتم من حياة الشهدا المنصوص عليها في القران وذهلنا اى غبنا
عن احساسنا وعدا عما نحن بصدده عند اللقا لما استولى علينا
من سبحات ذلك الجلال ونسمات ذلك الجمال لا بدع في هذا الذهول اذ
كم ذاهل صبا اى شديد الصبابة التى هى رقة الشوق وغلبة استيلاء
من الحبيب اى المحبوب وهو متعلق بقوله لقاء لان من شانه انه يذهل
الصب ويخرس المحب ويغيبهما عما عدا المحبوب والاستلذاذ بشهوده
وانسه ووجمنا بفتح الجيم اى سكتنا عن الكلام عند اللقا وبعده ما دمنا
في تلك الحضرة العلية ثم يبق فينا متسع له من اجل المهابة اى الاجلال
والمخافة حتى اجتمع عليه امران لا يوجد اجتماعهما الا في نحو هذا المقام
وهما لا الكلام منا بما نريده ولا ايماء منا يوجه الى ما نطلبه وذلك حال
من قهره الجلال واستولت عليه خوارق الاحوال شعر
● وكم رمت بث الشوق عند لقايه ● فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا ●
ورجعنا الى بلادنا والقلوب التفاتات كثيرة جدا برعاية المقام
اليه اى نبينا صلى الله عليه وسلم بمعنى انها مستحضرة للتوسل بين يديه
صلى الله عليه وسلم والاستمداد منه مع ادامة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
وللجسوم جمع جسم وجسم الشى جرمه الثانى من الارض انثناء اى
انعطاف الى البقا في حضرته ابدا ان تيسر والا فالى تكرير زيارته وسمحنا
اى جدنا بما اى بنفيس لا يجود احد بمثله هو التمتع بتلك الحضرة العلية الذى

تحبب دوامه وعدم مفارقته ولكن ضرورتنا الى العود لديارنا لاجل
من فيها يخفف الملام عنا اذ الضرورات تبيح المحظورات فاننا وان كنا بخلاف
هذا الفراق لنا اسوة بالخلائق ذلك وقد وقع لنبينا انه يسمع عند الضرورة
التي لا يستطاع معها الترك البخلاء بالاموال وغيرها وبين السماح والبخل
الطباق ولما تم مقصد زيارته المتكفلة بكل خير شرع يناديه صلى الله
عليه وسلم بكنيته المختصة به والمناسبة لطلبه من انه يخصه بتلك القسمة
التي ولاها الحق له ويقسم عليه باقسام كثيرة كلها تتضمن ما هو بصدده من
مدحه والثناء عليه استعطافا له لينظر اليه بما يفوز به في الدنيا والاخرة
ويامن به من كل محنة باطنة او ظاهرة ومن ثم خص جواب اقسامه بقوله
الاتي الامان لي تعالى يا ابا القاسم هذه كنيته صلى الله عليه وسلم الذي
اختص بها فلا يجوز لاحد التكني بها مطلقا على الاصح عندنا سوا في زمنه
وبعده لمن اسمه محمد وغيره لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح سموا
باسمي ولا تكنوا بكنيتي والعبرة كما تقرر في الاصول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
كما هنا فان سبب النهي ان اليهود كانوا ينادون بذلك فيلتفت صلى الله عليه وسلم
فيقولون له لا نعنيك فنهى الناس عن التكني بذلك ومن هذا اخذ بعض
ايمتنا ان المنع خاص بزمن حياته وبعضهم انه خاص بمن اسمه محمد وتكنية
علي كرم الله وجهه ولده محمد بن الحنفية رضي الله عنه بذلك باذن منه
صلى الله عليه وسلم ان صح خصوصية له وتكنية غيره بذلك اجتهاد امنه
ووجه مناسبة اختصاص تلك الكنية به صلى الله عليه وسلم الاعلام بانه
صلى الله عليه وسلم هو الخليفة الاعظم عن الله في جميع شؤونه لا سيما مقام
قسمة الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح ايضا انما انا قاسم والله يعطي ولاجل هذا عدوا من خصايصه
صلى الله عليه وسلم انه اعطى مفاتيح الخزاين قال بعض العلما وهي خزاين اجناس

العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبون فكل ما ظهر في هذا العالم فانما
يعطيه محمد صلى الله عليه وسلم انه اعطى مفاتيح الخزاين قال بعض العلما الذي
بيده المفاتيح وكما اختص تعالى بمفاتيح الغيب الكلي فلا يعلمها الا هو
كذلك اختص صلى الله عليه وسلم باعطائه مفاتيح الخزاين الالهية فلا يخرج
منها شي الا على يديه وقيل انما كني بذلك لانه كان له ولد من خديجة
رضي الله عنها يسمى القاسم الذي ضمن من تضمن كذا اشتمل عليه اقسامي
عليه بكسرة الهمزة بالاقسام الكثيرة الاتية في نيل مطلوبي منه مدح
فرقوا بينه وبين الحمد بامور احدها ان الحمد على الجميل الاختياري والمدح
عليه ما لا اختيار للعبد فيه كالحسن ثانيها وثالثها ان الحمد انما يكون
عن علم وبصفة كمال والمدح يكون عن ظن وبصفة مستحسنة وان
كان فيها نقص ما رابعها ان في الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس في
المدح والحمد اختص بالعقلا والعظما واكثر اطلاقا على الله وقول
الكشاف انهما اخوان اي مشتبهان لا مترادفان قاله الطيبي وقال
السيد بل مترادفان واستدل له بكلام الفايق وانتصر بعض المحققين
للاول بما ليس هذا محل بسطه واكثر العلما على ان الحمد يختص بالاختيار
والمدح اعم له وثناء هو على القول الاخير مرادف للمدح لانه لا يكون
الا في الخير الاختياري وغيره والمدح على اكثر القول كذلك وبما تقرر
ان عليه اكثر العلما يندفع قول الشارح هذا من مراعات النظير وعلى
ما قيل الاخير يكون فيه مراعات النظير في الجملة وعليه يحمل كلام الشارح او على منقبة بل الانسب لعله
اما الحمد فيهما تقابل ومراعات النظير او ترادف بالعلوم اي اقسم عليك
بها لتشفعن لي بما يومنني من كل مكروه بان يعطيني الله الامان الامان منه
وكذا يقال في الاقسام الاتية فالمراد بها هنا الشفاعة والاستعطاف
ليجاب سواله ومن ثم قال اصحابنا في اقسم او اقسمت عليك لتفعلن كذا

انه لا يكون عيبنا الا الان سواه وجعلها اول الاقسام لان مرتبة العلم
لا اعلى منها بل ولا مساوى لها ومن ثم لم يومر صلى الله عليه وسلم بالسوال
للزياده مما هو عليه الا العلم وقل رب زدنى علما وهو صفة يتجلى لها المذكور
لمن تحققت به تجليا يمنع من احتمالات النقص عن النبى نزلت عليك من الله
حال كونها بلا كاتب من الكتب وهو الجمع وانما الموصل لها اليك املاء
اى قرا من جبريل وهذا الذى قررته فى اعراب هذا البيت اولى مما سلكه
الشارح فتامله وبين القاسم والاقسام جناس مطلق والكتابة والاملا طباق
واقسم عليك بما اوتيته ايضا من مسير الصبا وهى التى مهبها مطلع
الشمس عند استواء الليل ويطلق على ما يهب من يمين هذا المطلع الى قريب
سهيل ويساره الى قريب القطب الشمالى ولهذا الريح اثر بين فى نصرته
صلى الله عليه وسلم فى وقعة الخندق المسماه بالاحزاب كما مر بنصرك اى بسببه
وهو الرعب الذى قطع قلوب اعدايه واخمد شوكتهم وبدد جموعهم شهرا
مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
مع قوله اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبيا قبلى نصرت بالرعب
مسيرة شهر الحديث ومنه ما يعلم ان الصبا كانت تسير بسبب نصره وهو
الرعب اى الخوف من المزعج لاعدايه مسافة شهر من ساير نواحى المدينة
فلم يرفع احد منهم راسا الا اختطفته لوامع سيوف نصره وقواصف
اسنة قهره والتحديد بالشهر اشارة الى ان ما يستولى عليه لا يزيد مسافته
فى حياته على شهر فلا ينافى ان ملك امته يزيد على ذلك بكثير واحترز عن غيره
من الانبيا فان رعبهم ان وجد لا يصل لهذه المسافة وفى روايه ونصرت
على العدو بالرعب ولو كان بينى وبينهم مسيره شهر قال بعضهم والظاهر
اختصاصه به مطلقا وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده صلى الله عليه وسلم
وبين احد من اعدايه اكثر من شهر وهذه الخصوصيه حاصلة له على الاطلاق

حتى

لعله التنقيص

١٧٥

لعله كان وحده

حتى لو كان وحده بغير عسكره وهل هى حاصله لامته بعده فيه احتمالات
اى اظهرها كما تقتضيه المشاهده انهم رزقوا من ذلك حظا وافرا وكان الصبا
لدى يكرو رخاء هى الريح اللينة المسخره لسليمان عليه السلام غدوها شهر
ورواحها شهر لكن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر واعظم لان تلك سخرت
لذات سيدنا سليمان وهذه سخرت لصفة من صفات نبينا صلى الله عليه وسلم
وهى هيبته وايضا ذكر انها كانت تسير بعد امر سليمان لها وهذه تسير
بامر ربها من غير توسط امر من نبينا صلى الله عليه وسلم نحو من تشبيه
الاعلى بالعلى نظير كما صليت على ابرهيم فى صلاة التشهد على احد الاجوبة
فيه وفى ذكر الرخا بعد الصبا مراعاة النظير واقسم عليك ايضا بمعجزتك
العظمى مع على كرم الله وجهه فى غزوة خيبر لما سرت اليه ودفعت الراية
وكانت بيضا لعلى ففتح بعض حصونها وارسلت ابا بكر لحصن اخر فقاتل
ورجع بلا فتح فارسلت عمر فقاتل ورجع بلا فتح وقد جهد فقلت لاعطين
الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فتشوف كل احد لذلك
فسالت عن على فقيل به رمد فدعوت عليا فجاء وانسان يقوده من شدة الرمد
فحينئذ تفلت بعينيه وكلاهما معا حال موكده رمداء ثم قلت له
خذ هذه الرايه وامض بها حتى يفتح الله عليك فبرا لما خالطهما ريقك
الذى هو الشفا الاكبر فغدا اى ذهب بتلك الرايه يضرب بعينه
المثل فى صحة الابصار كما يضرب ببصر العقاب الذى هو سيد الطيور كما
فى الكامل ومن ثم قال ناظرا بعينى عقاب ومن امثال العرب ابصر
من عقاب ولما غدا وهو كما ذكر هرول هرولة حتى ركز رايته فى رضم من
حجارة تحت الحصن وقال له يهودى من باب الحصن من انت قال على بن
ابى طالب فقال اليهودى علوتم وحق ما انزل على موسى بن عمران فما رجع
حتى فتح الله على يديه وعند قتاله ضربه اليهودى فطرح ترسه من يده فتناول

بابا فتترس به واستمر يقاتل حتى فتح الله عليه ومن كبر ذلك الباب انه لما به
اراد وا ان يقلبوه فلم يستطيعوا وحمل ايضا باب الحصن على ظهره حتى صعد
المسلمون عليه ففتحوها ثم جروه بعد ذلك فلم يحمله الا اربعون رجلا هذا
كله في غزاة معهودة من اعظم الغزوات واجل الفتوحات وهي
غزوة خيبر كانت مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية
برد من المدينة المجعة الشام وكانت سنة سبع لها العقاب لواء
اراد باللوا الراية وهي العلم الضخم لان الذي كان يومئذ راية لا اللواء
ولم يعرف صلى الله عليه وسلم الرايات الا بخيبر وقبلها كانت الالوية فقط
نعم قال عياض في مشارقه اللوا الراية وعليه فلا يجوز في النظم وتلك
الراية تسمى العقاب لانها سودا ولون العقاب اسود وكانت من برد
لعايشة رضي الله عنها ذكر ذلك كله اهل السير وغيرهم كالحافظ الدمياطي
وغيره وبين عقاب والعقاب الجناس التام واما قول شارح ان التي تسمى
العقاب بيضا وانها التي اعطاها لعلي فهو مخالف لما رايته من كلام اهل
السير على انه ناقض ذلك حيث قال وقوله لها العقاب لواء يحتمل ان
العقبان كانت تحوم على لحوم القتلى كانها رايات مرتفعة انتهى وهذا
احتمال لا يقوله الا من لم يطلع على ما سبق ان رايته صلى الله عليه وسلم يومئذ
سودا تسمى العقاب ثم يحتمل ان هذه التي اعطاها لعلي ويحتمل انه اعطاه
غيرها كما اعطى اثنين الرايتين غير راية علي كرم الله وجهه ونقل بعض
اهل السير عن ابن عباس ان عليا هو الذي كان معه لواء النبي صلى الله
عليه وسلم في كل زحف وعن سعيد بن المسيب ان راية النبي صلى الله عليه وسلم
يوم احد مرطا اسود وراية الانصار يقال لها العقاب وفي هذا نظر
لما مر ان الرايات لم تعرف الا يوم خيبر واما تسمية راية الانصار يوم
احد بالعقاب فهو جرى على ما عليه اهل اللغة ان كل راية تسمى العقاب

كما

كما ان رايته صلى الله عليه وسلم تسمى بذلك وعليه فقول النظم لها العقاب
لواء لا يختص بخيبر خلافا لما يوهمه صنيعه واقسم عليك ايضا بريحانتين
وهما سيدنا الحسن وسيدنا الحسين كرم الله وجههما وفي تسميتهما بذلك
اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري هما ريحانتاي من
الدنيا وفي رواية ان ابني هذين ريحانتاي من الدنيا طيبهما حسا
ومعنى وفضلهما على غيرهما انما هو حاصل منك لانهما بضعتان
منك مع ملاحظتهما به من المزايا والخصوصيات وكان طيب رسول
الله صلى الله عليه وسلم معروفا مشهورا بين الصحابة يضرب به المثل
وان لم يتطيب بل كانت ام انس تاخذ من عرقه صلى الله عليه وسلم ليتطيبوا
به لباهر ريحه الذي نعت لطيبهما او دعتهما بالبنا للمفعول فاطمة
الزهراء مبتدا خبره ما قبله وهما الصلة كذا ذكره الشارح ولا يصح
لخلو جملة الصلة عن عايد للموصول وجوز البنا للفاعل وان المفعول
الثاني محذوف اي الذي الزهراء اودعتهما اياه وفيه قلاقة وحذف
من غير دليل فالصواب ان الذي نعت للريحانتين يتاولهما بالمذكور
او نحوه ونظيره ما ذكرته في الذي في قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابو داود
هذا ابني يعني الحسن والحسين ونظيره قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا
قال ابو حيان يجوز استعمال الذي بمعنى الذين لكن يجب كون ضمير الصلة
ضمير الجمع اعتبارا بمعناه ثم قال والذي نختاره اي في قوله تعالى كمثل الذي
استوقد نارا انه افرد لفظا وان كان تحته افراد فيكون التقدير
كمثل الجمع الذي استوقد وقيل في الاية الذي بمعنى الجنس فلا يختص
بالواحد وقيل حذفت نونه تخفيفا وقيل موصوفه لفظ مفرد وكل
ذلك يأتي فيما نحن فيه فاستفده واشار بقوله اودعتهما اي ما هو
من خصايصه ان اولاد بناته ينتسبون اليه في الكفاءة وغيرها ووجه

تلك الاشارة انه جعل فاطمة مستودعة فهو الذي اودعها تلك الذرية
لتخرج منها منسوبة اليه وسميت بالزهرا لانها لم تحض كما في حديث رواه
الغساني وروى الخطابي ابنتي فاطمة حورا ادمية لم تحض ولم تطمث
وانما سماها الله تعالى فاطمة لان الله تع فطمها ومحبيها عن النار وقد
ذكر الناظم عليا وفاطمة وابنيهما وياتي ذكر علي من فضايلهم بلا اسانيد وقد
استوعبتها بذكر اسانيدها وبيان احكامها وما يتعلق بها في كتابي الصواعق
المحرقة • لاخوان الضلال والرفض والابتداع والزندقة • الذي لم يوف في هذا
الباب اجمع منه واخرج الطبراني والخطيب ان الله جعل ذرية كل نبي من صلبه
وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب وفي حديث رجاله ثقات الا واحدا
مختلف فيه انه صلى الله عليه وسلم خطب وهو محاصر الطايف فيما قال والصيكم
بعترتي خيرا وان موعدكم الحوض والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة ولتوتن
الزكوة اولابعثن اليكم رجلا مني او كنفسي يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد علي
وقال هو هذا توفي كرم الله وجهه شهيدا عن ثلاث وستين سنة ضربه
ابن ملجم في جبهته ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين وهو
خارج الى صلاة الصبح بعد ان استيقظ سحرا وقال للحسن انه راى النبي صلى
الله عليه وسلم الليلة فشكى اليه ما لقي فقال ادع عليهم فدعا انه يبدل خيرا منهم
وانهم يبدلون شرا منه واكثر من تلك الليلة الخروج والنظر الى السما وهو يقول
والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التي وعدت ومات ليلة الاحد واختلف
في موضع قبره لانه اخفي خوفا من ان تنبشه الخوارج وفي رواية انهم
حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فند الجمل الذي يحمله فلم يدر
اين ذهب فلذلك قال اهل العراق انه في السحاب كنت على الدوام تاويها
اي تضمها اليك لمزيد محبتك لهما وشفقتك عليهما ومن ثم صح انه صلى الله
عليه وسلم قال نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى

قطعت حديثي ورفعتهما واخرج الترمذي والطبراني هذان ابناي
وابنا ابنتي اللهم اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما والترمذي احب
اهل بيتي الي الحسن والحسين واحمد وابن ماجه والحاكم من احب الحسن والحسين
فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني وجاء من طرق صح بعضها
ابناي الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما وفي
قوله وابوهما خير منهما حجة لما عليه اهل السنة ان الايمة الاربعة
افضل من اهل البيت نعم ما فيهم من البضعة الكريمة لا يعادله عمل
وبه يوجه قول بعض المتاخرين بتفضيل الحسنين على غيرهما اي
من حيث تلك البضعة وان كان غيرهما من ذكر افضل منهما علما وعملا
ومعرفة فتامله كما اوت بالمد يتعين للوزن وانجاز القصر في اصل
الكلمة من الخط حال من الفاعل نقطتيها الياء اي اوت كما اوت اليا النقطتيها
حال كونهما من جملة حروف الخط وكانه اخذ هذا التشبيه من حديث
البخاري عن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم ياخذ بيدي فيقعدني على
فخذه ويقعد الحسين على فخذه الاخرى الاخرى ويضمنا ثم يقول
اللهم اني ارحمهما فارحمهما ومما صح عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما
قال طرقت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فخرج وهو مشتمل على شي فقلت
ما هذا فكشفه فاذا حسن وحسين على وركيه فقال اللهم هذان
ابناي وابنا ابنتي اللهم اني احبهما واحب من يحبهما وصح انه صلى الله عليه وسلم
اقبل وقد حمل الحسين على رقبته فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام
فقال صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو ووجه التخصيص باليا انها خاتمة
الحروف كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيا ولا نظر الى ان الالف افضل
الحروف لانها مادة كل حرف فهي الاخر في الحقيقة كما انها انها الاول
كذلك وهذا شان نبينا صلى الله عليه وسلم فانه اولهم خلقا ورتبة

واخرهم وجودا وختما فعنصره الكريم مندرج ومبثوث في جميع الانبيا
بالفعل تارة بالنسبة لمن في عمود نسبه وبالقوة اخرى بالنسبة لمن ليس
في عموده من بيان المرتجانيين وحينئذ فلا تجريد فيه خلافا لما زعمه
الشارح شهيدين اما شهادة الحسن وكانت ولادته في نصف
شعبان بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة فسببها ان يزيد بن معويه
ارسل الى زوجته جعدة الكندية انها تسمه ويتزوجها وبذل لها
مائة الف درهم ففعلت فمرض اربعين يوما ومات فبعثت ليزيد
بما وعدها فابى وفي سنة موته اقوال والاكثرون انها سنة خمسين
وجهد به الحسين ان يخبره بمن سمه فابى وقال الله اشد نقمة واجد
كبدي تتقطع واني لعارف من اين دهيت فنشدتك بالله لا تكلمت في ذلك
بشي ثم قال واقسم عليك ان لا تهريق في امري محجمة دم ومن جملة كلامه لاخيه
لما احتضر يا اخي ان اباك استشرف لهذا الامر اول مرة فصرفه
الله عنه الى الثلاثة قبله ثم ولي فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له
واني والله ما ارى ان يجمع الله فينا النبوة والخلافة وربما يستخفنك
سفهاء الكوفة ليخرجوك وقد كنت طلبت من عايشة ان ادفن مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاجابت فاذا مت فاطلب منها وما اظن القوم الا
سيمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم فلما مات سال الحسين عايشة رضي
الله عنها فقالت نعم وكرامة فمنعهم مروان لانه كان والي المدينة فلبس
الحسين ومن معه السلاح حتى رده ابو هريرة ثم دفن بالبقيع الى جنب
امه رضي الله عنهما وكان مروان يكثر من اذايته فلما مات بكى في جنازته
فقال له الحسين اتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال اني كنت افعل
ذلك الى احلم من هذا واشار بيده الى الجبل وكان مروان هذا اشد الناس
بغضا لاهل البيت وكان هذا هو سر الحديث الذي صححه الحاكم ان عبد الرحمن

ابن عوف

ابن عوف رضي الله عنه قال كان لا يولد لاحد مولود الا اتي به النبي صلى
الله عليه وسلم فيدعو له فادخل عليه مروان بن الحكم فقال هو الوزغ بن الوزغ
الملعون بن الملعون وروى ايضا حديثا من جملته قول عايشة رضي
الله عنها لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا مروان ومروان في صلبه
نعم في الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم سال ربه ان من شتمه
او لعنه او دعا عليه ان يكون ذلك رحمة له وزكاة وكفارة وطهارة
ومن فضايل الحسن ما صح انه صلى الله عليه وسلم كان يحمله على عاتقه
ويقول اللهم اني احبه فاحبه وصح من احبني فليحبه وليبلغ الشاهد
الغايب اللهم اني احبه واحب من يحبه اللهم اني احبه واحب من
يحبه ثلاث مرات وفي رواية فجعل يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول
ذلك وفي اخرى من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي
يوم القيمة وصح انه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا وان الجنايب لتقاد
بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات
وكرمه باهر وحكاياته فيه اشهر ولم يسمع منه كلمة فحش قط الا قوله مرة
عن مخاصمة ليس له عندنا الا ما رغم انفه وجاء من طرق كثيرة بعضها
صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان ابني هذا اي الحسن سيد
وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقد حقق الله
له ذلك فان اباه كرم الله وجهه لما توفي تولى الخلافة عما بايعه اهل
الكوفة فكان اخر الخلفا الراشدين بنص جده صلى الله عليه وسلم بقوله
في الحديث الصحيح الخلافة بعدي ثلاثون سنة فمدة خلافته هي
السنة الاشهر الباقية منها وعند مضيها سار الى معوية في اربعين الفا فلما
تراآ الجمعان علم الحسن انه لن يغلب احدى الطائفتين حتى يذهب اكثر
الاخرى فرضي بالنزول لمعوية عن الخلافة شفقة على الامة بشروط

قبلها معويه فنزل له وحينئذ صار هو الامام الحق وقبل ذلك كان متغلبا
لكن لاجتهاده لم يكن آثما بل ماجورا واما شهادة الحسين وكانت ولادته
لخمس خلون من شعبان سنة اربع ومن فضايله حديث حسين مني وانا من
حسين احب الله من احب حسينا حسين سبط من الاسباط وفي رواية
الحسن والحسين سبطان من الاسباط وجاء من طرق صحح الحاكم بعضها ان
جبريل وفي رواية ملك القطر ولعلهما وافقتا ان جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره ان الحسين مقتول واراه من تربة الارض التي يقتل فيها فاعطاه
لام سلمه واخبرها انه يوم قتله يتحول دما فكان كذلك وشم صلى الله عليه وسلم
ذلك التراب فقال ريح كربلا وفي رواية فاشار جبريل بيده الى الطف
ارض بالعراق بناحية الكوفه ولا تخالف لان ذلك الموضع يسمى بكربلا
وبالطف كذا قال بعضهم وقال غيره كربلا قريب من موضع يقال له الطف
بقرب الكوفه وروى الطبراني اما حسن فله هيبتي وسوددي واما
حسين فله جراتي وجودي والبغوي وغيره سمى هرون ابنيه شبرا وشبيرا
واني سميت ابني الحسن والحسين وجاء ان العرب لم تسم بهما في الجاهلية
وسببها ان يزيد لما استخلف سنة ستين ارسل لعامله بالمدينة
ان ياخذ له البيعة ان ياخذ له البيعة على الحسين ففر لمكة خوفا على
الحسين على نفسه فارسل اليه اهل الكوفة ان ياتيهم ليبايعوه ويمحي
ما هم فيه من الجور فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه
وخذلانهم لاخيه وامره ان لا يذهب باهله ان ذهب فابى فبكى
ابن عباس وقال واحسيناه وقال له ابن عمر نحو ذلك فابى فقبل
ما بين عينيه وقال استودعك الله من قتيل وكذلك نهاه ابن الزبير
رضى الله عنهم بل لم يبق بمكة الا من حزن لمسيره ولما بلغ اخاه محمد بن
الحنفيه بكى حتى ملا طشتا بين يديه وقدم امامه مسلم بن عقيل فبايعه

من اهل

من اهل الكوفه اثنى عشر الفا فارسل اليه يزيد ابن زياده فقتله وسار
الحسين غير عالم بذلك فلقي فرزدق فساله فقال له قلوب الناس معك
وسيوفهم مع بني امية والقضا ينزل من السماء ولما قرب من القادسية
تلقاه من اخبره الخبر وامره بالرجوع فهم بالرجوع فقال اخو مسلم
المقتول لا حتى ناخذ بثارنا او نقتل ثم سار فلقيه اوايل خيل ابن زياد فعدل
الى كربلا فجهز اليه ابن زياد عشرين الف مقاتل فلما وصلوا اليه التمسوا
منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فابى فقاتلوه وكان اكثر
مقاتليه الكاتبين اليه والمبايعين له فلما جاهم فروا عنه الى عدوه فحارب
ذلك العدد الكثير ومعه من اهله نيف وثمانون فثبت في ذلك الموقف
ثباتا باهرا ولولا انهم حالوا بينه وبين الما ما قدروا عليه ولما استحر القتل
في اهله حتى بلغوا حسين صاح اما ذاب يذب عن حريم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخرج يزيد بن الحارث رجا شفاعة جده فقاتل بين يديه حتى قتل
ثم فنى اصحابه وبقى مفرده فحمل عليهم وقتل منهم كثيرا من شجعانهم فكثروا عليه
حتى حالوا بينه وبين حرمه فصاح كفوا سفهاكم عن النسا والاطفال
فكفوا ثم لم يزل يقاتلهم الى ان اثخنوه لانه طعن احدى وثلاثين طعنه
وضرب اربعا وثلاثين ضربه ومع ذلك غلب عليه العطش الى ان سقط
الى الارض فحزوا راسه يوم الجمعه عاشر المحرم عام احد وستين ووضع
قاتله بين يدي عبيد الله بن زياد متبجحا بكونه قتل خير الناس فامر بضرب
عنقه وقال اذا علمت انه كذلك فلم قتلته وقتل معه من اخوته وبنيه
وبني اخيه الحسن ومن اولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلا قال
الحسن البصري رضى الله عنه ما كان على وجه الارض لهم يومئذ
شبيه وجعل ابن زياد الراس في طست وجعل يضرب ثناياه
بقضيب ويدخله انفه ويتعجب من حسن ثغره فبكى انس وقال

كان اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له زيد بن ارقم ارفع
قضيبك فوالله لطالما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما بين
الشفتين وبكى فاغلظ عليه ابن زياد وهدده بالقتل فقال لاحدثنك
بما هو اغيظ عليك من هذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقعد حسنا
على فخذه اليمنى وحسينا على فخذه اليسرى ثم وضع يديه على نافوخهما
ثم قال اللهم انى استودعك اياهما وصالح المومنين فكيف كانت وديعة
النبي صلى الله عليه وسلم عندك يا ابن زياد انتهى ولا عجب فان يزيد بلغ من قبايح
الفسق والانحلال عن التقوى مبلغا لا يستكثر عليه صدور تلك القبايح
منه بل قال احمد بن حنبل بكفره وناهيك به ورعا وعلما يقتضيان بانه لم
يقل ذلك الا لقضايا وقعت منه صريحة فى ذلك ثبتت عنده وان لم
تثبت عند غيره كالغزالى فانه اطال فى رد كثير مما نسب اليه كقتل الحسين
فقال لم يثبت من طريق صحيح انه قتله ولا امر بقتله ثم بالغ فى تحريم سبه
ولعنه وكابن العربى المالكى فانه نقل عنه انه قال لم يقتل يزيد الحسين
الا بسيف جده لانه الخليفة والحسين باغ عليه والبيعة سبقت ليزيد ويكفى
فيها بعض اهل الحل والعقد وبيعته كذلك لان كثيرين اقدموا عليها
مختارين لها هذا مع عدم النظر الى استخلاف ابيه له اما مع النظر لذلك
فلا يشترط موافقة احد من اهل الحل والعقد على ذلك ويرد بان هذا
انما هو بعد استقرار الاحكام وانعقاد الاجماع على تحريم الخروج على الجاير
اما قبل ذلك فكان الامر منوطا بالاجتهاد واجتهاد الحسين اقتضى جوازا
ووجوب الخروج على يزيد لجوره وقبايحه التى تصم عنها الاذان فهو
اعنى الحسين محق بالنسبة لما عنده ونظير ذلك حال معوية مع الحسن
قبل نزوله عن الخلافة ومع على كرم الله وجهه فانه كان متغلبا باغيا
عليهما لكنه غير اثم لاجتهاده فالحسين كذلك فتامل ذلك فان كلام الائمة

فيه

فيه كالمتنافى ولا يزول الاشكال فيه الا بما قررته فاستفده ولما دخل قصر
الامارة بالكوفة امر بالراس فوضع على ترس عن يمينه والناس سماطان
ثم انزله وجهزه مع روس اصحابه وسبايا آل الحسين الى يزيد فلما وصلوا
اليه قيل ترحم عليه والمشهور انه جعل ينكث الراس بالخيزران وجمع
بانه اظهر الاول واخفى الثانى قيل والعجب كل العجب من ضرب يزيد
ثنايا الحسين بالقضيب وحمل آل النبى صلى الله عليه وسلم على اقتاب الجمال
موثقين فى الحبال والنسا مكشفات الوجوه والروس ولما وصلوا الى دمشق
اقيموا على درج الجامع حيث يقام الاسارى والسبى قيل ان يزيد ارسل
براس الحسين ومن بقى من اهله الى المدينة فكفن راسه ودفن عند قبر امه
بقبة الحسن وقيل اعيد الى الجثة بكربلا بعد اربعين يوما من قتله
ثم سلط الله على ابن زياد وقومه من قتلهم اشر قتلة ولما نزل الذين
ارسلهم ابن زياد بالراس اول منزل جعلوا يشربون بالراس فخرجت
عليهم من الحايط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم شعر

أترجو أمة قتلت حسينا ... شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الراس اى ثم عادوا واخذوه او اخذه غيرهم وقدم به على يزيد
ومما ظهر يوم قتله من الايات ان السما امطرت دما وان اوانيهم ملئت
دما وان السما اشتد سوادها لانكساف الشمس حينيذ حتى روئيت النجوم
واشتد الظلام حتى ظن الناس ان القيمة قد قامت وان الكواكب ضرب
بعضها بعضا وانه لم يرفع حجر الا رئى تحته دم عبيط وان الورس انقلب
رمادا وان الدنيا اظلمت ثلاثة ايام ثم ظهرت فيها الحمرة وقيل احمرت سنة
اشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك وعن ابن سيرين اخبرنا ان
الحمرة التى مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين وقال ابن الجوزى وحكمه
ذلك ان غضبنا يورث حمرة الوجه والحق تنزه عن الجسمية فاظهر تاثير

الحمرة التى مع الشفق

١

غضبه على من قتل الحسين بحمرة الافق اظهارا لعظم الجناية **لبس بنسيني**
لكل مسلم كامل الايمان **الطف** اى من ذكرها وقع فيه ومن انه ارض بالعراق
وانه يسمى كربلا او قريب منها وقبره به معروف يزار ويتبرك به **مصابيهما**
اى بجموعهما على حد يخرج منهما اللولو والمرجان اذ هما يخرجان من الملح فقط
اى مصاب الحسين لانه قتل به واما قتل الحسن فلانه كان بالمدينة ولم يكن
قتله بالسم ظاهرا وانما علم به نزر من الناس **ولا كربلا** بل كل منهما يذكرني
بذلك المصاب حتى انى اتصور في كل ارض انها هو وظاهره انه مغاير
للطف ومن انه قول وكان الناظم لمح بهذا الى ما رواه ابن سعد عن
الشعبي ان عليا كرم الله وجهه لما مر بكربلا عند مسيره الى صفين وقف
وسال عنها فقيل كربلا فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي القصة الاتية انفا في شرح قوله
فابكم **ما رعى فيهما ذمامك** بالمعجمة اى حرمتك ايها النبي الكريم مع انه يجب
على كل احد رعايتها والوفاء بها ولا يحصل ذلك الا بالقيام بجميع ما لهما
من العهود والحقوق والحرمة والجلالة ومن بغض شانيهما واعتقاد
انه على غاية من الحماقة والضلالة والجراة والتهور **مروس** اى تابع
كالجعدية في الحسن وابن زياد واتباعه في الحسين رضي الله عنهما **و**الحال
انه **قد خان عهدك الروساء** اى المتبوعون من الظلمة الطغاة المتمردين
كيزيد فيهما للتسبب في قتلهما لكنهما فازا بمنزلة الشهادة العظمى بالجزى
الدنيا والاخرة وقول بعضهم لا ملام على قتلة الحسين لانهم انما قتلوه بسيف
جده الامر بسله على البغاة وقتالهم لا يعول عليه لان يزيد لم تنعقد بيعته
عند الحسين وغيره ممن لم يبايعوه والمبايعون له مكرهون على البيعة
كما هو معروف وغاية امر يزيد انه جابر فاسق متغلب وحرمة الخروج
على الجابر التي حكى عليها الاجماع محلها بعد استقرار الامور وانقضا

تذكر

فذلك الاعصار واما تلك الاعصار فكان اهلها مجتهدين فلم
يرخلوا تحت حيطة راى غيرهم ولذلك خرج على يزيد ايضا ابن الزبير
ولم يبال ببيعته ولا اعتد بها جماعة اخرين امتنعوا منها وهم يروا وروى
ابن السكن انه صلى الله عليه وسلم قال وقد اشار الى الحسين ان ابني هذا
يقتل بارض العراق فمن ادركه منكم فلينصره وبه يرد قول بعض المذكور
وممن يرده ايضا ما ترتب على قتل الحسين مما مر بعضه وبين رعى وخان
والمروس والروساء جناس الطباق **ابدلوا** اى هولاء المذكورين من **الود**
بتثليث الواو اى المودة التي حرضهم الله تع عليها في الاية الاتية بغضهم
وقتالهم ولحاق الايذا لهم بكل طريق امكن حتى ان القرمطي سباهم
فما بيعت الشريفة في عسكره باربعة دراهم والشريف بدرهمين لكثرة
من سباه منهم **و**ابدلوا ايضا **الحفيظة** اى الحمية **في** نصر **القربى**
ومحبتهم اى قرابة النبي صلى الله عليه وسلم وهم آل البيت النبوي يعني
تركوا هذين واخذوا ضدهما فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن نصرتهم
ولم يمتثلوا قول الله تع في حقهم الدال على غاية رفعتهم قل لا اسالكم عليه
اجرا الا المودة في القربى الاية وقد اختلف المفسرون في القربى والذي
جاء عن الحسن بن علي كرم الله وجههما بسند حسن انهم اهل البيت
فانه خطب الناس خطبة بليغة فيها انا الحسين بن محمد صلى الله عليه وسلم
ثم قال انا ابن البشير انا ابن النذير ثم قال وانا من اهل البيت الذين
افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم زاد في رواية على كل مسلم فقال
فيما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى
وفي رواية ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال اقتراف الحسنات
مودتنا اهل البيت وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند فيه شيعي
غال لكنه صدوق انها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هولاء الذين

وجبت علينا محبتهم قال علي وفاطمة وابناهما وروى غير واحد نحو
ذلك عن علي واخرج الطبراني عن زين العابدين انه لما جيء به اسيرا
عقب مقتل ابيه الحسين رضي الله عنهما واقيم على درج دمشق قال بعض
جفاة اهل الحمد لله الذي قتلكم واستاصلكم وقطع قرن الفتنة فقال
له ما قرات قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال وانتم هم قال نعم
ولا ينافي ذلك ما هو المشهور عن ابن عباس وانباعه من حملها على غير ما ذكر
كما في البخاري وغيره عنه الا ان تودوني يا معشر قريش بقرابتي فيكم
وفي رواية عنه انهم لما ابوان يبايعوه انزل الله عليه ذلك فقال صلى الله عليه وسلم
يا قوم اذا ابيتم ان تبايعوني فاحفظوا قرابتي ولا تؤذوني ويؤيده ان
السورة مكية ورواية نزولها بالمدينة ضعيفة وان امكن نزولها مرتين
كما قيل به في الفاتحة ووجه عدم المنافاة ان من ذكره صلى الله عليه وسلم
وخص بقريش اقتصر على المقصود بالذات ومن ذكر اهل البيت وعمم
في كل مسلم ذكر ما هو المقصود بالتبع فكل من المرادين صحيح من غير منافاة
ولا تعارض بينهما ومن ثم كان ابن جبير وهو اجل تلامذة ابن عباس
كان يفسر تارة بهذا وتارة بهذا وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما
الا ان تواد والله ولا منافاة ايضا لان من جملة مودته تعالى مودة رسوله
واهل بيته وادعا نسخ الاية قول مردود لا يلتفت اليه فلا يجوز اعتقاده
كما قاله البغوي وغيره وقد صح خلافا لما وهم فيه ابن الجوزي حديث احبوا
الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله عز وجل واحبوا اهل بيتي لحبي وصح
ايضا ما بال اقوام يتحدثون فاذا راو الرجل من اهل بيتي قطعوا حديثهم
والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني وفي خبر
احمد انه صلى الله عليه وسلم قال لمن اشتكى عليا والله لقد آذيتني ثم قال من
آذى عليا فقد آذاني وروى احمد والترمذي حديث من احبني واحب

حسنا وحسينا واباهما وامهما كان معي في الجنة زاد ابو داود ومات
متبعا السنتي وبها يعلم بطلان قول الرافضة تنفع محبتهم مع مخالفة
السنة **وابدت** اي اظهرت **ضبابها** عايد الفاعل ابدت واراد بالضباب
البرابيع لان النافقا لا يكون الا لها **النافقاء** هي احدى جحرى اليربوع
يكتمها ولا يظهر غيرها حتى لا نغاد وهو موضع من جحره يجعل الحاجز
بينه وبين الفضا قريبا جدا حتى اذا دخل عليه من الجحرة الاخرى
المسماة بالقاصعا ضرب النافقاء براسه فانشق وخرج هاربا منه
ولهذا يقال نفق اليربوع تنفيقا ومنه اشتقاق المنافق في الدين
كما في الصحاح وفي النظم تشبيه المكرة بالحسنين حتى فعلوا معهما ما فعلوا
باليربوع في مكرها المذكور فهو استعارة تصريحيه وفي ذكر النافقا
استعارة ترشيحيه او تشبيه ما عند اوليك من النفاق بالنافقا
بالجامع الاتي فهي حينيذ استعارة مصرحه رشحت بذلك الضباب
او تشبيه النافقا بما عند اوليك من النفاق الذي حملهم على ان فعلوا
بال البيت ما فعلوا فتشبيه النافقا بنفاق اوليك استعارة بالكنايه
والجامع ان النافقا يظهر اليربوع منها فيهرب من صياده وكذلك نفاق
اوليك اظهرهم حتى هربوا من الدين وفعلوا ما فعلوا واثبات اليربوع
استعارة تخييليه ويصح ان يكون استعارة بالكنايه ايضا
لتشبيه الضباب باوليك في المكر واضافتهم الى ضمير النافقا تخييليه
وقست اي غلظت واشتدت **منهم** اي المكرة الفجرة المذكورين
وهو حال من قوله **قلوب** فوصل اليهما ثم الى ذريتهما منهم غاية
الايذا والاستهتار بحقهم الواجب رعايته عليهم ولم تلن لهم
تلك القلوب قط لان الله تعالى اراد لها الشقاوة والعذاب الاليم
على من اوليك الايمة الذين هم بدور الدنيا ومن ثم قال الحسن البصري

رحمه الله فى الذين تتلو امع لحسين من اهله ليس لهم شبيه على وجه
الارض **بكت عالارض فقدهم والسماء** وهذ اقتباس من مفهوم قوله
تعالى فما بكت عليهم السما والارض اذ مفهومه ان المومن تبكى عليه السما
والارض اما الارض فمحال سجود المومن وعبادته واما السما فمحال مصاعد
اعماله واذا كان هذا فى مطلق المومنين كما علم فى الاية بمعنى انهما يتاسفان
على ما فاتهما من اعمالهما وثوابهما فما بالك بآل البيت النبوى والسر المخلوى
ويصح ان يكون المراد بكايهما بكا اهلهما وهو واضح لكن الاول ابلغ ولا
مانع من حمله على الحقيقة لانه ممكن وورد به الشرع فلا يخرج عن ظاهره الا بدليل
فابكهم اى الصالح للخطاب **ما استطعت** اى مدة دوام استطاعتك
تاسيا بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ثم بجبريل ثم على روى ابن سعد عن
الشعبى قال مر على كرم الله وجهه بكربلا عند مسيره الى صفين فوقف
وسال عن اسم هذه الارض فقيل له كربلا فبكى حتى بل الارض من دموعه
ثم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقلت ما يبكيك فقال كان
عندى جبريل انفا واخبرنى ان ولدى الحسين يقتل بشاطى الفرات موضع
يقال كربلا ثم قبض جبريل قبضة من تراب شمنى اياها فلم املك عينى ان فاضتا
واخرج الترمذى ان ام سلمة رات النبى صلى الله عليه وسلم باكيا وبراسه
ولحيته التراب فسالته فقال قتل الحسين انفا وكذلك راه ابن عباس
نصف النهار اشعث اغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فساله فقال
دم الحسين واصحابه لم ازل اتتبعه منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل
فى ذلك اليوم فان قلت الامر بالبكا ينافيه الحديث الصحيح فاذا وجب
فلا تبكين باكية ومن ثم قال ايمتنا يكره البكا بعد الموت قلت ليس
المراد بالبكاء المامور به هنا حقيقته بل لازمه من التاسف والحزن
على ما حصل للدين واهله من استباحة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ودم بنيه واهله ومن غاية الاستهتار بحقهم والفرح بمصابهم ومن
زوال انوار النبوة وعلومها وتقاها وزهدها وكمالاتها بفقدهم
وذلك كله مصاب لا يساويه مصاب فحق لكل احد ان يحزن على ذلك
ويتاسف عليه وان يامر به غيره ويدعوا اليه فان قلت كيف نهى صلى الله
عليه وسلم عن البكا وبكى كما فى الحديث المذكور قلت المنهى عنه البكاء
الاختيارى والذى وقع منه صلى الله عليه وسلم لعله اضطرارى او بيان
للجواز او اطلق منه البكا على مجرد دمع العين وهو لا كراهة فيه ومن ثم لما
فعله صلى الله عليه وسلم على ابن لاحدى بناته قيل له ما هذا اى وقد نهيت
عن البكا فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحما فتبين ان مجرد
دمع العين لا محذور فيه ولا كراهة فتامله ثم تمم ما امر به من البكا
بما يصلح ان يكون دليلا حاملا عليه فقال **ان جزا قليلا** اى قليل
فى مقابلة **عظيم من المصاب** لاسيما مصايب الامة بالحسنين واهل
بيتهما رضى الله عنهم وبين قليل وعظيم طباق وفيها اشتقاق ورد العجز
على الصدر **البكاء** وان كثر وهو الصوت الذى يكون مع الدمع واما المقصود
فهو الدمع فقط وعن القليل فتل قاتليهم ودوام نصرتهم باشارة ذكرهم
واذاعة الثنا عليهم والرد على اعدايهم وغير ذلك **كل يوم وكل ارض لكربى**
اى لاجل ما حصل لى من الكرب وهو الغم الذى ياخذ النفس بحيث يغشى
فوتها **منهم** اى بسبب ما حصل لهذين الامامين واهل بيتهما من القتل
والاسر والسب والايذا **كربلا** راجع لكل ارض **وعاشوراء** راجع لكل
يوم ففيه لف ونشر مشوش اى زاد فى ذكر الكرب حتى ان كل ارض
حللت بها تصورت انها الارض التى قتل فيها الحسين وكل يوم اصبح على
تصورت انها يوم عاشورا الذى قتل فيه فكربه عم جميع ما انا فيه من الازمنة
والامكنة فلا يفارقنى بالانتقال من ارض لاخرى ولا من زمن لاخر وبين

كربى وكربلا جناس شبه الاشتقاق كهوا وجناس الاشتقاق فى ثاوى
واوبت وفوضت وتفويضى وطبتم وطاب وسدتم وسوددته ووزره
والزوراء والقاسم واقسامى وابكيتم والبكايا آل بيت النبى وهم مومنوا بنى
هاشم والمطلب وهم المذكورون فى قوله تع انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا اكثر المفسرين انها نزلت فى على وفاطمه
والحسنين رضى الله عنهم وقيل نزلت فى نسايه ونسب لابن عباس وكان
مولاه عكرمه ينادى به فى السوق ورد بتذكير ضمير عليكم وما بعده
وقال جمع نزلت فيهما ورجحه جمع بانهن سبب النزول فيدخلن
قطعا ويدل له ما صح عن ام سلمه قالت يا رسول الله انا من اهل البيت قال
بلى ان شا الله ولدخول آل البيت خبر مسلم انه ادخل اولئك
الاربعة تحت كساء وقرا الاية وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل هولاء تحت كساء
وقال اللهم هولاء اهل بيتى وخاصتى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
وفى حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم
قال يا رب هذا عمى وصنو ابى وهولاء اهل بيتى فاسترهم من النار كسترى
اياهم بملاءتى هذه فقالت اسكفة الباب وحوايط البيت امين ثلاثا فعلم
ان المراد باهل البيت فى الاية اهل بيت سكنه وهن امهات المومنين واهل
بيت نسبه وهم مومنوا بنى هاشم وبنى المطلب وصح هذا عن زيد بن ارقم
وآل اشهران هولاء آله المذكورون فى قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
وقيل المراد بآله هنا كل مومن واختير وخبر آلى كل مومن تقى ضعيف
بالمرة وآل البيت الذين حرمت عليهم الصدقه هم المرادون فى جميع
ما جاء فى فضل آل البيت او الال او ذوى القربى واولئك الاربعة
هم المرادون فى اية المباهله كما يصرح به ما صح عنه صلى الله عليه وسلم فيها
ان فوادى اى قلبى ليس فعل جامد معناه نفى مضمون الجمله فى الحال

ونفى

ونفى غيره بالقرينه وقيل هى لنفى الحال وغيره وقواه ابن الحاجب بقوله
تعالى الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم قال ابن مالك وترد للنفى العام
المستغرق المراد به الجنس كلا التبرئه وهو ما يغفل عنه وخرج عليه ليس
لهم طعام الا من ضريع انتهى ويصح ارادة هذا المعنى الاخير فى النظم
يسليه عنكم التاسى بغو فيه اوله اى ما يحصل له من السلو ابدا والحزن
وفى القاموس تاساه اذاه واستخف به بل محبتكم متعينة فيه على الدوام لا تزلزلها
محنه ولا تنقضها شده وفى الحديث والذى نفسى بيده لا يومن عبد لى حتى
يحبنى ولا يحبنى حتى يحب ذوى انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو
لمن عاداهم الا من آذى قرابتى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله وفى الحديث
ايضا انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى فتامل
كونه قرنهم بالقران فى ان التمسك بهما يمنع الضلال ويوجب الكمال واشار
الى انه ما عنده ملازم له لا يفارقه بسلو ولا تسل ولا غيرها من الوفاة بحقهما
والتحزن والتحسر لمصابهما انما هو مع تفويضه الامور الى باريها كما قال
نمير الا انى فهو استثنا منقطع فوضت امرى فى ذلك كله الى الله
الفاعل لما يشا والمقدر لما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون وتفويضى
الامور الى من هو مقدرها ومدبرها براء اى مبرى للمفوض كذا اعتمادى
على شى من حوله وقوته وذلك متعين على كل مسلم فضلا عن كامل ومن ثم قال
صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله براءة من الشرك وكنز من كنوز الجنه
وفى فوضت وتفويضى جناس الاشتقاق وجملة وتفويضى الخ تذييل
رب للتقليل يوم بكربلا مسى باعتبار ما وقع فيه من قتل الحسين ومن معه
لها خففت بعض وزره اى ثقل ذلك الخطب للجسم والمصاب العظيم
على النفوس التى عندها غيره لال البيت النبوى الزوراء بينها وبين وزره
شبه الاشتقاق وهى ناحيه ببغداد اى ما وقع من خلفا بنى العباس

الذين هم من جملة آل البيت من اخذهم ببعض ثار ابن عمهم الحسين وغيره من
آل البيت بالخروج على بنى امية لانهم عاثوا وجاروا ولم يرقبوا الله ولا رسوله لحرمة
عين فى آل البيت الطاهرين المطهرين الكاملين المكملين الجامعين بين
العلوم الشرعية والمعارف الربانية والاسرار الالهية والكرامات الباهرة
والمعالى الفاخرة ثم نزع الخلافة منهم بعد ان نصرهم الله عليهم فقتلوهم
اشر قتلة كما قال والاعادى الذين هم اوليك الفسقة الفجرة كان كل طريح
اى مطروح منهم الى الارض ببوارق السيوف ولوامع الاسنة الموجهة لتوالى
الحقوق والزق المنتفخ الملقى بالارض الذى حل عنه الوكا وهو ما يشد به
راس الزق ولا زالوا يتبعونهم حتى قطعوا دابرهم عن اخرهم فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وهذه القصة مبسوطة فى التواريخ
كتاريخ الخلفاء للسيوطى ثم فى اختصارى له فعليك بطلبها من محلها ان
ان شيت يا آل فهو منادى واصله اهل ابدلت الهاء همزة ساكنة وقبلها
همزة محركة فابدلت الساكنة الفا على القاعدة ولا يضاف الال الا الاشراف
كما هنا وانما قيل آل فرعون لانه كان متصورا بصورة الاشراف بيت
النبى ومن انقابنا بما نفس طيبتم اصولا ونفوسا وافعالا واقوالا واوصافا
وظاهر النظم ان المراد بالطيب هنا فى وبربحا نفس طيبيهما منك غير المراد
به هنا وهو محتمل ويحتمل انه فى الموضعين الطيب ظاهرا وباطنا وان
الطيب ثم لها وهنا للباقين وهو الوجه لان ذاك فى خصوصهما
وهذا فى عموم اهل البيت كما دلت عليه الاية السابقة انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اذ هى منبع فضايلهم
لاشتمالها على غرر من ماثرهم والاعتنا بشانهم حيث ابتديت بانما المفيدة
لحصر ارادته تعالى اذهاب الرجس عنهم وهو الاثم او الشك فيما يجب الايمان
به وتطهيرهم من ساير الاخلاق والاحوال المذمومة وفى احاديث تحريمهم

على النار وهو فايدة ذلك التطهير وغايته اذ منه الهام الانابة الى الله
تعالى وادامة الاعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها
صارت ملكا عضوضا ولذا لم تتم للحسن عوضوا عنها الخلافة الباطنة حتى ذهب
قوم الى ان قطب الاوليا فى كل زمن لا يكون الا منهم وحكمة ختم الاية بتطهير
المبالغة فى وصولهم لاعلاه وفى رفع التجوز عنه ثم تنوينه تنوين التعظيم والتكبير
والمشير الى انه تطهير بديع ليس من جنس ما يتعارف ويولف ثم اكد صلى الله
عليه وسلم ذلك بقوله وقد جعل على على وفاطمة والحسنين كساء وقرا الاية اللهم
هولاء اهل بيتى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفى رواية اللهم ان هولاء
آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفى اخرى اللهم
اهلى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ثلاثا وصح حديث ان مثل اهل بيتى
مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وحديث خيركم خيركم
لاهلى من بعدى وحديث سالت ربى ان لا نزوج الى احد من امتى ولا يتزوج
الى احد من امتى الا كان معى فى الجنة فاعطانى ذلك وحديث واحبونى لحب الله
واحبوا اهل بيتى لحبى وحديث انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم قاله لعلى
وفاطمة وولديهما وحديث ان لكل بنى اب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة
فانا وليهم وعصبتهم وعترتى خلقوا من طينتى ويل للمكذبين بفضلهم من احبهم
احبه الله ومن ابغضهم ابغضه الله وحديث والذى نفسى بيده لا يبغضنا اهل
البيت احد الا كبه الله فى النار وطاب المدح لى فيكم وان لم استوف واجب
حقكم ومعالى شرفكم لان الله ورسوله اثنى عليكم بما تنقطع الاعناق دون الوصول
الى غايته والاحاطة بشى من غايته وطاب لى فيكم الوفا وهو تعهد ادكماس معكم
وفطنتم وطاب الاشتقاق والمدح والرثا الطباق انا حسان مدحكم اى انا
المشبه فى الاعتنا بمدحكم على اقصى ما يمكن من وجوه البلاغة وقوانين الفصاحة
بحسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان ينصب له منبرا

في مسجده ينافح عليه كفار قريش ويرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو له
بقوله اللهم ايده بروح القدس ومن بلاغته انه لما اراد ان يهجو قريشا
اخبره النبي صلى الله عليه وسلم بانه ما من بطن من بطون قريش الا وله
اليها قرابة فقال لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين وراه عمر رضي الله
عنهما ينشد شعرا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه شزرا فقال
كنت انشد فيه بين يدي من هو خير منك وهو يقول اللهم ايده بروح
القدس ثم استشهد ببعض الصحابة على ذلك فشهد واله به **فاذا انخت**
اي رفعت صوتي بالبكاء **عليكم فاني الخنساء** بنت عمرو بن الشريد من سراة
قبايل منهم من قيس غيلان قيل قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها
بني سليم المؤالبين له صلى الله عليه وسلم ولذا احضر معه منهم يوم فتح مكة وحرب حنين
الف رجل ونظرت عايشة رضي الله عنها عليها ثوب الحزن فاخبرتها بانه
صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذرت بانها لم تعلم بالنهي ثم ذكرت سببه وهو
ان زوجها افتقر فسالت اخاها فقاسمها ماله فافتقر فسالته فقاسمها ماله
ثم الثالثة كذلك ثم الرابعة كذلك فعنفته زوجته فاجابها بانها كفته عارها
ولو هلك مزقت خمارها ولبست من شعر صدارها قالت فلما هلك اتخذت
هذا الثوب قيل لجرير من اشعر الناس قال انا لولا هذه قيل له بما فضلتك قال بقولها

ان الزمان وما تفنى عجائبه ... ابقى لنا ذنبا واستوصل الراس
ابقى لنا كل مجهول وفجعنا ... بالحالمين فهم هام وارماس
ان الجديدين في طول اختلافهما ... لا يفسدان ولكن يفسد الناس

واجمع علماء الشعر انه لم تكن امراة قبلها ولا بعدها اشعر منها اي فانها
مبتهجا في نوحها على اخيها ورثائها له بالمعاني البديعة والمباني البليغة
ومجامع الشاه وجوامع الرثاء ومنه

الا يا صخر ان ابكيت عينا ... لقد اضحكتني دهرا طويلا ... الى ان قالت

اذا قبح البكاء على قتيل ... رايت بكاك الحسن الجميلا ... ومنه ايضا
يؤرقني التذكر حين امسي ... ويردعني عن الاحزان نكسي
على صخر واي فتى كصخر ... ليوم كريهة وطعان خلس ... ثم قالت
وما يبكون مثل اخي ولكن ... اعزي النفس عنه بالتاسي ... ومنه
اعيني جودا ولا تجمدا ... الا تبكيان لصخر الندا
الا تبكيان الجري الجميل ... الا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العماد ... ساد عشيرته امردا ... ومنه
وان صخرا لتاتم الهداة به ... كانه علم في راسه نار

سال الخليفة المهدي المفضل عن افخر بيت قالته العرب فذكر له هذا
فاعطاه ثلاثين الف درهم بعد ان شكى اليه دينا عشرة الاف درهم
وراها عمر تطوف باكية لاطمة الخدها معلقة نعل صخر في خمارها فوعظها
فقالت رزيت فارسا لم يبرز احد مثله فقال في الناس من هو اعظم رزية منك
وان الاسلام قد غطى ما كان قبله وان الاجل اكرم لطم وجهك والكشف راسك
فكفت وحضرت حرب القادسية مع بنيها اربعة رجال فحرضتهم على الثبات
ابلغ تحريض ثم قالت اذا رايتم الحرب قد شمرت عن ساقيها وجللت نارا على
اوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها تظفروا بالغنيم والكرامة
في دار الخلد والمقامة فتقدموا حتى قتلوا كلهم فقالت الحمد لله الذي شرفني
بقتلهم وارجو ان يجمعني بهم في مستقر الرحمة وكان عمر رضي الله عنه يعطيها
ارزاقهم لكل مايتان حتى قبض رضي الله عنه وعنهم **سيد الناس** اما الحسنان
او ذريتهما فالمراد بالناس بالنسبة اليهم الكل لكن بالنسبة لما فيهم من البضعة
الكريمة التي لا يعادلها شيء واما بقية آل البيت فالمراد بالناس بالنسبة اليهم
من عدا الصحابة هذا كله بالنظر الى النسب واما بالنظر الى السيادة **بالتقى**
فهو خاص بالمتقين منهم وخصهم بذلك لكونه جاء عن كثير منهم من التقوى

والزهد والعباده والعلم والمعرفه مالم يحط عن غيرهم وبهذا يجاب عما يورد
على المنظر ان السياده من حيث النفي لا تختص بهم والكلام انما هو فيما
اختصابه ووجه الجواب تميزهم على اكثر الناس بنفعا لم يحصل الى غيرهم
والمعنى كما سوتم الناس بالنسب سدتموهم بزيادة التقى الذي لا يوجد
في غيركم ومر ان جماعة قالوا ان القطب لا يكون الا منهم ومع ذلك كله
ففي النظم ايهام الا ان يقال سيادتهم الناس بالنسب اشهر من ان
يذكر ودليل الاول اعني السيادة من حيث النسب الذي هو اشرف
الانساب اية المباهله قال بعض محققي المفسرين فيها لا دليل اقوى من
هذا على فضل فاطمه وعلى وابنيهما رضي الله عنهم اى لانها لما نزلت دعاهم
صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسين واخذ بيد الحسن ومشت فاطمه
خلفه وعلى خلفهما فعلم انهم المراد من الايه وان اولاد فاطمه وذريتهم
يسمون ابناه وينسبون اليه نسبة حقيقية نافعه في الدنيا والاخرة
ويدل لذلك ما صح انه صلى الله عليه وسلم خطب فقال ما بال اقوام يقولون
ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه يوم القيمة بلى والله ان
رحمي موصوله في الدنيا والاخرة الحديث واخرج الطبراني في حديث ان
الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وان الله تعالى جعل ذريتي في صلب
علي بن ابي طالب وروى غيره نحو ذلك من طرق وفي بعضها زيادة
اذا كان يوم القيمة دعا الناس باسماء امهاتهم سترا من الله عليهم
الا هذا وذريته فانهم يدعون باسمايهم لصحة ولادتهم وذكر ابن الجوزي
ذلك في العلل المتناهيه مردود بان كثرة طرقه ترقيه الى درجة الحسن
بل الصحة ويويده ما صح عن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيمة ما خلا سببي ونسبي وفي
رواية زياده الصهر والحسب وكل بني انثى عصبتهم لابيهم ما عدا ولد

بسند رجاله ثقات

فاطمة فاني انا ابوهم وعصبتهم وجاء في حديث اخرجه اكابر اهل
البيت ان عمر قال ذكر لما زوجه علي بنته فاطمه ام كلثوم وانكار
جماعه من متاخري اهل البيت ان عليا لم يزوجها لعمر ليس في محله
واقرار الصحابه لعمر على هذا الاستدلال صريح في رد ما عارضه من
اقاويل شاذة في هذه المساله لا سيما لبعض بني اميه في ذلك ودليل
الثاني اعني النظر الى السياده بالتقوى ما صح انه لما نزل قوله تعالى وانذر
عشيرتك الاقربين دعا صلى الله عليه وسلم جميع بطون قريش فعم وخص فقال
للكل لا اغني عنكم من الله شيئا غير ان لكم رحما سابلها ببلالها اي
ساصلها بصلتها ومعنى ذلك انه لا يملك لاحد نفعا ولا ضرا لكن الله يملكه
نفع اقاربه بل وامته بشفاعته الخاصة والعامه واخرج الطبراني
حديث ان اهل بيتي هولاء يرون انهم اولى الناس بي وليس كذلك ان اوليائي
منكم المتقون من كانوا حيث كانوا وصح للحاكم حديث وعدني ربي
في اهل بيتي من اقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ ان لا يعذبهم واخرج احمد
حديث والذي بعثني بالحق نبيا لو اخذت بحلقة الجنة ما بدات الا بكم
وجاء في احاديث ضعيفه ان فاطمه احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها
على النار وفي روايه ان عليا قال يا رسول الله لم سميت فاطمه قال لان الله
فطمها وذريتها عن النار نعم اخرج الطبراني بسند رجاله ثقات ان الله
غير معذبك ولا احد من ولدك وورد يا عباس ان الله غير معذبك ولا احد
من ولدك ولا ينبغي لاحد من آل البيت ان يغتر بذلك لانه استفيد من
قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق ان اهل بيتي هولاء يرون انهم
اولى الناس بي وليس كذلك ان اوليائي منكم المتقون الخ وحديث البخاري
ومسلم ان آل بني فلان ليسوا لي باولياء انما وليي الله وصالح المومنين
الا نفع رحمه وقرابته وشفاعته للمذنبين من اهل بيته وان لم ينتفع لكن

يتشفع عندهم بسبب عصيانهم ولاية الله ورسوله بكفرانهم نعمة قرب النبي
النبي صلى الله عليه وسلم بارتكابهم ما يسوءه صلى الله عليه وسلم عند عرض عملهم
عليه ومن ثم يعرض صلى الله عليه وسلم عن من يقول انه منهم في القيمة يا محمد
يريد ان يشفع له فيقول لا املك لك شيئا كما في الحديث وتامل قول الحسن
ابن الحسن السبط رضي الله عنهما لبعض الغلاة فيهم ويحكم احبونا لله فان
اطعنا الله فاحبونا وان عصينا الله فابغضونا ويحكم لو كان الله نافعا
بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو
اقرب اليه منا كابي طالب والله اني اخاف ان يضاعف للعاصي منا العذاب
ضعفين وان يوتى المحسن منا اجره مرتين وكان اخذ ذلك من قوله تعالى
يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب
ضعفين وقال موسى بن علي بن الحسين بن علي عن ابيه عن جده انما
شيعتنا من اطاع الله وعمل اعمالنا وبه يعلم ان الفرقة المسماة بالشيعة
ليسوا من شيعة اهل البيت وانما هم من شيعة ابليس لعنهم الله
كما في الحديث الذي رواه الدارقطني وقال ان له عنده طرقا كثيرة يا ابا
الحسن انت وشيعتك في الجنة وان قوما يزعمون انهم يحبونك يصغرون
الاسلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز
يقال لهم الرفضة فان ادركتهم فقاتلهم انهم مشركون وفي رواية
قالوا يا رسول الله ما العلامة فيهم قال لا يشهدون جمعة ولا جماعة ويطعنون
على السلف وسراكم الذين يدعون سادة ويتقون عليكم كسفهاء
بني امية او المراد وسواكم اي غيركم الذين لم يجعلوا بمثلكم لا سيادة لهم في
الدين اصلا بل ولا في الدنيا عند الكمل وانما سودونا عند الجهلاء مثله
وافرد الضمير نظرا للفظ سوى البيضاء اي الفضة والصفراء
اي الذهب اي طمع الناس في ماله فخصص هذين لشدة الاحتياج

والتطلع

والتطلع اليهما اكثر من غيرهما وفي سرتم وسوددته الاشتقاق والبيضا
والصفرا التربيع واقسم عليك وباصحابك جمع صاحب وهو من اجتمع
مومنا ولو طفلا واعمى بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته ومات مومنا وحرف
الشارح كشيخه الجلال المحلي رحمهما الله لهذا الاخير فيه نظر وايهام وان
وقع في صنيع احمد بن حنبل رضي الله عنه في مسنده ما يويد ذلك كما بينته
في محل اخر الذين هم بعدك فينا الهداة اي الدالون للامة على الله بما
يجب له ويجوز ويستحيل عليه وعلى رسوله كذلك وعلى شريعته وعلى تهذيب
النفوس وكمال الاخلاق والجهاد في الله وغير ذلك مما يليق بكل مما ذكر
وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
واستخلص من هذا المقام اخص افراده بذلك فقال اقتدوا بالذين من
بعدي ابو بكر وعمر والاوصياء اي الذين وصيتهم بالقيام بامور
الدين والمجاهده عليها ففتحوا الامصار والبلاد وساسوا الامم ونشروا
فيها علوم الكتاب والسنة حتى خضعت الروس لمعاليهم وباد اهل
اهل الزيغ عن اخرهم فلم يبق منهم رئيس ولا مرؤس وانما جملت الاوصيا
على ما ذكر ردا على من زعم انه صلى الله عليه وسلم وصى بالخلافة لابي بكر او لعلي
ووجه الرد ان الذي دلت عليه صرايح السنة ووقع عليه اجماع من يعتد
به انه صلى الله عليه وسلم لم يوص في امر الخلافة بشي صريح والا لهلكت الامة
لو خالفوا ذلك النص فاقتضت المصلحة العامة وشفقته على امته
صلى الله عليه وسلم ان لا ينص صريحا وانما اشار الى الخلافة لابي بكر باشارات
تقرب من التصريح كما بينتها في الكتاب السابق ذكره ولعل تلك المصلحة
التي ذكرناها في عدم التصريح هي التي ظهرت له صلى الله عليه وسلم لما طلب
في مرض موته دواة وقرطاسا ليكتب فيه ما لا يضلون معه فكثر عنده اللغط
فمن مريد الكتابة ليقع التصريح وينقطع العذر ومن مريد عدمها كعمر

خشية من مخالفة النص المودية الى هلاك المخالف فلذا انزل صلى الله
عليه وسلم الكتابة والدليل على انه انما ترك لمصلحة انه مكث بعد ذلك المجلس
اياما ولم يذكر ذلك ولا طلبه ولو كان فيما طلبه مصلحة عايدة على احد لم يترك
ذكره وان وقع اعظم ما وقع فسكوته كذلك اوضح دليل على ما تقرر **احسنوا**
بعدك اى بعد وفاتك **الخلافة** عنك **فى الدين** بالقيام بجميع ما يجب او يحسن
مراعاته من الامور الظاهرة والباطنة حيث اجمعوا على استخلاف ابى بكر
رضى الله عنه وكرم وجهه ثم على استخلاف لعمر ثم استخلافه اصحاب الشورى
لعثمان ثم على مبايعة على ثم ابنه الحسن ثم بعد نزول الحسن لمعوية على ولاية معوية
رضى الله عنهم وحيث نصبوا كلهم نفوسهم لمجاهدة الاعداء ولنشر العلوم
الى ان تحملها عنهم التابعون ثم من بعدهم جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين
خيرا **وكل منهم لما تولى** فى حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته من الخلافة
او الامارة او القضا او تجهيز الجيوش وحفظ الثغور والحصون وغير
ذلك من امور الدنيا والدين على ان جميع امورهم انما كانت للدين لا غير **ازاء**
بكسر الهمزة وفتح الزاى ككتاب اى قيم بما تولاه اهل له فى اى بقعة او زمن
كان كيف وهم جميعهم عدول كما نطق به القران ومن وقعت منهم له هفوة
فقد كفرت عنه بحد او توبة **هم اغنياء نزاهة** اى من جهة النزاهة والله
والتعفف عن جمع المال وان كان من جهة ينقطع لكلها لان محط نظرهم
انما هو التجرد المطلق عن ساير القواطع عن الله وقد قال صلى الله عليه وسلم
ليس الغنا بكثرة العرض اى المال وانما الغنى غنى النفس اى بالله عما سواه
اى سواء كان بيدها مال ام لا ومن كان منهم بيده مال كابن عوف وعثمان
والزبير فانما كان خازنا لله يصرفه فى مصارفه الشرعية فهو مقتنيه لذلك
لا للفخر والمباهاة ولا المحبة جمع لذلك الحطام الفانى ولذلك جاء ان عبد
الرحمن بن عوف اعتق ثلاثين الف رقبة وتصدق هو وعثمان فى غزوة

تبوك

تبوك بما يبهر العقل وكان للزبير الف عبد يودى اليه الخراج وما مات الا
وعليه قدر كثير جدا من الديون وكون المخلف عن ابن عوف ربع ثمنه
ثمانون الف دينار ولا ينافى ما تقرر انه انما كان خازنا لله لان الخازن لله
ليس معناه انه يخرج جميع ما فى يده دفعة بل يبقيه ويخرج منه ما هو المطلوب
منه فى كل حال او زمن واما اخراجه صلى الله عليه وسلم بجميع ما كان يدخل فى يده
دفعة فهو لما لا احتياجه لذلك لسد ضرورات اصحابه او لان حاله فى الامور
الخارقة للعادة لا يقدر غيره على التاسى به فيها فلا يحلف بذلك وتخلف
ابن عوف عن الفقراء فى دخول الجنة الوارد اما لكونه يقف ليشفع او ليسال
سوال تكريم عما انعم به عليه او جبر الخاطر الفقراء بذلك وكل ذلك غير قادح
فى فضله رضى الله عنه **هم فقراء** اى غالبهم بل كلهم لان ذوى الغنا منهم كانوا
خزان الله كما مر فلا يعدون من الغنيا الا باعتبار الصورة واما باعتبار
الحقيقة فهو على غاية من الافتقار الى الله تعالى ببواطنهم وظواهرهم
لا يشهدون لنفوسهم مالا ولا غنا وانما يعدون انفسهم خزنة لا غير وبما
تقرر فى معنى غناهم وفقرهم يعلم ان الغنى الشاكر افضل من الفقير الصابر
وهى مسئلة كثر الاختلاف فيها والحق منه ما قررته لما علمت ان الغنى هو الذى
ختم به امره صلى الله عليه وسلم وهو كان دايم الترقى فى الكمالات فلولا ان
الغنا مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر لما ختم له به فيا ومحل الخلاف
فى الفقر مع الصبر كما تقرر واما الفقر مع الرضى فهو افضل قطعا انتهى
وفيه نظر واضح لانه صلى الله عليه وسلم كان فى ابتدا امره مع فقره على
غاية من الرضى لم يصل اليها غيره ومع ذلك لم يختم له الا بالغنا مع الشكر
كما تقرر وبفرض صحة هذا القول فغالب فقرا الصحابة يفضلون اغنياهم
لانهم راضون بفقرهم قطعا وبين الاغنيا والفقرا التضاد وكذا بين
ابمنة وامرا وبين الرخص والاغلا الاتيات وفى الحديث اصحابى كالنجوم

مطلب الغنى الشاكر افضل من الفقير الصابر

بانهم اقتديتم اهتديتم هم **علمائه** لانهم ورثوا من علومه صلى الله عليه وسلم
ما تميزوا به على جميع من جا بعدهم وفي الحديث اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم وهذا بالنسبة لاكثرهم والا فقد جاء ان الحسن البصري
كان يفتي الصحابة في زمنه وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه
في خطبة الوداع رب مبلغ اي بفتح اللام اوعى من سامع هم **امراء** اي كثيرون
منهم تولوا الامارة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في زمن الخلفاء الراشدين
فقاموا بحقوقها وبروا وعدلوا ومن ثم لما رمى بعض المتهورين سعد بن
ابي وقاص رضي الله عنه لما كان اميرا على الكوفة بعدم العدل فيهم دعا عليه
بدعوات استجيب فيه عاجلا حتى صار عبرة للناس ومنها ان الله يطيل عمره
ويعرضه للفتن فكان وهرب حاجبيه قد سقط على عينيه من الكبر
يتعرض للجواري في الاسواق ويقول شيخ سوء اصابته دعوة العبد الصالح
سعد رضي الله عنه ومما يدل على انهم اغنيا نزاهة لا غيرا انهم **زهدوا في**
الدنيا بضم الدال وحكى ابن قتيبة كسرها فعلى من الدنو اي القرب لسبقها
للاخرى وقيل لدنوها من الزوال وهي ما على وجه الارض وقيل كل المخلوقات
من الجواهر والاعراض ويطلق على كل من ذلك مجازا كما هنا فان المراد بها
هنا الاموال وتوابعها من نحو الجاه والكبر والفخر والخيلاء ولفظها مقصور
بلا تنوين حيث لا لام فيها وحكي تنوينها واستشكل ابن مالك استعمالها
منكرة كما في الحديث واجاب بانها انخلعت عنها الوصفية واجريت مجرى
ما لم يكن وصفا قط كرجعى ثم الصحابة رضوان الله عليهم في الزهد فيها وهو
اخذ ما يحتاج اليه من الحلال وترك ما لا يحتاج اليه منه على قسمين فاكثرهم
ترك السعي في تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف ونشرها وبالعبادة
حتى لم يبق من اوقاته شيئا الا وهو مشغول بشيء من ذلك وكثير منهم حصلوها
لكن كانوا فيها خزان الله تعالى كما مر وهذا لا ينافي زهدهم فيها لانهم لم يمسكوها

لانفسهم

لانفسهم بل لاخراجها على مستحقيها بحسب نظرهم واجتهادهم واذا تقرر
ان زهدهم بقسميهم فيها حقيقي **فما عرف الميل اليها** منهم بنوع التفات
ولا اقبال لحقارتها في اعينهم **ولا الرغباء** اي الزيادة في تحصيلها وهذا اعلم
من نفي الميل بالاولى فذكره مجرد ايضاح وفيه من البديع ذكر النظير والتذييل
ولا ينافي هذا ثناؤه صلى الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال الصالح في يد
الرجل الصالح ودعائه به لاناس من الصحابة كابن عوف وانس وغيرهما
فكثرت اموالهم جدا لان المال له جهتان جهة خير تصرفه في الطاعات
والاعانة على قيام امور الديانات وبالنظر اليها يثنى عليه وجهة شر تصرفه
في ضد ذلك وبالنظر اليها يذم ويقبح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
الوارد بسند حسن خلافا لمن وهم فيه اللهم من احبني فاقلل ماله وامن ولده
الحديث وقد بسطت الكلام على ذلك مع استيعاب ما ورد في مدح الدنيا
وذمها والجمع بين تلك الاحاديث في كتابي سعادة الدارين في صلح الاخوين
بما لا يستغنى عن مراجعته **ارخصوا في الوغى** اي بسبب الحرب الواقع
منهم لاعدائهم في الوقائع المشهورة ومن ان اطلاق الوغى على الحرب
مجاز لا حقيقة **نفوس ملوك** كثيرين **حاربوها** بقوة عزم وشدة حزم
وصدق نية واخلاص طوية فنصرهم الله عليهم بقتل بعضهم تارة وازالة
ملك اخرين اخرى **اسلابها** بفتح الهمزة جمع سلب بفتح اللام وهو ثياب
القتيل وفرسه وما عليهما من آلات السلاح والنقد وجنيبة تقاد بين
يديه وليس المراد خصوص جمع القلة لانه جمع مضاف للملوك الذي هو جمع الكثرة
واضافة الجمع تفيد عمومه اما في الافراد وهو التحقيق او في الجموع وعليه كثيرون
اغلاء بكسر الهمزة اسم مصدر لغلى السعر بمعنى اسم الفاعل اي غالية الاثمان
وفي بعض النسخ ضبطه بفتح الهمزة وكانه جمع غال كذا اورد وبه يندفع قول
الشارح لا وجه له انتهى بل وجهه اظهر من الاول لان حمل المصدر

واسمه على الجمع يحتاج لتاويل كما اشرت اليه بخلاف حمل الجمع على الجمع واما
قوله على المعنى الاول ان المعنى انه كما كان القتل ارخاصا للنفوس فى الاسلاب
اى اخذها اغلاء للاسلاب وقال قبله على المعنى الاول ايضا وكانه اى
الناظم يقول انهم كما ارخصوا نفوس محاربيهم بالقتل فقد اغلوا اسلابهم
بواسطة كثرة ما سلبوه واجتمع عندهم من الاسلاب فقابل بين ارخاص
الانفس واغلا الاموال التى هى الاسلاب الماخوذة ممن قتلوه لكثرة ما قتلوه
وسلبوه انتهى ففى كل من المعنيين بعد وخفا والوجه ان المعنى عليه انهم
كما ارخصوا تلك النفوس عوضهم الله تلك الاسلاب الغالية الاثمان على حد
رجل عدل اى عادل ورجال عدل اى عادلون فكان المصدر هنا اول
باسم الفاعل فكذا فيما نحن فيه يؤول الاغلا بالغالية وهذا هو المعنى على فتح
الهمزة فتساوى المكسور المفتوح **كلهم ذو احكامه** جمع حكم والحكم الشرعى
خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف بالاقتضا او التخيير وحكم الحاكم
يظهر ذلك ويطلق ايضا عند الاصوليين على النسب التامة المثبتة
تارة والمنفية اخرى كما فى قولهم الفقه العلم بالاحكام الشرعية وهذا هو
المراد هنا خلافا لما يوهمه كلام الشارح **ذو اجتهاد** صحيح لتوفر شروط
الاجتهاد كلها فى جميعهم بزيادة ولذلك لم يعرف عن احد منهم انه قلد
غيره فى مسئلة من المسايل وكان يستفتون كل من راوه منهم فيفتيه باجتهاده
ولا يعترض احد منهم على احد الا ان كان هناك نص صريح خولف فيذكر
له فمنهم من يرجع اليه ومنهم من يؤوله او يعارضه بمثله وهذا رد على قوم
سلبهم الله الدين والعقل وسلط عليهم الحمق والجهل فاعتقدوا انهم
ذووا هوى او نفس وحظ او بغض حاشاهم الله من ذلك بل لم تختر هم
لصحبة نبيه الا وهم على اكمل الاوصاف واجلها **وذو صواب** يعنى وذوا
ثواب ولو عبر به لكان اولى لان بقاه على حقيقته انما ياتى على القول

الضعيف

الضعيف ان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تابع لظن المجتهد اما
على الاصح ان المصيب واحد وان له اجرين كما صح به الخبر او عشرة اجور
كما فى رواية وللمخطى اجر واحد كما صح به الحديث ايضا فلا يقال كلهم ذو
صواب بل صوابه ذو ثواب كما تقرر فتامله فعلى الاول كل من على ومعوية
رضى الله عنهما مصيب وعلى الثانى على مصيب له اجران او عشرة
اجور ومعوية فى خروجه على على مخطى له اجر واحد والاجتهاد بذل الوسع
فى تحصيل المقصود ثم ان وافق ما عند الله فصواب والا فخطا فان قلت
يمكن تاويل النظم بان مراده ذو صواب عند نفسه باعتبار انه يتحتم
عليه العمل بما ظنه وان لم يكن صوابا فى نفس الامر قلت هو تاويل بعيد على
ان هذا لو كان مراده لم يسغ له فيه هذا الاطلاق الموهم **وكلهم اكفاء** اى مكافئون
فى اصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وابراز الاحكام لله لا لحظ ولا
لهوى وانما تفاوتوا فى الزيادة فى ذلك وحينئذ لا ينافى ذكر قول ابن عمر
ابو بكر اعلمنا ولا سوال عمر لعلى فيجيبه فيقول لا فرس الله امرا لست فيها يا ابا
الحسن ولا تقديم عمر لابن عباس على اكابر مشيخة المهاجرين والانصار لانه كان
يجد عنده من العلم ببركة دعا النبى صلى الله عليه وسلم له بان الله يفقهه فى الدين
ويعلمه التاويل ما ليس عندهم ولا سوال معوية لعلى بالارسال اليه فى المشكلات
فيجيبه ولقد قال له احد ابنيه لم تجيب عدونا فقال اما يكفينا ان احتاج الينا
وسالنا واجمعوا على ان افضل الناس بعد الانبيا ابو بكر ثم عمر ثم على الاصح
عثمان ثم على ثم بقية العشرة المبشرون بالجنة ثم اهل بدر ثم اهل بيعة الرضوان
وقيل اهل احد **رضى الله عنهم ورضوا عنه** اقتباس من قوله تعالى والسابقون
الاولون الى ان قال رضى الله عنهم ورضوا عنه ورضى الله عن العبد تامينه
من سخط واحلاله تعالى كرمه ورضى العبد عنه ان لا يختلج فى سره ادنى حزازة
من وقوع قضا من اقضيته لحق به بل يجد لذلك فى قلبه بردا اليقين وثلج

الصدر وشهود المصلحة العظمى وزيادة الطمانينة وبين رضى ورضوا
اشتقاق ليخطوا وخطا الاثنين فبسبب ما ذكر من اوصافهم وخيمها
بما فى الاية فى حقهم انّى استفهام انكارى تعجبى اى كيف تخطو اليهم اى
يصل اليهم اذ الخطوة ما بين القدمين خطاء وهو نقيض الصواب يعنى لا
يخطى احد منهم خطا يأثم به لما مر انهم كلهم مجتهدون وان المجتهد اذا اخطا
له اجر وهذا الكلام الذى قبله ماخوذ من عدة احاديث ذكرتها فى الصواعق
السابق ذكره مع ذكر مخرجيها وهنا اذكر جملة غريبة عن ذكر الاتكال على
اسانيدها ثم منها ان الله اختارنى واختار لى اصحابا فجعل لى منهم وزراء وانصارا
واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين لا يقبل الله منهم
يوم القيمة صرفا ولا عدلا اى فرضا ولا نفلا وفى رواية فمن حفظنى فيهم حفظه
الله فى الدنيا والاخره ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه
يوشك ان ياخذه اذا اراد الله برجل من امتى خيرا القى حب اصحابى فى قلبه
اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا
بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن اذاهم فقد
اذانى ومن اذانى فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه ما شانكم
وشان اصحابى ذروا لى اصحابى فوالذى نفسى بيده لو انفق احدكم
مثل احد ذهبا ما ادرك مثل عمل احدهم يوما واحدا وفى رواية للشيخين وغيرهما
لا تسبوا اصحابى فوالله نفسى بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد
احدهم ولا نصيفه من لم يحفظنى فى اصحابى لم يرد على الحوض ولم يرنى خير
الناس قرنى الذى انا فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والباقى اراذل
اى غالبهم وفى رواية متفق عليها خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم
الذين يلونهم الحديث وهم اول داخل فى قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس
ولا مقام اعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم

ونصرته

ونصرته جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم قوم من الصحابة من بعد قوم
وهكذا السابقون الاولون ثم الذين من بعدهم وهكذا الى وفاته صلى
الله عليه وسلم وكان الناظر اشار بهذا الى ما فى اول صحيح البخارى عن
هرقل انه سال ابا سفين رضى الله عنه عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
ايزيدون ام ينقصون فقال بل يزيدون وانه هل يرتد احد منهم سخطة
لدينه فقال لا فبين له ان من شان الرسل ان اصحابهم كذلك فعلم ان
مجى الصحابة قوما بعد قوم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم واندفع
ما قد يقال اى فايدة فى هذه الجملة من كلام الناظم وهل هى الا مجرد اخبار
مواقع لا تترتب عليه فايدة اذ لا فرق بين مجيئهم اليه دفعة او دفعات
وكلهم ملتبسون بحق فلا مطعن فيهم لطاعن وما نقمه الرافضة ونحوهم
عليهم فلم يصح منه شى اصلا وانما هو من مقالات الجاهلين ووضع المفترين
وعلى المنهج اى الطريق الواضح الحنيفى اى المستقيم الذى لا انحراف فيه
ولا اعوجاج جاؤا كلهم وتابعوهم باحسان وهكذا لا تزال طايفة من
امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتيهم امر الله وهم على
ذلك ما لموسى كليم الله ولا لعيسى روح الله صلى الله عليه وسلم حواريون
جمع حوارى وهو الناصر وجعل ذكر علما بالغلبة على اصحاب عيسى لانهم
كانوا يحورون الثياب اى يقصرونها ومن الحوارى الدقيق الابيض
لبياضه الواعم فى فضلهم بشهادة نص اية كنتم خير امة وحديث خير
القرون وفى رواية خير الناس قرنى وحديث المناجاة ان موسى راى
لهذه الامة فى اللوح اوصافا باهرة فقال يا رب فاجعلنى منهم ولا نقباء
فى فضلهم ايضا وهو لف ونشر مشوش اذ الحواريون لعيسى والنقبا لموسى
ولما اقسم بالصحابة كلهم اجمالا اخص العشرة المقطوع لهم بالجنة مرتبا
للاربعة الاول منهم على ترتيبهم فى الافضلية والاحقية بالخلافة فقال

وانتم عليكم بابي بكر الصديق رضي الله عنه فهو عطف على بالعلوم
بحذف حرفه ويصح انه وما بعده ابدال تفضيلية من باصحابكم الذي
الذي تميز عن ساير الصحابه بما كان كالصريح في انه الخليفة الحق بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه افضلهم بل افضل ما عدا الانبيا والمرسلين
كما صح به حديث ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين
افضل من ابي بكر وهو ما صح من طرق كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر وصار
معلوما بالضرورة كما قاله الاشعري فلذا لم يسع احدا من المبتدعة انكاره
للناسي به في حياتكم الاقتداء فاعل صح والظروف متعلقة به فمن تلك
الظرف ما اخرجه الشيخان اشتد مرض النبي صلى الله عليه وسلم فقال مروا
ابا بكر فليصل بالناس فقالت عايشه رضي الله عنها يا رسول الله انه
رجل رقيق اذا قام مقامك لم يستطع ان يصلي بالناس فقال مري ابا بكر
فليصل بالناس فعادت فقال مري ابا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب
يوسف فاتاه الرسول فصلى بالناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي رواية انها راجعته فلم يرجع لها قالت لحفصة قولي له يا مر عمر فقالت
له فاشتد غضبه فقال مروا ابا بكر وفي اخرى ان الحامل لعايشه على ذلك
خوفها ان تشام الناس به بقيامه مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه
الذي مات فيه وفي اخرى انه امرهم بالصلاة وكان ابو بكر غايبا فتقدم
عمر فكبر وكان صيتا فقال صلى الله عليه وسلم بعد ان اخرج راسه مغضبا
لا يابى الله والمسلمون الا ابا بكر ثلاثا وفي اخرى انه فجر الاثنين يوم موته
كشف ستر سجف حجرته فراهم في صلاة الصبح وابو بكر يصلي بهم
فتبسم فضحك فنكص ابو بكر على عقبيه ظنا انه يريد الخروج اليهم وهم
المسلمون ان يفتتنوا في صلاتهم فرحا به فاشار اليهم بيده ان اتموا صلاتكم
ثم دخل الحجرة وارخى الستر فتوفي ضحى وفي البيت التلميح الى هذه القصة

قال

قال العلما فيه اوضح دليل على انه افضل الصحابة مطلقا واحقهم
بالخلافة واولاهم بالامامة ومن ثم اجمعوا على ذلك لان تقديمه بحضرة
المهاجرين والانصار مع قوله يوم القوم اقرؤهم لكتاب الله اي اعلمهم
بالقران صريح في انه اعلمهم بالقران مطلقا وقد استدل الصحابة
انفسهم بهذا على انه احق بالخلافة منهم علي قال لقد امر النبي صلى
الله عليه وسلم ان يصلي بالناس واني لشاهد وما انا بغايب وما بي مرض
فرضينا لدنيانا ما رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا وما احسن قول من
قال صلى بالناس ثلثة ايام والوحي ينزل فسكت الله وسكت رسوله
وسكت المومنون ومن الظواهر او الصرايح على خلافته ايضا ما اخرجه
مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لعايشة في مرض موته ادعي لي ابا بكر
واخاك حتى اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن ويقول قايل انا اولى
ويابى الله والمومنون الا ابا بكر وفي رواية اكتبوا لابي بكر كتابا لا يختلف
عليه احد ثم قال دعيه معاذ الله ان يختلف المومنون في ابي بكر وصح ان
قوما سالوا انسا ان يسال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من يدفعون
اليه زكاتهم بعده فسأله فقال الى ابي بكر واخرج الشيخان ان امراة اتت
صلى الله عليه وسلم فامرها ان ترجع اليه فقالت ارايت ان جيتك فلم اجدك
كانها تقول الموت فقال ان لم تجديني فاتي ابا بكر ومنها ما اخرجه الشيخان
من عدة طرق انه صلى الله عليه وسلم راى انه على بير لم تطو فنزع منها بدلو
فاخذ الدلو من يده ابو بكر فنزع منها دلوا او دلوين ثم اخذها عمر من ابي
بكر فاستحالت في يده غربا اي دلوا كبيرة فاستقى منها حتى ضرب الناس
بعطن اي حتى رووا قال العلما هذه اشارة الى خلافة ابي بكر وقصر
مدته وطول مدة عمر وكثرة الفتوح وظهور الاسلام في زمنه وبنيت
ادلة اخرى سمعية وايات واحاديث كثيرة تدل على خلافة خليفة

وانه اعلمهم وافضلهم بينتهما اتم بيان فى كتاب الصواعق السابق ذكره
والمهدى اى المسكن للفتنه والاضطراب فى امر الخلافه يوم السقيفه
التى لبنى ساعده من الانصار حين اجتمعوا بعد دفنه صلى الله عليه وسلم
بها الى سعد بن عباده سيد الخزرج ليولوه لما اى حين ارجف الناس
اى اضطربوا فى امر الخلافه وبين المهدى اى المسكن وارجف والقربا
والاباعد وتغرب ويبعد المطابقه انه تعليل للمهدى ولانيا فيه
كسرات لانفاع كونها للاستينافات قد تفيد التعليل ايضا كما صرحوا
به فى ان الحمد والنعمة لك فى التلبية الراداء اى المسكن للاضطراب
لاغيره وكان مراده انه المشهور قديما وحديثا بانه يسكن الفتنة
ويحكى كونهما وفى الصحيحين عن عمر رضى الله عنه انهم لما دفنوا
النبى صلى الله عليه وسلم تخلف على والزبير ومن معهما فى بيت فاطمه
وتخلفت الانصار باجمعها فى سقيفة بنى ساعده واجتمع المهاجرون
الى ابى بكر فقال له عمر انطلق بنا الى الانصار فذهبوا اليهم فلما
جلسوا قام خطيبهم فخطب واثنى على الله ثم مدح الانصار واطنب
بحيث لم يترك اية او خبرا جاء فيهم الاذكره ثم ذكر ان قوما يريدون
ان يستبدوا بالامر عليهم ثم سكت فاراد عمر ان يخطب بما زوره
اى جمعه فى قلبه فاشار اليه ابو بكر بالسكوت ثم خطب واثنى على الانصار
ثم بين ان الخلافة لا تكون الا فى قريش واحتج بالحديث الصحيح
الائمة من قريش ثم قال قد رضيت لكم اما عمر وابا عبيده واخذ بيدهما
وقال بايعوا من شئتم منهما فقام الحباب بن المنذر وتحمس وترفع ثم قال
منا امير ومنكم امير فكثر اللغط وخيفت الفتنه فبادر عمر وقال
لابى بكر ابسط يدك فبسطها فبايعه فتبعه المهاجرون ثم الانصار
فقال قائل قتلتم سعد بن عباده اى لانه كان به بعض مرض فقال

عمر

عمر قتله الله اى لان الاجتماع عنده ربما كان سببا للفتنة فساغ عمر
فى اجتهاده وانه بالنسبة اليه كالشيخ بالنسبة الى تلميذه يودبه بما
يراه ان يقول فى حقه ذلك وصح ان عمر احتج على الانصار بامامة
ابى بكر فرجعوا عما كانوا فيه وقالوا نعوذ بالله ان نتقدم ابا بكر ولما
بايعوه صعد وجلس على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد ثم اثنى على ابى
بكر ثم قال قوموا فبايعوه فبايعه الناس بيعة العامه فخطب ابو بكر
ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينونى وان
اسأت فقومونى اطيعونى ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله
ورسوله فلا طاعة لى عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعا به فجاء فتكلم
عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه فلم ير عليا فدعا به
فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه واستدل
كل منهما حينئذ على احقيته بالخلافة بانه صاحب الغار وبتقديمه
للامامه وحكى ابن مسعود وغيره ان الصحابة اجمعوا على خلافة ابي
بكر لم يتخلف عنها احد منهم ثم تبعهم من بعدهم من اهل السنة
والجماعة الى الآن ثم هم وكذا الاكثر العرف واقسم عليك بابى بكر
الفاعل لذلك حال كونه كرم الله وجهه النقز بالقاف فالمعجمه
الدين وهو ما جاء به النبى المكرم صلى الله عليه وسلم اى نجاد بانا له كل
شبهة عنه واهله بانا له اسباب الفساد بينهم بعد ما سحر ربه
كان اى وجد للدين متعلق هو وما بعده باسمها وهو اشفا
على حرف كربة اى غم ياخذ النفس ويصح كونها ناقصة وللدين
خبرها اشفاء اى اشرف واقرب تخشى منه ان لا يجتمع للاسلام
بعده شمل ابدا ومن ثم قال ابو هريرة رضى الله عنه والله لولا ابو بكر
ما عبد الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم ابدا وايضا فكلهم يوم وفاته

صلى الله عليه وسلم طاشت عقولهم حتى تكلموا بكلمات غير منتظمة الا
ابا بكر كان غايبا فلما حضر دخل وكشف عن الوجه الكريم فقبله
فقال طبت حيا وميتا لا يجمع الله عليك موتتين ثم خرج فتلى عليهم
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى الشاكرين فلما سمعوها
رجعت اليهم عقولهم فتلوها وقالوا حتى عمر فانه انكر موت النبي وقال
ذهب الى ربه فاسكته ابو بكر فسكت فاقبل على الناس فصغوا اليه
وتركوا عمر فقال يا ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات
ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلى الاية فقالوا كانا لم
نسمعها الا حينيذ فكان هو المثبت لهم حينيذ والا لم يجتمع لهم شمل
وايضا اختلفوا في محل دفنه اختلافا شديدا كاد ان يفضي الى الفتنة
فروى لهم الحديث ان كل نبي يدفن في المحل الذي توفي فيه فرجعوا اليه
وزال ما كان بينهم وايضا اختلفوا في ارثه اختلافا شديدا حتى روى
لهم الحديث المشهور نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركنا صدقة
فرجعوا اليه ولهذا اعلم انه احفظهم للسنة وانما سبب قلة الرواية عنه
قصر مدة خلافته واشتغاله بقتال المرتدين ومانعي الزكاة ومسيلمة
الكذاب وحال كونه انفق المال الكثير الذي كان يملكه اي صرفه في
مصارف الخير حتى تخرجه في اي بسبب او من اجل رضاك يا رسول
الله كما جاء به القران قال تع وسيجنبها الاتقى الذي يوتي ماله يتزكى
الى اخر السورة قال ابن الجوزي اجمعوا انها نزلت في ابي بكر ففيها
التصريح بانفاقه ماله وبانه الاتقى وهو الاكرم بدليل ان اكرمكم عند
الله اتقاكم والاكرم هو الافضل كما صرح به الحديث الصحيح ما صحب
النبيين والمرسلين اجمعين ولا صاحب يس اي المذكور في سورة يس
اي حبيب النجار افضل من ابي بكر وصح حديث انه ليس في الناس

احد امن علي في نفسه وماله من ابي بكر ولو كنت متخذا خليلا غير
ربي لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن خلة الاسلام افضل سدوا عني كل
خوخة في هذا المسجد الا خوخة ابي بكر اي لانه سيصير خليفة يحتاج
الى ملازمة المسجد واخرج الترمذي حديث ما لاحد عندنا يد الا
وقد كافاناه ما خلا ابي بكر فان له عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيمة
وما نفعني مال احد قط ما نفعني مال ابي بكر والطبراني ما احد عندي
اعظم يدا من ابي بكر واساني بنفسه وماله وانكحني ابنته والترمذي
رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله
ولا نفعني مال في الاسلام ما نفعني مال ابي بكر ولا ينافيه حديث البخاري
انه صلى الله عليه وسلم لم ياخذ منه الراحلة الى الهجرة الا بالثمن لاحتمال
انه ابراه منه وصح انه كان بينه وبين عمر شي فساله ان يغفر له فابى
فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فندم عمر فاتى منزل ابي بكر فلم يجده
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل وجهه يتمعر حتى اشفق ابو بكر فجثى على ركبتيه
وقال يا رسول الله انا كنت اظلم منه مرتين فقال ان الله بعثني اليكم فقلتم
كذبت وقال ابو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل انتم تاركوا لي
صاحبي فما اوذي ابو بكر بعدها وفي رواية في قضية نظيرة هذه الا
تدعون لي صاحبي ما شانكم وشانه فوالله ما منكم رجل الا على باب بيته
ظلمة الا باب ابي بكر فان على بابه النور ولقد قلتم كذبت وقال ابو بكر
صدقت وامسكتم الاموال وجاد لي بماله وواساني واتبعني واخرج
احمد واخرون عن جماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم قال ما نفعني
مال قط ما نفعني مال ابي بكر فبكى ابو بكر وقال هل انا ومالي الا لك يا رسول
الله وفي رواية عن ابن المسيب مرسلا وكان صلى الله عليه وسلم يقضي في
مال ابي بكر كما يقضي في مال نفسه واخرج ابن عساكر انه اسلم وله اربعون

الف دينار وفي رواية اربعون الف درهم فانفقها على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والبغوي وابن عساكر انه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم
وعليه عباة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال يا محمد
مالي ارى ابا بكر عليه عباة قد خللها في صدره بخلال فقال يا جبريل
انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله يقرا عليه السلام ويقول له اراض
انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربي انا عن ربي
راض انا عن ربي راض ثلاثا وسنده غريب ضعيف جدا وفي رواية
ان جبريل هبط متخللا بطنفسة واخبر ان الله امر ملائكته ان يتخللوا
بها كابي بكر قال الحافظ ابن كثير وهذا منكر جدا ولولا انه كالذي قبله يتداوله
كثير من الناس لكان الاعراض عنهما اولى وصح عن عمر امرنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم اسبق
ابا بكر اي ما سبقته يوما فجيته بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ابقيت لاهلك فقلت مثله فاتى ابو بكر بكل ما عنده فقال يا ابا بكر ما
ابقيت لاهلك فقال ابقيت لهم الله ورسوله فقلت لا اسبقه الى شيء ابدا
والحال انه لا من منه عليك فيما انفقه وان كثر وانما المنة لك عليه
وعلى غيره كما اعترف بذلك هو وغيره والمن ذكر النعمة على جهة الافتخار
ومن ثم حرم تحريما غليظا على نحو المتصدق فالمن على المتصدق عليه بان
يعدد عليه ما اعطاه له او يذكره لمن لا يحب اطلاعه عليه قال تعالى لا
تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واعطى لله عطاء جما اي كثيرا في
وجوه الخير العامة والمصالح الدايمة منها اعطاوه ثمن محل مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث الهجرة انه صلى الله عليه وسلم لما وصل قبا
واقام به بضعة عشر يوما ركب ناقته ونهى ان ياخذ احد بزمامها
وقال دعوها فانها ناقة مامورة فاستمرت الى ان بركت عند محل مسجده

صلى الله عليه وسلم ثم سارت وهو راكب عليها حتى بركت على باب دار
ابو ايوب الانصاري من بني النجار احد اخوال جد النبي صلى الله عليه وسلم عبد
المطلب وكانت دارهم اوسط دور الانصار وافضلها ثم قامت وبركت
في مبركها الاول والقت باطن عنقها بالارض ثم صوتت من غير ان تفتح
فاها فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله ثم ساوم
بني النجار في تلك البقعة فاشتراها منهم بعشرة دنانير ونقدها من مال
ابي بكر وكان قد خرج من ماله كله فكان له من السبب في ذلك المسجد الاعظم
ما اقتضى وصول ثوابه الى حد لا يقدر قدره واشترى ايضا جماعة اسلموا
فعذبهم اهل مكة العذاب الاليم منهم بلال واعتقهم ولا اكراه اي ولم يقطع
اعطاه بل استمر عليه حتى توفاه الله تع وابى اي واقسم عليك بابي حفص
الذي اظهر الله به الدين كما جاء في سبب تسميته بالفاروق واخرج
ابو نعيم في الدلايل وابن عساكر عن ابن عباس انه ساله عن سبب تسميته
بالفاروق فذكر ان حمزة اسلم قبله بثلاثة ايام وانه خرج الى المسجد فسب
ابو جهل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر حمزة فاخذ قوسه وجاء فضرب بها
احد اخدعي ابي جهل فقطعه فسالت الدما فاصلحت بينهما قريش
مخافة الشر والنبي صلى الله عليه وسلم مختف بدار الارقم فانطلق حمزة فاسلم
وبعده بثلاثة ايام انكر عمر على من اسلم فقال له ان اختك وختنك سعيد
ابن زيد احد العشرة المبشرين بالجنة قد اسلما فضرب راس اخته وادماه
فقالت له كان ذلك على رغم انفك فاستحى حين راى الدما وجلس وسالها
ان تريه الكتاب فقالت لا يمسه الا المطهرون فاغتسل فاخرجوا اليه
صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم طه ما انزلنا عليك القران لتشقى
الايات فعظمت في صدره فقال له خباب وكان النبي صلى الله عليه وسلم
ارسله ليعلم اخته وزوجها اني لارجو ان يكون الله خصك بدعوة نبيه

صلى الله عليه وسلم فانى سمعته امس يقول اللهم اعز الاسلام بعمرو بن هشام
اى ابى جهل او بعمر بن الخطاب فقال دلنى عليه فتوشح سيفه وذهب الى
النبى صلى الله عليه وسلم فضرب الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة
مالكم قالوا عمر قال وعمر افتحوا الباب فان اقبل قبلناه وان ادبر
قتلناه فسمع ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فخرج فتشهد عمر فكبر اهل
الدار تكبيرة سمعها اهل المسجد فقلت يا رسول الله السنا على الحق
قال بلى قلت ففيم الاخفا فخرجن صفين انا فى احدهما وحمزة فى
الاخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الى والى حمزة فاصابتهم
كابة شديدة فسمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ
وفرق الله بى بين الحق والباطل وفى رواية انه لما ظهر اسلامه صاروا
يضربونه ويضربهم حتى اجاره خاله قال فما زلت اَضرِب واُضرَب
حتى اعز الله الاسلام وصح انه لما اسلم نزل جبريل فقال يا محمد قد
استبشر اهل السما باسلام عمر وان المشركين قالوا قد انتصف القوم
منا وانزلت يا ايها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المومنين وان ابن
مسعود قال ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر وقال ايضا كان اسلامه فتحا
وهجرته نصرا وامارته رحمة ولقد رايتنا وما نستطيع ان نصل الى
البيت حتى اسلم فقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا وان حذيفة قال لما اسلم
كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام
كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا فبسبب قوته فى الله وشدة
شكيمته كما علم مما تقرر ارعوى اى رجع واقلع وانكف الرقباء اى
الاعداء عما كانوا عليه من الافساد فى الدين وعدم النصح له وعدم ايذاء
النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة بالامور العظيمة التى كانوا يفعلونها
وهو ايضا الاما العدل القوى فى الله الذى ينطق الحق على لسانه

لعله
واذا النبى

قلذكر

قلذلك تقريب الاباعد عنه فى النسب فى اى بسبب او لاجل رضى
الله اليه متعلق بتقريب فيكونون بذلك اولى عنده من اقاربه الذين
ليسوا كذلك كما قال انفاقه هذا البيت من انواع البديع بالعكس بحو اول
لكم الايه وبالاكتفا وهو حذف شى دل عليه ما قبله كما قدرته وبرد العجز على
الصدر ويسمى بالارصاد وهو ان يتقدم على الروى ما يشعر به نحو وما ظلمناهم
الايه ويبعد عنه القرباء اى قرباؤه اذا لم يوافقوه على طاعة الله
تعالى فعلم انه لا يحابى قريبا ولا صديقا وانه لا رياء عنده ولا سمعة ولا محبة
ولا عصبية وان محط نظره هو الله لا غير وطاعة ربه هى المقربة منه
وضدها هو المبعد منه عمر بن الخطاب من موصوله قوله الفصل
اى الفاصل بين الحق والباطل ومن حكمه السوى اى الذى لا اعوجاج
فيه السواء تاكيد المعتدل وهذا اولى من جعل الشارح السوى صفة
حكم والسواء خبره لاقتضا تغايرهما وليس كذلك فر اى هرب منه الشيطان
اى ابليس وكل عات متمرد جنى وانسى اذا اى لاجل انه كان فاروقا ظاهره
ان سبب تلقيبه بالفاروق كون الشيطان فر منه وليس مرادا لما مر ان سببه
ان الله فرق به بين الحق والباطل كما صحت به الاحاديث فبسبب
ما منحه من النور الذى يفرق به بين الحق والباطل وبغر الشيطان
منه بسببه للنار التى هى اصل الشيطان من سناه بالقصر اى
ضوئه انبراء اى امحا والاصل فى ذلك احاديث صحيحة منها حديث
يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا
وسلك فجا غير فجك وحديث ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر
وقلبه وانه ما نزل بالناس امر قط فقالوا وقال الا نزل القران على
نحو ما قال وحديث لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب وحديث
ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وحديث ان الشيطان

ليفر منك يا عمر وفي رواية اني لانظر الى شياطين الجن والانس قد فروا
من عمر وفي اخرى اتاني جبريل فقال اقرا عمر السلام وقل له ان رضاه
حكم وغضبه عز وفي اخرى الحق بعدي مع عمر حيث كان وفي اخرى
ان الشيطان لم يلق عمر منذ اسلم الا خر لوجهه وفي اخرى الصدق
بعدي مع عمر حيث كان وفي اخرى عمر معي وانا مع عمر والحق بعدي مع عمر
حيث كان وصح حديث ما طلعت الشمس على خير من عمر وروى احمد
وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال له يا اخي اشركنا في صالح دعايك ولا تنسنا
والشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نايم شربت لبنا حتى انظر الى
الري يجري في اظفاري فناولته عمر قالوا فما اولته يا رسول الله قال العلم
وانه راه وعليه قميص يجره قالوا فما اولته يا رسول الله قال الدين وصح انه من
الملهمين الذي ينطق الحق على لسانهم وابن اي واقسم عليكم بذي النورين
ابي عمرو عثمان بن عفان ذي اي صاحب الايادي اي النعم وهذا في اليد
بمعنى الجارحة جمع ايدي جمع يد فاتى به الناظم في اليد بمعنى النعم ايضا التي
طال اي عظم واسند الى المصطفى على الخلق كلهم اي المختار فهو من الاصطفا
وقيل المصطفى المنقى من كل شين وكدر فهو من التصفية بها متعلق بقوله
الاسداء اي الاعطا حفر البير اي بير رومة وذلك انها كانت ليهودي
في الاشهر فقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ماء يستعذب غيرها فقال
صلى الله عليه وسلم من حفر بير رومة او من اشتراها فله الجنة فاشتراها عثمان
بعشرين الف درهم وحفرها وهي موجودة الى الان فنوابها مستمر الى قيام
الساعة وفي رواية ان عثمان لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم فيها انها نعم البير
اشترى نصفها بماية بكرة وتصدق بها واقتسماها يوما لهذا ويوما لهذا
فجعل الناس يستقون منها في يوم عثمان لليومين فلما راى صاحبها ان
قد امتنع منه ما كان يصيبه من ثمن الماء الذي يبيعه منها باع من عثمن النصف

الثاني بثمن يسير فتصدق بها كلها تنبيه تعبير الناظم بالحفر تبع
فيه بعض الرواة وكانه لم يبال بقول من قال ذكر الحفر وهم من بعض الرواة
وانما المعروف انه اشتراها ويجاب بانه لا مانع انه اشتراها ثم زاد في تعميقها
مبالغة في تكثير مايها لعدم احتياج الناس اليها ثم رايت بعض المتاخرين
صرح بنحو ذلك وفي رواية ان القربة منها كانت تباع بمد وانه صلى الله عليه وسلم
طلب من صاحبها ان يبيعها له فاعتل بان له عيالا وليس له غيرها فبلغ عثمن
فاشتراها بخمسة وثلاثين الف درهم جهز الجيش اي جيش العسرة
في غزوة تبوك اخرج الترمذي انه صلى الله عليه وسلم حث على جيش العسرة
فقال عثمن يا رسول الله على ماية بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله
ثم حض على الجيش فقال عثمن يا رسول الله على ماتينا بعير باحلاسها واقتابها
في سبيل الله ثم حض على صلى الله عليه وسلم فقال عثمان يا رسول الله على ثلثماية
بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يقول ما على عثمن ما فعل بعد هذه وفي رواية حمل عثمان في جيش
العسرة بالف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره فجعل يقلبها
بيده ويقول ما ضر عثمن ما فعل بعد اليوم ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم
وفي رواية انه بعث بعشرة الاف دينار فصبت بين يديه صلى الله عليه وسلم
فجعل يقلبها ويقول غفر الله لك يا عثمن ما اسررت وما اعلنت وما هو كاين
الى يوم القيمة ما يبالي ما عمل بعدها وصح انه لما حوصر اشرف عليهم فقال
انشدكم بالله ولا انشد الا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من حفر بير رومة فله الجنة فصدقوه بما قال وصح عن ابي
هريرة اشترى عثمان الجنة من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين حيث حفر بير
رومة وحيث جهز جيش العسرة وصح انه استشهد اقواما من الصحابة
على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يشترى هذا المربد ويزيده في

مسجدنا وله الجنة واجره فى الدنيا ما بقى درجات له فاشتريته بعشرين
الفا وردته فى المسجد فشهدوا له فقال الخوارج عليه صدقوا ولكنك غيرت
ثم ذكر تجهيز الجيش وحفر البير فصدقوه فقال الخوارج عليه صدقوا ولكنك
غيرت فقال ويلكم كيف يكون من هذا له مغيرا ثم ذكرا انهم سيقولون ذلك
فى غيره فكان كذلك فى على خرجوا عليه فاستشهد الصحابة على خصوصياته
فشهدوا له فقالوا صدقوا ولكنك غيرت وفى رواية ان محمد بن ابى بكر لما
دخل على عثمان وكان مع الخارجين عليه استشهده ان النبى صلى الله
عليه وسلم زوجه ابنتيه وقال لو كان عندى ثالثة زوجته وانه بايع عنه زوجتاه خ
فى بيعة الرضوان وانه قال من يشترى هذا النخل فيقيم قبلة المسجد
وله مثله فى الجنة فاشتراه عثمان وان المسلمين اشتد جوعهم فبسط
لهم على انطاع الحوارى بالسمن والعسل فكان اول خبيص الحلواء فى
الاسلام وانهم ظمئوا فاحتفر لهم بير رومة فاعظم عليها النفقة ثم
تصدق بها على المسلمين الضعيف فيهم والقوى سواء وان الميرة
انقطعت عن المدينة فجاع الناس فاشترى خمسة عشر راحلة طعاما
فاخذ ثلاثه واعطى النبى صلى الله عليه وسلم اثنى عشر فدعا له بالبركة فيما اعطى
وما امسك وانه اتى النبى صلى الله عليه وسلم بالف اصغر فصبها فى حجره فقال
ما ضر عثمن ما فعل بعد اليوم وانه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم وابى
بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير بحرا فرجف بهم فضربه بقدمه وقال
اثبت حرا فان ما عليك نبى او صديق او شهيد كل ذلك ومحمد يقول
نعم تنبيه قال ابن مالك من احسن شواهد قول الكوفيين والاخرين
ان او ترد بمعنى الواو هذا الحديث الاخير **اهدى الهدى** الى مكة وارسله
عام الحديبية حين توجه صلى الله عليه وسلم اليها ومعه الف واربعمائة
ذى القعدة سنة ست يريد العمرة فمنعته قريش من دخول الحرم

١١

١٩٩

لما اى حين **ان صده** عن الدخول اليها **الاعداء** اى المشركون وكان
وجه تخصيصه بذلك ان هديه وصل الى مكة بخلاف هدى غيره لكن
انما ذلك لحرمة قومه بها دون غيره فتفى الخصوصية حينئذ تامل بل
فضيلة ادبه الاتى من تركه الطواف ترك ارساله حيث لم يرسله صلى
الله عليه وسلم ويجاب باحتمال انه اخر هديه لغيبته حتى حضر بعد ذبحهم
لهديهم فحينئذ هو لم يرسله الا وقد ايسوا من ارسال هديهم فلا مخالفة
فيه للادب وتفسيره لما هنا بحين هو ما ذهب اليه جماعة وقال
ابن مالك انما بمعنى اذ لانها مختصة بالماضى وبالاضافة الى الجملة
وهى تقتضى جملتين وجدت الثانية عند وجود الاولى ولذا يقال فيها
حرف وجود لوجود وجوابها اما ماض او جملة اسمية مقرونة بالفاء
او باذا الفجائية ويجادلنا فى قلما ذهب عن ابرهيم الروع الاية مؤول
بجادلنا خلافا لابن عصفور وقد ترد للاستثناء نحو ان كل نفس لما عليها
حافظ فى قراءة من شدد الميم وفى هذا الكلام سوى السواء والاباعد والتقرب
والقربا والادب والاداب اجناس الاشتقاق او شبهه **والى** رضى الله عنه
لما ارسله النبى صلى الله عليه وسلم الى اهل مكة ومعه الكتاب الذى فيه ما وقع
بين النبى صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو المرسل اليه من اهل مكة ليعقد الصلح
بينهم على ان يرجع فى هذه السنة ولا يدخل مكة لئلا يقول الناس انه دخلها
قهرا على اهلها ثم يعود اليها معتمرا السنة القابلة ويدخلها والاسلحة فى
غلفها ليكون ذلك علامة على الصلح وعلى وضع الحرب بينهم عشر سنين
ثم نقضوا الصلح فكان ذلك سببا لفتح مكة فى السنة الثانية ولما ارسله اليهم
امسك سهيل عنده بدله وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر اذهب
فاستاذن لنا ليخلوا بيننا وبين الكعبة فقال يا رسول الله ليس هناك احد
من بنى عدى يمنعنى ولكن ارسل عثمان فان بنى عمه يمنعونه فارسله ليكلم

١

اشراف قريش في ان يرجعوا عن صده عن دخول مكة وان يمكنوه من دخولها
لاداء ما جاء بقصده من الاعتمار وتعظيم البيت بالبدن والهدي دون القتال
فكلمهم فلم يمتثلوا وعلى كل من القولين احتبسوه عنده وقالوا له ان شئت ان
تطوف بالبيت فطف اي امتنع حينئذ **ان يطوف بالبيت اذ** تعليليه
لم يدن اي يقرب **منه** اي البيت **الى النبي** متعلق بيدن **دناء** وهو ما امتد
من جوانبه ولما احتبسوه بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمن قتل فدعا
الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وقيل على ان لا
يفروا ذكره الحافظ مغلطاي ولما بايعه الناس على ذلك وضع يمينه
على شماله وقال هذه عن عثمان وفي البخاري فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بيده اليمنى هذه بيعة عثمان فضرب بها على يده اليسرى للحديث وفي
رواية الترمذي ان عثمن في حاجة الله وحاجة رسوله فضرب باحدى
يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من
ايديهم لانفسهم ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وارسلوا عثمان
وجماعة من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تع ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى لقد رضي الله عن
المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة **فـ**بسبب ما وقع من عثمن من امتثال
امر النبي صلى الله عليه وسلم وذهابه الى العدو ولم يبال باحتمال كونهم يقتلونه
لشدة ما كانوا عليه من عداوتهم للمسلمين لاسيما الاكابر منهم كعثمان ومن
تادبه مع النبي صلى الله عليه وسلم الادب البالغ بتركه للطواف مع اذنهم له
فيه **جزته عنا** اي تلك الفعلة التي فعلها من الذهاب اليهم والامتناع
من الطواف **بيعة** اي في بيعة **رضوان** سميت بذلك لما في الاية
الثانية من رضي الله عنهم بسببها **يد من نبيه** اي عثمان **بيضاء**
اي بالغة في الكرم الذي عم الانام منها الى مبلغ ضوء الشمس وعموده

للعالم

للعالم ولم لا يجازيه بتلك اليد البيضاء بذلك والذي وقع منه من الامتناع
من الطواف لاجل غيبة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم تمكينهم له من الدخول
ادب عظيم جدا **عنده** رضي الله عنه ومن عجيب هذا الادب
انه حصل فيه امر عظيم وفضل مستغرب جسيم وذلك مع كونه
تركا للفعل العباده **تدنا عنه الاعمال** التي في ذلك الفعل وهو الطواف
اي ثوابها **بـ**سبب **الترك** لذلك العمل لاجله صلى الله عليه وسلم فكان
الترك هنا افضل من الفعل لو وقع منه لانه ليس فيه هذا الادب الذي
بلغ به عثمن من السبق ما لم يبلغه غيره فلذا احق ان يقال فيه
وفي امثاله على سبيل المدح **حبذا الادباء** فهو تتميم بديع وعثمان
رضي الله عنه من اجل الادباء لانه كان عنده من الحياء الذي هو منشا
الادب ما لم يكن عند غيره وهو من اجلهم كيف وقد صح انه صلى الله عليه وسلم
قال في حقه وقد استحيا صلى الله عليه وسلم منه لما دخل عليه فجمع ثيابه
الا استحي من رجل تستحي منه الملايكة وروي من غير طريق اشد امتي
حياء عثمان بن عفان عثمان احيى امتي واكرمها عثمان حيي ستير
تستحي منه الملايكة ان الملايكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله
ورسوله انما نشبه عثمان بابينا ابرهيم عثمان ولي في الدنيا وولي في
الاخرة لو ان لي اربعين ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى
منهن واحدة وما زوجته الا بالوحي من الله وصح انه صلى الله عليه وسلم
ذكر فتنة يقربها فمر عثمان فقال هذا يومئذ على الهدى وانه قال له ان
الله مقمصك قميصا اي موليك الخلافة فان ارادك المنافقون على خلعه
فلا تخلعه حتى تلقاني فلذلك قال لهم يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عهد الي عهدا وانا صابر عليه وفي البخاري ان بعض اعدايه جاء الى ابن
عمر ورماه بانه فر يوم احد وانه تغيب عن بدر وعن بيعة الرضوان فرد

عليه ابن عمر بان الله غفر له وعفا عنه ما وقع منه يوم احد وبان تغيبه
عن بدر انما كان باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمريض بنته رقيه
وقال له ان لك اجر من شهد بدرا واسهمه وبان غيبته عن بيعة الرضوان
انما هو لكونه كان اعز اهل مكة فارسله في حاجته فكانت بيعة الرضوان
فضرب صلى الله عليه وسلم احدى يديه على الاخرى فقال هذه لعثمان
قال العلماء ولا يعرف احد تزوج بنتي نبي غيره ولهذا سمي ذا النورين وقال
وهو محصور يراد قتله انه اختبا عند ربه عشرا انه لرابع اربعة في الاسلام
وانكحه صلى الله عليه وسلم ابنته ولا تغنى ولا اغنى ولا وضع يمينه على فرجه
منذ بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت به جمعة منذ اسلم الا واعتق
فيها رقبه اي فجملة ما اعتقه الفان واربعمائة رقبة تقريبا ولا زنى ولا سرق
جاهلية ولا اسلاما وجمع القران على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم **وعلي**
اي واقسم عليك بعلي وسبق بيان الاقسام به ايضا وانما لم يكتف به لان
ذلك وقع تبعا للمعجزة المقصودة بالذات وهي برء عينيه بتفله صلى الله عليه وسلم
فيهما وليبين ما هو مذهب اهل السنة واكثر الفرق من ان الخلافة والافضلية
بينهم على الترتيب واحق الصحابة بالخلافة وافضلهم ابو بكر ثم عمر وهذا اجماع
من الصحابة ومن بعدهم كما حكاه جماعة منهم الشافعي رضي الله عنه قطعي لا
نزاع فيه يعتد به ثم عثمن ثم علي وهذا ما عليه الاكثرون فهو ظني لا قطعي وخالف
فيه سفين الثوري ومالك وغيرهما فقالوا بافضلية علي وان كان عثمان احق
منه بالخلافة لاجماع اهل الشورى ثم الصحابة على خلافته مع الاشارة اليها
من النبي صلى الله عليه وسلم كما سبقت الاشارة الى ذلك ومما يصرح بافضلية
عثمن ما صح عن ابن عمر كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان وعن ابي هريرة كنا معشر اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول افضل هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر ثم عثمن

ثم سكت وهل تجب محبتهم برعاية افضليتهم فيه تفصيل وهو انها ان
كانت من حيث الدين والعلم ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وجب ترتيبها
كترتيبهم المذكور وان كانت لنحو قرابة واحسان لم تجب رعايتها كذلك
صنو النبي صلى الله عليه وسلم لاجتماعهما في اصل واحد هو عبد المطلب فهما
كنخلتين اصلهما واحد **ومن** اي الذي **دينه** اي اعتقاد **فؤادي** اي قلبي
وداده اي حبه **والولاء** له اي مناصرته والذب عنه والرد على من نازع
في خلافته ولم يبال بوقوع الاجماع عليها وعلى من خرجوا عليه ونازعوه
الامر ورموه بما هو بري منه وذلك عملا بما صح عنه صلى الله عليه وسلم وهو
اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ان عليا مني وانا منه وهو ولي كل
مومن بعدي ولتاكد الذب عنه لكثرة اعدائه من نواصبه والخوارج الذين
بالغوا في سبه وتنقيصه حتى على المنابر خصه الناظم بذكره ولهذا اشتغل
جهابذة الحفاظ ببث فضائله نصحا للامة ونصرة للحق ومن ثم قال احمد
ما جاء لاحد من الفضائل ما جاء لعلي وقال اسمعيل القاضي والنسائي
وابو علي النيسابوري لم يرد في حق احد من الصحابة بالاسانيد الحسان
اكثر ما ورد في حق علي فمن ذلك ما صح ان الله يحبه وان رسوله يحبه
بل روى الترمذي انه كان احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والظاهر ان المراد بالناس بنو هاشم حتى لا ينافي ما مر ان ابا بكر كان احب
الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اية المباهلة لما نزلت دعا صلى
الله عليه وسلم عليا وفاطمة وابنيهما وقال اللهم هولاء اهلي وانه قال انا سيد
ولد ادم وعلي سيد العرب لكن اعترض تصحيح الحاكم لهذا وانه قال من كنت
مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه رواه ثلاثون
صحابيا وان الله امره ان يحب اربعة واخبره انه يحبهم منهم علي وانه
لا يحبه الا مومن ولا يبغضه الا منافق من سبه فقد سب النبي صلى الله عليه وسلم

وانه يقاتل على القران كما قاتل صلى الله عليه وسلم على تنزيله وانه يهلك فيه
اثنان محب مفرط ومبغض يبهته وان قاتله اللعين ابن ملجم اشقى
الاخرين كما ان عاقر الناقه اشقى الاولين **و وزير ابن عمه** النبي صلى الله
عليه وسلم اي ناصره وحامل كل ثقل نابه صلى الله عليه وسلم ونايب عنه **في المعالي**
الدينيه والدنيويه جمع العلا وهو الرفعه والشرف واصل هذا الحديث
الصحيح انه لما خلفه على المدينه في غزوة تبوك قال يا رسول الله خلفتني
مع النسا والصبيان فقال اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى
الا انه لا نبي بعدي ومر الكلام عليه في شرح او دعتهما الزهراء وقال صلى الله
عليه وسلم فيما اخرجه احمد والترمذي والنساي وابن ماجه علي مني وانا منه ولا
يودي عني الا علي والترمذي انت اخي في الدنيا والاخره والخطيب علي مني بمنزلة
راسي من بدني وابن عدي علي يعسوب المومنين والمال يعسوب المنافقين
والبزار علي يقضي ديني والعناني والحاكم انه كل نبي اعطي سبعة نجبا واعطيت
انا اربعة عشر علي والحسن والحسين وجعفر وحمزه وابو بكر وعمر الحديث
واحمد انت اخي وابو ولدي تقاتل على سنتي الحديث قال ابن عباس
نزلت في علي ثلثماية ايه ولثبت الوزارة خاصة به رضي الله عنه فقد اخرج
الترمذي في حديث ما من نبي الا وله وزيران من اهل السما ووزيران من
اهل الارض فاما وزيراي من اهل السما فجبريل وميكاييل واما وزيراي
من اهل الارض فابو بكر وعمر وصح حديث هذان السمع والبصر وفي رواية
هما مني بمنزلة السمع والبصر من الراس واخرج الطبراني وابو نعيم
ان الله امدني باربعة وزرا اثنين من اهل السما جبريل وميكاييل واثنين
من اهل الارض ابي بكر وعمر وابن عساكر ان لكل نبي وزيرين ووزيراي
وصاحباي ابو بكر وعمر بل قد يستشكل ذكره الوزارة فيه دونهما مع
انها لم ترد فيه لفظا وصحت فيهما وقد يجاب بانها وردت فيه بمعناها على

وجه ابلغ من لفظها وهو قوله انت مني بمنزلة هرون من موسى فان
هذه الوزارة المستفادة من هذا التي هي كوزارة هرون اخص من مطلق
الوزارة الواردة فيهما ومن ثم اخذ منها الشيعة المفتنيه النص على انه الخليفه
بعده وهو كذلك لولا ما ياتي في باب المبطل لذلك الاستنباط ومما يويد
هذه الوزارة الخاصه كونه صلى الله عليه وسلم اخاه دون غيره وارسله موذنا
على الناس ببراة في الموسم مع ان الخليفه على الحج ابو بكر لان العرب لا
يقبلون من يبلغ عن الكبير الا ان كان من اهله وجلدته وان استخلفه بمكه
عند الهجره حتى ادى ودايعه وقضى ما عليه واتاه باهله فهذه كلها موذنه
بوزارة خاصه لم توجد في غيره فلهذا ذكرها فيه فقط على انه وصفهما بما
هو اعظم منها واجل **ومن الاهل تسعد الوزراء** تذييل مناسب لما قبله
وفيه رد العجز على الصدر ومن تلك السعادة ما امره صلى الله عليه وسلم به من
المواخاة فقد اخرج الترمذي اخى صلى الله عليه وسلم بين اصحابه فجاء علي
تدمع عيناه فقال يا رسول الله اخيت بين اصحابك ولم تواخ بيني وبين احد
فقال صلى الله عليه وسلم انت اخي في الدنيا والاخره ومن المعلوم التي اشار
اليها بقوله انا مدينة العلم وعلي بابها وفي رواية فمن اراد العلم فليات الباب
وفي اخرى عن الترمذي انا دار الحكمة وعلي بابها وفي اخرى عند ابن عدي
علي باب علمي واختلفوا في حكم هذا الحديث فجماعة منهم النووي على انه
موضوع والحاكم صححه وصوب بعض المحدثين المطلعين انه حديث
حسن وصح انه صلى الله عليه وسلم ارسله الى اليمن ليقضي بينهم فقال لا ادري
ما القضا فضرب صدره بيده ثم قال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه
قال علي فو الذي فلق الحبة ما شككت في قضا بين اثنين وقيل
له ما لك اكثر الصحابة حديثا فقال اني كنت اذا سالته انبانى واذا
سكت ابتداني وكان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها ابو حسن يعني عليا

ولم يكن احد من الصحابة يقول سلوني الا علي وذكر عند عايشة فقالت
انه اعلم من بقي بالسنة وقال مسروق انتهى علم الصحابة الى عمر وعلي
وابن مسعود وقال والله ما نزلت اية الا وقد علمت فيم نزلت واين
نزلت وعلى من نزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا
وقال سلوني عن كتاب الله فانه ليس من اية الا وقد عرفت بليل نزلت
ام بنهار ام في سهل ام بجبل ولاجل هذه العلوم الكثيرة التي افيضت
عليه من تلك الحضرة النبوية لم يزده كشف الغطاء يقينا كما اخبر
بذلك عن نفسه لو كشف الغطا ما ازددت يقينا اي لانه حصل عنده
من البراهين القطعية على حقيقة التوحيد ومتعلقاته والايمان
وصدق الرسل فيما جاؤا به ما لا يزيد اليقين فيه رؤية ذلك عيانا واحترز
بنفي زيادة اليقين بنفسه عن زيادة ثمراته فان عاقلا لا يشك ان عين
اليقين اقوى من علم اليقين وان حق اليقين اقوى من عين اليقين ودليله
اولم تومن قال بلى ولكن ليطمين قلبي فاثبت لنفسه حقيقة الايمان
ويقينه وطلب زيادة الطمانينة برؤية العيان فلا منافاة فيه لما قاله علي
كرم الله وجهه خلافا لمن وهم فيه بل للانتقال هو اي علي فضله وعلمه
وزهده وتقدمه على من عدا الخلفا الثلاثة قبله وحقيقة خلافته
وقيامه فيها بما قام به من قبله وزيادة الشمس اي مثلها في الظهور
والاضاءة التي لا يلتفت فيهما الى مقول متقول ولا عناد معاند كيف
وهو مع ذلك ما عليه غطاء اي ساتر بل هو ظاهر لكل احد وقد اخرج
الطبراني عن ابن عباس قال كانت لعلي ثماني عشرة منقبة ما كانت
لاحد من هذه الامة وابو يعلى عن عمر قال اعطي ثلاثة خصال لان
يكون لي خصلة منها احب الي من ان اعطى حمر النعم تزويجه ابنته
وسكناه المسجد واعطاه الراية يوم خيبر وصح عن ابن عمر نحو ذلك

واخرج

واخرج الطبراني والخطيب حديث ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل
ذريتي في صلب علي بن ابي طالب وما احسن قول حكيم له لما دخل الكوفة
والله يا امير المومنين لقد زينت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك
وهي احوج اليك منك اليها وقال احمد وقد ساله ولده عن علي ومعوية
اعلم ان عليا كان كثير الاعدا ففتش له اعداوه فلم يجدوا فجاوا الى
رجل قد حاربه وقاتله فاطروه كيادا منهم له وصح خلافا لمن نازع
فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نام في حجره وهو يوحى اليه فغربت الشمس
ولم يصل العصر فلما سري عنه وعلم انه لم يصل دعا الله ان يرد الشمس
فعادت حتى ظهر ضوءها على الحيطان فصلى ثم غابت وفي هذه كرامة
له باهرة ولعل الناظم اشار اليها بتشبيهه بالشمس وعلم مما قدمته انه
الحقيق بالخلافة بعد الايمة الثلاثة بالاجماع ولا اكتراث ولا التفات
الى من زعم انه لا اجماع على خلافته وهو اول من اسلم قال بعض الحفاظ
اجماعا اي من الصبيان واعتد باسلامه حينيذ لان الاحكام اذ ذاك
كانت منوطة بالتمييز ولم يعبد وثنا قط ومن ثم اختص بكرم الله
والحق به الصديق في ذلك واخاه النبي صلى الله عليه وسلم وزوجه فاطمة
بالوحي وهو احد العلما الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد
والخطبا المعروفين وحفظ القران وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
واختلى بعد موته صلى الله عليه وسلم وكتب كتابا فيه العلوم الجمة حتى قال
ابن سيرين لو ظفرت بذلك الكتاب لظفرت بالعلم كله ولما هاجر
صلى الله عليه وسلم امره ان يقيم بعده بمكة حتى يودي عنه ودايعه ثم
يلحقه باهله ففعل وارسله صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة وكان
الامير فيها على الحج ابا بكر فاذن في الناس في الموسم بمنى بسورة براءة لان
العرب لا يعتدون بما يجي على لسان الكبير الا اذا كان الرسول قبيله من

اهله ومن ثم جاء في حديث رجاله ثقات الا واحد مختلف فيه انه صلى
الله عليه وسلم خطب وهو محاصر عقب فتح مكة فكان كما قال اوصيكم
بعترتي خيرا وان موعدكم الحوض والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة
ولتؤتن الزكاة او لابعثن اليكم رجلا مني او كنفسي يضرب اعناقكم
ثم اخذ بيد علي وقال هو هذا او شهد معه صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها
وكان له فيها اليد البيضا الا تبوك لانه استخلفه على المدينة وقال
له لما قال تخلفني مع النسا والصبيان اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون
من موسى الا انه لا نبي بعدي وبكونه انما قال له ذلك حينئذ يبطل تمسك
الشيعة على ان الخليفة المقدم على الكل على ان هرون مات في حيوة موسى
عليه السلام فلا دليل فيه للخلافة بعد الموت اصلا توفي كرم الله وجهه
شهيدا على ثلاث وستين سنة ضربه اللعين عبد الرحمن بن ملجم بسيف
مسموم في جبهته فاوصله دماغه ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة
اربعين وهو خارج الى صلاة الصبح بعد ان استيقظ سحرا وقال
الحسن انه راى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فشكى اليه ما لقي فقال
ادع فدعا انه يبدله خيرا منهم وانهم يبدلون شرا منه واكثر تلك الليلة
من الخروج والنظر الى السما وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها
الليلة التي وعدت وكان عنده اوز فلما خرج للصلاة صحن فطردن
عنه فقال دعوهن فانهن نوائح وقيل لم يبت الا ليلة الاحد ولحق
بالخليفتين قبله عمر فعثمان رضي الله عنهم فان كلا منهما قتل شهيدا
مظلوما اما عمر فقتله مجوسي عبد للمغيرة بن شعبة لكونه شكى اليه
ثقل خراجه فلم يشكه لعلمه بقدرته عليه وزياده لكثرة صنايعه
فكمن له الى ان ضربه بخنجر صنعه له وهو في ثاني ركعة من صلاة الصبح
يصلي بالمسلمين ومن تمام سعادته دفنه مع النبي صلى الله عليه وسلم فانه

ارسل

ارسل ولده يستاذن عايشة في ذلك فقالت كنت اعددت هذا
المكان لنفسي ولاوثرنه به فاشتد فرحه بذلك واما عثمان فاجتمع على
قتله اوباش اربعة الاف مجمعون من مصر وغيرها فحاصروه الى ان
قتلوه في اوسط ايام التشريق والمصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين
وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل اكثر وقيل اقل وتوهم منهم انه اراد قتل
محمد بن ابا بكر رضي الله عنهما وهو بريء من ذلك وانما افتعله بعض اهله
وكان الصحابة يمكنهم الدفع عنه لكنه منعهم من يقاتلوا محاصريه لما قال
له زيد بن ثابت ان الانصار بالباب يقولون ان شئت كنا انصار
الله مرتين فقال لا حاجة لي في ذلك كفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عهد الي عهدا وانا صابر عليه ومن ثم كان عنده في الدار جماعة الكثيرون
فارادوا ان يمنعوا عنه فقال من اغمد سيفه فهو حر لانه علم باخبار النبي
صلى الله عليه وسلم انه مقتول مظلوم وانه على الهدى وانه لا مخلص له من القتل
وامره ان لا يعزل نفسه كما صح في الحديث وهو يا عثمان انك ستولى الخلافة
من بعدي وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها وصم في ذلك
اليوم تفطر عندي كما امر ذكر في الاحاديث وصح ان عثمن اشرف من
كوة فقال لعلي يا ابا الحسن ما هذا الذي ركب مني فقال اصبر يا عبد
الله فوالله ما غبت عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كنا على
احد فتحرك الجبل ونحن عليه فقال اثبت احد فانه ليس عليك الا نبي
وصديق او شهيد وايم الله لتقتلن ولاقتلن معك اي بعدك
وليقتلن طلحة والزبير وانتم عليكم باقي اصحابكم العشرة المبشرين
بالجنة في الاحاديث الصحيحة منها ان عمر لما جعل الامر شورى بين
الستة انكر عليه بانهم ليسوا رضى فقال ما عسى ان تقولوا في علي سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له يدك في يدي تدخل معي يوم القيمة

حيث ادخل وذكر في عثمان حديث انه يوم يموت تصلي عليه ملائكة السما
وان ذلك له خاصة وفي طلحة ان رحل النبي صلى الله عليه وسلم سقط في
ليلة فقال من يسوي رحلي وهو في الجنة فبدر طلحة فسواه له فقال
يا طلحة هذا جبريل يقريك السلام ويقول انا معك في اهوال يوم القيمة
حتى انجيك منها وذكر في الزبير انه جلس يذب عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم
وهو نايم حتى استيقظ فقال له يا ابا عبد الله لم تزل قال لم ازل بابي انت
وامي قال هذا جبريل يقريك السلام ويقول انا معك يوم القيمة حتى اذب
عن وجهك شرر جهنم وذكر في سعد بن ابي وقاص انه صلى الله عليه وسلم
قال فيه يوم بدر رمه فدا او تر قوسه اربعة عشر مرة يدفعها اليه فداك
ابي وامي وذكر في عبد الرحمن بن عوف ان الحسنين اشتد بكاجوعا
فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشي فطلع عبد الرحمن بن عوف بصحفه
فيها حيسه ورغيفان بينهما اهاله فقال صلى الله عليه وسلم له كفاك الله
امر دنياك واما امر اخرتك فانا لها ضامن ومنها ان حرا لما ارتج وعليه
الخلفا الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعد وسعيد قال له النبي صلى
الله عليه وسلم اسكن حرا فما عليك الا نبي او صديق او شهيد ومنها رواية
سعيد بن عمرو بن نفيل ابو بكر في الجنة • وعمر في الجنة • وعثمان في الجنة
وعلي في الجنة • وطلحة في الجنة • والزبير في الجنة • وعبد الرحمن بن عوف
في الجنة • وسعد بن ابي وقاص في الجنة • وتاسع المومنين في
الجنة فنشدوه بالله عنه فقال اما اذا انشدتموني فانا تاسع المومنين
ورسول الله صلى الله عليه وسلم العاشر ثم قال لموقف احدهم مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يغبر فيه وجهه افضل من عمر احدكم لو عمر عمر نوح
المظهر اي المبين **الترتيب** بينهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو مفعول
فينا اي لنا **تفضيلهم** على حسب مراتبهم التي بينها مشرفهم صلى الله عليه وسلم

وهو فا

جامعة الرياض
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

وهو فاعله وعكس ذلك الشارح والاول اظهر **و** المظهر ذلك
بينهم لنا ايضا **الولاء** اي الموالاة والمناصرة الواجبة علينا لهم
بحسب مراتبهم ومن ثم سئل بعض محققي المتاخرين عن محبة
الخلفا الاربعة هل يجب ان تكون على حسب فضلهم فقال محبتهم
من حيث الدين والقرب الى الله ورسوله يجب ان تكون بحسب
فضلهم ومن حيث نحو قرابة واحسان لا يجب ان تكون كذلك وما قاله
الخلفا الاربعة ياتي في بقية الصحابة رضي الله عنهم **طلحة** بن عبيد الله
القرشي احد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد الثمانية السابقين الى
الاسلام واحد الستة اصحاب الشورى في امر الخلافة بعد عمر الذين
توفي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض واحد الخمسة الذين اسلموا على
يد ابي بكر بكونه السبب في اسلامهم وسماه النبي صلى الله عليه وسلم طلحة
الخير وطلحة الفياض وطلحة الجود فكان غاية فيه بحيث باع ارضا له
بسبعمائة الف فباتت عنده فلم ينم مخافة من حسابها فاصبح ففرقها
وفي رواية فرقها في ليلته على فقرا المدينة وجاءه رجل له يساله برحمه
فاعطاه ثلاثمائة الف وكان مغله بالعراق في كل سنة اربعمائة الف
وكان يكفي ضعفا قومه وقوم ابي بكر بني تيم ويقضي ديونهم ويرسل الى
عايشة في كل سنة عشرة الاف درهم وتصدق في يوم بمائة الف ثم لم
يجد ثوبا يذهب فيه الى المسجد يصلي فيه وهو وان لم يشهد بدرا
فقد جعله صلى الله عليه وسلم كمن شهدها اجرا وسهما وقيل لانه كان بالشام
لتجارة والصحيح انه صلى الله عليه وسلم ارسله هو وسعيد بن زيد رضي الله
عنهما للتجسس عن خبر عير قريش وخرج لبدر فرجعا الى المدينة فوافياه
منصرفه من بدر وصح انه صلى الله عليه وسلم اقبل عليه وعلى الزبير
وقال يا طلحة يا زبير لكل نبي حواري وانتما حواري اي ناصراي وان

الخلفا الاربعه وطلحة والزبير وابن عوف وسعد وسعيد كانوا امام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال وخلفه في الصلوة في الصف
ولم يبرا احد من المهاجرين والانصار يقوم مقام واحد منهم غاب او شهد
المرتضيه اى الذى ارتضاه النبى صلى الله عليه وسلم وما جرى عليه
الناظم من اضافة اسم الفاعل الى معموله الضمير العايد على ال المقترنة به
هو الاصح نحو الضارب الرجل والساقيه ومنع المبرد هذه الصورة و
واوجب النصب اى لئلا يلزم عليه اجتماع اداتى تعريف ويرده ان
اضافة الصفة الى معمولها لا تفيد تعريفا بل تخفيفا قالوا فمن ثم جاز
اقتران هذا المضاف دون غيره بال ان كان مثنى كالضاربا او جمعا
على حد الضاربا زيد والضاربو زيد او اضيف لمعرف بال نحو الضاربا
الرجل او المضاف اليه كالقاصد باب الكريم او الى ضمير هو مرجعه اى كما
هنا ويحتمل التقدير الذى ارتضى هو النبى صلى الله عليه وسلم تقدمهم لامتناع
الاضافة حينئذ لانها ليست الى ضمير مرجعه ال فتنبه له **رفيقا**
واحدا هو ما فى اكثر النسخ وفى نسخة احد وهو الفاعل اى الذى ارتضاه
احد رفيقا ففيه اسناد مجازى وفى اخرى احدا وهو على نزع الخافض
اى فى احد **يوم** ظرف لاسم الفاعل وقول الشارح انه بدل من احد
اى بنا على النسخة الثانية بعيد **فرقت الرفقاء** عن النبى صلى الله
عليه وسلم وهو يوم احد وفيه كسعد وسعيد والامانه والامنا، وتمسكت
واستمسكت وانطوت وانطوى واغنا والغوث والغيث الابيات
جناس الاشتقاق او شبهه وفى ذكر واحدا فى اكثر النسخ بل المنقول
فى السير وغيرها ان الذين ثبتوا معه صلى الله عليه وسلم لما انكشف عنه
الناس اربعة عشر سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار وفى
البخارى لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا اثنى عشر رجلا لكن ظاهر

كلام

كلام اهل السير ان طلحة وقع له بعد ذلك انفراد معه صلى الله عليه وسلم
ثم تتابعت بعده الناس فانه قال وكانت لطلحة اليد البيضاء
يوم احد وفى النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ لما ضرب بالسيف فشلح
وجهه بيده فشلت واستمرت شلا وكان الصديق اذا حدث عن
يوم احد بكى وقال ذلك كله لطلحة وقد قال له صلى الله عليه وسلم
يومئذ اوجب طلحة اى وجبت له الجنة وذلك انه صلى الله عليه وسلم
كان قد ظاهر بين درعين فاراد ان ينهض وهما عليه ليصعد صخرة
هنالك فما استطاع فبرك له طلحة فصعد على ظهره واستوى عليها
فقال له صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم
يومئذ وبايعه على الموت ووقاه بنفسه وعن عايشة انها قالت قال
ابو بكر كنت اول من جاء يوم احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولابى عبيدة بن الجراح عليكما بصاحبكما يريد بطلحة وقد نزف فاصلحنا
من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتينا طلحة فاذا به بضع وسبعون
او اقل او اكثر بين طعنة وضربة ورمية واذا قد انقطعت اصبعه
فاصلحنا من شانه ثم رايت حديثا صحيحا مصرحا بما فى النظم على
واحدا وهو لقد رايتنى يوم احد وما فى الارض قربى مخلوق غير جبريل
عن يمينى وطلحة عن يسارى ولما رجع النبى صلى الله عليه وسلم من احد
صعد المنبر فحمد واثنى ثم قرا من المومنين رجال الاية فقيل يا رسول
الله من هولاء فقال هذا منهم واشار الى طلحة وصح عند الحاكم لكن نوزع
فيه من اراد ان ينظر الى شهيد يمشى على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن
عبد الله وصح ايضا طلحة والزبير جاراى فى الجنة وكان رجل يقع فيه وفى
الزبير بحضرة سعد بن ابى وقاص فنهاه فيابى فصلى ثم دعا عليه انه
ان كان مبطلا يريه فيه اية ويجعله للناس عبرة فخرج فاذا جمل هاج

يشق الناس فاخذه وهرسه بيديه ورجليه حتى قتله قال سعيد بن
المسيب فانا رايت الناس يتبعون سعيدا ويقولون هنيئا لك ابا
اسحق اجيبت دعوتك وكان خرج هو والزبير على علي رضي الله عنهم
فاجتمع بهما يوم الجمل فروى للزبير ما بان ووعظ طلحة فتاخر ووقف
في بعض الصفوف فجاءه سهم في ركبتيه فقتله في جمادى الاخر سنة ست
وثلاثين عن اربع وستين سنة على الاشهر ودفن بالبصرة وجاءه علي
فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول
رحمة الله عليك ابا محمد يعز علي ان اراك مجدلا
وحواريك اي ناصرك الزبير بن العوام القرشي وامه صفية عمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو احد الثمانية السابقين والستة اصحاب الشورى
والعشرة المبشرين بالجنة والشجعان المشهورين لم يلحقه الا حمزة وعلي
احد في الشجاعة والفروسية ولذلك لما كان يوم بدر بعمامة صفرا نزلت
الملائكة بعمائم صفر وهو اول من سل سيفا في سبيل الله لانه سمع اخذ محمد
فخرج يشق بسيفه فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم باعلا مكة فقال له مالك
قال اخبرت انك اخذت فصلى عليه ودعا له ولسيفه شهد المشاهد
كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح اليرموك وكانت له فيها اليد
البيضا والهمة العليا اخترق صفوف الروم مرتين ولم ير الى اخرهم
وفتح مصر مع عمرو بن العاص وصح انه لما اشتد الخوف يوم الاحزاب
ندب صلى الله عليه وسلم من ياتيه بخبر عصيان بني قريظة فقال انا
فاعاد فقال انا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواري وحواري
الزبير وجمع له صلى الله عليه وسلم بين ابويه فقال ارم فداك ابي وامي
وصح عن عثمن انه قيل له وهو محصور لو استخلفت قال لعلهم قالوا الزبير
قيل نعم قال اما والله انه لخيرهم ما علمت وانه كان لاحبهم الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم وفي رواية صحيحة اما والله انكم لتعلمون انه خيركم
ثلاثا وكان له الف عبد يؤدون اليه الخراج في كل يوم فيتصدق به في
مجلسه ولا يقوم بدرهم منه وكان مع الخارجين على علي يوم الجمل فلما
دنت الصفوف خرج علي وهو على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنادى ادعوا الى الزبير فدعي له فاقبل حتى اختلفت اعناق
دوابهما فقال له نشدتك بالله اتذكر يوم مر بك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن في مكان كذا وكذا فقال يا زبير اما والله
لتقاتلنه وانت ظالم له فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الان والله لا اقاتلك ثم ادبر
راجعا فقال له ولده عبد الله ما بك فذكر له القصة فقال لم تجي
للقتال بل لتصلح بين الناس فابى وفي رواية انه قال له جبنا
جبنا فقال قد علم الناس اني لست بجبان ولكن ذكرني حديثا
فحلفت ان لا اقاتله وفي رواية ان سبب رجوعه انه قال لاصحابه
اليكم عمار بن ياسر فالو انه ثاغمد سيفه وقال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار ستقتلك الفئة الباغية ولا مانع انه
قال ذلك ثم ذكره علي بالحديث زيادة في اعلامه ثم سار فلما وصل
وادي السباع نام فجاء رجل فقتله في جمادى الاول سنة ست وثلاثين
وعمره سبع وستون سنة على الاشهر وقيل انه لما اجتمع بعلي قال لابنه
عبد الله ما اراني الا سا قتل اليوم مظلوما ثم اكد عليه في ان يبيع امواله
ويقضي دينه من ارضين له منها الغابة وبضع عشرة دارا وقدر
دينه الفا الف ومائتا الف وما ولي امراة قط ولا جباية ولا خراجا
ولا شيئا وما خلف درهما ولا دينارا فباع ابنه ماله ثم قال من كان
له عليه دين فلياتنا نقضي ما عليه ثم اقام اربع سنين ينادي كل

موسم من له عليه شي فليأتنا فلم يأت احد اخرج ثلث ماله لانه
اوصى به ثم قسم الباقي بين ورثته وكان له اربع نسوة فاصاب كلا
منهن الف الف ومائتا الف فجميع ماله خمسون الف الف ومائتا
الف هذا ملخص ما في صحيح البخاري لكن اعترض بان الصحيح
ان الذي تركه مما وفى الدين والوصية وما ورث عنه تسعة وخمسون
الف الف وثمانماية الف وكان له صدقات كثيرة ومكارم جليلة
وماله كله حلال صرف كذا قيل ولا حاجة اليه بل اغنيا الصحابة
كلهم كذلك لان اموالهم اما من سلب او سهم من الغنيمة او الفيء او
تجارة مبرورة واوصى اليه سبعون من الصحابة باولادهم واموالهم
فحفظها وكان ينفق على اولادهم من ماله ومن مدح حسان فيه

• فكم كربة ذب الزبير بسيفه • عن المصطفى والله يعطي فيجزل
• فما مثله فيهم ولا كان قبله • وليس يكون الدهر ما دام يذبل
• ثناؤك خير من فعال معاشر • وفعلك يا ابن الهاشمية افضل

اى القرم بفتح القاف وسكون الراء اى السيد الكريم عبد الله بن
حبيب والى بكر الذي انجب اى اتت به في غاية النجابة والشجاعة
والراي الحازم والتصرف الصايب اسما بنت ابي بكر الصديق
ذات النطاقين بعد عشرين شهرا من الهجرة بالمدينة وكان اول
مولود بعد الهجرة واشتد فرح المهاجرين به لان اليهود توعدوهم
انهم عملوا لهم ما ابطل نسلهم فلا ياتيهم ولد فلما با تكذيبهم ولما احتجم صلى
الله عليه وسلم اعطاه دمه وقال غيبه في موضع لا يراك فيه احد فلما جاء
اليه قال ما فعلت بالدم قال شربته قال اذا لا تلج النار بطنك
وويل لك من الناس وويل للناس منك فكان كذلك لانه سعى في الخلافة لما
مات يزيد سنة اربع وستين فاطاعه اهل اليمن والحجاز والعراق وخراسان

ثم هدم الكعبة لتقصيرها وسماعه من خالته عايشة ما روته له عن
النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان قريشا حديثو عهد بكفر لهدمت الكعبة
وجعلتها على قواعد ابرهيم وفتحت بابها الغربي وجعلت بابها الشرقي
لاطيا بالارض كما كانت في زمن ابرهيم عليه فاعادها ابن الزبير
كذلك بعد ان شاور الصحابة فمنهم من امره بذلك ومنهم من نهاه
عنه فلم يرجع اليه لسماعه الحديث المذكور فكان اجر ذلك البنا
باقيا له الى ان يهدمها ذو السويقتين فان البنا الموجود كله الآن
بناؤه الا الحائط الميزاب فان الحجاج لما حصره اول حجة سنة اثنتين
وسبعين وحج بالناس ولم يزل محاصرا له الى ان قتله سابع جمادى
الاولى سنة ثلاث وسبعين هدم ما كان ادخله ابن الزبير من الحجر
وهو نيف ستة اذرع كما ادخله ابرهيم واخرج الستة ثم اخرج الحجر كما هو
اليوم وسد الباب الغربي واعلى الباب الشرقي لتصير كما كانت في
زمنه صلى الله عليه وسلم لان قريشا لما بنتها حينئذ قصرت بهم المال
الحلال عن ان يجعلوها كما كانت في زمن ابرهيم فجعلوها كذلك وكان
ابن الزبير صواما يواصل الخمسة عشر يوما واكثر وقواما اطلس اللحية
له من دهاة العرب المشهورين وشجعانهم الموصوفين واحد العبادلة
الاربعة المتقاربين سنا وعلما وذكا وفهما والثلاثة عبد الله بن عباس
وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وليس منهم ابن مسعود
لانه اكبر منهم سنا فليس في طبقتهم والصفيين تثنية صفي وهو
المصطفى المستخلص من الحظوظ والشهوات توءم الفضل من اتامت
المراة ولدت اثنين اى ان الفضل انتجهما لكثرة ما قام بهما منه ولو قال
توءما الفضل كان اوضح ومعناه حينئذ انهما لما اشتركا في الفضايل
الجليلة صارا كانهما مولودان في حمل واحد سعد ابي اسحق بن ابي

وقاص مالك القرشي الزهري وهو احد الستة اصحاب الشورى وثامن
السابقين الى الاسلام بل هو ثالث الاسلام واقام كذلك سبعة ايام
والعشرة المشهود لهم بالجنة والشجعان المشهورين وهو اول من رمى
بسهم في سبيل الله واول من اراق دما في سبيل الله وكان يقال له فارس
الاسلام شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى يوم
احد الف سهم ولاه عمر العراق فكان الامير في فتح مداين كسرى وغيرها
ومن كراماته الظاهرة انه قطع بجيوشه البحر على ظهور الخيل لم يبلغ ماء
منها الى احزمها والناس في غاية الطمانينة كانهم سايرون بالبر وكان
الذي يسايره سلمان الفارسي رضي الله عنهم وكذلك ولاه عثمان ولاية جليلة
وكان صلى الله عليه وسلم يناوله النبل يوم احد ويقول ارم فداك ابي وامي
واقبل والنبي صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه فقال سعد خالي فليرني
امرؤ خاله وقال له اجلس يا خالي فان الخال والد ودعا له وقال اللهم
سدد رميه واجب دعوته وفي رواية صحيحة اللهم استجب لسعد اذا
دعاك فلم تسقط له دعوة بعد ذلك فكان مجاب الدعوة واشرف على
الموت فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم انه يعيش فقال لعل الله يرفعك فينتفع
بك اقوام ويضر بك اخرون واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان فلم يدخل
فيها ولم يحضر شيئا من تلك الحروب توفي بقصره بالعقيق على عشرة اميال
من المدينة فحمل اليها وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ وال بالمدينة
وصلى عليه امهات المومنين في حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين
عن تسع وسبعين وكان اوصى ان يكفن في جبة صوف لقي المشركين فيها
يوم بدر وقال انما كنت اخباها لذلك وهو اخر المهاجرين موتا وفي مسلم
ان اية ولا تطرد الذين يدعون ربهم نزلت في ستة منهم سعد وابن
مسعود وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي احد العشرة

المشهود

المشهود لهم بالجنة وشهد المشاهد كلها وعده البخاري فيمن شهد
بدرا ومر في ترجمة طلحة انه لم يشهدها وهذا ما عليه الاكثرون وقد
يجمع بانه لم يشهدها حسا وشهدها حكما اجرا وسهما وهو ابن عم عمر
وزوج اخته والسبب في اسلامه كما مر ولذلك لم يدخله في اهل الشورى
كولده عبد الله لئلا يظن به انه حابى اقاربه واخرج الشيخان ان امراة
ادعت عليه عند مروان انه اخذ لها قطعة ارض فقال ما كنت لافعل
بعد ان سمعت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اخذ من ارض
شبرا ظلما طوقه الله من سبع ارضين فقال مروان لا اسالك بينة بعد
هذا ثم قال سعيد اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها في ارضها
فذهب بصرها وبينما هي تمشي في ارضها وقعت في حفرة فماتت زاد
مسلم انها قالت اصابتني دعوة سعيد وفي رواية انه كان جارها بالعقيق
وانه اعطاها الذي ادعته ثم دعا عليها بما مر توفي سنة خمسين عن بضع
وسبعين سنة ودفن بالمدينة وابوه زيد توفي في الجاهلية لكن جاءت
احاديث تدل له على انه من اهل الجنة منها لكنه مرسل غفر الله لزيد بن
عمرو ورحمه ومنها وهو صحيح سئل صلى الله عليه وسلم عنه فقال سياتي
يوم القيمة امة وحده بيني وبين عيسى ان عدت الاصفياء فهذا
من اكابرهم كيف وفي اسميهما ما يشعر بعلوهما مرتبة عظمى من مراتب
السعادة وعبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري
احد الثمانية السابقين للاسلام والستة اهل الشورى والعشرة المبشرين
بالجنة والخمسة الذين اسلموا على يد ابي بكر وصح انه كان بينه وبين خالد
شيء فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي
بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اي
نصفه وفي رواية الواقدي وابن عساكر يا خالد ذروا لي اصحابي من

بك انف المرء بنك المرء واوكان احد ذهبا ينفقه قيراطا قيراطا فى
سبيل الله لم يدرك غدوة وروحة من غدوات وشهد مع النبى صلى
الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان ممن ثبت يوم احد وبعثه صلى الله عليه وسلم
الى دومة الجندل الى بنى الكلب وعممه بيده الكريمة وسدلها بين كتفيه
وقال ان فتح الله عليك فتزوج ابنة ملكهم اوقال شريفهم ففتح عليه
وتزوج بنت شريفهم الاصبغ فولدت له ابا سلمة وصح انه صلى الله عليه وسلم
ائتم به فى غزوة تبوك فصلى وراءه ركعة من صلاة الصبح وهذه منقبة
لم يوجد لصحابى غيره وسببها انه صلى الله عليه وسلم ذهب لحاجته
فادركه الوقت فاقاموا الصلوة فتقدمهم عبد الرحمن ولما اتم صلى
الله عليه وسلم ما فاته خلفه قال ما قبض نبى حتى يصلى خلف رجل
صالح من امته وائتم صلى الله عليه وسلم بابى بكر ايضا لكنه اخرج نفسه
عن الامامة وقال لما قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تثبت
وقد اشرت اليك ما كان ينبغى لابن ابى قحافة ان يتقدم بين يدى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت لم لم يفعل عبد الرحمن ذلك
قلت الظاهر انه لم يعلم باقتدائه صلى الله عليه وسلم به واقتدى صلى
الله عليه وسلم بجبريل عند باب الكعبة بجانبه من ناحية الحجر بكسر
الحاء فصلى به الخمس مرتين فى يومين صبيحة الاسرا الذى كان بليلة
وكان كثير الانفاق فى سبيل الله اعتق فى يوم واحد احدا وثلاثين
عبدا حتى جاء ان جملة ما اعتقه ثلاثون الفا وفى حديث انه امين
فى السما امين فى الارض وكان كثير المال محظوظا فى التجارة قال
لام سلمة خفت ان يهلكنى كثرة مالى فقال يا بنى انفق قال الزهرى
تصدق على عهد النبى صلى الله عليه وسلم بشطر ماله اربعة الاف دينار ثم
اربعين الف دينار ثم بمثلها ثم خمسماية فرس ثم خمسماية راحله وفى

روايه

روايه الف وخمسماية راحله واوصى لامهات المومنين بحديقة فبيعت
باربعماية الف واوصى بخمسين الف دينار فى سبيل الله ولكل واحد
ممن بقى ممن شهد بدرا باربعماية دينار وكانوا ماية من جملتهم عثمان
فاخذ ماية وهو امير المومنين وبالف فرس فى سبيل الله وكان اهل
اهل المدينة عيالا عليه ثلث يقرضهم وثلث يقضى ديونهم وثلث
يصلهم وقدمت له عير من الشام سبعماية راحلة تسمعت عايشة
اصواتها فروت حديث يدخل ابن عوف الجنة حبوا فبلغه فاتاها
فحدثته فقال اشهدك انها باحمالها واحلاسها فى سبيل الله عز وجل
وباع ارضا من عثمن باربعين الف دينار فقسمها فى اقاربه بنى زهره
وفقرا المسلمين وامهات المومنين وروى انه صلى الله عليه وسلم قال له لن
تدخل الجنة الا زحفا فاقرض الله عز وجل يطلق لك قدميك قال ما
الذى اقرضه قال تتبرا من كل ما لك فهم بذلك فاتاه جبريل فقال
مره فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السايل فاذا فعل ذلك
كان كفارة لما هو فيه والذى صح من ذلك اتانى جبريل فقال مر ابن
عوف فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السايل وليبدا بمن
يعول فاذا فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه وفى حديث ابن عدى وغيره
انكحوا عبد الرحمن بن عوف فانه من خيار المسلمين روى ابو نعيم وغيره
ان رجلا لين الصوت قرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بقى احد
الا فاضت عينه غير عبد الرحمن بن عوف فقال صلى الله عليه وسلم ان لم
تكن فاضت عينه فاضت قلبه وفى حديث ضعيف اول من يدخل
الجنة من اغنياء امتى عبد الرحمن بن عوف والذى نفس محمد بيده لن
يدخلها الا حبوا وفى اخر رواه احمد والطبرانى رايت عبد الرحمن
ابن عوف يدخل الجنة حبوا وفى روايه لاحمد قد رايته يدخل الجنة

حبوا لكن ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وفى رواية لابن سعد وابن
عساكر كانى بعبد الرحمن بن عوف على الصراط يميل مرة ويستقيم
اخرى حتى بفلت ولم يكد لكن يعارض ذلك ما رواه جماعة انه صلى الله
عليه وسلم قال له كفاك الله امر دنياك واما امر اخرتك فانا ضامن لها وسببه
ان الحسنين اشتد بكاوهما من الجوع فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشى
فاتاه بصحفة فيها حيس ورغيفين بينهما اهالة توفى عن اثنتين وخمس
وسبعين سنة اثنتين وثلاثين فى خلافة عثمن وصلى عليه على وقيل
الزبير لانه كان هجر عثمن لما اثر اقاربه وقال لابن عوف هذا فعلك
فرخا عليه ولامه وقال انما وليتك لتسير بسيرة الشيخين فقال كان
عمر يغيظ اقاربه فى الله وانا اصلهم فى الله فنذر ان لا يكلمه ابدا وترك
من الذهب ما جاء ربع ثمنه ثمانين الف دينار ولما تقرر من كثرة انفاقه
وصدقاته وماله كثرة فيهما تتوق الحصر قال **من بذل مما قبله هونت**
نفسه الدنيا اى صيرت اموالها وامتعتها رخيصة عندها **بسبب**
بذل لها فى وجوه الخير والقربات بذلا دائما مستمرا كثيرا يبهر العقل ويرفع
الى الدرجات العلى كما مر فى الاحاديث وذلك البذل الكثير **عده اثراء**
اى كثيرة المال الذى فتح الله به عليه واكثره من التجارة لانه كان محظوظا
فيها بحيث لو امسك التراب صار ذهبا **والمكنى اباعبيدة** وهو عامر
ابن الجراح القرشى الفهرى امين هذه الامة كما صحت به الاحاديث وفى
رواية وامينى وفى اخرى وامبينا ايها الامة واحد العشرة والرجلين
اللذين عينهما الصديق يوم السقيفة للخلافة والثانى عمر واحد الخمسة
الذين اسلموا فى يوم احد واحد على يد الصديق وبقيتهم عثمن بن مظعون
وعبيدة بن الحارث وعبد الرحمن بن عوف وابو سلمة بن عبد الاسد زوج
ام سلمة شهد مع النبى صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وثبت يوم احد مع النبى

صلى

صلى الله عليه وسلم ونزع يومئذ باسنانه حلقتين دخلتا فى وجنتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلق المغفر فوقعت ثناياه لانه
تحامل عليهما خوفا من ايلامه صلى الله عليه وسلم فكان من احسن الناس
هتما والهتم الفاقد مقدم الاسنان وولاه ابو بكر لما ارسل جيشا الى الشام
ثم جعل خالدا اميرا عليه وعلى غيره لعلمه بالحروب ولما ولى عمر اعاده
لكن امره ان يستشير خالدا وهو اول من سمى امير الامرا بالشام وروى
انه صلى الله عليه وسلم امره على سرية فيها ابو بكر وعمر وتعرض له ابوه
يوم بدر فاعرض عنه فلازمه فلما اكثر عليه قتله فانزل اية فيه
لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر الاية ولما قال له الصديق
يوم السقيفة مد يدك لابايعك قال ما كنت لاتاقدم على رجل قدمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا حتى قبض وقال عمر لئن ادركنى
اجلى وهو موجود استخلفته لانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان لكل امة امينا وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح ولما قدم
عمر الشام تلقاه الناس فقال ابن اخى ابو عبيدة فقالوا الساعة
ياتيك فاتاه على ناقة مخطومة بخطام فنزل عمر عن راحلته
فلم يجد فيه سوى سيفه وترسه وفرسه ورحله فبكى عمر وقال
لاصحابه تمنوا فقال رجل ملء هذه الدار ذهبا انفقه فى سبيل الله
وقال اخر جوهرا انفقه كذلك فقال عمر وانا اتمنى لو ان هذه الدار
مملوة رجالا مثل ابى عبيدة وله فتوحات كثيرة ووقعات مع المشركين
هايلة وصح عن الحسن مرسلا ما من احد من اصحابى الا وشئت لاخذت
عليه فى بعض خلقه غير ابى عبيدة بن الجراح توفى سنة ثمانى عشرة
شهيدا فى الطاعون فى طاعون عمواس قرية بين الرملة وبين بيت
المقدس اول ما وقع بها ثم انتشر بالشام وقبره معروف ثم قال الامام

النووى رحمه الله زرته فرايت عنده عجبا ورايت عنده من الجلاله
ماهو لايق به اذ ظرف لاقسم المقدر او تعليل له بعزى اى ينسب
اليه اي ابى عبيده الامانة الامناء واجلهم نبينا صلى الله عليه وسلم
فانه قال كما صح عنه لكل امة امين وامين هذه الامه ابو عبيده
ابن الجراح وفى رواية وامينى وفى اخرى وامينا ايها الامه واعلم
ان هذا كقوله صلى الله عليه وسلم فى ابى ذر اصدق من اضلت الخضرا
واقلت الغبرا لا يقتضى تفضيلا على الخلفا الراشدين لان اوليك كملت
فيهم الصفات كلها واعتدلت فلم يترجح بعضها على بعض واما هذان
فكملت فيهما صفة الامانة والصدق فتميزا فيهما على من لم يكملا فيه ولو
سلمنا زيادتهما فيهما على اوليك لم يقتض ذلك تفضيلا ايضا لان المفضول
قد يتميز بمزية بل مزايا لا توجد فى الفاضل لانه خلف تلك المزايا
مزايا اخرى اجل منها واعظم تحصل مناط الافضليه فيه وان خلا
عما تميز به المفضول وافتخر عليك بعميك اخوى ابيك لابيه وهما
حمزة والعباس رضى الله عنهما وكل منهما اسن من النبى صلى الله عليه وسلم بنحو
بنحو السنتين نيرى تثنية نير وهو الكوكب المضى فلك هو ما تسير
فيه الكواكب المجد اى الكرم والحسب شبه المجد بالسماء واثبت لها
ماهو من لوازمها وهو الفلك اذ كل سماء يسمى فلكا فهى استعارة بالكناية
واستعارة تخييليه ورشح لها بذكر النيران وشبههما بالشمس والقمر
واثبت لهما ماهو من لازمهما وهو الاضاءة فهى ايضا استعارة بالكنايه
واستعارة تخييليه وفيها ايضا استعارة تجريديه بذكر المجد الملايم
للمعين وكل منهما اتاه اى حصل له منك اياء بوزن كتاب وهوما
تخرج من الشجر والنماكما فى القاموس وقال الشارح هو ما يستفاد
من النعيم والخيرات من غير تعب كحمل النخل وثمار الاشجار ولعله تفسير

مراد

مراد اما حمزة ويكنى اباعمارة ويلقب باسد الله واسد رسوله
فكان عظيما شجاعا اخا للنبى صلى الله عليه وسلم من الرضاعه اسلم قديما
وسبب اسلامه ان اللعين اباجهل شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانصرف ولم يجبه وانصرف ابوجهل الى نادى قريش عند الكعبه
واقبل حمزة من قنصه متوشحا قوسه فاخبر وهو اعز فتى فى قريش واشد
شكيمه فغضب وعمده فشجه فى راسه شجة منكره فقال اتشتمه وانا
على دينه فقامت اليه رجال من بنى مخزوم فمنعهم ابوجهل خشية الفتنة
مطلب وهو اول من اتخذ له صلى الله عليه وسلم لواء حين بعثه الى سيف البحر
بكسر السين من جهنة استشهد باحد نصف شوال ثالث سنى الهجرة
بعد ان قتل احدا وثلاثين كافرا قتله وحشى عبد العقبة السلمى قال
رايته يهد الابطال هدا فاختفيت له فلما تمكنت منه رميته بحربتى
فاصابته وولبت هاربا فتبعنى ثم سقط وبعد ذلك اسلم وحشى هذا
فقبله صلى الله عليه وسلم وقال له غيب وجهك عنى اى خشية ان يصيبه
منى شى اذا تذكرت قتله لحمزة وخرج يوم اليمامه فشارك رجلا فى
قتل مسيلمة الكذاب فكان يقول هذه بتلك ومع ذلك فقد اصابه لما
صح عن ابن المسيب انه قال كنت اتعجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتى
مات غريقا فى الخمر وقال ابن هشام بلغنى انه لم يزل يحد فى الخمر حتى خلع
من الديوان فكان عمر يقول لقد علمت ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة
ولما راى النبى صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلا بكى ولما راى ما مثل به شهق
وقال لن اصاب بمثلك ابدا ما وقفت موقفا اغيظ لى من هذا
وروى ابن شاذان عن ابن مسعود ما راينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
باكيا قط اشد من بكايه على حمزة وضعه فى القبله ثم وقف على جنازته
وبكى حتى كاد يغشى عليه يقول يا حمزة يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا اسد الله واسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف
الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في هذا
نوح ولا تعديد شمايل بل اخبار بفضايله وشمايله رضي الله عنه وصح حديث
انه سيد الشهدا يوم القيمة وانه لولا جزع النسا لتركته حتى يحشر من بطون
الطير والسباع وحديث رحمة الله عليك قد كنت وصولا للرحم فعولا
للخيرات وصحح الحاكم حديث والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله تبارك
وتعالى في السما السابعة حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله لكن
تعقب وورد من طرق ان الملايكة غسلته وصححه الحاكم لكن تعقب واما
العباس وكنيته ابو الفضل فكان جليلا جوادا ذا راي وكمال عقل معظما
بين الصحابة وعند النبي صلى الله عليه وسلم رئيسا في قريش قبل الاسلام
وكانت اليه عمارة المسجد الحرام والسقاية وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم
يوم العقبة فعقد له البيعة على الانصار وكان صلى الله عليه وسلم يثق به
في امره كله أسر ببدر لقوله صلى الله عليه وسلم من لقيه فلا يقتله فانه خرج
مستكرها وسمعه صلى الله عليه وسلم يئن لكونهم شدوا وثاقه فلم ينم فقيل
له ما يسهرك يا رسول الله قال انين العباس فقام رجل فارخى من وثاقه
ووثاق البقية وفادى نفسه وعقيلا ابن اخيه بعد ان قال ما معي شي
فقال له صلى الله عليه وسلم واين المال الذي قلت لام الفضل اي زوجته
حين خرجت اذا انا مت فافعلي به كذا فقال من اعلمك هذا ولم يطلع عليه
غيري وغيرها فاسلم سرا وكتم ايمانه الى قبيل فتح مكة فخرج الى النبي صلى الله
عليه وسلم ولقيه بالابواء وبه ختمت الهجرة وكان ردا للنبي صلى الله عليه وسلم
بمكة يكاتبه باخبار اهلها وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان يحب القدوم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه ان بقاك بمكة خير لك ولما
قالت الانصار نترك لابن اختنا عباس الفدا الى رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وثبت معه
انهزم الناس وكان عمر يستسقي به الغيث اذا قحط الناس فيقول اللهم
انا كنا نستسقي بنبيك فتسقنا وها نحن نستسقي بعم نبيك فاسقنا
فيسقون توفي بالمدينة ثاني عشر رجب او رمضان سنة اثنتين وثلاثين
وله نحو من ثمانية وثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع وصح حديث
العباس مني وانا منه لا تسبوا اصواتنا فتوذوا به الاحيا وحديث انه
سال صلى الله عليه وسلم ان يستعمله على الصدقة فقال ما كنت استعملك
على غسالة ذنوب الناس وحديث من اذى العباس فقد اذاني انما
عم الرجل صنو ابيه وحديث اوصاني الله بذي القربى وامرني ان ابدا
مطلب بالعباس بن عبد المطلب واخرج الدارقطني في الافراد ليكونن في ولد
العباس ملوك يكونون امراء امتي يعز الله بهم الدين وابن عساكر اللهم اغفر
له ذنبه وتقبل منه احسن ما عمل وتجاوز عنه سيء ما عمل واصلح له ذريته
لا تؤذوا العباس فتؤذوني من سب العباس فقد سبني وفي حديث ضعيف
وقال ابن الجوزي موضوع العباس وصيي ووارثي واخرج الرافعي الا ابشرك
مطلب يا عم ان من ذريتك الاصفيا ومن عترتك الخلفا ومنك المهدي في اخر الزمان
به ينشر الله الهدى وبه تطفى نيران الضلالة ان الله فتح بنا هذا الامر
وبذريتك يختم وابو نعيم في الحلية الا ابشرك يا ابا الفضل ان الله عز وجل
افتتح بي هذا الامر وبذريتك يختم وكون المهدي من ولده يحمل على ان فيه
شعبة منه لما صح انه من ولد فاطمة وصح انه من ولد الحسن وجاء انه من
ولد الحسين ولا تعارض لان فيه شعبة من ولد الحسن ايضا فهو حسني
وفيه شعبة من ولد الحسين وشعبة من العباس والترمذي وقال حسن
غريب اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا
اللهم اخلفه في ولده والخطيب وابن عساكر اللهم اغفر للعباس وولد العباس

ولمن احبهم وابن عساكر اللهم اغفر للعباس ما اسر وما اعلن وما ابدى
وما اخفى وما كان وما يكون منه ومن ذريته الى يوم القيمة والخطيب
يا عباس انت عمى صنو ابى وخير من اخلف بعدى من اهلى فلما كانت
سنة خمس وثلاثين ومايه فيكم والولد كم منهم السفاح ومنهم المنصور
ومنهم المهدى **و**اقسم عليكم **بام السبطين** الحسن والحسين فاطمه
وهى اصغر بناته صلى الله عليه وسلم **زوج** جرده عن التا لانه الا فصح
على زوجها له النبى صلى الله عليه وسلم ثانى سنى الهجرة بوحى من الله بذلك
كما ورد وبنى بها بعد تزويجها بسبعة اشهر ونصف فى ذى الحجة على راس
اثنين وعشرين شهرا وكان سنها حينيذ خمس عشرة سنة وخمسة
اشهر ونصف وقيل نحو عشرين سنة وسنى على احدى وعشرين سنة
واشهر قال ابن عبد البر هى وام كلثوم افضل بناته وكانت فاطمه
احب اهله اليه وكان يقبلها فى فيه ويمصها لسانه واذا اراد سفرا يكون
اخر عهده بها واذا قدم اول ما يدخل عليها توفيت بعده صلى الله عليه وسلم
فى رمضان سنة احدى عشرة وبينهما ستة اشهر وسنها تسع وعشرون
سنة اى على القول الثانى وقد اسر اليها النبى صلى الله عليه وسلم انها اول
بيته لحوقا به فسرت بذلك ودفنها على ليلا بوصية منها واختلف فى
محل دفنها والاشهر انها فى قبة ولدها الحسن قرب محرابها وكان القطب
ابو العباس المرسى يجزم به قيل فلعله كوشف به **وروى** احمد فى المناقب
والدولابى انها اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت وقالت انا
مقبوضة الان فلا يغسلنى احد ولا يكفننى فماتت فامتثل على وصيتها لكن
يعارضه انها امرت فاطمة بنت عميس بان تغسلها وهذه مقدمة لان
الاصل عدم الخصوصية **وبنيها** يعنى اولادها الحسن والحسين ومحسنا
وهذا مات صغيرا وام كلثوم وزينب واولادهم الى قيام الساعة ولم يكن

مطلب

مطلب

له صلى الله عليه وسلم عقب الا منها فانتشر نسله من جهة السبطين فقط
وام كلثوم ولدت لعمر ذكرا وانثى وماتا صغيرين ثم بعد عمر بعون بن جعفر
ثم بعد موته باخيه محمد ثم باخيه عبد الله ولم يعقب منهم شيا ثم تزوج
الاخير باختها زينب فولدت له عده منهم على وام كلثوم وانتشر نسلهما
ولهم شرف اعلى من شرف اولاد عبد الله من غير زينب وادون من شرف
اولاد الحسين لمزيتهما بما ورد فيهما وللعباسيين والطالبيين شرف ايضا
ومن ثم لقب بالشرف كل عباسى ببغداد وعلوى بمصر ولجعفر الصادق ولد
اسمه اسحق تزوج السيدة النفيسة بنت الحسين بن زيد بن الحسين
ابن الحسين بن على كرم الله وجهه وله منها ولدان لم يعقبا **ومن حونه**
العباء وهم النبى صلى الله عليه وسلم وفاطمه وعلى وابناهما ومر لبعض هولاء
فضايل كعلى وابنيه رضى الله عنهم ومن فضايل فاطمه ما صح عن ابيها
القايل تعالى فى حقه وما ينطق عن الهوى انما فاطمه بضعة منى يوذينى
ما اذاها ويغضبنى من اغضبها احب اهلى الى فاطمه اذا كان يوم القيمة
نادى مناد من وراء الحجب يا اهل الجمع غضوا ابصاركم عن فاطمه بنت محمد
حتى تمر ان فاطمة احصنت فحرمها الله وذريتها على النار فاطمه بضعة منى
يغضبنى ما اغضبها ويبسطنى ما يبسطها وان الانساب تنقطع يوم القيمة
غير نسبى وسببى وصهرى فاطمه سيدة نساء اهل الجنة الا مريم بنت عمران اما
ترضين ان تكونى سيدة نساء اهل الجنة قال يا فاطمه نزل ملك من السما
فاستاذن الله ان يسلم على يبشرنى ان فاطمه سيدة نساء اهل الجنة يا فاطمه
الا ترضين ان تكونى سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المومنين وسيدة
نساء هذه الامة وخبر اتانى جبريل بسفرجلة من الجنة فاكلتها ليلة اسرى
بى فعلقت خديجه بفاطمه فكنت اذا اشتقت الى رايحة الجنة شممت رقبة
فاطمه ٧ ولدت قبل النبوه فضلا عن الاسراء وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل

انها تعلم ان الاسرار ... تصحيح ... الوضع ... لان فاطمه ... [illegible]

على علی وفاطمة كسا وقال اللهم هولاء اهل بيتي وخاصتي اى خاصتي اذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمه وانا معهم فقال انك على خير
وفي رواية الغى عليهم كسا ووضع يده عليهما وقال اللهم ان هولاء آل محمد
فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفي اخرى ان الاية
اى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا انزلت
ببيت ام سلمه فارسل صلى الله عليه وسلم اليهم وجللهم بكسا ثم قال نحو ما مر
وفي اخرى انهم جاوا واجتمعوا فنزلت فان صحتا فهي نزلت مرتين
وفي اخرى ان ام سلمه قالت له الست من اهلك فقال بلى وانه ادخلها الكسا
بعد ما قضى دعاءه لهم وفي اخرى صحيحة ايضا قالت يا رسول الله انا من
اهل البيت قال بلى ان شاء الله وفي اخرى ان واثلة قال لما سمع صلى الله
عليه وسلم يصلي عليهم وهو تحت الكسا وعلى يا رسول الله فقال اللهم وعلى
واثلة وفي اخرى صحيحة قال واثلة وانا من اهلك قال وانت من اهلي
قال واثلة وانها لمن ارجا ما ارجوا قال البيهقي وكانه جعل في حكم الاهل
تشبيها بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقا واشار المحب الطبري الى ان التجليل
بالكسا لمن ذكر تكرر منه صلى الله عليه وسلم في بيت ام سلمه وبيت فاطمه
وغيرهما وبه يجمع بين اختلاف الروايات في هيئة اجتماعهم وما جللهم به
وما دعا به لهم وما اجاب به واثلة وام سلمه وفي اخرى سندها حسن
انه اشتمل على العباس وبنيه بملاة ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهولاء
اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاتي هذه فامنت اسكفة الباب
وحوايط الباب فقالت امين ثلاثا واقسم عليكم بازواجكم اللواتي
تشرفن بان صانهن عن النار والنقص لما صح عنه صلى الله عليه وسلم
ان الله لم يزوجه الا من ستكون معه في الجنة منكم حال من قوله بنا
اى دخول وظاهر كلامه ان من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل لها ذلك

الشرف وينبغي تخريجه على حرمتها على غيره فان قلنا تحرم وهو
الاصح حصل لها الشرف او تحل لم يحصل لها وهن احدى عشرة متفق
عليهن ست قرشيات واربع عربيات واسرائيلية واولهن خديجه
تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد زوجين ولدت لكل منهما ولها يوم
تزوجها صلى الله عليه وسلم اربعون سنة واشهر وله خمس وعشرون
عند الاكثرين وكانت قد عرضت نفسها عليه كما مر وهي اول من آمن به
من النسا وفي الصحيحين ان جبريل قال يا محمد هذه خديجه قد
اتتك باناء فيه طعام او ادام او شراب فاذا هي اتتك فاقرا عليها السلام
من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب اى لولو مجوف لا
صخب فيه ولا نصب واولاده صلى الله عليه وسلم كلهم منها الا ابرهيم واختلف
في عددهم وجملة ما اتفق عليه منهم ستة القاسم ولد قبل النبوه وبه كان
يكنى ومات بعد نحو سنتين على خلاف فيه واربع بنات زينب وهي
اكبرهن وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها ابن خالتها ابن العاص
ابن ربيعه ولدت منه عليا كان رديفه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ومات
قبل الاحتلام وامامة التي حملها في صلاته تزوجها علي بعد فاطمه رضي
الله عنهم ثم رقيه توفيت وهو صلى الله عليه وسلم ببدر ولما عزي بها قال
الحمد لله دفن البنات من المكرمات خرجه الدولابي ثم ام كلثوم توفيت
سنة تسع من الهجرة تزوجها عثمان بعد ابني ابي لهب ثم فاطمه الزهرا
البتول قال ابن عبد البر ولدت سنة احدى واربعين من مولده صلى
الله عليه وسلم والذي رواه ابن اسحق انها ولدت قبل النبوه زاد ابن الجوزي
قبلها بخمس سنين وسميت فاطمة والزهرا المامر وبتولا لان الله قطعها
عن النسا حسبا وفضلا او لانقطاعها الى الله واختلف في انه صلى الله
عليه وسلم هل ولد له غير اولئك الستة فقيل الطيب والطاهر وعبد الله

مطلب

مطلب

مطلب
سبب تسمية السيده فاطمه بالزهرا والبتول

قيل الاولان لقب للثالث ومات صغيرا وهو الاصح وقيل عبد مناف
وقيل المطهر واما ابرهيم فمن سريته مارية القبطية ولد في الحجة سنة ثمان
وسماه بابرهيم باسم ابيه قبل السابع او فيه روايتان وجمع بانها وقعت
قبله بخفية واظهرت فيه وكان صلى الله عليه وسلم يذهب اليه وهو في العوالي
عند ظئرة الحداد فيا خذه ويقبله ثم يرجع توفي وله سبعون يوما
وقيل سنة وعشرة اشهر وقيل غير ذلك وفي رواية انه لم يصل عليه اي
بنفسه بل امرهم فصلوا عليه وفي حديث لو بقي لكان نبيا لكنه لم يبق لان
نبيكم اخر الانبيا لكن بالغ النووي في تزييفه وبطلانه ورد بانه وارد من
طرق ولا اشكال فيه لان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع بل ولا الامكان
توفيت خديجة قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ودفنت بالحجون عن
خمس وستين سنة ثم تزوج سودة بنت زمعة بعد موت ابن عمها رضي
الله عنها اخي سهل بن عمرو بمكة لما ان رجعا من الحبشة بعد عقده على
عايشة ودخل بها قبل عايشة على ما جرى به بين الخلاف في ذلك واراد
طلاقها لما اسنت فوهبت نوبتها لعايشة فامسكها توفيت بالمدينة
في شوال سنة اربع وخمسين ثم عايشة بمكة في شوال سنة عشر من
النبوة ودخل بها في المدينة في شوال على راس ثمانية عشر شهرا وهي بنت
تسع سنين ولم يتزوج بكرا غيرها وا حبها صلى الله عليه وسلم اكثر من بقية
نسايه ولما فقدها في بعض اسفاره قال واعروساه خرجه احمد وكانت
فقيهة عالمة حافظة فصيحة ماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين
وكناها صلى الله عليه وسلم ام عبد الله بابن اختها عبد الله بن الزبير لا سقط
لا بسقط اسقطته منه صلى الله عليه وسلم لان ذلك لم يثبت وهي وخديجة
افضل امهات المومنين ثم الاصح ان خديجة افضل لما صح ان عايشة
قالت له قد رزقك الله خيرا منها قال لا والله ما رزقني الله خيرا منها

امنت

امنت بي حين كذبني الناس واعطتني مالها حين حرمني الناس
ولانه صلى الله عليه وسلم اقرا عايشة السلام من جبريل وخديجة السلام
من الله والاصح ايضا ان فاطمة افضل من خديجة لما فيها من البضعة
الكريمة التي لا يعادلها شي والخبر المتفق على خيرية خديجة اجيب عنه بانه
من حيث الامومة لا السيادة وممن جرى على ذلك الامام المجتهد التقي
السبكي فقال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة افضل ثم خديجة
ثم عايشة واختار ايضا ان مريم افضل من خديجة للاختلاف في نبوتها
ثم حفصة بنت عمر سنة ثلاث من الهجرة بعد ما رجعت من هجرة الحبشة
وموت زوجها بعد غزوة بدر وطلقها صلى الله عليه وسلم فاوحي اليه راجعها
فانها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة توفيت سنة خمس واربعين
ثم ام سلمة هند بعد موت ابي سلمة سنة اربع وكانت من اجمل النساء
ماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع ثم ام حبيبة رملة بنت
ابي سفين بن حرب بعد ان مات زوجها عبيد الله بن جحش بالحبشة
مرتدا سنة ست زوجها النجاشي لعمرو بن امية الضمري وكيله صلى
الله عليه وسلم واصدقها عنه اربعماية دينار وبعث بها اليه صلى الله عليه وسلم
فدخل بها سنة سبع بالمدينة سنة اربع واربعين وتزوج زينب بنت
جحش بعد زيد زوجه الله اياها فدخل عليها بغير عقد لما دلت عليه
الاية وكانت تفخر بذلك على امهات المومنين سنة خمس وقيل ثلاث وهي
اول من مات منهن بعده وصح عن عايشة لم تكن امراة خيرا منها
في الدين واتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واوسع صدقة
واشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي يتصدق به ويتقرب به الى الله
اي وهو الربع رواه مسلم ماتت بالمدينة سنة عشرين وتزوج زينب
بنت خزيمة الهلالية وكانت تسمى في الجاهلية ام المساكين لاطعامها

مطلب

ايام سنة ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة اشهر وتزوج ميمونة بنت الحارث
الهلالية سنة سبع بعد خيبر بسرف وبنى بها فيه وكان حلالا ورواية
محرما معناها انه في الحرم على ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم ان له
ان ينكح وهو محرم وماتت فيه سنة احدى وخمسين وقبرها به
مشهور يزار ويتبرك به وتزوج جويرية بنت الحارث الخزاعية وكانت
وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصاري فكاتبها فجاءت
تسال النبي صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال هل لك الى ما هو
خير من ذلك اودي عنك كتابتك واتزوجك قالت نعم فسمع الناس
بذلك فاعتقوا ما في ايديهم من قومها وقالوا اصهار رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالت عايشة فما رايت امراة كانت اعظم على قومها بركة
منها اعتق في سببها ماية اهل بيت من بني المصطلق خرجه ابو داود
وعن ابن شهاب انه اختارها من السبي فحجبها وقسم وكانت بنت
عشرين سنة توفيت سنة خمسين وتزوج صفية بنت حيي من نسل
هرون صلى الله على نبينا وعليه وسلم وعلى ساير الانبيا والمرسلين وهي من
سبي خيبر اذن صلى الله عليه وسلم لدحية في اخذ جارية فاخذها فقيل له
اعطيته سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك فخشي عليهم الفتنة فاعطاه
غيرها ثم اعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع الى المدينة وفي رواية
انه صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك في قالت يا رسول الله اني كنت اتمنى
ذلك في الشرك وكان بعينها خضرا فسالها عنها فقالت انها كانت
نايمة وراس زوجها ملكهم في حجرها فرات قمرا وقع في حجرها فاخبرته
فلطمها وقال تتمنين ملك يثرب ماتت في رمضان سنة خمسين ودفنت
بالبقيع فهولا نساوه المجمع عليهن واختلفوا في ثنتي عشرة امراة

مطلب

بعضهن الاصح فيه انه طلق قبل الدخول وبعضهن الاصح فيه انه لم يتزوجه

ومحل بسط ذلك في كتب السير **الامان** اي اقسم عليك بهولاء
المذكورين وما تحتمتم به ان تنيلني من حضرتك بواسطة شفاعتك
في الي من لا يخيب شفاعتك اوان يومنني الامان **الامان** تاكيد
اي من عقاب الله ما اقترفته من الذنوب وقطيعة ما جمعته من العيوب
ان بالفتح تعليلا او الكسر استينافا وفيه ايما الى العلة ايضا **فوادي من**
اجل ذنوب ابنتهن هواء اي خال عن فهم ما ينفعني في ديني ودنياي
لفرط الحيا والخجل من الله والدهشة من خوف عقابه وسخطه وفي نسخة
هباء اي لا وجود له فيرجع بمعنى الاول وما يعطفك على حتى يزيد اعتناوك
بي وامتدادك لي انه **قد تمسكت** اي توثقت واعتصمت **من ودادك**
اي محبتي لك وكون المحبة تستلزم الاتباع انما هو اغلبي ما يدل عليه
حديث يا رسول الله المرء يحب القوم ولا يعمل بعملهم فقال المرء مع من احب
او ان المستلزم لذلك هو كمالها او ان ذلك من الناظم من هضم النفس بتقدير
ما لم يقع واقعا كما هو شان الخوف المراعي مطلقا او في بعض الاحوال **بالحبل**
اي السبب الاقوى وهو العهد الوارد عنك في الاحاديث الصحيحة ان الرجل
المرء مع من احب وان لم يعمل بعملهم **الذي استمسكت به الشفعا** من الانبيا
والاوليا والعلماء والصالحين فلم تحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة
محبتهم لك واذا ورثتهم محبتك فبول شفاعتهم في الاعتبار او رثني وفق
شفاعتك في بجامع اني احبك كما يحبونك وان اختلف مقدار المحبة في الطرفين
واعلم ان العلما والعارفين اختلفت عباراتهم في المحبة وكثرت ولكن
ليست اختلافا في حقيقتها بل احوالها وثمراتها لان حقيقتها من المعلومات
التي لا تحد كما اطبق عليه المحققون وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن
التعبير عنه ومن ثم قال صاحب مدارج السالكين كغيره وهي لا تحد
بحد اوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفاء وجفاء والتكلم الناس في اسبابها

وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها واحكامها فحدودهم
ورسومهم دارت على هذه الشريطة وتنوعت بهم العبارات وكثرت
الاشارات بحسب الادراك والمقام والحال وقد وضعوا لها حرفين
مناسبين لها غاية المناسبة الحا التي هي من اقصى الحلق والبا الشفهية
التي هي نهايته فللحا الابتدا وللبا الانتها وهذا شان المحبة وتعلقها
بالمحبوب فان ابتداها منه وانتهاوها اليه واعطوا الحب الضم الذي
هو اشد الحركات واقواها مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها واعطوا
الحب وهو المحبوب الكسر لخفتها المطابقة لخفة المحبوب وذكره على
القلب واللسان وهذه مناسبة عجيبة بين الالفاظ والمعاني فتعلم
بان عنبر لغة العرب لا يلحقها واعلم ايضا انه صح في الحديث لا يومن
احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده وماله والناس اجمعين قالوا
المراد هنا حبه صلى الله عليه وسلم اي الميل اليه اختيارا لا طبعا وكل من
كان ذا نفس مطمئنة كان حبه راجحا او امارة كان مرجوحا وفي كلام عياض
ان هذا شرط لصحة الايمان على معنى التعظيم والاجلال وليس مرادا
هنا اذ اعتقاد الاعظمية لا يستلزم المحبة اذ قد يجد الانسان اعظام
شي مع خلوه عن محبته وانما المراد الميل كما تقرر فمن لم يجد ذلك الميل
لم يكمل ايمانه وفي صحيح البخاري ان عمر قال يا رسول الله انت احب الي
من كل شي الا نفسي التي بين جنبي فقال له صلى الله عليه وسلم لن يومن
احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب
لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له صلى الله عليه وسلم الآن
يا عمر فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانه حاصل لعمر
قطعا وانما توقف لان حب الانسان نفسي طبيعي وغيره اختياري بواسطة لعله نفسه
الاسباب وهذا هو الذي اراده من عمر اذ لا سبيل الى قلب الطبع وتغيير

ما جبلت

ما جبلت عليه النفس فجواب عمر اولا بحسب الطبع ثم تامل فعرف
بالدليل انه صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه نظرا لكونه الذي
انقذه من هلاك الدنيا والاخرة فاخبر بما اقتضاه الاختيار فاجاب
بالآن اي عرفت فنطقت بما يجب ومن علامة محبته صلى الله عليه وسلم
ايثار مأموره ومنهيه على جميع اغراضه قال القرطبي وكل من آمن به
ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شي من تلك المحبة الراجحة ولكنهم
يتفاوتون فيها تفاوتا ظاهرا وكثير من العامة يوثر رويته على اهله
وماله وولده وكذا زيادته بل زيارة اثاره لما وقر في قلوبهم من محبته
غير ان ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات والشهوات عليهم وابى
الله اي لم يرد كما جرت به عادة كرمه وفضله وجوده ودل عليه ما
تفضل به عليك بقوله عز قائلا ولسوف يعطيك ربك فترضى والمعلوم
المستفاد من اخلاقك الجميلة والذي دلت عليه اثارك الجليلة ان من لجا
اليك لا تخيبه من شفاعتك ولا يحرمه ربك من فضله مسارعة الى رضايك
ومن ثم اخبرتنا عنه انه سبحانه يقول لك في ذلك الجمع الاكبر على رؤس
الاشهاد قل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع ان يمسني السوء
بحال اي في حال من الاحوال الدنيوية والاخروية والحال ان لي اليك التجاء
اي استنادا لمزيد محبتي لك وخدمتي لجنابك ومن هو كذلك حقيق بان لا
يناله من ربه عذاب ولا سخط ولا حرمان ولا قطيعة ولاجل ذلك قد
رجوناك معشر محبيك وخدامك ايها النبي الكريم اي املنا فيك للامور
الخطيرة العظيمة من الذنوب والمخالفات والغفلات والشهوات
التي ابردها اي ايسرها في فوادنا رمضاء اي نار تتقد من شدة
خوف المواخذة بما كسبته قلوبنا والسنتنا وجوارحنا وبين ابردها
ورمضا والفقد ما لغتنا المطابقة وابتنا اليك بقلوبنا اي وجهناها

الى الاستعاذة بك من كل مكروه او الى قبرك المكرم حال كوننا **انضاء**
جمع نضو بكسر النون اى مهازيل **فقر** من الاعمال الصالحة فلكثرة ما
حملناه من الذنوب ضعفنا عن حمله وهزلنا بسبب ثقله **حملتنا**
الى حضرتك التى فيها **الغنى الاكبر انضاء** اى ركايب مهازيل
اجهدها طول السير وشدة الاسراع بها الى الوصول الى حضرتك
العلية اغتناما للوقوف بساحة كرمها والتملى بشهود احسانها ونعمها
وانطوت اى استترت **فى الصدور** اى القلوب **حاجات نفس**
املت حصولها من جنابك الكريم ترفعها اليك اذا وصلت الى حضرتك
وحظيت بحلول نظرك منها الامداد من مزاياك والتوصل والتشفع بك
الى مولاك لانه لا وسيلة اليه اقرب منك اليه ولا احد بعدك يقول انا لها
فضلا عن غيرهم عليه فحينئذ كانت تلك الحاجات **مالها عن ندى**
اى عطا **يديك** الكريمتين **انطواء** اى استتار واستغنا بل لا يقضيها
غير جاهك الواسع • ولا يمن بها غير عطايك الهامع • فلا ارتحال لنا عن
واسع جودك • ولا انصراف عن ساحة كرمك • بل لا نزال مقيمين بجوارك •
مستمطرين لندى اثارك • طامعين فى حصول كلها املناه بشفاعتك •
التى هى مطمح المقربين • ووسيلة المقصرين • **فاغثنا** بها لتقضى جميع حاجاتنا
لوفور جاهك وعظيم منزلتك عند ربك **يامن هو الغوث** للمكروبين والملجا
للمنقطعين المنقذ لهم من الشدايد **والغيث** المريع للمضطرين
المشبع للجايعين المجزل لهم من الفوايد فازل شكوانا وارفع لاوانا **اذا**
اجهد الورى اللاواء اى اذا اضيق على الخلق الجدب حتى اشرفوا
على التلف **والجواد** الاعظم **الذى** لم يخلق الله من يصل الى مراتب جوده
فضلا عن ان يساويه فيه **به** اى بسببه **تفرج الغمة عنا** معشر امته
وتكشف الحوباء بفتح اوله وضمه اى الاثم اى عقابه والشده والحاجة

والحالة القبيحة وفى نسخة به تفرج الكربة عنا وتكشف الغما وهى بمعنى
الاولى لتساوى الغمة والكربة اذ هما الكرب الذى يشتد على النفس الى ان
يكاد يقتلها والغما والحوبا فى معانيها المذكورة من غم الهلال ستره غيم ونحوه
والخبر استنجم **يا** ندا، يتضمن غاية الانعطاف والتحنن والترحم وهو
معطوف على الندا قبله بحذف حرف العطف او مستانف لكنه بعيد
رحيما من الرحمة وهى رقة القلب وغايتها التفضل والانعام او ارادتهما
ومر فى يا سماء اول ابيات هذه القصيدة ما يتعين استحضاره هنا
بالمومنين مقتبس من قوله تع بالمومنين روف رحيم وكان بالمومنين رحيما
ومر فى شرح قوله رحمة كله ما يعلمك بسعة رحمته لا سيما بالمومنين وباهر
رافته لا سيما على الضعفاء والمساكين والايمان التصديق الاجمالى فى الاجمالى
والتفصيلى فى التفصيلى بجميع ما علم من دين محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة
عندنا اذ لا يكفر منكر غير الضرورى وهو ما يستوى فى معرفته الخاص والعام
وبالاجماع وان لم يكن ضروريا لان انكار المجمع عليه غير الضرورى كفر عند
غيرنا بل وجماعة منا ولا يكفى التصديق وحده بل لا بد معه من الاقرار
بالشهادتين باللسان فان تركه مع القدرة عليه كان كافرا مخلدا فى النار
كما نقله النووى عن اهل السنة لكن اشار الغزالى رحمه الله الى ما اختاره جمع
محققون غيره انه من اهل الجنة وترك التلفظ معصية فقط لان قلبه مملو
بالتصديق فكيف يخلد والكلام فى من لم يمتنع منه جحودا او انكارا والا كان
كافرا اجماعا والاعمال من الايمان عند نا كاكثر المحدثين اى من كماله فالميت
مومنا فاسقا تحت المشية قال تع ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء وقالت الخوارج انه كافر والمعتزلة انه لا كافر
ولا مومن وهو عندهما مخلد فى النار لانتفاء الايمان المتكفل بدخول
الجنة تنبيه مهم يتعين الاحاطة به لعظيم جدواه وعزة

١

نحواه اعلم ان رحيما صيغة مبالغة بل ذكر غير واحد انه ابلغ من الرحمن
وانه يستعمل في الله وفي غيره لكن في استعمال صيغة المبالغة فيه تعالى
اشكال ومن ثم قال بعض الايمة صفات الله تعالى التي على سبيل المبالغة كلها
مجاز لاستحالة حقيقة المبالغة فيها لانها ان تثبت للشيء اكثر من ماله
وصفاته تعالى متناهية الكمال وايضا فهي انما تكون في صفة تقبل الزيادة
والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسن ذلك التقي السبكي
وغيره فاستشكل والله على كل شيء قدير بانه لما فيه من المبالغة يستلزم
الزيادة على معنى قادر وهي محال واجاب الزركشي عن الاول بان صفة
المبالغة اما بحسب زيادة الفعل او تعدد المفعولات وهذا لا يوجب
للفعل زيادة لان الفعل الواحد قد يقع على متعدد وعلى هذا تحمل
صفاته بلا اشكال ولهذا قال بعضهم في حكيم معنى المبالغة فيه تكرير
حكمه بالنسبة الى الشرايع وفي الكشاف المبالغة في التواب اي في نحو
وهاب وتواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده او في قبول
التوبة حتى نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه وعبر الزركشي
على الثاني بما يؤول لما قاله الزركشي وهو ان المبالغة لما تعذر حملها على
كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد التي دل السياق عليها فهي بالنسبة
الى الكثرة المتعلق لا بالوصف واعلم ايضا ان نفي المبالغة في الفعل لا
يستلزم نفي اصل الفعل ويشكل عليه وما ربك بظلام للعبيد وما كان ربك
نسيا واجيب عن الاول بان ظلاما وان كان للكثرة لكنه جيء به
في مقابلة العبيد التي هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب عالم
الغيب فقابل في الاول المبالغة في الجمع وفي الثاني صيغة اسم الفاعل الدالة
على اصل الفعل بالواحد وبانه نفي الظلم الكثير لينتفي القليل ضرورة لان
الظالم يقصد بظلمه الانتفاع بما ياخذه فاذا ترك الكثير مع زيادة نفعه

فالقليل

فالقليل اولى وبانه بمعنى ذي ظلم ونسب للمحققين وبانه معنى فاعل
لا الكثرة فيه وبان اقل القليل لو وقع منه تع لكان كثيرا كما يقال زلة
العالم كبيرة وبانه اراد ليس بظلام ليس بظالم تاكيد النفي فعبر عن ذلك
بليس بظلام وبانه ورد ردا على من قال ظلام لا مفهوم له وبان صيغة
المبالغة وغيرها في صفاته تعالى سواء في الاثبات فجرى النفي على ذلك وبانه
تعريض بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور وهذه كلها تصلح جوابا عن
الثانية وزيد ثالث وهو مناسبة رؤس الاي اذا ظرف لرحيما ما زايدة
ذهلت اي غفلت عن ابنايها الرحماء مقتبس من قوله تعالى يوم
ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وتقييد رحمته
للمومنين لهذا اليس لانتفايها في غيره بل لانها في هذا اليوم اظهر واعم
لان الله تعالى يظهر له صلى الله عليه وسلم من العظم والسودد والتقدم
على جميع الانبياء والمرسلين وتخصيصه بالشفاعة العظمى في فصل
القضا ما يعلم جميع اهل ذلك الموقف انه لا اقرب منه الى الله وان كل نسب
ينقطع في ذلك اليوم الا حسبه ونسبه وفي الرحيم والرحماء رد العجز على
الصدر والذمام والذما وصاعدات وصعدا وافتني وافتنا ووعرة
وعراء وينفي والانتفاء وذرعا وذرعاء والحرج والحرجاء ورضي والرضاء
وحب والحباء جناس الاشتقاق او شبهه واعمال ومال جناس ناقص
وبطان وبطالا حق وحرو الحر محرف يا شفيعا من الشفاعة وهي السعي
في اصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع اليه في المذنبين في غفران
ذنوبهم وكشف كروبهم اذا ظرف لشفيعا وفيه ما في الذي قبله ما زايدة
اشفق اي ذل اذ الشفق يطلق على الشفقة وشان من حصلت له الشفقة
الذلة والدهش وحمله على هذا هو الصواب واما تفسير الشارح له

١

بالخوف فهو وان كان موضوعا ايضا لكنه لا يناسب هذا الا انه لا يلايم
قوله من اجل خوف عقاب ذنبه عايد للبراء المتقدم رتبته وافراده
نظرا للفظ لا للمعنى او لكون المراد منه الجنس على حد قوله صلى الله عليه وسلم
خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناه على طفل الحديث البراء من الكبائر
جمع بري بوزن قتيل وذكرهم لان خوفهم من الصغاير فقط يدل على شدة
ذلك اليوم ومناقشة الحساب فيه وان الخوف فيه من الذنوب يعم اكثر الناس
لانهم لا يخلون عن صغيرة بل صغاير بل لا يخرج من ذلك الا المعصومون
ويلحق بهم المحفوظون ومع ذلك يعمهم الخوف ايضا وان لم يكن لهم ذنب كيف
والانبيا شعارهم في ذلك اليوم اللهم سلم سلم جد يا من تحلى بكمال الرحمة
ولطايف الشفاعة بجاهك الواسع فانه لا اوجه منك عند ربك لعاص اشتاته
الخطايا واحاطت به المحن والبلايا والاصل لي اولنا فهو تجريد والتفات وانثر
فيه التنكير لما ياتي ولم يبين ما يجود به عليه قصد العموم المسؤل بان يجود
عليه في ذلك اليوم بايصاله بشفاعته له الى كل مرغوب وصرفه عن كل
مرهوب وما نافيه سواى اي غيري هو العاصي ولكن تنكري
الواقع في قوله لعاص استحياء منك ان اذكر لك نفسي بلفظ يدل عليها
بخصوصها مواجها لك بالتصريح بارتكابها ما نهيتها عنه وحمل الاستحيا
على التنكير مبالغة كرجل عدل فان قلت ذاك مصدر ان بخلاف هذا
قلت المراد التشبيه من حيث ان حمل الخبر في كل محتاج لتاويل لان
الحمل شرطه المساواه وهي غير موجودة هنا لتباين مدلوليهما هذا
تقرير عبارته وفيه مواخذتان احدهما الذي عليه الجمهور ان ضمير الفصل
انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا تعريف الخبر على ما ذكره صاحب
المفتاح ويشهد له الاستعمال نحو ان الله هو الرزاق اي لا رازق سواه
وفي الفايق وكلام الكشاف يميل اليه تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند

اليه

اليه وقد يكون لقصر المسند بحسب المقام فعلى الاول ان هو العاصي
دال على حصر العصيان في سواى كزيد هو القايم والمستفاد من النفي
الداخل على الجملة نفي ذلك الحصر بنا على ما هو المشهور ان النفي يتوجه
للقيد فان توجه للقيد ايضا توجه الاعتراض الاتي من باب اولى
وحينئذ فمفهومه يحتمل شيئين انه عاص وحده وانه عاص هو وغيره
لانك اذا قلت ليس سوى زيد هو القايم احتمل مفهومه ان زيد اهو
القايم وحده وانه وغيره قايمان واذا فهم الناظم ذلك لم يصح قوله
ولكن الخ لانه اثبت على احتمال العصيان لغيره معه وهو خلاف
قصده من انه العاصي وحده اي ادعاء وهضما للنفس لا حقيقة لان
الواقع بخلاف ذلك ثانيهما ان التنكير هنا لا نسلم انه يفيد الاستحيا
ولين افاده فشان السايل عدم الحيا لان المطلوب من المحتاج ان يرفع
حاجته مبينا لنفسه حتى يعرف حاله فيتعطف عليه فابهامه
لنفسه حينئذ غير لايق ولك ان تجيب عن الاول بان من الواضح
ان سوى كغير فلا تتعرف بالاضافة الا اذا وقعت بين ضدين
بل قال جماعة لا تتعرف بها مطلقا وان ال في العاصي للعهد الذهني
فهي كالجنس على حده ولقد امر على اللئيم يسبني فيراعى فيها التعريف
تارة والتنكير اخرى وحينئذ زال الحصر الموهم مفهومه ما مر وصار
المعنى وما سواي عاصيا بل انا العاصي وحدي وعن الثانية بان السايلين
على اقسام منهم من يغلب عليه الحيا والخجل من ارتكابه ما كان سببا
لسواله فيستر نفسه حياء وخجلا من المواجهة بالتصريح بارتكاب
القبايح وسترا واخفاء من اعترافه بالنقايص والفضايح خشية
ان يظهر عليه ما يعين سبب سواله فيكون مقتضيا لحرمانه والناظم
رحمه الله لمزيد اجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم راعى ذلك فنكر نفسه

وذكر الوصف المقتضي لسواله على جهة الابهام لا التفصيل حياء
من ان يبين نعته او معصيتهما فيكون ذلك سببا لرده **تذنيبه**
لا زلت اتطلب ان ما ذكره الناظم هنا من ان سبب التنكير قد يكون
الاستحيا هل صرح به احد غيره حتى وجدتهم صرحوا بما يقرب منه وهو
قولهم لكل من التنكير والتعريف مقام لا يليق بالاخر فمن اسباب التنكير
ارادة الوحدة نحو وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى اي وحده ارادة النوع
نحو هذا ذكر اي نوع من الذكر وعلى ابصارهم غشاوة اي نوع غريب من الغشاوة
لا يتعارفه الناس بحيث غطى ما لا يغطيه شي من الغشاوات ومما يحتملهما
والله خلق كل دابة من ماء اي كل نوع منها من كل نوع منه او كل فرد من افرادها
من افراد النطف ارادة التعظيم بمعنى انه اعظم من ان يعين ويعرف نحو
فاذنوا بحرب ولهم عذاب اليم ان لهم جنات وسلام عليه ارادة التنكير
نحو ان لنا لاجرا اي وافرا جليلا ارادة التقليل نحو ورضوان من الله اكبر
اي رضوان قليل منه اكبر من الجنات باسرها ارادة التحقير بمعنى انحطاط
شانه الى حد لا يمكن ان يعرف نحو من اي شي خلقه اي من شي حقير مهين
ثم تنبه بقوله من نطفة خلقه وهذا المعنى يقرب من الاستحيا الذي ذكره الناظم
وهنا قاعده يعم نفعها وهي ان الاسم اذا ذكر مرتين فان كانا معرفتين فالثاني
عين الاول غالبا دلالة على المعهود الذي هو الاصل في اللام او الاضافة نحو
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين او نكرتين فالثاني غير الاول غالبا
وقد اجتمعا في فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال صلى الله عليه وسلم لن
يغلب عسر يسرين فهو تصريح بما ذكر في القسمين او الاول نكره فقط فكالقسم
الاول نحو رسولا فعصى فرعون الرسول او عكسه حكمت القرائن ونقضت
هذه القاعده بايات كثيرة هل جزاء الاحسان اي العمل الا الاحسان اي الثواب
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله ويوت كل ذي فضل فضله ويرد به ما

مر

مر من انها اغلبية على ان بعض المحققين بين ان جميع ما اورد عليه من
الايات من جملة افرادها وانه لم يستند عنها شي لكن في بعضه تكلف
وتداركه اي ادركه **بالعنايه منك** له بان تمده بسوابغ كرمك وتفرغ
عليه سجال حلمك حتى لا ياتي قط بهفوة **ما دام له بالذمام** بمجمتين
قسم متعلق بتداركه اي تداركه بحق حرمتك التي انعم الله بها عليك ما دام
له **منك ذماء** بالمجمة اي تعلق واصله بقية الروح في المذبوح اي ما دام
فيه ادنى تعلق واستمساك بك لانك اكرم الكرما من الخلق وعادة الكريم
ان من تعلق به نجا من كل ما يخافه من اليم العذاب وبعد الحجاب
ولم لا وقد **اخرته** اي ذلك العاصي **الاعمال** السيئة التي ارتكبها
والمال الفاني الذي امسك عن صرفه في وجوه الخير او جمعه من وجوه
الشر حتى اشتغل به قلبه وطاش في جمعه لبه ولم يبال من اي واد جمعه ولا
باي وصف اكتسبه **عما قدمه الصالحون** جمع صالح وهو القايم
بحقوق الله وحقوق العباد وهو يشمل حتى الملايكة ومن ثم اخبر صلى الله
عليه وسلم ان المصلي اذا قال في تشهده السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
اصابت كل عبد لله صالح في السما والارض وبين اخرته وقدم التطابق
كالحسنات والسيات والملح والفرات والاستقامة والاعوجاج والسود
والبيض ووراء وامام والصيف والشتا والحر والبرد ويوم وليلة والرجا
والخوف والاقويا وضعفت الانيات **والاغنياء** من الاعمال الصالحه
والانفاق في وجوه الخيرات وهذا لف ونشر مرتب لان الاول للاعمال
والثاني للمال ثم اعترف بذنوبه لان الاعتراف مظنة العفو قال تعالى
واخرون اعترفوا بذنوبهم الايه متندما عليها لحديث الصحيح الندم توبه
كل يوم وليله **ذنوبه صاعدات** مع ملايكة الليل والنهار الذين يرفعون
اعمال العباد فيهما الى الله تعالى اظهارا لعظيم فضل الطايع وقبيح فعل

العاصى وعليها اى من اجلها انفاسه صعداء متواثرة ممدودة من
شدة مايلقى من كرب الندم وفرط الاسف عليها وسبب الوقوع فى
ورطتها انه الف البطنة بالكسر اى ملاء بطنه من الطعام والشراب
كذا قال الشارح والذى فى القاموس انها الاشر والبطر وقال فى البطر
انه النشاط والاشر وقلة احتمال النعمة والدهش والحيرة والطغيان بالنعمة
وكراهة الشى من غير ان يستحق الكراهة انتهى وكل ذلك صحيح هنا وقال فى
البطن بوزن كتف انه الاشر المتوكل ومن همه بطنه والرغيب لا ينتهى من الكل
المبطية السير الى الله اى المعوقة عن الاجتهاد فى رضايه باستفراغ الوسع
فى الاعمال الصالحة التى هى سبب هداية السبيل وتنزيه النفس عن كل وصف
دنى وخلق رذيل ولو لم يكن من شوم البطنة الا ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم
بقوله المومن ياكل فى معاء واحد والكافر ياكل فى سبعة امعاء من انها تفسد
العقل باذهاب فطنته والبدن باذهاب نشاطه وقوته بدار وهى
الدنيا بها اى فيها البطان جمع بطين ككرام جمع كريم بطاء جمع
بطى على وزان الجمع قبله فهم متاخرون عن الفايزين مستخلفون عن
السابقين فبسبب عصيانه بكى ذنبه بقسوة قلب اى مع شدته
وغلظته الموديين الى ان البكاء صورى لا حقيقى ومن ثم نهت تلك
القسوة الدمع عن ان يبرز منه شى فى غير ذكر البكاء فبسبب هذا
البكاء الذى انقلب البكاء عن حقيقته وهى حزن يعترى القلب
فيحصل له من الهيبة والقلق المزعج والخوف المقلق ما يجرى الدموع ويهيج
الرجوع وصار ذلك البكاء كانه مكاء بالتخفيف اى كالصفير يجامع ان
كلا صوت يجرى على اللسان ولم يتاثر به القلب وبين البكاء والمكاء
الجناس المضارع وعدى اى صار ذلك العاصى بعد ما وقع منه من
المعاصى والبكاء الذى لا يفيد لمزيد قسوة قلبه يعتب من عتب عليه

وجد عليه القضا من قضا صنعه وقدره اى يقول لم او كيف
قدر على هذا او الحال انه لا عذر لعاص يحتج به على الله حتى يسقط
اثمه وتندفع مواخذته فيما يسوق اليه القضاء والقدر من المعاصى لان
الله تعالى اجرى عادته الالهية فى هذا العالم على اسباب ومسببات تناط
بتلك الاسباب وبنسب وقوعها اليها نظرا للصورة الوجودية وان كان
الكل فى الحقيقة انما هو بقضايه وقدره كما يدل على ذلك قوله تعالى وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاسند تع اليهم الرمى
واليهم القتل باعتبار الصورة الوجودية ونفاها عنهم باعتبار الحقيقة
الايجادية اشارة الى انه يجب علينا رعاية المقامين بان نسند
الافعال الى فاعليها صورة ليمدحوا ويذموا باعتبار جريان تلك
الصورة عليهم والى الله تعالى حقيقة من حيث عجز العبد عن ذلك
وانفراد الحق تبارك وتعالى به وان نعتقد بطلان مذهب القدرية
الذين ينفون قدرة الحق ويثبتون قدرة العبد تخيلا منهم
انهم فروا بذلك عن نسبة القبيح الى الله تع وغفلوا عن انه يلزمهم
ما هو اقبح من ذلك وهو ان يجرى فى ملكه تعالى ما لا يشاء نحوه
على ان نسبة افعال العباد الى الله تع لا تستلزم نسبة القبح
اليه لان الشى انما هو قبيح بالنسبة لفعلنا لا لفعله تع لانه
يتصرف فى ملكه بما يشاء ولا يسال عما يفعل وهم يسالون وان
نعتقد بطلان مذهب الجبرية ايضا لانه يلزم عليه ان لا ثواب
ولا عقاب ولا مدح ولا ذم لان المجبر المكره على الشى من كل وجه
لم يصدر منه فعل ينسب اليه حتى يدار عليه حكم وقد علم من الشريعة
الغرا ان الله تع اسند الافعال لعباده ومدحهم عليها تارة وذمهم
اخرى فنتج ما قلناه من التوسط بين المذهبين بان نظرنا الى

الانفعال من حيث الصورة وانطنا لها احكاما من حيث
الحقيقة وانطنا بها احكاما لان هذا هو العدل السوى والطريق
الواضح الجلي ونظير هذا مذهب الرافضه والناصبيه واهل السنه
فالرافضه سبوا الشيخين وعثمان واكثر الصحابه ووالوا عليا وشيعته
والناصبيه سبوا عليا وشيعته ووالوا ولبكر الاكثرين واهل
السنه عدلوا فوالوا الكل وترضوا عنهم فكانوا في الجنه وكان كل
من ذنبكم هنا وفيما مر في النار فان قلت قوله ولا عذر للاخر
ينافيه احتجاج ادم بالقضا والقدر في قصته المشهوره مع موسى
عليهما السلام لما قال له موسى انت ابونا ادم الذى اخرجتنا من
الجنة بخطيئتك اى بالنسبة لمقامك والا فهى ليست بخطيئة حقيقة
لانه نسى كما في الاية وايضا فلعموم عصمة الانبيا فقال له كم تجد في
التوريه قدر على ذلك قبل ان اخلق قال باربعين سنه فقال
اتلومني على ذنب قدره الله على قبل ان اخلق باربعين سنه
قال نبينا صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح فحج ادم موسى
وكذلك احتج عمر على ابى عبيدة بالقدر لما ذهب الى الشام فراى
فيها طاعونا فاراد الرجوع فقال له ابو عبيدة افرارا من قدر الله
يا امير المومنين فقال له عمر لو غيرك قالها يا ابا عبيدة لاوجعته ضربا
نعم نفر من قدر الله الى قدر الله قلت لا ينافيه اما الاول فلان
الاحتجاج بالقدر ان كان قبل الوقوع في الذنب ليكون وسيلة
للوقوع فيه لم يجز وان كان بعد الوقوع فيه وقبل ان يستوفى منه
ما وجب ليمنع بذلك مواخذته به لم يجز ايضا وان كان لا يمنع ذلك
بل ليمنع تعييره به ساغ له ذلك كما صرح به قوله صلى الله عليه وسلم
فحج ادم موسى واما الثاني فالواقع من عمر ليس من الاحتجاج بالقدر

في ذلك وانما بيان لاسرار ما جاءت به الشريعة المطهرة لان الشارع
نهى عن دخول بلد الطاعون مع انه ان قدر موتهم بذلك الطاعون لم
ينفعه عدم الدخول او لا لم يضره ذلك الدخول فبين عمر رضى الله عنه
ان المسببات منوطة باسبابها من غير نظر في عواقبها وان الله تعالى
كما قدر على اناس الموت بالطاعون قدر على اخرين عدم الموت به فالامتناع
من الدخول فرارا من القدر الى قدر اخر والدخول تجاسر على ما لعله يكون
فتنه للداخل فانه لو وقع به ربما نسب موته الى فعله فحرم عليه خشية
الفتنه فان قلت والممتنع من الدخول اذا سلم ربما نسب السلامة
الى فعله ايضا قلت هذا اخف لان الاول القا باليد الى التهلكة وهو
منهى عنه في الكتاب والسنه والثاني بمنزلة التداوى والفرار من المهلك
وهذا محمود في الكتاب والسنه فان قلت لم جاز الفرار قبل الدخول
لا بعده مع استوايهما في المعنى المعلل به فيما مر قلت لا مساواة بينهما لانا
لو جوزنا الفرار لاهل البلد لخرجوا وتركوا المرضى من غير حافظ ولا متعهد
وذلك يودى الى هلاكهم غالبا فاقتضت المصلحة العامه منع الناس من
الخروج واما من لم يدخل فلا يترتب على عوده مفسده فجاز ثم رايت
الغزالى ذكر ما قررته في الجواب عن كلام عمر رضى الله عنه ونقله عن النووى
وغيره واقروه حيث قال فان قيل ما فايدة الدعا مع ان القضا لا يرد
فاعلم ان من جملة القضا رد البلا بالدعا فالدعا سبب لرد البلا
ووجود الرحمه كما ان الترس سبب لدفع السلاح والما سبب لخروج
النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك
الدعا والبلا وليس من شرط الاعتراف بالقضا ان لا يحمل السلاح وقد
قال تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فقدر الله تعالى الامر وقدر
سببه انتهى فتامل هذا المحل فانه نفيس وفيه شبه كثيره ازالها بحمد الله

هذا التقرير الواضح لمن الهم رشده • واسعد الله جده • وخلص من
ورطات الفتن • وغوايل البدع والمحن • حقق لنا ربنا ذلك بمنه وكرمه
واذا تقرر انه لا عذر فيها بسوقه القضا بالمعنى السابق سوا كانت المعصية
صغيرة او كبيرة فكيف بعذر من اوثقته اى حبسته فى الدنيا عن الخلوص
من التبعات وفى الاخرة عن مقام المكرم من الذنوب حال متقدمة
على صاحبها وهو ديون اى ديون تراكمت عليه ناشئة من كثرة
ذنوبه وتفريطه فى حقوق الله وحقوق عباده شددت فى اقتضايه
اى طلبها منه الغرماء لان حقوق الادميين مبنية على المشاحة
والمضايقة ماله حيله اى طريق فى التخلص من تلك الديون سوى
حيلة الموثق اى الاسير الذى صار لا يقدر على الهرب ولا التخلص وحيلة
من هو كذلك تنحصر فى سببين لا ثالث لهما لانها اما توسل الى الله تعالى
فى خلاصه بما سبق له من عمل صالح او بشفاعة الشافعين او دعاء اليه
فى ان يرضى عنه غرماوه ويسبل عليه ذيل عفوه وحلمه ورضاه راجيا
حال من عامر وضمايره المذكور اى موملا املا قريبا ان تعود اعماله
السوء عليه بغفران الله له مغفرة عامة لا تبقى عليه وصمة ذنب
ولا تذر له فلتة قلب و والحال ان تلك الاعمال هى فى جنب الغفران
هباء اى مثله فى الخفاء لا وجود لها اذ هو غبار يرى فى شعاع الشمس
اذا دخلت عند طلوعها من كوة او ان يرى سياته حسنات منه
عليه بانه لاجر فى سلك الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله
سياتهم حسنات فبسبب استحالة السيات حسنات يقال عند
روية ذلك استحالت الصهباء اى الخمر من الخمرية والنجاسة الى الخلية
والطهارة فتشبيه السيات بالخمر والحسنات بالخل استعارة مصرحة
واثبات الاستحالة التى هى من لوازم المشبه به تخييلية كل امر تعنى اى نعتنى

ونفهم

ونفهم انت برسول الله به فيلتفت اليه تنقلب الاعيان جمع عين
وهى الجسم وهو معنى تغييرها بانقلاب المبصر مستقلا بنفسه فيه بان تتحول
من صفاتها التى لا تريدها الى الصفة التى تريدها وتعجب البصراء
جمع بصير حسا ومعنى اى ذوو البصاير والبصر من ذلك القلب الخارق
للعادة المشاهد بالابصار الذى لا يعارض بجحود ولا انكار وشاهده
ما وقع لك فى ذلك العمل اذ رب هى هنا للتكثير قاله الشارح عين
من عيون الماء اى عيون كثيرة تفلت اى بصقت فى مايها الملح
الذى لا يستساغ لاحد فاضحى ماوها الملح والحال انه هو الفرات
اى العذب السايغ للشاربين اى وهو كالنهر المسمى بالفرات الذى
هو احد الانهار الاربعة النازلة من الجنة كما صح به الحديث الرواء
بالفتح اى الذى يحصل بقليله الرى الكامل لشاربيه قال
الشارح فى وهو الفرات الرواء الجملة خبر اضحى انتهى وهو جار فى
ذلك على ما ذهب اليه الاخفش وتبعه ابن مالك تشبيها بالجملة
الحالية لكن الجمهور انكروا ذلك وتاولوا الجملة على الحال والفعل على
التمام ولعل نسخته بلا واو وقيل هو تنبيه لم ار لخصوص التفل
فى ماء عين ملح فانقلب عذبا فضلا عن كثرته التى قالها الشارح سلفا
ويحتمل ان الناظم اخذ ذلك مما رواه ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم
بصق فى بير دار انس فلم يكن بالمدينة بير اعذب منها فوجود
الاعذبية فى هذه ببركة بصقه صلى الله عليه وسلم بينها منزلة منزلة
ماء ملح صار عذبا وفى حديث سنده حسن انه صلى الله عليه وسلم
قدم المدينة وليس بها يستعذب غير بير رومة وهذا يقتضى ان
ما عدا بير رومة من بقية آبار المدينة كانت مياهها فيها ملوحة
منعت الاستعذاب منها ومن جملة هذه دار انس وقد صارت

ببركة تفله فيها اعذب بير بالمدينة فصار ماؤها الذي تقرر ان به
ملوحة اعذب بير في المدينة فتبح من هذا صحة ما قاله الناظم رحمه
الله فتامله ثم رايت البغوي في الصحابة عن بشر الاسلمي ان المهاجرين
لما قدموا المدينة استنكروا الماء الحديث السابق في بير رومة
فتعبيره باستنكارهم مياهها يدل على ان فيها ملوحة وما تقرر
في بير انس يدل على زوال ملوحتها بالكلية وانما صارت اعذب
حتى من بير رومة ثم رايت الشريشي شارح مقامات الحريري ذكر ان
النبي صلى الله عليه وسلم تفل في بير اريس فصار ماؤها عذبا بعد ان
كان اجاجا وما ذكره غير صحيح فقد قال الحافظ الكبير الزين العراقي
انه لم ير اصلا لحديث تفله صلى الله عليه وسلم في بير اريس قال غيره
ومن الغرايب قول عز بن جماعة صح انه صلى الله عليه وسلم تفل فيها
فحينئذ ما قاله الشريشي لا اصل له ولا عند ابن جماعة لان فيه زيادة
كونها كان اجاجا فصار ملحا وهذا لم يقل فيه ابن جماعة ولا
غيره انه ورد فضلا عن كونه صح ولعل الناظم راى ذلك في كلام مثل
الشريشي ممن لا يعتد به في الحديث فاعتمده ثم رايت الحافظ السيوطي
ذكر ذلك بلا سند فقال وريقه صلى الله عليه وسلم يعذب الماء الملح
انتهى ويحتمل ان مراده كما يوخذ من تعبيره بيعذب لا باعذب
ان ريقه فيه قوة ذلك فلا يكون فيه دليل لما في النظم اصلا واذ
قد فرط مني ما سبقت الاشارة اليه فلا يسعني الا مزيد الندم
والتوجع منه والتاوه عليه بان اقول على الدوام والاستمرار **آه**
كلمة توجع اي توجعي عظيم وندمي زايد دايم **من** اجل **ما جنيت**
على نفسي من الذنوب وقبايح العيوب **ان** هي بمعنى اذ على حد
وخافون ان كنتم مومنين وبما قررته ان ذلك التوجع يفيد الندم

الوارد فيه عنه صلى الله عليه وسلم انه توبة اي معظمها المتكفل بما فيها
غالبا كالحج عرفة **كان يغني الف من عظيم ذنب** من اضافة
الصفة للموصوف **وهاء** اي سماها وهو التوجع المفيد للندم
المفيد للتوبة كما مر ويصح ان يكون ان على حالها من الشك لانا وان
سلمنا ان كلمة آه تفيد التوبة لكن قبولها ظني لا قطعي على الاصح ولك
ان تمنعه بانه يكفي في كونها بمعنى اذ ان قبولها ظني لان ظن الوقوع
ينافي وضع ان من التردد فيه ولما عرض بوقوع التوبة صرح برجايها
ليبين ان الاهتمام به منع من الاكتفا بالتعريض فقال **ارتجي** اي
اومل لحسن ظني عملا بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا يموتن
احدكم الا وهو يحسن الظن بربه وبقوله انا عند ظن عبدي بي فلا يظن
بي الا خيرا **التوبة** وهي الندم على الذنب من حيث هو ذنب بخلاف
الندم عليه لغرض اخر كاطلاع الناس عليه وصرف دراهم فيه فان ذلك
لا يعتد به والاقلاع عن المعصية بترك ملابسة فعلها من حيث الندم
عليها لا لغرض اخر ايضا وعزم ان لا يعود اليها ما عاش لذلك ايضا لا
لنحو قطع ذكره والخروج عن كل مظلمة عصى بها بقضا ما عصى بترك ادايه
فورا ابدا ما عصى باخذه ظلما الى مالكه او وكيله او وارثه هذا ان قدر
والا عزم عزما جازما انه متى قدر على الخروج منه خرج منه لفوره والتوبة
ولو من الصغاير واجبة اجماعا وتصح على الاصح من ذنب دون ذنب
وتصح على الاصح ايضا وان سبقها توبة من ذلك الذنب ثم عود
اليه وان تكرر ذلك **النصوح** اي التي لا يعود من حصلت له الى
الذنب ابدا لوقوعها خالصة عن كل شكل شايبة من شوايب الحظوظ
بان تكون لله وحده لا لغرض اخر ولو اخرويا كان تاب لاجل دخول
الجنة فان ذلك لا يوثر في صحة اصل التوبة وانما يوثر في كمالها الا لها

مشوبة بغرض للنفس بخلاف الخالصة لوجه الله تعالى قال تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لكن انى بتغير هذا
الترجى **والحال** اى متلبس بما قد بنا بينهما ان **فى القلب نفاق**
من حيث العمل باعتبار انه قد يبطن خلاف ما يظهر لا من حيث
الاعتقاد لان ذلك انما يصدر عمن امن بلسانه فقط **وفى اللسان**
والاركان **رياء** اى نظر الى الخلق باعتبار انما يصدر منهما قد يكون
فيه شوب نظر الى طلب رفق او ثنا من مخلوق ومع ذلك لا
اترك التوبة ورجا قبولها ولاجل ذلك قالت رابعة العدوية
واستغفارنا وان كان يحوج الى استغفار لا يوجب ترك الاستغفار
ومتى للاستفهام التعجبى **يستقيم قلبى** بان لا يبقى فيه نظر الى ما
يحجب عن الله من اهل او مال او جاه او غير ذلك بل الى الله وحده
والحال انى وصلت الى حالة تدل على غلظ القلب وشدته وعدم قبوله
للخروج عما جبل عليه من الغفلة والقسوة وتلك الحالة هى انه حصل **للجسم**
اعوجاج من اجل كبرى اى كبر سنى ووهن عظمى من كبر بكسر الباء
اى اسن **وانحناء** لقامتى وهو من عطف الرديف او الاخص
لان الاعوجاج يعم الاعضا كلها والانحناء مختص بالقامة اذ هو تقوس
الظهر ويبعد حينئذ الاستقامة بخلاف ايام الشباب فان العود
رطب والقلب لين فادنى وعظ يوثر فيه وادنى زجر يردعه عما هو
متلبس به فيبادر الى التوبة سريعا وانما اخرت التوبة الى هذا الزمن
لانى **كنت فى نومة الشباب** الذى تكثر فيه الغفلات وتتوالى
على اهله الهفوات فاستحكمت غفلتى حتى صرت كالنايم المستغرق
الذى لا يفيق من نومه الا بمحرك قوى **فما استيقظت** من تلك الغفلة
فى حال من الاحوال **الا و** الحال ان **لمتى** اى لحيتى **شمطا** اى اختلط

سوادها

سوادها ببياضها وما تقرر فى زمن الشباب او لانه محل قرب التوبة
والانزجار بادنى واعظ وهنا انه محل الغفلات والهفوات لا تنافى
بينهما لانه وان كان محل الهفوة والزلة لكن صاحبه يتنبه سريعا
الى زلاته ويرجع عنها حالا كما ان العود الرطب يستقيم اعوجاجه
بادنى عمل بخلاف زمن الشيخوخة فان زمن الامساك عن كل هفوة
وزلة لكن صاحبه المرتكب للمعاصى الى ان شاب يعسر عليه الرجوع
والتوبة فورا لان عوده قسى وصلب فلا يستقيم اعوجاجه الا بعد
الياس ويشهد لذلك الحديث ان قيل لكم ان جبلا تحول عن مكانه فصدقوا
وان قيل لكم ان انسانا تحول عن طبعه فلا تصدقوا **و** حينئذ بلغت هذا
السن الذى تعسر فيه التوبة كما تقرر **تماديت** اى طلبت ان **اقتفى**
اى اتبع **اثر القوم** الصالحين السابقين الى المراتب العلية والفايزين
بنيل المآرب السنية **فطالت على مسافة** بينى وبينهم لبعد الدرجات
التى نالوها **واقتفاء** لاعمالهم واخلاقهم لانهم استغرقوا فيها اوقاتهم
وانقطعوا الى الله تعالى عن كل علقة وتبعة **ف** بسبب طول المسافة
التى بينى وبينهم **ورا** خبر مقدم **السابرين** اى السايرين ليلا من السرى
وهو السير ليلا وعدل المعبر عن وراهم الذى هو المتبادر ليفيد انهم احيوا
ليلهم بالعبادات وامتازوا فيه بلذيذ المناجات **وهو** اى ذلك **الورا**
امامى جملة معترضة للتصريح بما علم من قوله اقتفى الخ مع طول
المسافة بينى وبينهم وتعذر اتباعه لهم صار بينه وبينهم موانع ايضا
سبل مبتدا اى طرق **وعرة** اى يعز سلوكها الا ان اولئك القوم كلفوا
نفوسهم من الاعمال والتخلق بكرايم الاخلاق والاحوال ما اوجب
لغيرهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرتهم على القيام بما قاموا به اولئك
وارض عراء بفتح اوله اى فضاء واسعة **حمر** اولئك القوم **المدلجون**

اى السايرون من اول الليل والقياس حمدوا ايضا فعدل الى الاظهار
ليبين انهم على فرقتين منهم من يحيى بعض الليل ومنهم من يحيى كله او اكثره
وان هذا القسم الثانى افضل واكمل لانهم راوا ما يتجدد به حمدهم مما لم يروه من
قبلهم **غب** اى عاقبة **سراهم** من الفوز برضى الله وقربه والاطلاع على حقايق
معرفته والتمتع بشهوده وهذا مقتبس من قولهم عند الصباح يحمد القوم
السرى **وكنا من تخلف** عنهم فى سيرهم وهذا راجع لقوله فوز السايرين
وقوله حمد راجع لقوله للسايرين ففيه لف ونشر مرتب **الابطاء** اى
التانى فى السير المفوت لادراك منازلهم وفى ذكره هذا ايما الى ان غاية
التحسر والتالم بذكره حالهم التى حمدوا عقباها وفاتته لعجزه عن ادراكها
لما هو عليه مما لا يوصله الى ذلك الغرض لبعده عن تلك اللطايف وتقاعده
عن بلوغ المعارف كيف وما هم عليه من الجد فى السير الى الله تع **رحلة**
عظيمة عن مواطن الشهوات • وبواطن الشبهات • وقبايح الارادات •
وقواطع البطالات • ورحلتهم هذه عز على ان اقتفيهم فيها لان **لم يزل
يقيدنى** اى يكذب على او يضعف راى **الصيف اذا ما زايده
نوبتيهما والشتاء كذلك** اى اذا جاء الشتاء انوى الى الصيف لان الشتا
يكثر فيه البرد والثلوج والامطار فيعسر السير فيها واذا جاء الصيف اقول
اصبر لعلى الى الشتا لان الاعمال تتيسر فيه اكثر ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
الشتاء ربيع المومن طال ليله وقصر نهاره فصامه وفى سنده من ضعفه
جماعة ووثقه اخرون والاصح توثيقه فى هذا السند بخصوصه ومن ثم
صححه ابن خزيمه ويشهد له احاديث منها مرحبا بالشتا فيه تنزل
الرحمة اما ليله فيطول للقايم واما نهاره فيقصر للصايم وحديث لم
ينزل عذاب قط من السما على قوم الا على انسلاخ الشتا وما اوجب
ابطاى عن تلك الرحمة انه **يتقى حر وجهى** وهو ما يبدو من الوجه **لحر**

والبرد

والبرد بانقايه عنهما خوفا من مشقتهما وهما كنايتان عن مشقة
العباده فى الشتا والصيف كما ان ما فى البيت الذى قبله كذلك **و** الحال
انه **قد عز** اى صعب على **من لظى** اى جهنم متعلق بقوله **الاتقاء**
لانى متلبس بما يؤول بى اليها الا ان يتغمدنى الله برحمته ولاجل هذا
ضقت ذرعا بالمعجمة **من اجل ما** موصولة او حرفية **جنيت** اى
ضعفت طاقتى عن ان تتحمل وزره ولم اجد من يخلصنى من ثقله واصل
الذرع الخلق **فيومى قمطرير** اى شديد وهذا الذكر عوا والصيف
والشتا وضقت ذرعا فيه اقتباس من الايات المذكور فيها ذكرو تلميح
الى ما فيها من القصص **وليلى درعاء** بالمهمله اى مظلم كناية عن
شده ما يلقى فيهما واصل الدرعا التى يطلع قمرها عند الفجر ومراده ان ذلك
الضيق ملازم له نهارا وليلا لا ينفك عنه فى واحد منهما **و** لكن خفف عنى
ذلك انى **تذكرت رحمة الله** اى سعتها التى دل عليها قوله تعالى
ورحمتى وسعت كل شى وانها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث الصحيح
ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتى سبقت غضبى
اى ان مظاهر الرحمة غلبت مظاهر الغضب وهذه العندية عندية
الشرف والمكانة لا المكان لتعاليه علوا كبيرا **ف**بسبب ذكر **البشر**
اى الفرح والسرور **لوجهى** متعلق بخبر البشر وهو تلقا وهذا اولى من
جعل الشارح له خبرا وتلقا خبرا ايضا **انى** اى فى اى مكان **انتحى** اى اتوجه
تلقاء اى مقابل اى فالبشر مقابل لوجهى فى اى مكان توجهت اليه
لانى مستشعر لسعة الرحمة ومعول عليها مع نظرى الى قول الصادق
المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى عن ربه انا عند ظن عبدى بى
فلا يظن بى الا خيرا **ف**بسبب تذكرى لما جنيت المقتضى لمزيد الخوف
ولسعة الرحمة المقتضى لسعة الرجا **الخ** اى اقام **الرجا والخوف**

بالقلب فهما على حد سوا كما هو الراجح عند ايمتنا ان الانسان
ما دام صحيحا فليكن رجاوه وخوفه مستويين وقيل يغلب الرجا
ليلا يغلب عليه داء الياس من رحمة الله تع وقيل يغلب الخوف
ليلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله وبردها انهما اذا استويا امنت
غلبة احدهما فلا محذور يخشى جنبه بخلاف غلبة احدهما فانه يخشى
منها المحذور الذى فى مقابله اما المريض فيغلب الرجا لقوله صلى الله عليه وسلم
لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله اى يظن انه يغفر له ويرحمه
وللخوف والرجا اذا توار دا على القلب **اخفاء** اى استغصا ومنازعة
لتضاد مقتضاهما اذ مقتضى الخوف اعتزاله وحرص للنفس لا يطاق ان
لان من لازمه الكف عن كل محرم بل وشبهة بل وعن ما فضل عن حاجته
من الحلال كما هو شان الزاهدين اذ لم يحملهم على ذلك الا عظيم خوفهم
ولو من هول السوال ومقتضى الرجا بسط النفس وانشراحها لان من
لازمه استحضار سعة الرحمة وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها
الله تعالى ويتجاوز عنها بكرمه واما تضاد مقتضاها ان كلا يستقصى
فى مقتضاه ضد ما يستقصيه الاخر لكن قد تقرر ان الاولى للصحيح
الذى يستوى عنده المقتضيان ليلا يغلب احدهما فيخشى منه المحذور
السابق انفا ومن ثم قال ناهيا عن غلبة الخوف المقتضى لليأس **صاح**
اى صاحبى وفيه نوع تجريد اذ الاصل يا نفسى **لا تياس** من رحمة الله
ان ضعفت عن الدواب فى **الطاعة** اى انفردت **بها الاقوياء** واستاثرت م
بالهمة والنشاط وقهر النفس وتجريعها المكروهات حتى تدربت
عليها فصارت عندها من الزم الوفاتها واعظم مشتهياتها **ان**
شايبه تعليل للنهى عن الياس ان ضعفت عن الطاعة **لله رحمة** عظيمة
ادخرها لبعض عباده نعم القوى والضعيف والشريف والوضيع **والحق**

الناس

الناس منه متعلق بقوله **بالرحمة الضعفاء** اى الذين لا يعولون
على اعمالهم ولا يغترون باحوالهم مع قيامهم بما لا بد منه واخلاصهم لله
تعالى فى عباداتهم فهم اقوى نية فى العباده وابعد عن الريا فربما حصلت
لهم بسبب ذلك نفحة سبقوا بها الاقويا وفى الحديث القدسى انا عند
منكسرة قلوبهم من اجلى اى لان مطلوبهم رضاى ومعتقدهم انه لا عمل لهم
ومما يويد ذلك انه صلى الله عليه وسلم فى منامه الذى راه لابى بكر وعمر فيما
يتعلق بخلافتهما وقرب مدة خلافة ابى بكر وطول مدة عمر انه اثبت
لابى بكر مع انه افضل الناس بعد الانبيا نحو ذكر الضعف فقال بعد
ان بين انه على بير وانه نزع منها بدلو وان ابا بكر اخذها منه فنزع
لها دلوا ودلوين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه فهو ليس
ضعف يقين ولا عمل وانما هو ضعف انكسار وافتقار وفى الحديث
ان الله لا ينظر الى الصور انما ينظر الى الاعمال والقلوب اى لا الى الاعمال
وحدها بل لما يصحبها فى القلوب من اخلاص وافتقار او ضدهما ثم
استدل على ان الضعيف قد يحصل له ما لا يحصل للقوى بمثال
ظاهر فى الوجود فقال **ف** بسبب الاحقية المذكورة للضعفا
ابق فى الضعفا المشبهين بنحو **العرج** جمع اعرج وهو من برجله
داء يمنعه من استقامة المشى **عند منقلب الزود** اى رجوعه
الى ربه وهو جماعة الغنم **فى العود تسبق العرجاء** اليه فتفوز منه
بما مولها فتاخرها اوجب لها السبق فكذلك تاخرك عن كثير الطاعات
ربما اوجب لك سبق المكثر منها لانه قد يصحبك من الذل والافتقار
والاخلاص ما يخلف تاخرك بخلاف المكثر فقد يصحبه من العجب
والافتخار ما يوجب تاخره ومن ثم قال العارف المحقق التاج ابن
عطا الله رحمه الله رب معصية اورثت ذلا وانكسارا خير من

طاعة اورثتك عزا واستكبارا واعلم انه لم يجعل ذات المعصية
خيرا من ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك من كلامه وانما الذى افاده ان
المعصية قد يصحبها وصف خير من الوصف الذى صحب الطاعة فيكون
ذلك مقتضيا لعدم المواخذة بوصمة تلك وهذا مقتضيا لسقوط
هذه وعدم الاعتداد بها فكذلك كلام الناظم هذا وفيما قبل يتنزل
على هذا فتنبه له واذا تاخرت عن الطاعة لضعفك عنها فلازم الذل
والانكسار و لا تقل حالك لو نك حاسد الغير ك الذى اكثر منها اى
متمنيا زوال نعمة التوفيق عنه هذا القوى بسبب قوته اثمرت نخله
اى كثرت اعماله فتشبيهها بالنخل استعارة مصرحة وذكر الاثمار ترشيح
واثر التشبيه بالنخل لان النخلة افضل من الشجر لانها خلقت من فضلة
طين ادم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم اكرموا عماتكم النخل ولانه يشبه
الادمى فى كثير من صفاته الحسية والمعنوية كما لا يخفى ونخلى اى اعمالى عفاء
بالفتح اى كالتراب لا ثمرة لها ولا يعتد بها بسبب ضعفى لانك
حينئذ تعترض على الحكيم فى فعله وتخصيصه لكل منكما بما اراده وقدره
ومن ثم كان الحسد كفر النعمة المنعم وياكل الحسنات كما ياكل النار الحطب
وخرج بحاسد المنصرف الى الحاسد المذموم الحسد المحمود المسمى بالغبط
وهو ان تتمنى ان يكون لك من النعم والخيرات مثل ما للغير مع بقائها
له فهذا مطلوب كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله لا حسد الا فى
اثنين الحديث واحذر ان تتكل على رجائك فقط من غير عمل فانه لا
ينفع رجا الا مع عمل ومن ثم قالوا كل رجا لم يصحبه عمل فهو غرور
بل مع رجائك اجتهد وات بالمستطاع من عمل البر امتثالا لقوله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم الناسخ على ما قيل لقوله تعالى اتقوا
الله حق تقاته فانه صلى الله عليه وسلم لما فسر هذا بان يعبد فلا يعصى

ويذكر

ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر قالوا اينا يطيق ذلك فنزلت
تلك مبينة لهم ان المطلوب انما هو ما تقدرون عليه دون ما عداه
ويصح ان تكون تلك مبينة للمراد من هذه فلا نسخ وهو الاولى
فقد ينتج القليل ما لا ينتجه الكثير بواسطة مزيد اخلاص وانكسار
كما انه قد يسقط الثمار الكبيرة والنفيسة الاتاء اى النخل الصغار
اذا خلصت ارضه وزاد ريه وخصبه ولا يسقط ذلك الكبار فكذلك
انت قد تفوز بسبب ضعفك بالمعنى السابق ما لم يفز به القوى الناظر
الى قوته ونفسه ففى كلامه هنا وفيما مر تمثيل وتذييل وهو من ارق
فنون البلاغة والطف طرق البراعة وتفسير الاتاء بالنخيل
الصغار وقع فى كلام الشارح ولم يبين ضبطها هو بفتح الهمزة او كسرها
ولا انه بالمثناة او المثلثة ولم ار فى القاموس هذا الذى ذكره الشارح
وانما الذى فيه الاتا بالفوقية ككتاب تفسيره بما يخرج من الشجر
والثمار وفى الاثا كاثا بالمثلثة تفسيره بالحجارة والاثاثيد وهذا
يمكن تنزيل كلام الناظم عليه اى ان النخلة اذا طالت وصعب عليك
رقيها قد يمكنك ان تسقط بعض ثمرها بضربة حجر واعلم ان
افضل الاعمال واسرعها انتاجا واعظمها وسيلة هو مزيد محبة نبينا
صلى الله عليه وسلم فانها سبب لكل خير دنيوى او اخروى وحينئذ
فعليك ان تكون ممن امتلا قلبه بحب النبى امتثالا لقوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ولقوله صلى الله عليه وسلم
لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ماله واهله وولده والناس
اجمعين ومر الكلام على ذلك قريبا بما ينبغى مراجعته واذا حظيت
بهذه المحبة فابغ اى اطلب رضى الله فى حجة الرضا من الله
تعالى المنعم بالبس فى الحساب والحباء اى العطا منه تعالى لجميع

لحيزات الدنيويه والاخرويه كالتوفيق للاعمال الصالحه والفوز
بالمقامات العليه فكن على رجا من ذلك اذا طلبته بمحبته صلى الله عليه وسلم
فانها نعم الوسيلة فاتبعوني يحببكم الله ثم عاد الى الضراعة واظهار
المسكنة والضعف وابدا التحسر والتحزن والاستغاثة بمن لا يخيب
المستغيثين به فقال مومِلا انه ببركة توسله به يتخلص من فرطات
ذنوبه يا نبي الهدى اي الدلالة على الله بالنسبة للكل ومنه وانك لتهدى
الى صراط مستقيم والايصال اليه بالنسبة للمومنين ومنه انك لا تهدى
من احببت ولكن الله يهدى من يشا استغاثة بالرفع خبر مبتدا
محذوف اي مسئولي وهي طلب من يخلص من شدة او يكشفها والنصب
مفعول مطلق اي استغيث بك استغاثة اي ناديتك ندا ملهوف
اي مضطرب متحسر محتاج الى من ينقذه مما يهلكه اضرت بحاله الحوباء
اي مسكنة ذنوبه وضعف همته وذلك لانه يدعى الحب لله ورسوله
وهوى والحال انه يصدر منه ما يكذب دعواه من مخالفتهما لانه
لا يزال يامر نفسه او غيره بالسوء اي الاثم فعلا وتركا والمخالفة
تنبئ عن عدم المحبة كما هو واضح لمن تامل قال ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ولهذا اشار الى تمنيه ان يصدق في دعواه محبتهما
فقال ومن استفهاميه اي من الذي يتكفل لي فيه النقات ان
تصدق مني الرغباء اي العزيمة المصممة في الرجوع الى الله
تعالى بالتوبة والعمل الصالح وادعا الحب مع ظهور ما يكذبه نقص
واي نقص ومما يكذبه ايضا دوام الغفلة عن محبوبه حتى انه لا يراه
ولا في النوم ومن هذا حاله اي حب يصح منه النقات والحال ان
طرفي النقات بالكرى اي النوم واصل لا ينفك النوم عنه في وقته وليس
هذا شان المحب وطيفك اي خيالك راء اي محتجب عني كما حجبت

الراعي واصل الرجل المشهور لانه هجرها فلم يتكلم بها قط بكلمه
فيها را بل يراد فها او مقاربها خشية من ان يعير بلثغته بالرا
فصار هجر الشي المستمر تمثيلا عندهم بهجر واصل للرا ففي النظم
التوريه لان واصلا بالنظر للكرى اسم فاعل وللرا اسم علم وتلميح
لانه اشار الى قصة واصل المشار اليها وفيه الاستفهام الانكاري
اي كيف تصدق محبتي وانا مواصل للكسل والنوم سلمنا ان مواصلة
النوم لا تؤثر في المحبة لانها امر وجداني فكيف توجد مع عدم خطور
خيال المحبوب بالضمير ولا في حالة النوم وهذا ينافي المحبة كما هو
محسوس لاستلزامها ان طيف المحبوب لا يغيب عن مخيلة المحب
نوما ولا يقظة نعم قد يتخلف هذا الاستلزام لمانع ولذا تردد مع ما
قدمه ان فقد خطور الطيف هل هو لذلك او لغيره فقال ليت
شعري اي ليتني علمت اذاك اي عدم خطور طيفه بقلبي من اجل
عظم ذنب وقع منه وهو الظاهر ام حظوظ المتيمين اي المحبين
حظاء جمع حظوة بالكسر والضم وهي المكانة والقياس في الجمع الضم
والكسر كعروة وعرى وبين حظوظ وحظ الجناس المطلق اي انصباؤهم
من المحبوب متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من غير كثير عمل وبعضهم
لا يحظى به مع كثرة العمل ان يكن عظم زلتي التي ارتكبتها حجب روياك
اي رويا طيفك عني في النوم التي فقدتها فقد عز دا قلبي الدواء
اي قل بل عدم الدواء الذي يكون لمرض قلبي فلا يوجد له شفا بوجه
لانه لا يوجد الا من جنابه صلى الله عليه وسلم فان فرض انه اخذ انسانا
بعظم ذنبه لم يكن احدا غيره ان ينقذه منه ثم هذا التردد في وجود
المحبة الذي سبق انما هو لمزيد الخوف وان الانسان على مدرجه ان
يواخذ بذنبه وان كان محبا لا لزوال محبته بل هي باقية ورجاوه في

محبوبه واسع وان كانت ذنوبه كبيره وحينئذ كيف يصدى اى يسود
بسبب الذنب الذى ارتكبه ذكر المحب قلب محب لك وهى
للحال له اى لقلبه متعلق بجلا ذكرك مضاف للمفعول اى ذكره لك
بالتصلية والتسليم عليك وسوال الوسيلة وغيرها مما يعود عليه وعليك
بزيادة القرب فان الخلق كلهم مفتقرون الى ذكرك ويصح للفاعل ذكرك له
الجميل العايد على الذاكر بما لم يكن فى حسابه جلاه وما غلب على ظنه ما انشا
الى التردد فيه بان فى قوله ان يكون الى اخره من ان سبب حجب الروى
عنه عظم ذنبه صريح كما يصرح من وجد اخذ ماله او قاتل ابيه بعد
ياسه منه فقال هذه علتى التى انحلت جسمى وادهشت لبى لا غيرها
و الحال انك انت طبيبى العالم بها الماهر فى ازالتها فانه ليس يخفى
عليك فى القلب داء وانت لا احد من الخلق اكرم منك ولا اعلم فعجل
لى بدواء ذلك المحصل للشفا من وصف جميع ما هنالك فان شفا عنك
لا نزد والتوسل بك لا يخيب وانما رفعت اليك قصتى وشكوت اليك
تلد حيلتى مما جنيت على نفسى لان من الفوز اى النجاة والظفر
لمثلى بجميع المطلوب الذى لا فوز اعظم منه ان ابثك من بث وابث
اى انشر واظهر شكوى هى الاخبار عن النفس او الغير بسوء فعله
لكن هذه انما هى شكوى منى لنفسى اليك لا الى غيرك اى انشر واظهر
بين يديك فى ضمن مدحى لك ما كاد ان يهلكنى من عظيم ذنوبى وقبيح
عيوبى رجا ان تلحظنى بنظره تزيل عنى كل وصمه وتوجب لى منك كل
رحمه لان رجاى فيك واسع ومحبتى لك متزايده وهى اى تلك الشكوى
الواقعه فى ضمن ذلك المديح البديع اقتضاه اى طلب من كرمك الواسع
وفيضك الهامع ان اتخلص من تلك الفرطات واتخلص من سابق
الورطات وان يحصل لى الشفا من جميع الادوا فان جاهك متكفل

بكل

بكل مطلوب ومحقق لكل مسول ومرغوب لا سيما لخادم حضرتك
الفانى فى محبتك وكيف وقد ضمنتها بالبنا للمفعول اى تلك الشكوى
لتقبل وتعود على بركة قبولها ما هو المقصود منها بالذات مدايح لجنابك
بديعه جمع مدحه اى كلام متضمن للثنا الجميل هو المدح المباين للحمد او
المرادف له او الاعم منه او الاخص منه اقوال مرت مستطاب بالرفع
صفة مدايح الذى هو نايب الفاعل فبكل منها اى من تلك الشكوى متعلقان
بما قبلهما او بعدهما ومن تبعيضيه المديح لك والاصغاء من سامعها
اليه لان اوصافك الكريمه زينتها فصارت بها فى غاية الكمال الذى يشنف
الاسماع ويملاء عبيره ارجاء القلوب والبقاع ومن استطابة ذلك
المديح ان الله تعالى يسره على فى هذه القصيده البديعه ببركة النجاء
اليك اذ قل ما مصدريه حاولت تلك الشكوى مديحك اى الابراز
معنى فيه لم اسبق اليه او اسلوب من انواعه اللايقة بك والمطلوب فيهما ان
تجرى على اعلى سنن البلاغه وفى لون البراعه الا ساعد تفاهيم
ودال وحاء اى مسمى هذه الاسما وهو مدح اى ما توقف على معنى
انواع من تلك المعانى او الانواع فوجهت همتى الى الاحسن منها الا
وجدت الالفاظ الداله عليه حركتها بادرت الى تاديته بغاية اللطف
وتساعدنى عليه بنهاية الاسعاف فتاتى ترجمتى منه بما هو ابدع وابلغ
وكون ما مصدريه هو ما ذكره الشارح وعليه قال المعنى قلت محاولتها
مديحك فى غير حال كونها مساعدة بهذه الحروف الثلاثه فانها لا تقل
حينئذ بل تكثر انتهى ويلزم عليه وقوع الاستثنا المفرغ فى غير نفى او
شبهه وهو النهى او الاستفهام وهو ممنوع عند اكثر النحاه ومن جوزه
فى الموجب كقام الا زيد ردوا عليه بانه يلزمه الكذب اذ تقديره ثبوت
القيام لجميع الناس الا زيد وهو غير جايز بخلاف النفى عموم الافراد فانه

جائز فان قلت جوز المبرد التفريغ في موجب يلزمه نفي كلو ولولا
نحو لولا القوم الازيد لاكرمتك وما هنا كذلك لان قد يلزمه النفي ما عدا القليل
فهو نفي في الجملة قلت ما ذكره يرد بان تفريغ يدخل في الجملة الثانية التي
هي الاولى واما الجواب الذي هو منفي فخارج عما دخلت عليه الا على ان كون قل
تفيد نفيا يشبه النفي الذي في التفريغ ممنوع واذا تقرر ذلك تعين تاويل
النظم بان يقال فاعل قل محذوف دل عليه المذكور وان ما نافية والملاء
والاستثنا مفرغ من اعم الاحوال والتقدير قل ان يستصعب
علي ما اردته من مدحك اي ما حاولته في حال من الاحوال الا ساعدني
مدحك علي اكمل ما ينبغي ولاجل هذه المساعدة المشتمله عليها اردته
من اعلي انواع البلاغة حق اي ثبت واستقر لي فخر اي في مدحك
ما لم يكن في حسابي وهو ان اساجل قوما وهم الشعرا الذين
مدحوك اي فاخرهم فاقول ما صنعته خير مما صنعتموه وابين
لهم ذلك حتى يذعنوا الي في ذلك ويصيرون قد سلمت منهم
لدلوي الدلاء وحينئذ افوز منك بابلغ ما فازوا به وعبر
بالدلو لان السجل هو الدلو العظيم المملوه مذكر واما الدلو
ومن هذا قولهم الحرب بينهم سجال ككتاب اي سجل منها على
هولاء واخرى على هولاء ذكره في القاموس وعليه فالمساجله تطلق
على تنازع المستقين على بير بدلاء مختلفه ليريد كل منهم ان يظفر
بملء دلوه قبل الاخرين شبه بهما المادحين في تنازعهم فيما
يبرزونه وادعا كل ان ما ابرزه خير مما ابرزه غيره فهي استعارة
بالكناية واثبات المساجله استعارة تخييلية وذكر الدلو ترشيح
ثم اشار الى علة اخرى لتميزه عليهم وتسليمهم له ذلك فقال
ان لي عنبره بالفتح علي مدحك اي حمية توجب لي ان لا احاول

عنبري

عنبري يسبقني فيه والحال انه قد زاحمني في معاني الفاظ
مديحك الشعراء وارادوا ان يسبقوني فيه والحال انه استحكم
لقلبي فيك اي في محبتك الغلو اي مجاوزة الحد الذي يبلغ اليه امثالي
وان يكون للساني في مديحك الغلواء اي الاسراع والتقدم عليهم
بما لا يصلون اليه لولا اسعافك وامدادك ونظرك لي بما يميزني
عليهم فاني استفهامية بمعنى كيف نحو انى يحيي هذه الله بعد موتها
او بمعنى من اين نحو انى لك هذا وترد ايضا بمعنى متى وحيث
ويحتمل الكل نحو فاتوا حرثكم انى شئتم لكن الذي اختاره ابو حيان
وغيره انها في الاية شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبلها عليه
لا استفهامية والا لاكتفت بما بعدها كما هو شانها ان تكتفي بما
بعدها اي يكون كلاما يحسن السكوت عليه اسما كان او فعلا
ويصح كسر ان اي واني فاليا اسمها لكن الاول ابلغ واظهر كما لا
يخفى فبسبب صدق محبتي وشدة عنبري ومزاحمة اقراني
مع ارادتهم التقدم علي ابيت خاطرا اي ترجح لي على هذا المدح
البديع بان تمدها بما تفوق به جميع مزاحميها ومسابقيها فانك
اكرم من جاز المحبة ٭ واجود من جاد على مادحيه ٭ وانا من اصدقهم
محبة ٭ وابلغهم مدحه ٭ كيف وقلبي يلذ له مدحك لذة تحمله على
ان يبذل وسعه مع صدق التوجه اليك وبك في اختراع ما لم
يسبق اليه ولا حام احد قبله عليه علما اي لاجل علمه بانه اي مديحك
للالاء اي الفرح التام كذا في القاموس وغيره فان كان الفرح بالجيم
فواضح او بالحاء المهملة ففيه بعد ويصح انه من تلالا البرق بمعنى
لمع اي علما بان مديحك يضي قلوب المادحين لا سيما ابلغهم حتى
ياتي في مدحك بالمعاني البديعة والاساليب العجيبة كما وقع لي في

هذا النظم لتميزه على غيره بامور منها انه حاك اى نسج ذلك
الخاطر فيه من صنعة القريض اى الشعر برودا جمع برد وهو
نوع من انواع الثياب اليمانية فيه زينة لكن لم يحك وشيها اى
نقشها بالالوان المختلفة صنعاء مدينة باليمن مشهورة بجودة
النسج والوشى شبه المعانى البديعة فى ادهاشها للقلوب
عند سماعها بالابراد المشبهة المدهشة للابصار عند رؤيتها
واثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الوشى والحوك كما اثبت
للمشبه به ما هو ملايم له وهو القريض ففيه استعارة تصريحية
مرشحة بذكر الوشى والحوك ومجردة بذكر القريض ومنها انه قد
اعجز الدر نظمه اى ان نظم هذه القصيدة المشتملة من البلاغة
على غاية لم يشتمل عليها غيرها فاق الدر النفيس المنظوم الذى
يدهش الفكر ويخطف البصر لضوئه وصفائه فاستوت فيه
اى فى العجز عنه البدران اى القريحتان الصناع بفتح الصاد المهملة
وبالنون والعين المهملة اى الحاذقة الماهرة والخرقاء اى الغبية
فبسبب ما تميز به هذا النظم من غيره ارضه اى اقبله باخير من
امله المادحون ورجاه العارفون واكرم خلق الله واجودهم وتجاوز
عما فيه وان كان فيه من الفصاحة ما لا يدركه غيرك يا افصح امرئ
نطق الضاد اى بها اى افصح العرب العربا وهذا اقتباس من قوله
صلى الله عليه وسلم انا افصح من نطق بالضاد الحديث وخصها لان
غير العرب لا يحسن اخراجها من مخرجها من مخرجها والعرب
وان احسنوا الكثير منهم متفاوتون فيه وكلهم لم يصل احد منهم الى الحد الذى
كان صلى الله عليه وسلم يصل اليها فى ناديها وكان وجه هذا الاقتباس
اظهار الناظم ان ما اتى به وان بالغ فى بلاغته لا يتاهل الى مدحه لان

مطلب

فصاحته

حنك

فصاحته معجزة لغيره فاى بلاغة تؤدى ما يليق به فكانه يقول
يا افصح الفصحاء اقبل ما جئت به وان لم يشم ادنى رائحة من روائح فصا
بل وكاف بما يليق بكمالك ويؤيده هذا قوله الاتى ابذكر الايات الخ
فبسبب اختصاص الضاد بتعذر او بعسر النطق بها على غير العرب
وبعذر بها بينه على غيره صلى الله عليه وسلم وقرب الظاء من مخرجها
ولم يظفر بما ظفرت به الضاد قامت فاعلة الظاء واشار بقامت
الى انها تسمى بالظاء القائم حال كونها تغار منها اى الضاد الظاء
لكون الضاد تميزت عليها بتلك المرتبة العلية اى لا دون الظاء
فضلا عن غيرها ان تحصل لها مرتبة تضاهى تلك المرتبة فلم يحصل
لها تعادت حينئذ ثم طلبى من كرمك يا اكرم الخلق الرضى بهذه القصيدة
ليس لكونها وفت بحقوقك الواجب استقصاؤها فى مدحك بل للطمع
فى سعة حلمك وجودك ابذكر الايات فى هذا النظم اى الخصايص
والمعجزات التى علمناها الدالة على وصولك لما لم يصل اليه مخلوق او
قبل عدها لا اذ لا يمكن ان يوفيك ذلك الا من احاط بمقامك
وانى ذلك لغيرك مثلى ابن منى الوفاء بذلك وانا من جملة العاجزين
المقصرين وابن منها الوفاء بذلك وهى محصورة وكمالاته صلى الله
عليه وسلم غير محصورة ام منفصلة امارى اى اجادل لهت اى
بذكرى لتلك الايات قوم بنى اى المادحين لنبينا صلى الله عليه وسلم
اى لم اذكر تلك الايات بقصد ان اوفى بها حقه صلى الله عليه وسلم
ولا بقصد ان اجادل لها امته ومن ظن بى واحدا منهما فهو غبى لا يفهم
ولا يعقل شيئا وسواء ما ظنه بى الاغبياء لانهم لقلة فطنتهم يتجاسرون
على الناس بما هم يريبون منه وكم استئناف او عطف على محذوف
اى لك الايات التى لا تحصى ولك الامة الوسط كما قال تعالى وكذلك

جعلناكم امة وسطا اى خيارا عدولا لتكونوا شهدا على الناس
التى غبطتها من الغبطة وهى كما مر وقد الانسان ان له من الخير مثل
غيره من غير سلبه عنه والحسد ود ذلك مع سلبه عنه بكرها اى حين
انبيتها اى ارسلت اليها الانبياء فانهم وان كانوا من امتك بنص واذ
اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الايه ومن الكلام
عليها كلمتهم ودوا ان يكونوا من اتباعك الذين بعثت فيهم ليفوزوا
بغاية الفخر كما فاز بذلك امتك الذين بعثت فيهم فاطاعوك فان قلت
كان القياس غبطتك بها الانبيا لانها افضل من اممهم بنص وجعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس اى ودوا ان يكون لهم مثلهم كما صرح
به موسى فيما ياتى قلت هذا وان كان هو القياس لكنه ارتكب
فيه القلب الذى هو من احد انواع البديع خشية ان يتوهم من ذلك
مدحة لمنفسه لان مدح العام مدح لكل من افراده فتامله ثم رايت ما
يدل للقياس المذكور وهو ما رواه ابو نعيم ايضا ان الله تعالى لما ذكر لموسى
صفات هذه الامة قال يارب فاجعلنى نبى تلك الامة قال نبيها
منها قال فاجعلنى من امة ذلك النبى قال استقدمت واستاخر
ولكن ساجمع بينك وبينه فى دار الجلال ولعلى نظرك اليها لم تخف
بعدك الضلال عما تركتنا عليه من الشريعة الواضحة البيضا التى لا
يزيغ عنها الا هالك والحال ان فينا اعلام الهدى وهم وارثوا
نورهديك اى ما كنت عليه انت واصحابك وهولاء هم العلماء الذين
هم اهل السنة والجماعة وهم اتباع ابى الحسن الاشعرى وابى منصور
الماتريدى رحمهم الله تع وذلك كما اخبرتنا به بقولك فى الاحاديث
الصحيحة لا تزال طايفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من
خالفهم حتى ياتيهم امر الله وهم على ذلك اى وهولاء هم اهل العلوم الشرعية

والا

والا بين اهل السنة لان الناس مع وجودهم امنون من كل محنة وضلالة
وبلية وبقولك ايضا العلما ورثة الانبيا ان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا
درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذه بحظ وافر صححه جماعة وفى رواية
زيادة تحبهم اهل السما وتستغفر لهم الحيتان وفى اخرى وانما العالم من
عمل بعلمه وفى اخرى اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد وفى
اخرى كاد حملة القران ان يكونوا انبيا الا انهم لا يوحى اليهم وفى اخرى
من حفظ القران فقد اندرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه
ورواية علماء امتى كانبيا بنى اسرايل لا اصل لها ولكن معناها صحيح لما
تقرر ان العلما ورثة الانبيا وقوله تعالى وورث سليمان داود اى فى
العلم والحكمة والنبوة والرسالة وهب لى من لدنك وليا يرثنى للخبر
الصحيح انا معاشر الانبيا لا نورث ما تركناه فهو صدقة واشار
الناظم بما ذكره الى ان الله تعالى خص هذه الامة بخصايص لم يوتها
لغيرهم تكرمة لنبيهم وزيادة فى شرفهم منها كما فى حديث ابى نعيم ان
موسى لما راى مدح هذه الامة فى التورية قال يارب اجد فى الالواح
امة هم الاخرون السابقون فاجعلهم امتى قال تلك امة احمد ثم ذكر ذلك
مع اوصاف اخر وكرر جوابه كذلك فقال يارب فاجعلنى من امة احمد
فقال انى اصطفيتك على الناس برسالاتى الاية فقال رضيت يارب
وفى رواية انه سال ربه هل فى الامم اكرم عليك من امتى فبين ان فضل
امة محمد على ساير امم الانبيا كفضله تعالى على جميع خلقه ومنها ان اصدا
لا يدخل الجنة قبلهم ومنها الوضوء على الكيفية المخصوصة والتيمم واباحة
الغنايم وان كل ارض تصح الصلاة فيها ويجوز جعلها مسجدا الا محل
مسجد الضرار ومجموع الصلوات الخمس والتامين خلف الفاتحة
كما صح به الخبر والركوع لخبر به رواه البزار والطبرانى ومن ثم قال جمع

مطلب فى خصايص امة محمد صلى الله عليه

مفسرون ان صلاة من قبلنا لا ركوع فيها وفسروا اركعوا بصلوا واركعوا
مع الراكعين بصلوا مع المصلين وان صفوفهم في الصلاة كصفوف الملائكة
رواه مسلم والجمعة رواه البخاري وساعة الاجابة يومها ورمضان
عند الجمهور فالتشبيه في الاية لمطلق الصوم وخبر انه كتب على من قبلنا في
سنده مجهول ونظر الله اليهم اوله وتزيين الجنة فيه وخلوف افواههم اطيب
من ريح المسك واستغفار الملائكة لهم حتى يفطروا وعموم المغفرة لهم اخر ليلة
رواه البيهقي بسند لا باس به بلفظ اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا
لم يعطهن نبي قبلي الحديث واستغفار الحيتان لهم حتى يفطروا رواه البزار
والسحور وتعجيل الفطر رواه الشيخان واباحة الطعام والجماع الى الفجر
والاسترجاع عند المصيبة قاله سعيد بن جبير ورفع اثقال التكليفات
التي كانت على من قبلهم كتحتم القصاص حتى في الخطا وقطع الاعضا
الخاطية وموضع النجاسة وقتل النفس في التوبة والمواخذة بالخطا
والنسيان وما استكرهوا عليه كما صرح به الخبر وان الله لم يجعل عليهم
في دينهم من حرج وان الاسلام وصف خاص بهم عند جماعة لكن
الذي اعتمده ابن الصلاح وغيره خلافه وان شريعتهم اكمل من
ساير الشرايع كما ان نبيهم اكمل الانبيا وقد كان لموسى وشريعته من
الجلال الصرف ضد ما كان لعيسى وشريعته من كل وجه وشريعتنا
اعتدل فيها الامران فسلمت عن شدة تلك ولين هذه واعتدلت
في جميع جزئياتها ومن ثم وهب الله لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير
امة اخرجت للناس واعطاهم مرتبة الشهادة على من سبقهم في
القيمة فاقامهم مقام الانبيا في الشهادة عليهم وكمل لهم المحاسن
ما فرقه في الامم كما كمل لنبيهم ما فرقه في الانبيا ولكتابهم ما فرقه في
الكتب وانهم لا يجتمعون على ضلالة كما في الحديث المشهور و[illegible]

كثيرة

كثيرة وشواهده متعددة من المرفوع وغيره وان اجماعهم حجة
واختلافهم رحمة وفي حديث ضعيف منقطع اختلاف اصحابي
لكم رحمة وفي رواية اقتضى كلام الخطابي ان لها اصلا عنده وبه
رد زعم كثير من الايمة انه لا اصل لها اختلاف امتي رحمة للناس
وان الطاعون شهادة لهم وعذاب على غيرهم كما في خبر به رجاله
ثقات وانهم حفظوا اثار رسولهم على فنون من علم الحديث ما لم يوجد
نظيره في امة وان فيهم اقطابا واوتادا ونقبا ونجبا وابدالا كما
جا في الحديث في الابدال ونحوهم وانهم يخرجون من قبورهم بلا
ذنوب لاستغفار المومنين لهم رواه الطبراني وغيره وانهم اول
من تنشق عنه الارض رواه ابو نعيم ويميزون يوم القيمة بالغرة
والتحجيل من اثار الوضو رواه البخاري ينادون بهذا الوصف
ويكونون بهذه الصورة ويكونون مع نبيهم على كوم مشرف في الموقف
يغبطهم فيه جميع الامم رواه جماعة ويعرفون بسيما السجود في وجوههم
قال ابن عباس رضي الله عنهما وهي بياض شديد وقال شهر بن
حوشب نور كالقمر ليلة البدر قال تعالى سيماهم في وجوههم الاية
وقيل هذا في الدنيا وعليه قال ابن عباس السمت الحسن او السمت
الاسلام وخشوعه وقيل الصفرة في الوجه من اثر السهر ويوتون
كتبهم بايمانهم رواه احمد وغيره ويسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم كما
صح به الخبر ويصل لهم ما سعي لهم من صوم وحج وصدقة ودعا وقراءة
بل وكل عبادة عند كثيرين ورواية وان ليس للانسان الا ما سعى منسوخة
او في حق الكافر ويدخل الجنة سبعون الف بغير حساب رواه الشيخان
زاد الطبراني والبيهقي مع كل واحد منهم سبعون الفا وبسبب ان
في الامة وارثي هديك بهذه الخصايص التي لم توجد لغيرهم من الامم

انقضت آي الانبيا اي معجزاتهم لانتساخ شرايعهم بشرعهم
وان كان من بعد موسى الى عيسى انما هو مرسل بكتاب موسى
وآياتك اي معجزاتك في الناس قبل وجودك ومعه وبعد
وفاتك ما لهن انقضاء فيه العكس نحو ولاهن حلهم الا بورد
العجز على الصدر اما الاولان فتقدم منهما جملة منها في كتب الله
من ذكره ونعته وخروجه بارض العرب وما خرج بين يدي ايام مولده
ومبعثه من الامور العجيبة المؤهلة لكفرة اهله والمؤيدة لشان
العرب كقصة الفيل وعقاب اهله وخمود نار فارس وسقوط شرفات
ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوه وخمد نارهم وما سمع من الهواتف
الصارخة به صلى الله عليه وسلم باوصافه وانتكاس الاصنام المعبودة
لولادته وتظليل الغمام له في سفره الى غير ذلك مما ورد في الاخبار الى
بعثته مما هو تاسيس لنبوته وارهاب رسالته واما الاخير فكثير
جدا اذ في كل حين لخواص يقع لخواص امته من خوارق العادات
بسببه مما يدل على تعظيم قدرة الكريم ما لا يحصى كما قال والكرامات
الواقعة منهم اي الناس معجزات اذ كل منهما امر خارق للعادة
وانما يفترقان بالتحدي وعدمه لكنهما في الحقيقة معجزات لك حازها
من نوالك اي عطايك وكرمك الاولياء وكان القياس حازوها
لكنه اظهر ليبين ان مراده بمنهم العايد على الناس خواصهم والاوليا
جمع ولي فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله ورسوله فلم يخرج عن امرهما
ونهيهما الى ما يغضبهما او مفعول لان الله والاه بخوارق نعمه
ورسوله والاه بمزيد امداده وكرمه وضابط الولي انه المدام على فعل
الطاعات واجتناب المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات
كذا قالوه وينتجه ان هذا ضابط للولي الكامل وان اصل الولاية

تحصل

تحصل لمن وجدت فيه صفة العدالة الباطنة بالشروط المذكورة
عند الفقها ومن معجزاته المتكررة الدايمة ايضا ما يقع للمتوسلين
به من خوارق العادات بسببه مما لا يحصى ايضا هذا كله مع قطع
النظر الى القران الكريم فبالنظر اليه وانه معجزاته الكبرى ففيه من
المعجزات المتكررة بتكرر الازمنة ما لا يحصى ايضا واعلم انه صلى الله
عليه وسلم كما فضله الله في المبدى بان جعله اول الانبيا خلقا واجابة
يوم الست جعله اول من تنشق عنه الارض واول شافع واول مشفع
واول ناظر الى ربه واول نبي يقضي بين امته واولهم اجازة بامته على
الصراط ودخلا الجنة وهم اول الامم دخولا اليها وزاده من لطايف
التحف ونفايس الطرف ما لا يحد كبعثه راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود
وهو الشفاعة العظمى في فصل القضا وبلواء الحمد الذي تحته ادم فمن
دونه وبالسجود امام العرش وبفتح عليه حينئذ ما لا يفتحه عليه ولا
على احد قبله ولا يفتح ايضا على احد بعده والندا يا محمد ارفع راسك
وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع وقيامه عن يمين العرش الذي
لم يقمه مخلوق يغبطه فيه الاولون والاخرون وشهادته للانبيا على
اممهم تنبيه علم مما تقرر ان الكرامة ظهور امر خارق للعادة غير
مقارن لدعوى النبوة على يد من عرفت ديانته واشتهرت ولايته باتباع
نبيه في جميع ما جاء به والا فهي استدراج او سحر او اذلال كما وقع لمسيلمة
الكذاب لعنه الله انه جاءه اعور يدعو له فدعا له فعميت الصحيحة ايضا
وتسمى اهانة وقد يظهر الخارق على يد عامي تخلصا له من فتنة وتسمى معونة
وانكر جماعة محرومون كاكثر المعتزلة وان وافقهم بعضنا لكن يتعين تاويل
كلامه لان جلالته تابى ان يرضى بهذا التزييف الذي انتحلوه جواز الكرامة
ووقوعها وعليه فقيل يمتنع كونها بقصد واختيار لادايها الى السقوط

عن مرتبة الولاية وقيل يمتنع كونها من جنس معجزة نبي والا لالتبست
بالمعجزة وردها الفخر الرازي بان المرضي تجويز جملة خوارق العادات
في معرض الكرامات والمميز لها عن المعجزة انما هو ادعا النبوه وكانه
لم يرض قول جماعة منهم القشيري لا تنتهي الى احيا ميت ولا وجود
ولد من غير اب ومن ثم رد بعموم قولهم ما جاز ان يكون معجزة لنبي جاز
ان يكون كرامة لولي وليس من شرط المعجزة غير القران ان لا يمكن نظيرها
بل ان يعجز المعارضون عن نظيرها ومن ادلة الجواز ان الوقوع ممكن
كالمعجزة وقدرة الله تعالى شاملة لهما ولا بدع ان الملك يصدق رسوله
بخرق بعض العادات ثم يفعل مثل ذلك ببعض اتباعه اكراما له ومن ادلة
الوقوع النص القاطع بما وقع لمريم كلما دخل عليها زكريا المحراب الاية وفي ولادة
عيسى ولاصحاب الكهف ولوزير سليمان في عرش بلقيس ونظاير ذلك
وزعم انها ارهاص باطل على ان المعتزلة لا يقولون به سلمناه هو لا يمنع تسمية
ذلك كرامة على يد من ظهرت عليه والتواتر المعنوي وان كانت التفاصيل
احادا في كرامات الصحابة لا سيما ما وقع لعمر وعلي رضي الله عنهما وتابعيهم
ومن بعدهم الى زمننا بل ظهورها يكاد يلحق بظهور معجزات الانبيا
ولا عجب من انكار المبتدعة ذلك فانهم حرموا مشاهدة شي منها من
انفسهم ومشايخهم وكثرة ظهورها لا يخرجها عن كونها خارقا خلافا
لمن زعمه لانه يلزمه ذلك في المعجزة على ان الكثرة فيها لا تنافي قلتها بالنسبة
للعادة المستمرة وظهور الخارق على غير الانبيا لا يخل بقدرهم بل يزيد
في جلالة اقدارهم والرغبة في اتباعهم حيث نالت اممهم واتباعهم
مثل هذه الدرجة ببركة الاقتدا بشريعتهم والاستقامة على طريقتهم ومما
مر ان الخارق لا يسمى كرامة الا ان ظهر على يد من يعلم ان الكرامة لا تشتبه
بالسحر اصلا الا انا ننظر لحال من الخارق على يديه فان توفرت فيه شروط

الولاية فذلك الخارق كرامة في حقه والا فهو سحر او غيره مما مر وزعم
ان الساحر لا يمكن ان يقلب عينا كادمي حمارا ولا قلب طبيعة بخلاف
الولي ليس في محله بل الخلاف فيهما واحد فقال جمع يستحيل عليهما
ذلك وجمع يجوز في حقهما ذلك وهو الاصح واما قوله تع فلا يظهر على
غيبه احدا الا من ارتضى الاية فالاستثنا فيه منقطع بدليل فانه لم
يل بعينه ان غيبه مفرد مضاف فهو للعموم واستغراق النفي في
هذا الكل فرد فرد من المخلوقين اذ مدلول العام كلية لا كلي ولا كل
خلافا لمن وهم فيه فحمل الاية عليه باق على حقيقته اذ الغيوب كلها
لم يطلع الله عليها احدا من خلقه وانما غايته من اطلعه منهم انه اطلعه
على جزئيات مخصوصة وتقديرانه متصل وانه المراد انه لا يظهر على
بعض غيبه الا الرسول فلا حجة لهم فيه لان القطع الضروري بوقوع
الكرامات للانبيا والاوليا يعين ان المراد من الاية غيب مخصوص اي
لا يظهر على ذلك الغيب المخصوص الا من ارتضاه من رسله واما
البقية من الرسل والانبيا والاوليا فلا يظهرهم على ذلك المخصوص
بل على غيره واعلم ان من الكفر الصراح ما حكي عن بعض الكرامية
ان الولي غير النبي قد يبلغ درجة النبوة وعن بعض المتصوفة الجهلة
ان الولاية فوق رتبة النبوة وان الولي قد يبلغ حاله يسقط عنه فيها
التكليف قال الغزالي وقتل الواحد من هولاء خير من قتل ماية كافر
لان ضرر اوليك في الدين اشد وليس من اوليك العارفان العالمان
المحققان الوليان الكبيران المحيي ابن عربي والسراج ابن الفارض واتباعهما
بحق خلافا لمن زل فيهم قدمه وطغى قلبه الا ان يكون اراد بما قاله الذب
عن اعتقاد ظواهر عباراتهم المتبادرة عند من لا يحيط باصطلاحهم
ان تاكيد لقوله ما لهذا انقضا من معجزاتك الباهره المعجز من ساير

الناس عن وصفك مفرد مضاف فيعم للعموم اى عن الاحاطة بكل
فرد فرد من اوصافك التى اختصك الله بها ان لا تحده اى الوصف
المذكور الاحصاء اى العد كيف يستوعب الكلام الصادر
من واصفيك سجاياك اى ما فيك من الاخلاق الكريمة والفضايل
والاوصاف البالغة اقصى ما يمكن البشر الرقى اليه وهو لا حد لها باعتبار
انك لا تزال تترقى فى مراتب القرب فى الحياة وبعد الممات وفى الموقف
وفى الجنة الى ما لا نهاية له ولا انقضا وهل تنزح البحار المشبهة اوصاف
اوصافك تعالى ان بتلك قيام الوجود المعنوى لانه صلى الله عليه وسلم
روح الكون والخليفة الاكبر عن الله فى امداده الركاء المشبهة بها الالفاظ
فى ان كلا يتوصل به الى حيازة بعض المطلوب دون انتهايه وهذا
تذييل مبين لما اشتمل عليه من الاستعارتين المصرحتين المرشح لهما
بذكر النزح ان اوصافه صلى الله عليه وسلم لو عبر عنها من اول الزمان
الى اخره لا تحصر ولا تحصى ومما يزيد ذلك بيانا وايضاحا انه ليس
من غاية لوصفك اى اوصافك توجد حتى الى ابغيها اى اطلبها
وللقول اى منى غاية لما تقرر ان ذلك الترقى لا نهاية له اذ لا مطمع فى
الاطلاع عليه وبفرضه لا تحصره العبارة بخلاف القول منه فانه محدود
متناهى وبهذا اعنى قولى منى اولا ومنه ثانيا مع ما تقرر يندفع ما اشار
اليه الشارح من اشكال فى ذلك وانتها تاكيد والفرق بين الغاية
والنهاية اعتبارى ومما يؤيده بيانا وايضاحا ايضا ان تقول انما فضلكم
اى فضايلكم الزمان اى يشبهه من حيث الاعمال فيها واما بالنسبة
للتفضيل فجزئيات كل جزئيات الاخر اذ اياتكم اى معجزاتكم وخصايصكم
فيما نعده وتحسبه الاناء جمع انا كمعا وامعا كما ذكره الشارح والذى
فى القاموس والانا ويكسر والانو بالكسر الوهن والساعة من الليل

اوساعة ما منه والاناء كالا او على كل النهار انتهى والمراد هنا
مطلق الساعات اى اللحظات فكما ان هذه لا تحصر فكذلك تلك
هذا ولا تظنن انى باطالتى فى هذه القصيدة تعداد اوصافه
صلى الله عليه وسلم اخالنى ما قدمته انفا لا تعدادا لان لم ار اطال فى
تعداد مدحك بها نطقى والحال ان مرادى بذلك استقصاء
اى حصر لاوصافه وانما مرادى بذلك برد الغليل وشفا العليل
كما افاده قوله المشتمل على اداة الاستثنا الذى هو منقطع هنا
غير انى اى لم ارد الحصر لكنى ظمان وجد اى بى من شدة شوقى
لسماع تلك الاوصاف غاية الظما والتعطش للارتوا من سماعها
وما اى ليس يحصل فى بقليل من الماء الذى اشربه حال الورود
منه ارتواء مما بى من العطش فاطالتى فى التعداد لطلب مزيد
الارتوا من سماع تلك الاوصاف لا لطلب حصر لتعذره وفى
كلامه استعارة مصرحة لانه شبه شغفه بتعداد الايات وذكر
افضل الصفات العظام بظما شديد لا يرويه الا الماء الكثير ورشح
لذلك بذكر الورود والارتوا فبسبب حصول الارتوا الى
من تلك الاطالة اختتمها بما هو المتعين من الدعاء بالصلاة والسلام
امتثالا لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما فقال سلام عظيم
شريف اى سلامة من كل افة ونقص كاينة عليك تترى اى
تتكرر وتتبع بعضه بعضا دايما وفى القاموس تترى بتنوين كومى
تراخى وانزى عمل اعمالا متواترة بين كل عملين فترة انتهى وقد
يشكل على استعمال الناظم تترى هنا مرادا به ما ذكر الان ويجاب
بانه اراد به اصل المعنى وهو مطلق التتابع مرغيا عنه اعتبار التراخى ولا
فترة بقرينة المقام وقد يخرج البليغ عن المعنى اللغوى الى ما هو

اخص او اعم منه للضرورة مع الاستغنا بفهم ذلك الخصوص
او العموم منه من قرينة المقام والسياق فتامله من الله وتنقيه
على ممر الازمنة الى ثنايها وما بعد ذلك مما لا منتهى لاخره لك
الباواء اى العذر لان تسليم امنك عليك مع التكرر والدوام زيادة
فى شرفك وفخرك وانما ذكرت سلام الله عليك ابتدا مبادرة الى
اشرفيته وسلامك ثانيا لانك فى الحقيقة لا يكافيك من سلام الخلق
غير سلامك على نفسك فحينئذ سلام عليك منك فما اى لبس
غيرك من المخلوقين منه متعلق بالسلام لك متعلق بكفا
السلام ولك بمعنى عليك كفاء اى مكافى لحضرتك من المكافاة
وهى المساواة اذ كيف يساويك سلام من هو دونك ولم يحط بعضها بل
بفضايلك ومع ذلك لا يطلب من غيرك عدم السلام عليك بل يطلب
من كل احد السلام عليك وان لم يكافيك سلامه فمن ثم قال وسلام
عليك من كل ما خلق الله من كل نام وجامد وفى نسخة من فالماو
غلبت غير العاقل لكثرته والثانية غلبت العاقل لشرفه على حد وله
يسجد من فى السموات ما فى السموات وانما جيئت لهذا العموم
لتحيى بذكرك الاملاء جمع ملا وهو الجماعة وبالغ الناظم حيث طلب
السلام عليه صلى الله عليه وسلم من ربه ثم من نفسه ثم من ساير
المخلوقات ليجتمع له صلى الله عليه وسلم ساير وجود السلامه فيه وفى
شريعته وامته وجميع اثاره ولاجل هذا العموم الذى يوجد فى
السلام دون الصلاة خصه بالذكر وقد ذكرها كما ذكرته فى كتابى
الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم الذى لم يصنف فى هذا الباب
مثله فى ايثار الزاير للسلام وتكرره دون الصلاة ما يوخذ منه
ما ذكرته فتامله وصلاة وهى من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم

اى من

مطلب فى اسماء الرياح

اى من الله ومنك ومن كل مخلوق نظير ما مر فى السلام كالمسك
فى الطيب والنفع البالغ تحمله اى ذلك المسك الذى هو عين صلاتى
منى شمال وهى التى تهب من جهة القطب الى المغرب البكر حتى يعطر
الوجود بعبيره وتحيى الارواح بعبيقه ومسيره او نكباء وهى الصبا
وتهب من سهيل الى القطب والجنوب وتسمى الاذيب وهى التى تهب
من سهيل الى الغرب والدبور وهى التى تهب من الغرب سميت
بذلك لانها تهب من ظهر الكعبة والحاصل ان الريح ان هبت تجاه
الكعبة فالصبا وهى حارة يابسة او من وراها فالدبور وهى باردة
رطبة او من يمينها فالجنوب وهى حارة رطبة او من شمالها فالشمال
وهى باردة يابسة وهى ريح الجنة التى تهب عليهم رواه مسلم ولهذه
الخصوصية للشمال بدا بها الناظم وسلام على حفر بحكم اى قبرك
المكرم وهو افضل حتى من الكعبة بل من العرش ولكن المراد من
الضريح هنا البقعة التى ضمت اعضاه الشريفة لم يكن فى افراد السلام
هنا كراهة لانه عين السلام عليه الذى ضم اليه الصلاة فيما مر تخضل
معجمتين اى تبتل به منه اى القبر تربة وعساء اى لينة ذات رمل
شبه السلام بالماء الكثير الطيب البارد البالغ فى النفع فهو استعارة
مصرحة وخيل له بذكر تخضل وثنا فى هذه القضية قدمته
بين يدى نجواى اى سوالى منك بلوغ المامول الواقع فى هذه
القضية بقولها جد لعاص الخ وفى غيرها اذ اى لاجل انى لم
يكن لدى اى عندى ثراء بالمثلثة اى ما اتصدق به امتثالا
لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة اذ الامر
فيها كان للوجوب ثم نسخ بما بعدها وهو ااشفقتم الاية وجاء انه
لم يعمل بها قبل النسخ من تقديم الصدقة بين يدى النجوى غير

Copyright © King Saud University

علي كرم الله وجهه ولا يلزم من نسخ الوجوب نسخ الندب ولذا
يسن لمن يريد زيارته صلى الله عليه وسلم ان يقدم بين يدي زيارته
صدقة والناظم رحمه الله ظاهر كلامه انه كان يعتقد بقاء الندب فاعتذر
بانه لا مال له يتصدق به بين يدي سؤاله وانه جعل حسن توسله
وثنائه بدل المال الذي يتصدق به تنبيه تفسير لدي بعند
لاتفاقهما في اكثر احكامهما من كونهما ظرف مكان تستعمل في الحضور
والقرب الحسيين والمعنويين نحو عند مليك مقتدر وعند ربهم
ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق عرشه ان رحمتي سبقت غضبي
ولا تستعمل الا ظرفا وغير ذلك فلا ينافي ذلك انهما قد تفارقتا في كثرة
جر عند بمن خاصة وامتناع جر لدي مطلقا وفي ان عند تكون ظرفا
للاعيان والمعاني وتستعمل في الحاضر والغايب بخلاف لدي فيهما
وتفارق عند ولدي لدن في ان ذينك يصلحان في ابتداء غاية وغيرها
ويكونان فضلة نحو وعندنا كتاب حفيظ ويعربان بخلافها في لغة
الاكثرين وجر لدن اكثر من نصبها وقد تضاف وقد لا تضاف للجملة
بخلافهما قال الراغب لدن اخص من عند وابلغ لانه يدل على ابتداء
نهاية الفعل ما مصدرية ظرفية اقام الصلوة اللغوية او الشرعية
من عبد الله وابدا لهذا مع انقطاعه استغناء عنه بما بعده على انا لا
نسلم انقطاعه لان اهل الجنة يدعون ويتعبدون كما علم من احاديث
اقرأ وارق وغيرها لكن للتلذذ لا التكليف ولا يضر في ذلك التابيد
انقطاعه مدة يسيرة للخبر الصحيح لا تقوم الساعة وعلى وجه الارض
من يقول الله الله ولا ينافيه الخبر الصحيح ايضا لا تزال طايفة من
امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم الى ان تقوم الساعة
لان المراد قرب قيامها لما جاء ان الله يبعث ريحا لينة فلا تغادر

على مومن ولا مومنة الا امات ثم تتمحض الكفرة فلا يبقى على وجه
الارض مومن ثم تقوم الساعة وما قامت اي ثبتت على ابلغ نظام
واتقن احكام بربها اي بايجاده وامداده الاشياء اي الموجودات
في الدنيا والاخرة وابدها بالاولى مع انقطاعه بفناء هذه الدار
لما مر للتبرك بذكر المتعبدين اخر كلامه وبالثاني الذي لا ينقطع لدوام
نعيم الجنة وعذاب النار ليجمع بين شرف الاول ودوام الثاني مع
الاشارة بالختم بذكر الرب اي استفتاح ابواب تربيته واستمناح
مواهب لطفه وهدايته جعلنا الله ممن حقق له حقايق قربه وامداده
واسعافه واسعاده وآمننا من كل فتنة ومحنة واسبغ علينا رضاه
متفضلا بكل ما نتمناه انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم اللهم صل
وسلم وبارك افضل صلواتك واتم تسليماتك وانمى بركاتك عدد
معلوماتك على افضل الخلق سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم كلما ذكرك
وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون ورضي الله عن
اصحاب رسول الله اجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

وافق الفراغ من نسخ هذا الكتاب المعظم ضحوة
يوم الاثنين افتتاح شهر ربيع الاخر من
شهور سنة اربع والف عدديه
افقر الورى واحوجهم الى رحمة الله
سليمان بن الحاج سالم غفر الله
له ولوالديه ولمن احسن اليهما
واليه ولجميع المسلمين والحمد
لله رب العالمين

Copyright © King Saud University